بحوث مؤتمر

الاسلام والتنمية

٢١٠,٦٠١

فــار فاروق عبد الحليم بدران

بحوث مؤتمر الإسلام والتنمية/ تحرير فاروق عبد الحليم بدران

.ـ عمان : جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٩٩٢ .

(٤١٥) ص .

ر.أ (١٠١/٢/١٩٩٢) .

١ـ الإسلام ـ مؤتمرات أ. العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

بحوث مؤتمر

الاسلام والتنمية

مجموعة الاوراق التي نوقشت في مؤتمر «الاسلام والتنمية» الذي عقدته جمعية الدراسات والبحوث الاسلامية في عمان

يومي١٣-١٤ محرم ١٤٠٦هـ (٢٨-٢٩ أيلول سبتمبر ١٩٨٥م)

تحرير

فاروق عبدالحليم بدران

جمعية الدراسات والبحوث الاسلامية

عمان ص ب ٩٤٨٩

الاردن

١٤١٢هـ/١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحرر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من دعا بدعوته وسار على نهجهه الى يوم الدين، وبعد،

فقد دأبت جمعية الدراسات والبحوث الاسلامية في الاردن على عقد مؤتمرات علمية متخصصة ، يلتقي فيها المفكرون والباحثون من العلماء المسلمين، ليعالجوا قضية من القضايا الفكرية الهامة، أو مجالا من مجالات الحياة، من منظور اسلامي، سواء في ميدان الحضارة والثقافة أو الاقتصاد أو التربية أو الاجتماع أو غيرها، مما يهم الامة الاسلامية، في سعيها لاعادة بناء فكرها وحضارتها المعاصرة على اسس علمية وقواعد سليمة، في ظلال الكتاب والسنة من جهة، وبما يتمشى مع متطلبات الحياة المعاصرة ومستجداتها، وبما ينير لها مستقبلها الواعد، في وسط هذا العالم الصاخب.

وقد جاء مؤتمر "الاسلام والتنمية" الذي عقدته جمعية الدراسات والبحوث الاسلامية في عمان -عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية يومي ١٣ و ١٤ محرم ١٤٠٦هـ (٢٨ و ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٨٥م)، في رحاب مجمع اللغة العربية الاردني ، والمركز الثقافي الاسلامي التابع للجامعة الاردنية، تحقيقا لهذه الغاية النبيلة ؛ فقضية التنمية ، بجوانبها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، من أهم القضايا التي تواجه المجتمعات الاسلامية في البلاد العربية والاسلامية جميعها. ومن هنا كانت دعوة الجمعية الى أهل الاختصاص تقديم رؤاهم في هذا المجال ومناقشة الحلول والبدائل ليأخذ البديل الاسلامي دوره في معالجة المشكلات التي تواجه العالم الاسلامي. وقد شارك في هذا المؤتمر نخبة من المفكرين والاقتصاديين والمهتمين بالاقتصاد الاسلامي من داخل الاردن وخارجه.كما شارك فيه ممثلون لمختلف النشاطات الاقتصادية في الاردن من غرف صناعة وتجارة وجامعات ومؤسسات اقتصادية واجتماعية ، وقد تداول المجتمعون على مدى يومين كاملين، وفي جلسات مكثفة ، في عدد من الموضوعات والقضايا الاقتصادية ووجهة النظر الاسلامية في التعامل معها ومعالجتها.

إن جمعية الدراسات والبحوث الاسلامية ، إذ تأسف لتأخرها ، بضع سنوات، في طبع بحوث المؤتمر ونشرها في كتاب، ترى انه لا تزال هناك حاجة لنشر هذه البحوث للفائدة المرجوة منها . وتأمل الجمعية ان يسهم نشر هذه البحوث في توجيه مزيد من العناية بموضوعاتها ، وتشجيع أهل الاختصاص على نشر نتاجهم العلمي وتعريف الآخرين به.

وختاما ، فقد كلّفني إخواني في مجلس إدارة الجمعية ، بالقيام بتحرير مادّة هذه البحوث وتنظيمها في هذا الكتاب، فقمت بجهدي المتواضع في هذ السبيل، خدمة للعلم والفكر الاسلامي، ابتغاء وجه الله سبحانه، فنسأل الله القبول ، وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

المحرر

فاروق عبدالحليم بدران
جمعية الدراسات والبحوث الاسلامية
عمان/الاردن

المحتويات

الصفحة

كلمة حفل افتتاح مؤتمر «الاسلام والتنمية»

الاستاذ الدكتور اسحق احمد فرحان

رئيس جمعية الدراسات والبحوث الاسلامية

ايها الحفل الكريم:

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد:

فأحمد اليكم الله عز وجل، ان وفقنا جميعا لهذا اللقاء الخير، في هذا المكان الطيب مجمع اللغة العربية الاردني، الذي يرعى العربية لغة القرآن الكريم، بجوار بيت عامر من بيوت الله تبارك وتعالى، حيث سنعقد بعض ندوات هذا المؤتمر في مركزه الثقافي الاسلامي الواعد، واصلي واسلم على نبينا محمد، خاتم الانبياء والرسل، سيد البشر، المرسل رحمة للعالمين، لينقذ البشرية من الظلمات الى النور، ويهديها الى صراط العزيز الحميد. "قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه، ويهديهم الى صراط مستقيم".

واسمحوا لي ايها الاخوة الفضلاء، ان ارحب بكم باسم جمعية الدراسات والبحوث الاسلامية التي اشرف برئاستها، في لقائكم العلمي هذا، الذي يبحث موضوعا في غاية الاهمية في عصرنا الحاضر وهو موضوع التنمية في اطاره الاسلامي، ومن هنا كان عنوان المؤتمر: الاسلام والتنمية، الذي أشار الى موضوعاته اخي الدكتور عبد خرابشة مدرس الاقتصاد في الجامعة الاردنية، ومقرر اللجنة التحضيرية لهذا المؤتمر الكريم.

وانني لاشكر السادة العلماء المشاركين في هذا المؤتمر بابحاثهم ودراساتهم، سواء الاخوة العلماء الضيوف الذين تحملوا مشاق السفر، او الاخوة المدعوون الى حفل

الافتتاح هذا وسائر العلماء المشاركين في ندوات هذا المؤتمر من ممثلي المؤسسات والفعاليات الاقتصادية في هذا البلد الطيب الذي يشرئب اهله الى تبني الاطار الاسلامي لمشكلاته الاقتصادية وسائر مجالات حياته. ولا غرو في ذلك، فأهل الاردن المرابط بجوار فلسطين المباركة، ارض المسجد الاقصى التي ترزح تحت نير الاحتلال الاسرائيلي الممعن في غيه وضلاله، يتطلعون إلى ذلك اليوم الذي تطبق فيه شريعة الله، ويحكم فيه بكتاب الله، ويربى فيه شباب الاسلام على هدى محمد صلى الله عليه وسلم، ليكونوا جند التحرير ورواد الشهادة في سبيل الله، المجاهدين لاعلاء كلمته، ورفع البغي ولاظلم عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، لينزل على هذه الامة نصر الله، والفتح المبين.

الاخوة الاكارم:

واسمحوا لي ايضا، ان انتهز هذه الفرصة الطيبة التي نلتقي فيها معكم، لاقدم لكم فكرة موجزة عن جمعية الدراسات والبحوث الاسلامية، اهدافها، وانجازاتها، وتطلعاتها.

لقد مضى على تأسيس هذه الجمعية ما يقارب الثماني سنوات، حين تداعى حوالى اربعين عالما ومفكرا في هذا البلد الطيب واسسوا هذه الجمعية، فكان اول اجتماع لمجلسها الاداري بتاريخ ١٣٩٨/١٠/١٨هـ الموافق ١٩٧٨/٩/٢٠، وتضم الجمعية اليوم حوالى مائة وخمسين عالما ومفكرا وباحثا، بالاضافة الى اعضاء الشرف واصدقاء الجمعية الذين يدعمونها ماديا ومعنويا لتحقيق اهدافها السامية.

لقد كان المنطلق الاساسي للجمعية اتاحة الفرصة للمتخصصين من العلماء والباحثين المسلمين في مختلف ميادين المعرفة للالتقاء وتبادل الخبرات، والقيام بالدراسات وعمل البحوث العلمية لمساعدة مجتمعاتنا الاسلامية على النهوض ومعايشة العصر في اطار اصالتنا الاسلامية وهويتنا الحضارية المتميزة. ومن هنا فقد تحددت

اهداف الجمعية بما يلي:

١ - المساهمة في الانتاج الفكري الاسلامي، واعداد البحوث العلمية والتمحيص الناقد للمعطيات الحضارية العالمية، بهدف تمكين المجتمعات الاسلامية من الافادة من ايجابيات تلك المعطيات.

٢ - القيام بالدراسات والبحوث في مختلف فروع المعرفة، والتي يكون لها مردود ايجابي على المجتمعات الاسلامية بعامة، والمجتمع الاردني بخاصة.

٣ - المساهمة في وضع برامج البحوث في القضايا التي تواجه المجتمعات الاسلامية، افرادا ومؤسسات، في العالم المعاصر، وتمويل تلك البرامج او دعمها.

٤ - التعاون مع المؤسسات العلمية ومراكز البحث في العالم الاسلامي، ومع الجمعيات العالمية المتخصصة المهتمة بشؤون البحث العلمي والدراسات والبحوث في مختلف المجالات لتحقيق التبادل في الانتاج الفكري لخدمة المجتمعات الاسلامية والعالمية والمجتمع الاردني بشكل خاص.

٥ - تشجيع اعضاء الجمعية على القيام بالبحوث والدراسات في مجالات تخصصاتهم، في اطار النظرة الاسلامية الكلية للعلوم والمعارف.

٦ - تشجيع اعضاء الجمعية على اعداد البحوث التي تساعد على صياغة فلسفة اسلامية ذات مواقف وابعاد محددة، تعالج القضايا الفكرية والاجتماعية والاقتصادية المعاصرة.

٧ - تمكين اعضاء الجمعية من الاتصال بالمفكرين والعلماء في مجالات اختصاصاتهم على المستويات المحلية والعربية والاسلامية والعالمية.

وقد اتخذت الجمعية عدة وسائل لتحقيق هذه الاهداف منها: نشر البحوث، والمؤلفات، وتنظيم المواسم الثقافية، وعقد الحلقات والمؤتمرات العلمية، وما الى ذلك.

واعتمدت الجمعية نظام الدوائر الاكاديمية المتخصصة في عملها، لتحقيق اهدافها من خلال برامج هذه الدوائر وانشطتها، وفي الجمعية اليوم اربع دوائر هي:

- دائرة علوم الشريعة والقانون، وتعنى بدراسات وبحوث الشريعة الاسلامية والدراسات القانونية.
- ودائرة العلوم الاجتماعية، وتعنى بدراسات وبحوث العلوم الاجتماعية والتربوية والانسانية والاقتصادية.
- ودائرة العلوم الطبيعية والتطبيقية، وتعنى بدراسات وبحوث العلوم الطبيعية والرياضيات والهندسة والعلوم الطبية.
- واخيرا دائرة اللغات وآدابها، وتعنى اساسا باللغة العربية وآدابها لغة القرآن والحضارة الاسلامية، مع بلورة الاهتمام في المستقبل الى ترجمة البحوث الاسلامية الى لغات شعوب الامة الاسلامية.

ايها الحفل الكريم،

وقد سارت هذه الجمعية الشابة على بركة الله في مسيرتها المباركة فنشرت عددا من البحوث الاسلامية في الاقتصاد والتربية والاجتماع، كما اصدرت تسعة ابحاث قيمة في مجالات متعددة نشرت في مجلد واحد "مع اطلالة القرن الخامس عشر الهجري"، وكذلك عقدت الندوات العلمية المتخصصة في مجال الشريعة والقانون والتربية والاجتماع والاقتصاد والطب الاسلامي، كما اود ان اشير بصورة خاصة الى المؤتمر العلمي الذي عقدته الجمعية قبل عامين في صفر الخير عام ١٤٠٤هـ الموافق شهر تشرين الثاني عام ١٩٨٣، بعنوان "جوانب علمية في الحضارة الاسلامية" الذي القي فيه خمسة عشر بحثا، نشرتها الجمعية في مجلد واحد في بداية هذا العام ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م. ويأتي مؤتمرنا اليوم عن "الاسلام والتنمية" حلقة ذهبية من حلقات العلم النافع والمعرفة المفيدة في اطار مجهودات جمعية الدراسات وانجازاتها في تحقيق اهدافها الطموحة.

ايها الحفل الكريم:

ان مؤتمرنا هذا عن "الاسلام والتنمية"، ليمثل جانبا مهما من جوانب حياتنا المعاصرة، اذ لا يجوز ان تبقى مفاهيم التنمية في عالمنا العربية والاسلامي صورة مكررة عن مفاهيم التنمية الغربية او الشرقية، بل لا بد ان تتخذ من الاسلام اطارا في عالم النظرية وواقع التطبيق. ان للاسلام نظريته الشاملة للحياة، ومن ضمنها ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية. وان النظرية الاسلامية في التنمية، لتنطلق من تنمية الانسان في جانبه الاجتماعي، والعناية اساسا بعقيدته وايمانه ورعاية دوافعه وغاياته في خدمة بيئته الاجتماعية وتطويرها نحو الافضل، في اطار من اليقين الصادق، والقيم السامية، ثم تتناول العناية بالجانب المادي والانتاجي والعملي في واقع الحياة الاقتصادية. فتتزاوج بذلك روح الانسان المؤمن وطاقاته المعنوية مع امكاناته الجسمية وطاقاته المادية في العمل والانتاج، وبين فعالية الانتاج وترشيد الاستهلاك، وبين استخدام البيئة، وعدم تلويثها وحسن العناية بها، وفي منظومة اسلامية متماسكة الحلقات، تؤتي ثمارها خيرا وبركة وامنا واستقرارا على الأفراد والمجتمع في آن واحد. وصدق الله العظيم اذ يمن على قريش العرب بنعمة الاسلام الذي وفق بين الايمان والعبادة وبين الانتاج والعمل "لايلاف قريش ايلافهم، رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت، الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف"

واسمحوا لي ايها الاخوة، ان اربط هنا مفاهيم التنمية والامن الغذائي للامة، التي تحرص عليها كل الامم، بمفاهيم الامن الثقافي والحضاري للامة.

لقد هدد الاستعمار السياسي والعسكري امتنا الاسلامية المعاصرة ردحا من الزمان، وانسحب اخيرا من معظم بلادنا رغم انه اتخذ من العدو الاسرائيلي قنبلة موقوتة لتهديد امن الامة الاسلامية باستمرار في هذين الجانبين السياسي والعسكري. اقول، انسحب الاستعمار بجيوشه وممثليه الظاهرين، وترك وراءه تراكمات ضخمة من رواسب الفكر والثقافة وازدواجية العلم والتربية ومظاهر الاستشراق الفكري والاستغراب

الحضاري الذي يهدد هويتنا الاسلامية، واصالتنا الحضارية، وقيمنا واخلاقنا، بالتحلل والتسيب والاندثار.

ومنا هنا، فالخطر الداهم علينا من وراء هذا الغزو الثقافي، تهديد حصوننا من الداخل، فنقلد المستعمر في طريقة عيشه، وبنائه، ونتصور انفسنا وكاننا نعيش في مجتمعات غريبة، نستهلك الذي تستهلك، ونحب من الاطعمة ما تحب، ونلبس من اللباس ما تُنتج، فنكون بذلك اسواقا استهلاكية لها، نقتبس نمطها التنموي المادي، في غيبة من قيمنا واخلاقنا في العيش والاقتصاد وطرق الاستهلاك، فنضل ونشقى بدل ان نهتدي ونسعد.

ومن هنا، فان الاطار الصحيح لخطط التنمية في مجتمعاتنا العربية والاسلامية، يجب ان يكون اطار العقيدة والايمان، والاهتمام بالقيم والاخلاق، وتنمية الانسان الذي هو محور العملية التنموية الشاملة الروحية والاجتماعية والاقتصادية سواء بسواء. هذا الانسان الذي كرمه رب العزة، بان نفخ فيه من روحه، فجعل لهذا الطين معنى وهدفا ورسالة ذات معنى في هذه الحياة الدنيا. واما اقتصار التنمية على الجانب المادي لحياة الانسان واشباع حاجاته الفسيولوجية فحسب، فانما هو مسخ لمفهوم التنمية وارتكاس بالانسان الى عالم الحيوان، وصدق الله العظيم اذ يقول في امثال هؤلاء: "والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم".

ايها الاخوة العلماء والمفكرون،

ان عليكم واجبا كبيرا تجاه امتكم، بان تتصدوا للتحديات الكبيرة التي تواجهها، والتي تتمثل في التحدي القيمي والحضاري والاجتماعي، ثم التحدي الاقتصادي والتنموي والتكنولوجي، واخيرا التحدي الاسرائيلي على المستويين السياسي والعسكري. ولن يكون ممكنا مواجهة هذه التحديات اذا لم ننطلق من عقيدتنا واسلامنا، وحضارتنا وقيمنا، لنحافظ على هويتنا وحضارتنا وننفتح من خلال ذلك على معطيات

عصرنا، فنضمن لاجيالنا المعاصرة الامن الثقافي والحضاري الذي هو مفتاح كل تقدم سليم فى سائر مجالات الحياة المتشعبة.

وانني انتهز هذه المناسبة لادعو الاخوة العلماء المسلمين في كل بلد عربي واسلامي الى تكوين جمعيات اسلامية للدراسات والبحوث في سائر اقطار العالم العربي والاسلامي لتضطلع بمثل ما تقوم به جمعية الدراسات، ثم تتلاقى خيوط مراكز البحث العلمي هذا في اتحاد عام، يضمها لتؤدي واجبها تجاه تطوير الفكر الاسلامي في مواجهة تحديات العصر ومشكلاته المستجدة بصورة متكاملة، وبجهود منسقة، يتعاظم تأثيرها فتسهم في الترشيد الفكري، والانضاج الاجتماعي للصحوة الاسلامية الشاملة التي تشهدها امتنا الاسلامية في مطلع هذا القرن الهجري المبارك ان شاء الله.

واخيرا، فانني اسأل الله العلي القدير ان يوفقكم في مؤتمركم هذا، من خلال بحوثكم ودراساتكم الرصينة الى زيادة وضوح الرؤية الاسلامية لهذه الامة، للسير على هدى من ربها في ميدان هام من ميادين حياتها، وهو الميدان الاقتصادي. وانني ادعو من خلال مؤتمركم هذا علماء الاقتصاد واساتذة الجامعات في هذا الميدان الى ان يولوا الاقتصاد الاسلامي عنايتهم سواء في ميدان التدريس الجامعي، او التطبيق العملي في ميدان المصارف الاسلامية، والعمل والعمال، وغير ذلك من المجالات.

وفي الختام، فإنني اوجه الشكر باسمي وباسم اعضاء الجمعية الى كل من ساهم في جعل لقاءنا هذا ممكنا. اشكر القائمين على مجمع اللغة العربية الاردني والمركز الاسلامي الثقافي لمسجد الجامعة الاردنية، وجامعة اليرموك، وسائر المؤسسات الشعبية والرسمية التي ارسلت ممثلين لها للاشتراك في مداولات هذا المؤتمر، كما اشكر وسائل الاعلام والصحافة، واشكر الاخوة لجنة الاعداد لهذا المؤتمر، وبخاصة المقرر العام الدكتور عبد خرابشة، جزاهم الله جميعا كل خير، والى كل من ساهم في انجاح هذا المؤتمر ازجي الشكر والامتنان. وبالله التوفيق وعليه الاتكال. "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

خطوط رئيسية في الاقتصاد الاسلامي

الاستاذ الدكتور محمد أحمد صقر
رئيس الجامعة الاسلامية في غزة
استاذ الاقتصاد في الجامعة الاردنية

لما كان موضوع هذا المؤتمر المبارك الذي تنظمه مشكورة جمعية الدراسات والبحوث الاسلامية بعمان هو الاسلام والتنمية، فاننى أجد نفسي أسيرا للتعرض الى موضوع المحاضرة الا وهو خطوط رئيسية في الاقتصاد الاسلامي من خلال التنمية. فهذا الموضوع أصبح ملء اسماع الناس في اقطارنا ووسائل الاعلام تتبارى عن الحديث عنه، بل أن العالم كله يعزف على هذا الوتر، وإن كانت المحصلة الواقعية لكل هذا الضجيج هي أقل من القليل. فما زلنا نراوح مكاننا وما زالت التنمية حديثا يقال وخططا تطرح ونظرية او الاصح ملامح نظرية تعرض دون أن يرى الناس ما يشفي الغليل ويواري سوءة الامة ويرفع من شأنها. ويشاركنا في هذه النتيجة المؤلمة ما يسمى بالعالم الثالث او أحيانا عالم الجنوب. ولعله من المفيد قبل أن نتصدى لموضوعنا ان نسجل ابرز الملامح الرئيسية لاقتصاد عالمنا الاسلامي المعاصر بايجاز.

مظاهر الضعف الاقتصادي لأمتنا اليوم

حالة التراجع او النكوص الاقتصادي هي الصفة الاساسية للامة الاسلامية اليوم.
وهناك ميزات اخرى كلها تصب في قناة التراجع الاقتصادي وما يمكن تسجيله في هذا الشأن التبعية الاقتصادية لاقتصاديات الدول الصناعية وشدة ارتباطنا بالاسواق الخارجية، سواء في مجال المبادلات التجارية استيرادا وتصديرا او حركات رؤوس الاموال

والاستثمار. بينما نشاهد ضعف ارتباط الاسواق الاسلامية سواء على مستوى حركات السلع أو الايدي العاملة أو رؤوس الاموال. كما نلاحظ سوء توزيع السكان في الوطن الاسلامي فهناك اقطار يزدحم فيها السكان وأخرى تشكو نقصا فيهم، والشيء نفسه بالنسبه للمقدرات المالية، فهناك تخمة عند البعض وفقر مدقع عند آخرين. والى جانب هذا يلاحظ ضآلة القاعدة الصناعية والتراجع المستمر في حقل الانتاج الغذائي مما يشكل عجزا استراتيجيا متزايداً بالنسبة للامن الغذائي، وهناك اغراق في استيراد تكنولوجيا الاستهلاك والترف وإشاعة عقلية مجتمع الاستهلاك. كما تخضع اقتصادياتنا للهيمنة التكنولوجية الاجنبية بينما تفتقر صناعاتنا الى جذور تكنولوجية راسخة. وتعاني بلادنا من سرعة استنزاف مواردنا الاساسية كالبترول والموارد الاخرى، وهيمنة الشركات المتعددة الجنسيات واستلاب ارصدتنا المالية واستثمارها لصالح الدول الصناعية مما حرم الوطن الاسلامي من فرصة التطوير والاستثمار وحرمه من ايجاد قاعدة انتاجية بديلة.

وقد رافق هذه الظواهر السلبية فوضى في التخطيط الاقتصادي والاجتماعي، كما أدى الكبت السياسي والمحاباة وعدم النزاهة الادارية الى تشجيع هجرة العقول والكفاءات والخبرات من العالم الاسلامي الى العالم الصناعي. ولم تفلح الخطط التنموية في تحقيق الاهداف المرجوة لافتقارها الى اطار فكرى ينسجم مع طبيعة الرؤيا الحضارية للمجتمع، ولانها ظلت أسيرة للمعطيات الاقليمية الضيقة.

وكبلت الصناعة في سجن الاسواق الصغيرة تحرسها في الغالب حماية جمركية عالية تستنزف دخل المستهلك وتعيش على حسابه، مما حرم العالم الاسلامي من معظم الصناعات ذات الحجم الكبير والصناعات الاستراتيجية بسبب ضيق السوق وصعوبة التمويل. وجل التنمية التي تحققت كانت في اطار تشجيع الواردات الاجنبية، وتنمية قطاع التجارة الخارجية وتوسيع قطاع الخدمات علي حساب الانتاج الزراعي والصناعي غالبا، مما أدى الى تعزيز عقلية الربح السريع والتهافت على المضاربة والاتجار في الاراضي والعقارات.

وكان لغربة المؤسسات العاملة في حقل الانماء الاقتصادي والاجتماعي وتعارض بعضها مع احكام الشريعة الاسلامية، كالمصارف الربوية، أن زادت عزلة المجتمع عن النشاط الاقتصادي مما ادى الى تكثيف درجة الاستلاب الاجنبي وزيادة تملك غير المسلمين لكثير من الشركات والمؤسسات. وقد رافق هذا اجحاف في توزيع الدخل والثروة وبروز جهات ذات مصالح خاصة مرتبطة بالوضع القائم مما ادى الى زيادة حدة مشكلة الفقر وتوسع قاعدته في كثير من اقطارنا.

وكانت المحصلة لهذا كله زيادة في التبعية والفشل في تحقيق درجة معقولة من الاستقلال الاقتصادي.

دور الاقتصاد الاسلامي

اذا كان واقعنا الاقتصادي هو على هذه الصورة غير السارة، فما الدور الذي يمكن أن يلعبه الاقتصاد الاسلامي ليبعث الحركة والنشاط في جسم الامة الاسلامية، ويساهم في حل مشكلاتها.

بادىء ذي بدء، لا بد من التذكير بأن مشكلة التنمية لا يحب أن تعالج من زاوية اقتصادية فحسب، ذلك لان النمط الاسلامي للتنمية يشمل جوانب الحياة كلها، ولابد من احداث تنمية في العقلية التي يفكر بها الناس وفي طريقة تناولهم لمشكلات الحياة، كما أن التنمية لابد أن ترتقي بجميع نواحي الحياة الانسانية والاجتماعية والاسرية. ومن هنا فان الاسلام لايقر ابدا التركيز على البعد الاقتصادي وحده، والا نكون قد طوعنا مفاهيم الاسلام العليا وفلسفته للكون والحياة للنزعات المادية التي تعاني منها الحضارة المعاصرة. ومعنى هذا أن الحل الاسلامي لمشاكل المجتمعات لابد أن يكون حلا شموليا. وهنا، وهنا فقط يمكن ان يلعب الاقتصاد الاسلامي دوره من ناحية التنظير -اي بناء النظرية واداراتها التحليلية- او من خلال رسم السياسات الاقتصادية او من خلال بناء المؤسسات التي توظف الموارد والطاقات النفسية والعقلية والبشرية والطاقات المادية والادارية بغية الوصول الى الاهداف الاجتماعية المرسومة.

الاقتصاد والبيئة

لاجدال في أن علم الاقتصاد هو من العلوم الاجتماعية. ومعلوم ان العلوم الاجتماعية والانسانية علوم تنبت في بيئة معينة، فالعلوم من هذا النوع هي نبت البيئة بحق. ومن العجب أن علم الاقتصاد الذي يدرس في جامعاتنا مستورد كله من بيئات غريبة علينا، ومن ثم فان النظرية الاقتصادية وإدارتها وسياساتها لا تصلح في الغالب لمواجهة مشكلاتنا، ومن ثم فهناك شك كبير في جدوى التعليم القائم حاليا. الا ان هذه النتيجة الخاسرة التي منى بها علم الاقتصاد في بلادنا لا ينفرد بها وحده، إنها صفة مشتركة لجميع العلوم الاجتماعية والانسانية في بلادنا. انها في مجملها غريبة عن البيئة، ومن ثم فهي أعجز من أن تتصدى لمعالجة مشكلاتنا.

والمطلوب صياغة فكر اقتصادي ونظرية وادوات تحليلية واقتراح سياسات تنسجم مع الرؤية الحضارية للمجتمع، والمجتمع الاسلامي يدين اصلا بالاسلام ويرتكز على نصوص ثابتة وردت في القرآن والسنة، والى استنباطات واجتهادات وقياسات ومواءمات وتوظيف قاعدة المصالح المرسلة لمعالجة المشكلات المستمدة والتيسير عن الناس شريطة الانسجام في الوسيلة والغاية مع المقاصد العليا للشريعة الاسلامية وعدم التصادم مع النصوص. وتحقيق هذا الامر يتطلب اعادة النظر في مناهج التعليم كلها. وبلورة فلسفة اسلامية لها لايجاد العقلية الاسلامية العلمية المبدعة، وهذا الاصلاح مطلوب في المناهج العلمانية السائدة وفي المناهج التقليدية الاسلامية الناتجة بغية التخلص من الثنائية والتضاد بين العقليتين وبناء عقلية علمية ذات رسوخ حضاري.

التنمية في اطار اسلامي

واجهت الاقطار الاسلامية مشاكل التنمية عن طريق تبني النموذج الرأسمالي او النموذج الاشتراكي. والاول يقوم على اساس ايجاد طبقة يعود اليها معظم الفائض الاقتصادي -طبقة الاحتكارين- تتولى قيادة عملية التنمية، بينما تتحمل الطبقة العاملة جُل التضحية. وهذا النموذج يطلق العنان للمنتج لاستغلال المستهلك وخداعه عن طريق الاعلان التجاري كما يخضع الانتاج حتى وان كان ضارا اجتماعيا لمقياس

المردود المادي، بل ويُخضع الاعتبارات الاجتماعية والاخلاقية بغية تحقيق الهدف المادي، كما يحابي فئة في توزيع الدخل على حساب الفئات الاخرى. والنموذج الاشتراكي يلغي بدوره حرية الفرد في الاختيار والتعبير ويوجه الانتاج تبعا لقرارات بيروقراطية لا تخضع لمبدأ الرقابة الشعبية ولا تراعي قاعدة الشورى.

ولقد اخفق النموذجان في بلادنا، وبات الامر ملحا لايجاد بديل اسلامي بديل من شأنه توجيه الموارد توجيها رشيدا في ظل الملكية الفردية ويسمح ببناء قطاع عام وتعاوني، ويحبب للناس عادة الادخار ويحارب الاسراف ويربي عقلية مجتمع الانتاج ويطلق الطاقات المبدعة باعتبار ان الانتاجية الايجابية عبادة، لها مثوبة دنيوية واخرويه: امثالا لقوله تعالى، "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" وإلى العمل المتوازن بلا إسراف ولا تبذير "ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين..." والانتاج لا بد ان يكون له مردود اجمالي حتى يتم الاتقان. يقول صلى الله عليه وسلم "ان الله يحب اذا عمل احداً عملاً ان يتقنه" ... "وإن الله يحب العبد المحترف".

ويتميز نمط التنمية الاسلامي بخصائص منها:

١ - الكفاءة: اذ لا تبدد الموارد ولا يتم تبذيرها ولا يكون المقياس هو معدل النمو بل مدى ما يتم انتاجه من سلع توفر اكبر رفاهية ممكنة لسواد الناس، فالانتاج الامثل هو الهدف وليس الاقصى.

٢ - الشمول: اذ تتوزع التنمية للمجتمع باسره في المدن والريف والبوادي ويراعي مصالح الاجيال المتعاقبة فلا يتم استنزاف الموارد الاساسية لمصلحة الجيل الحاضر inter-temporal dev.

٣ - العدالة: لايحابي فئة اجتماعية على اخرى انما يسمح برفع مستويات الاجور والدخل دون إرهاق للطاقات البشرية وطمس مقدراتها الروحية.

٤ - التوازن: بين قطاعات الانتاج فلا يبخس الزراعة لحساب الصناعة او العكس.

٥ - التكامل: بين طاقات وموارد الامة الاسلامية الطبيعية والمالية والبشرية.

٦ - الانسجام النفسي: اذ ان القناعة بالنمط الاسلامي وتوظيف الانتاج والسلع النامية وعدم انتاج سلع ضارة كالخمور تستنزف طاقات المجتمع، كما توظف وسائل الانتاج بوسائل تتمشى مع الشريعة، من شأن ذلك كله ان يشكل زخماً نفسياً هائلاً لدى قطاعات المجتمع ويسهم في انجاح عملية التنمية.

وهكذا يتيح نمط التنمية الاسلامي ان يقضي على الحلقة المفرغة، ويتيح الاستفادة من مزايا الانتاج الكبير والتخصص بين الاقاليم الاسلامية. ان توظيف مفهوم الامة هو السبيل الوحيد الذي يمكن العالم الاسلامي من ان يبني قاعدة اقتصادية لها عمق تكنولوجي ملائم وقابلية للاستمرار في وجه التكتلات الاقتصادية الكبرى.

والاخذ بالشريعة الاسلامية وبتطبيق مفاهيم الاقتصاد الاسلامي، وتأكيد معنى ان موارد الامة الاسلامية متكاملة ومتضامنة وحق الانتفاع بها لجميع المسلمين هو الاقدر للخروج من حالة التشرذم الاقتصادي الاسلامي. ومن شأن ذلك ان يزيد فرص الاستثمار واستيعاب رؤوس الاموال المهاجرة وعودة العقول والادمغة المفكرة لبناء قاعدة انتاجية متنوعة وعميقة تعمل على زيادة الدخل وترفع من سوية الانسان وتكسب اقتصاد الامة الاسلامية استقلالا حقيقيا، وتعفيه من الابتزاز والاجحاف والخضوع لشروط تجارية مجحفة، مما يمكن الامة الاسلامية من بناء صناعات عسكرية متطوره تعزز استقلالها السياسي والاقتصادي والحضاري.

الدولة ودورها في الاقتصاد الاسلامي

على الدولة ان تلعب دورها بصورة متوازنة في ظل الملكية الفردية واحترام قاعدة الشورى كوسيلة لتفهم الرغبات العامة والمشاركة في صنع القرار. وللدولة في اطار الخضوع للمقاصد العليا للشريعة ان تتبع من الخطط والسياسات ما يدفع عجلة النمو ويحقق الازدهار، مع ما يتطلب هذا من وضع تشريعات تمكنها من مراقبة جهاز الاسعار والتدخل ان لزم الامر عن طريق تحديد الاسعار والاجور عند الضرورة، ويتبني سياسة مالية ونقدية تُحقق الاستقرار وعدالة التوزيع وتحافظ على المتطلبات الاساسية للانتاج.

ومن ابرز مسؤوليات الدولة بناء المؤسسات القادرة على تحمل اعباء التنمية الاقتصادية والاجتماعية بحيث تنسجم مع المفاهيم الاسلامية، وهذا يتطلب اعادة تكييف النظام النقدي والمالي لينسجم مع المعطيات الاسلامية.

ان في النظام الاسلامي ضوابط توزيع منافع التنمية كالزكاة ونظام الارث والنفقات للاقارب والكفارات وغير ذلك. ومع ذلك فان ما جرى به العُرف في المجتمعات الاسلامية وتطبيق نظام الحسبة ومواجهة المتطلبات المستجدة، يمكن الدولة الاسلامية من ابتكار سياسات اقتصادية جديدة للتدخل المباشر لتحقيق الغايات الاجتماعية.

الاقتصاد الاسلامي يعود من جديد

حالة عدم الرضى بعلم الاقتصاد القائم ادت الى نشاطات علمية مرموقة على المستوى الفردي والجماعي نذكر منها:

١ - المؤتمر العالمي الاول للاقتصاد الاسلامي الذي انعقد في مكة المكرمة عام ١٩٧٦ ونظمته جامعة الملك عبدالعزيز وشارك فيه اكثر من ثلاثمائة عالم في الشريعة والاقتصاد. وقد طبعت بحوث المؤتمر في مجلدين احدهما بالعربية والاخر بالانجليزية، ولقد كان لهذا المؤتمر الفضل بعد توفيق الله في بعث الاهتمام بالاقتصاد والاسلامي.

٢ - المؤتمر العالمي الثاني للاقتصاد الاسلامي الذي انعقد في اسلام اباد عام ١٩٨٣ وشارك فيه اكثر من ١٠٠ عالم وباحث ونشرت بحوثه.

٣ - ندوات عن السياسة النقدية والمالية عقدت في مكة المكرمة واسلام اباد في الفترة ٧٨-١٩٨٢ ونشر الابحاث في مجلدات.

٤ - منشورات المركز العالمي لابحاث الاقتصاد الاسلامي التابع لجامعة الملك عبدالعزيز.

٥ - المؤتمرات التي نظمتها البنوك الاسلامية او الاتحاد العام لهذه البنوك.

ان هذه المؤتمرات وما صدر عنها من دراسات وبحوث، وفرت مادة علمية جيدة ومكنت العديد من الاساتذة من تدريس الاقتصاد الاسلامي ومتابعة ابحاثهم في مجالاته المختلفة. ومع كل هذا الانجاز الكبير، فإن الطريق ما زال طويلا لبناء نظرية متكاملة للاقتصاد الاسلامي، ولتطويع كل المواد الدراسية في الاقتصاد الى المفاهيم الاسلامية، كمادة النقود والبنوك والتحليل الجزئي والكلي والمالية العامة، والسياسة الاقتصادية والتنمية الاقتصادية. حتى تتكامل النظرية مع التطبيق وحتى توضع امام متخذي القرارات سياسات اسلامية مدروسة، تتوافر فيها القابلية للتطبيق مع الاحكام والاتقان العلمي.

بيد ان هذا يتطلب من الباحث والاستاذ ان يتعمق في دراسته للشريعة الاسلامية وبالذات القرآن الكريم والسنة، وان يلم الماما جيدا بأصول الفقه ويتعرف على اراء المدارس الفقهية. ان مثل هذه الثقافة اساسية حتى يستطيع العالم الاقتصادي الاسلامي ان يحدث بناء علميا حقيقياً، ينسجم مع فلسفة الاسلام ويحقق الغايات التي تتوخاها الشريعة ويرفع من سوية المجتمع الاسلامي.

الأسس العقائدية والأخلاقية للتنمية في الاسلام

الدكتور ابراهيم زيد الكيلاني
عميد كلية الشريعة /الجامعة الاردنية

مفهوم التنمية في الاسلام

للاسلام مفهومه المتميز للتنمية، المتفق مع مبادئه وقيمه وتصوره الشامل للكون والانسان والحياة. والاسلام الذي جاء لهداية الانسان الى ربه وعبادته، واتباع منهجه، والقيام بواجب الاستخلاف في الارض، بيّن أن هدفه في التنمية هو الانسان، ووضع للانسان المنهج التربوي الشامل المتكامل الذي يرعى عقله وروحه ونفسه وجسده في توازن متفق مع الفطرة التي فطره الله عليها، والغاية التي خلقه من اجلها وهي عبادة الله وحده ثم اسعاده وانقاذه من الشقاء والعذاب «فإما يأتينّكم منّي هدى، فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى" (١).

وفي ظل هذا النظام الرباني نشأ الانسان المتوازن الذي استنار عقله ونما حين تحرر من عقائد الجاهلية كالخرافة والوهم والدجل، ودعوى العلم بالغيب، والرجوع الى الكهان في امور التجارة والزواج وشؤون الحياة، وأخذ يطبق المنهج العلمي القائم على الانتفاع بوسائل المعرفة التي هيأها الله للانسان "ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا" (٢)، وكانت الخطوة الاولى في تنمية الانسان صيانة انسانيته وعقله ورشده من الهدر والخسارة والضياع، وتوجيهها نحو ما ينفعها في دينها ودنياها، في حياتها الدنيا وفي حياتها الاخرة.

وقد اشارت الايات الكثيرة في القرآن الكريم الى خسارة الانسان لانسانيته، ولنفسه بسبب كفره وشركه. قال تعالى: "الذين خسروا انفسهم فيهم لا يؤمنون" (٣). "قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ....." (٤).

مفهوم التنمية الاقتصادية المعاصر

يعني مفهوم التنمية الاقتصادية في الفكر الاقتصادي المعاصر زيادة الدخل القومي الحقيقي Real National Income للمجتمع على مدى الزمن بمعدلات لا تسمح فقط بزيادة متوسط نصيب الفرد من هذا الدخل، وانما بتضييق او سد فجوة التخلف الاقتصادي بين المجتمع والمجتمعات الاكثر تقدما.

شمولية التنمية

وعملية التنمية الاقتصادية تشمل زيادة العناصر الانتاجية المستخدمة في النشاط الاقتصادي؛ سواء عن طريق تشغيل المتعطل منها لدى المجتمع، او زيادة الكميات المتاحة من العناصر الاكثر ندرة.

وتتضمن عملية التنمية ايضا زيادة الكفاءة الانتاجية لعناصر الانتاج المستخدمة في النشاط الاقتصادي عن طريق اعادة توزيعها بين قطاعات الاقتصاد المختلفة، بغية الاستخدام الامثل لها، او عن طريق اجراء تغييرات جذرية في تنظيمات وفنون الانتاج المنطوية على استخدام أفضل لهذه العناصر. ويتضمن كل ما سبق حدوث تغييرات جذرية في هيكل النشاط الاقتصادي القومي سواء أنظرنا الى هذا النشاط من جهة الناتج او التوظف او ميزان المدفوعات. (٥)

التنمية في المنظور الاسلامي

وفي ضوء هذا المفهوم يحسن أنْ اوضح ان الاسلام لا يخالف هذا المفهوم الشامل للتنمية الاقتصادية، ولكنه يتميز باهدافه الشاملة للحياة، ووسائله المنبثقة عن عقيدته

وشريعته، وهذا ما سيزداد وضوحا اذا عرفنا ان التنمية في المنظور الاسلامي، تحكمها اهداف شريعة الاسلام الكلية للحياة التي جاءت لهداية الانسان وتزكية نفسه وتطهيرها من الظلم بجميع صوره والوانه: ظلم النفس بالمعصية، وظلم المجتمع، وظلم الناس، بالاعتداء عليهم وعدم الوفاء بحقوقهم، وتحليتها بالعقائد السليمة والاخلاق الكريمة التي تنقذ المجتمع من اخلاق الانانية، والشح والفردية، وتحليه بأخلاق الايثار والكرم، والتعاون، وتقيم تقدمه ونماءه على آسس العدل والمساواة والرحمة ورعاية الضعيف.

وبهذه النظرة الشاملة للانسان روحاً ومادة، عقلاً وقلباً وجسماً، وبهذه النظرة الشاملة للحياة دنيا وآخرة، ينظر الاسلام الى التنمية بمعناها العام، والى التنمية الاقتصادية بمعناها الخاص، مرتبطة باهدافه الكلية للحياة. ومن خلال هذا التصور يبرز الاسلام مفاهيمه للتفوق والتقدم في المجتمع لتنسجم مع عقائده واسسه الايمانية والاخلاقية، فاذا كانت قيمة الانسان في المجتمعات المادية مقدرة بارصدته وقدرته على التمتع بزهرة الحياة الدنيا، فان قيمة الانسان في المجتمع الاسلامي هي بايمانه وعلمه وعمله الصالح "وخير الناس انفعهم للناس" (٦)، "وليس الغنى عن كثرة القرض وانما الغنى غني النفس" (٧) كما ورد في الحديث الشريف.

وقد ارسى الاسلام مفهومه الشامل للتنمية، وهو يحذر من التنمية المبتورة القاصرة على التقدم المادي وحده، التي يفقد فيها المجتمع دوام النعمة واستقرارها، وتفقد الانسانية معها امنها وطمأنينتها، وتسود فيها روح السيطرة والغلبة والانانية، المفضية الى ظلم القوي للضعيف، واكتواء الشعوب بويلات الحروب والدمار والظلم، وما ينتج عنها من فقر وجوع، ومرض وحرمان، وهلاك للحرث والنسل.

وهذا ما سيزداد وضوحا من خلال دعوة الانبياء للامم السابقة الآخذة بحظ وافر من الرخاء والتقدم المادي، ولكنها هلكت لانها لم تحفظ النعمة بالشكر ولم تحصن قوتها المادية بطاعة الله واقامة منهجه.

تحدث القرآن الكريم عن أمم تفوقت في مجالات عديدة منها:

١ - التقدم الزراعي:

"ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم، وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين" (٨).

ويعرض القرآن الكريم هذه الحقيقة في ذكر نعمته على قوم سبأ: "لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أُكُلٍ خمط وأثلٍ وشيء من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور" (٩).

٢ - التقدم العمراني:

"ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين. وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين. وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين. فأخذتهم الصيحة مصبحين. فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون" (١٠).

٣ - التقدم في وسائل المواصلات:

وينبه القرآن الكريم الى اثر تيسير الطرق وأمنها، ووسائل المواصلات على التنمية، وهو يحذر من الجشع والطمع وحرص اصحاب الاموال على حرمان الضعفاء من هذه الطرق فيقول: "وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياماً آمنين. فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لايات لكل صبار شكور" (١).

٤ - الكثرة في الاموال وغيرها:

"ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون. فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون، فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما

اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون، فقُطِع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين". (٢)

ويعرض القرآن الكريم هذه الحقيقة في سورة الاعراف فيقول: "وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون. ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عَفَواْ" - اى كثرت اموالهم واسباب رفاههم - "وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون. ولو ان اهل القرى آمنوا وآتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون" (٣)

وبالتأمل في هذه الايات من سورتي الانعام والاعراف نجدها تبرز التنمية بجانبها المادي" فتحنا عليهم ابواب كل شيء"، "حتى عَفَواْ"، وتبرز معها العقائد الفاسدة التي قامت عليها هذه التنمية وهذه المجتمعات "فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء، "حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء".

فهؤلاء قوم قد نسوا ما ذكروا به من آيات الله وتركوها ولم يعملوا بها وجعلوها كالمنسي، واولئك قوم فسروا اقبال الدنيا عليهم تفسيرا ماديا حين قالوا: هذه عادة الدهر: يوم لك ويوم عليك. وقد كان حظ آبائنا بين ضراء وسراء، وشدة ويسر، وكذلك حظنا من الدهر ان كثرت اموالنا ونمت بعد قحط وجدب، فيوم عسر، ويوم يسر، دون ان يسندوا ذلك الى فعل الله وحكمته، او يفطنوا الى ما يطلبه منهم من رجوع الى شرعته وانابة الى حكمه (١٤).

ومن ناحية اخرى، ينبه القرآن الكريم الى شمول التنمية في المفهوم الاسلامي حين يلتقي عطاء الارض نماء وبركة، بعطاء الانسان طاعة وتقوى فيحفظ الله على اهل هذا المجتمع المؤمن الخيرات ويفتح لهم البركات.

ويعبر القرآن الكريم عن آثار هذه التنمية في المجتمع الاسلامي بالبركات: "ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض" (١٥).

بينما يعبر القرآن عن ثمرات التنمية في المجتمع الكافر بقوله: "وفتحنا عليهم ابواب كل شيء" ففي مجتمع الايمان بركات، وفي مجتمع الكفر كثرة بلا بركة، إذْ لا تطمئنُ فيها القلوب، ولا تقرُ فيها النفوس، ولا تسعد فيها الجماعة. فقد تحقق المجتمعات الكافرة تقدما اقتصاديا، والقرآن يحدثنا عما انعم الله به على اهلها من رزق فتح ابوابه وزرع وعمران، ولكن التقدم المادي شيء، والبركات والحياة الطيبة التي تشمل التقدم المادي والانساني معا شيء آخر.

ويربط الاسلام في مفهوم التنمية بين الدنيا والاخرة ليجد المسلم الاغراء على اعمار الارض وتقديم الخير للناس بدافع العوض والثواب في الاخرة، ويتخلص من السلبيات المعوقة للتنمية المتمثلة بالانانية والشح والحقد والحسد، فيحيا الحياة الطيبة بعمله الصالح زراعة وصناعة واعمارا وبتحويل ثمرات هذا العمل لخيره وخير الناس، قال تعالى: "ما عِنْدكم يَنْفَدُ، وما عند اللّهِ باق، ولنجزيّن الذين صبَرُوا أُجرهم بأُحسن ما كانوا يعملون. من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون" (١٦).

ويحذر القرآن الكريم من الانخداع بالتقدم المادي غير المصحوب بالتقدم الايماني والاخلاقي واقامة منهج الله، وان مثل هذا التفوق الاقتصادي بناء على اساس منهار، يهدم من قواعده "وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون" (١٧).
وتأتي شهادة التاريخ من مجتمعات اليونان والرومان والفرس وقبلهم عاد وثمود وفرعون "الذين طغوْا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب،إنّ ربّك لبالمرصاد" (١٨).

وكما حذّر القرآن الكريم المجتمعات من فتنة الغنى القائم على الكفر والظلم.حذّر الافراد فقال: أرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتيَنّ مالاً وولداً....." (١٩)، " ويلٌ لكلّ همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده، يحسب أنّ ماله أخلده" (٢٠).

"ولا تطع كل حلاّف مهين همّاز مشّاء بنميم. منّاع للخير معتد اثيم، عُتلٍّ بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين. اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين. سنسمه على الخرطوم" (٢١).

ووضع القرآن خطورة الترف في المجتمع، وان كثرة الاموال والموارد اذا لم يعصمها في نفوس الافراد ايمان قوي، وخُلُق كريم ستفضي بالمجتمع الى الهلاك والانهيار.
قال تعالى: "واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها ترميرا" (٢٢).

قال صاحب الكشاف في تفسيرها "والامر مجاز: ووجه المجاز انه قال (صب عليهم النعمة صبا) فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات، فكانهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه، وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر، كما خلقهم اصحاء اقوياء، وأقدرهم على الخير والشر، وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق، فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم. من الفعل والترك، والايمان الصحيح الثابت" (٢٣).

وتميز هذه الاية طبيعة التنمية في الاسلام التي لا تقتصر في اهتماماتها وتربيتها لافراد المجتمع على الدنيا، والتي تنبع من عقيدة الامة وامتثالها لامر ربها، والتي تفجّر طاقات الافراد نحو العمل ليجدوا كفاء اعمالهم وثوابها في الدنيا والاخرة.
الحكمة ان نجد هذا التشابه في الاية الكريمة بين نفس المؤمن التي تستجيب للهدى وتتمثله حياة وعملا وبين الارض الطيبة التي تستجيب للماء وتتمثله نباتا وحياة ونماء وكثرة، كما نجد التشابه بين نفس الكافر التي لا تستجيب للهدى، والارض الخبيثة التي لا تخرج نباتها الا بعسر ومشقة قليلا نكدا. قال تعالى "والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون" (٢٤).

قال الامام الطبري: "هذا مثلٌ ضَرَبَهُ الله للمؤمن والكافر، فالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذْنِ رَبّه، مَثَلٌ للمؤمن، والذي خَبُثَ فلا يخرجُ نباتُه إلاّ نَكِداً، مَثَلٌ للكافر" (٢٥).

"والبلد الطيبة تربته" العذبة مشاربه يخرج نباته، اذا انزل الله عليه الغيث، وارسل عليه الحياة باذنه، طيبا ثمره في حينه ووقته، والذي خبث فردؤت تربته، وملحت مشاربه، لا يخرج الا عسرا في شدة" (٢٦). وفي ختم الاية الكريمة بقوله تعالى "كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون" ما ينبه الي اهمية الشكر في تيسير اسباب الرزق وطيب الحياة، والشكر يكون باقامة منهج الله واتباع آياته. والاية من زاوية اخرى تنبهنا الى هدف الشريعة الاسلامية في تنمية الانسان وتزكية قلبه بالايمان والعمل الصالح وتنمية الارض بالزراعة والعمران.

وفي الاية من ناحية اخرى، اشارة الى المجتمعات الكافرة المادية التي خبث اهلها بعقائدهم الضالة واخلاقهم الفاسدة، فلا يحصلون على الرزق الا والعسر والشقاء يصاحبه، والهموم والاحزان تتجاذبه، والصراع والتنافس الذميم يحيط به، وقد خلت قلوبهم من الايمان وبركاته في راحة النفس، وطمأنينة القلب، واستشعار الغنى بالله، فتحولت حياة هذه المجتمعات المادية الى خوف وقلق، وجريمة، وكثرت فيها الامراض العقلية والنفسية، فكثرت الاموال وازدادت معها الاحزان والهموم، واشتد التسابق على شهوات الارض ومتعها، فلا يفي المال بمطالب النفوس الفارغة من العقيدة مهما كثر فما اشد تنافسهم عليه، وصراعهم فيه، فلا يخرج الا نكدا، مصدر شقاء وتعاسة وعسر وشدة، بدل ان يكون وسيلة للخير والسعادة والشكر والاحسان.

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثار رسالته حين يحكم بها الناس، وتنتشر وتعلو كلمتها كيف سيعم الرخاء ويفيض المال، ويأمن الناس ويسعدون، وقال لعدي بن حاتم وقد رأى ما فيه المسلمون من قلة حين قارنه بما عند ملوك الروم وامرائهم: "والله ليتمن هذا الامر حتى يفيض المال ولا تجد من يأخذه ..... وحتى تسير الظعينة من الحيرة الى البيت لا تخشى الا الله والذئب على غنمها ....." (٢٧). والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم حين يذكر هذا انما يعبر عن اهداف تنموية لرسالته سيسعى اصحابه لتحقيقها من بعده. وقد لخصها ربعى بن عامر رسول المسلمين الى قائد الفرس حين قال له: "جئنا لنخرجكم من عبادة العباد لعبادة الله وحده، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة" (٢٨).

فمن اهداف الرسالة الاسلامية اسعاد الشعوب بعدل الاسلام ونقلهم الى سعة الدنيا حيث تكثر الموارد والانتاج وسعة الاخرة حيث تطيب النفوس، وتشرح الصدور، وتجمل الحياة، ويسعى الناس وهم على الارض الى اعمار آخرتهم باعمار الدنيا زراعة وصناعة وانتاجا وعمرانا، وتحويل هذا الانتاج الى ثواب في الاخرة عن طريق القيام بالمصالح العامة وسبل الخير ليجد الفقير والمسكين واليتيم والارملة والضعفاء في المجتمع كما تجد الموسسات العلمية والصحية والاجتماعية نصيبها من هذا المال.

فالدنيا والآخرة في العقيدة الاسلامية مفهومان لا يتناقضان ولا يتعارضان ولا ينفصلان، فالدنيا مزرعة الآخرة وشعار كل مسلم: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا" [٢٩].

أسس التنمية الاقتصادية

يمكن تقسيم هذه الاسس الى قسمين:

القسم الاول، الاسس والقيم التي تتعلق باقامة الوحدة والتجانس بين الشعوب الاسلامية بما تصنعه من تجانس اجتماعي بين جميع المسلمين.

القسم الثاني، الاسس والقيم التي تفجر طاقات افراد المجتمع للانتاج وتنمية الموارد وتحقيق اهداف التنمية في المجتمع.

القسم الاول

وقبل الحديث عن هذه القيم لا بد من توضيح اهمية التماسك الاجتماعي للتنمية الاقتصادية. ذلك ان اية تجربة ناجحة في مجال التقدم الاقتصادي لا بد ان يكون الاساس الاول لها هو التماسك الاجتماعي الذي يُحَوّل ابناء المجتمع الى خلايا بناء متعاونة، يكمل احدهم جهة اخيه، ويقوم بعمله باتقان وامانة واخلاص، ويستشعر ان الخير العائد للجماعة عائد الى نفسه، فيبذل ويحسن ويضحي مطمئن القلب والبال راضي النفس والضمير.

ومن اعظم هذه القيم التي تصنع هذه الوحدة وتحقق التماسك الاجتماعي: شهادة أن "لا إله الاالله وأن محمدا عبده ورسوله" التي تعتبر حجر الزاوية والاساس في بناء المجتمع الاسلامي وربط أفراده برابطة العقيدة القوية وتقيم بينهم وحدة تصور عن الله والكون والانسان والحياة، وتنشأ عنها عبادات وقيم وثقافة مشتركة توحد مسيرتهم وتحقق أسباب التجانس والتآلف والتعاون فيما بينهم، فالصلاة والصوم والزكاة والحج والعادات المشتركة في الطعام والشراب والحل والحرمة، واللباس والزينة والاداب الاجتماعية التي تعمق أواصر المحبة والتعاون والتراحم، وصلة الأرحام ورعاية حق الجار والضيف والضعيف والمسكين وابن السبيل (٣١). وتُحَرّم الغيبة (٣٢) والهَمْز واللمز والسخرية والتفاخر على الاخرين (٣٣). والترغيب بالبر والاحسان، وتذكر الجماعة بوحدة المنشأ ووحدة المصير، والامر بالعدل والمساواة والاصلاح بين الناس. وهتافها بالامة دوما لتقوم بحقوق الاخوة الاسلامية (٣٤) في التراحم والاصلاح والتعاون على البر والتقوى وتحذرها من التعاون على الاثم والعدوان (٣٥).

كل هذه القيم من شأنها أن تعمّق ما بين الناس من اسباب الثقة والتعاون، وتفتح ابواب التنمية في المجتمع، اذ يأخذ القوي بيد الضعيف، ويجد الغني من يعمل بماله بامانة واخلاص. ويجد العامل من ينتفع بخبرته وكفاءته بلا ظلم ولا استغلال، ويشاركه تحمل آثار المخاطرة المالية والخسارة ان وقعت، فلا يظلم احدٌ احدا ولا يبغي قوي على ضعيف، ولا غني على فقير (٣٦). وفي ظل هذا النظام الاسلامي نجد المناخ الاقتصادي الاجتماعي الملائم للتنمية المفَجّرُ لطاقاتها المهيئ لاسبابها.

القسم الثاني

وسنتناول في هذا القسم القيم الاسلامية التي لها دورها المباشر في التنمية ومن اهمها:

١ - حب العلم.

٢ - فضل العمل.

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ - العدل.

٥ - التوبة والاستغفار.

٦ - تحريم التكاثر والتفاخر.

٧ - تحريم الكنز واستعمال اواني الذهب والفضة.

٨ - الزهد والتنمية.

٩ - الصبر والتنمية.

١٠- الشكر والتنمية.

١١- الشورى والتنمية.

١٢- رعاية الوقت.

١. حب العلم

أرجو أن اقدم لهذه القيمة بما يلي:

أشارت نشرة من نشرات مؤتمر العلم والتكنولوجيا من اجل التنمية الى التجربة اليابانية فذكرت ان قانونين صدرا نحو عام ١٨٤٥ كانا من اهم خطوات اليابان في طريق النهضة والتقدم وأولهما: قانون لمكافحة الامية وثانيهما: قانون للمواصفات" [٣٧].

واذا كان هذان القانونان من اهم خطوات اليابان في طريق النهضة والتقدم فان بعثة النبي الامي في قوم اميين برسالة الله، واول كلمة نزلت عليه كانت "اقرأ باسم ربك الذي خلق" خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى ان رآه آستغنى ان الى ربك الرجعى" [٣٨] ، كانت اعظم نقلة لهذه الامة من حياة الجهل والفقر والجوع ووأد الاولاد خشية املاق الى حياة العلم والعمل الصالح والغنى والسعة وتحقيق التقدم الانساني في صوره الروحية والمادية على سواء.

ومن المناسب ان أنبه الى ان اول سورة نزلت على قلب محمد صلى الله عليه وسلم كانت حربا على الجهل وحربا على الطغيان الناشيء عن ظلم الاغنياء واستغلالهم وأنانيتهم "كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك الرجعى" [٣٩].

ووضحت سورة الجمعة فضل الله على هذه الامة برسالة تطهرهم من الجهل والشرك معا "هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين. وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم" [٤٠].

ورفعت شريعة الاسلام قدر العلم والعلماء "قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون" [٤١] "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" [٤٢]. ورويت الاحاديث الكثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل العلم واهله [٤٣]، وفي فداء من أُسِرَ من المشركين في بدر، كان تعليم عشرة من ابناء المسلمين الكتابة فداء للمعلم الاسير ينقذه من الاسر.

المناخ العلمي والعقلية العلمية

وقد اوجد الاسلام المناخ الذي تتقدم فيه العلوم والموارد الانتاجية، حين حارب الخرافة والشعوذة والمهانة وكل وسائل الخداع وحذّر المسلم من ان يعطل عقله ويطلب من الاخرين ان يفكروا عنه، ويقولوا له: افعل او لا تفعل وهو يعزم على تجارة او سفر او زواج او غير ذلك، كما كان يفعل الناس في الجاهلية [٤٤]. وطلب منه ان يحسن الانتفاع بعقله وسمعه وبصره ولا يمشي في مشروع لم يحسن دراسته ولم يعرف نتائجه .."ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا" [٤٥]. قال الزمخشرى في تفسيرها: "ولا تكن في اتباعك مالا علم لك به من قول او فعل، كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال "وورد في تفسيرها: "أنْ تقول سمعت ولم تسمع، ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم" [٤٦] فلا ينبغي للمسلم ان يتحمل مسؤولية قول لم يسمعه بنفسه، او يره بعينه ويتحقق علمه به.

ومن ناحية اخرى دعا الاسلام العقل للنظر والتفكر في ملكوت السموات والارض. قال تعالى: "قل انظروا ماذا في السموات والارض" (٤٧). ودعا الى المنهج التجريبي الذي يعتمد تلمس النتيجة بعد النظر والفكر "افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت" (٤٨).

تحول في التفكير

وحفظ الاسلام على العقل البشري قوته وطاقته حين حولها للنظر والتفكر في سنن الله واكتشافها لمنفعة الانسان، بعد ان كانت هذه الطاقة مهدورة في التفكير في امور جدلية فيما وراء الطبيعة والبحث في كيفية تدبير الله لهذا الكون بمزاعم العقل الاول والعقل الثاني واحوال هذا العالم الغيبي، وذلك حين قسم الاسلام العالم الى قسمين: عالم الغيب، وعالم الشهادة. اما عالم الغيب فيأتي بالخبر اليقين عنه الوحي الصادق الذي لا ينطق عن الهوى. اما عالم الشهادة، فانظر وابحث واستخلص النتائج واقرأ باسم الله لخير عباده.

وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا عمليا تربويا حين رأى قوما يلقحون النخيل، ورأى لو تركوا التلقيح لتظهر النتيجة ان النخل الذي لم يلقح لم يثمر، ليقول النبي صلى الله عليه وسلم بعدها كلمته الخالدة: "انتم اعلم بشؤون دنياكم"، فحطم النبي الكريم بهذه الكلمة جميع القيود والاغلال التي تفرض على العلماء باسم الدين.

وهكذا تقدمت الحضارة الاسلامية في ظل هذا المنهج واصبحت الامة الامية هي امة الحضارة والعلم والجامعات في دمشق والبصرة والكوفة وبغداد وقرطبة والقاهرة وغيرها من حواضر الاسلام، وظهرت آثار هذا التقدم العلمي على التنمية في مجالاتها المختلفة الزراعية والصناعية والعمرانية وغيرها (٤٩).

٢. فضل العمل

من خلق المسلم ان يكون ذا عمل ينفع به نفسه ومجتمعه. وقد امر الشارع الحكيم المسلم بان يعمل، ورغبه بالعمل وحثّه عليه لاعمار الارض والقيام بحقوق نفسه وحقوق مجتمعه، ولينال فضل الله وثوابه في الدنيا والاخرة.

وقد بيّن القرآن الكريم قيمة عظمى حين ربط بين اكرام الله للانسان وبين انتفاعه بخيرات الارض، واعلمه ان من اكرام الله له تسليطه على ما في الارض وتسخيره له وليفجّر خيراتها وينتفع بها ليعيش الحياة الكريمة الطيبة. قال تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" [٥٠]. وقد ذكر المفسرون في تكرمة بني آدم: كرمهم الله بالعقل، والنطق والتمييز، والخط والكتابة، وبتسليطهم علي ما في الارض وتسخيره لهم" [٥١]. وفي الاية توجيه عظيم لتحقيق مقتضى تكريم الله لبني آدم بالسعي في الارض، ابتغاء فضل الله، والحصول على رزقه من الطيبات، والتمكن من وسائل السفر في البر والبحر، واستخراج كنوز الارض وطيباتها بالعلم والعمل الشامل بالزراعة والصناعة والتجارة وسائر طرق الانتاج والتنمية.

والاحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كثيرة منها: عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لان يأخذ احدكم أحْبُلَه، ثم يأتي الحبل فياتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، خير له من ان يسأل الناس اعطوه ام منعوه" [٥٢]. وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من ترك العمل والاستكانة للسؤال: "عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال المسألة باحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم" [٥٣]. ويدعو النبي المسلم لان تكون يده عليا حبيبة الى الله، ويرشده كيف تكون يده عليا بأن تكون يدا منتجة عاملة فيقول "لان يغدو احدكم فيحتطب على ظهره، فيتصدق به ويستغني به عن الناس خير من ان يسأل الناس رجلا اعطاه او منعه، ذلك بان اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول" [٥٤].

وَيَوَجّهُ النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أمّتَهُ الى المهنة والحرف وتحصيل الرزق بالمهنة الشريفة. عن المقدام بن سعد يكرب رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما أكل أحدٌ طعاماً قطّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبي الله داود كان يأكل من عمل يده" (٥٥).

والاسلام حين يقرر هذه المعاني عقيدة في نفس المسلم انما يسعى لمحاربة البطالة في جميع صورها والوانها، ويحارب النزعات الجاهلية التي كانت تحتقر العمل المهني وتعتبر اصحاب هذه الاعمال طبقة دنيا في المجتمع.

ويشمل مفهوم العمل في الاسلام انواع النشاط البشري التي تؤدي الى انتاج سلع تشبع حاجات المجتمع من زراعة وصناعة وادارة وغير ذلك، وتعين المسلم على اداء رسالته في هذه الارض باقامة منهج الله ونشر دينه وشكره على نعمه، ولهذا كان العمل في الاسلام عبادة يقوم به المسلم طاعة لله، ونصرة لدينه، وتحقيقا لمقاصد شريعته. وهذا ما توضحه الايات الكثيرة في القرآن الكريم والاحاديث النبوية؛ ففي القرآن الكريم: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" (٥٦). ومفهوم العمل في هذه الاية الكريمة شامل لكل ما يقوم به المسلم من عمل في سبيل الله خدمة لنفسه ولاهله ولمجتمعه.

ومن هنا كان العمل في النشاط الانتاجي عبادةً يُثاب المرء عليها،إذا كان صاحبه ينوي به وجه الله ويخدم مقصداً من مقاصد الاسلام، وهذا ما يوضحه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال "مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فرأى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وان كان خرج على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان. (٥٧)

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية ترغيب للمسلم بالعمل وتحبيب به اذكر منها:

١. قوله تعالى: "فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون"[٥٨]. وفي هذه الاية الكريمة تتجلى قيمة اسلامية وهي: التقاء الدنيا والاخرة في التصور الاسلامي والمزج الدقيق بينهما، فقد جاء الامر بالانتشار في الارض بعد انقضاء الصلاة لياخذ كل مسلم موقعه في عمله الانتاجي ابتغاء فضل الله، وهو الكسب او الرزق الذي يتحقق بالعمل المنتج، وياتي الامر بذكر الله بعد الامر بالعمل، ليكون العمل دائما في دائرة مقاصد الشريعة وآدابها واخلاقها، وليحفظ التوازن المطلوب بين عمل المسلم في الدنيا وعمله لاخرته.

٢. وفي سورة تبارك: "تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُكم احسن عملا وهو العزيز الغفور" [٥٩].
فغاية الحياة في عقيدة المسلم: العمل الصالح، واحسنُ العملِ اخلصه واصوبه[٦٠] ليلتقي صلاح العمل المحقق لمصلحة المسلمين وصلاح امرهم مع صلاح النية والقصد ثمرة طيبة لجهد المسلم وجهاده على هذه الارض.

٣. وفي سورة تبارك "هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور"[٦١] يأتي بعد الامر بالمشي في مناكب الارض الامر بتحقيق اهداف التنمية: "وكلوا من رزقه" وتنتهي الاية بقوله "واليه النشور" ليجد المسلم ثواب سعيه وعمله المنتج في الاخرة كما وجد في الدنيا.

ويتسع مفهوم العمل[٦٢] في الاسلام ليشمل الحاكم او الوالي الذي يسمى عاملا وقد ورد ذكره في الحديث الشريف وكان اسم الوالي في العصور الاسلامية الاولى "العامل" ولا يزال هذا الاسم في بلاد المغرب العربي وكذلك يدعى اصحاب الحرف والمهن المختلفة عمالا. وقد نبه القرآن الكريم الي كثير من المهن والحرف وربطها بفضل الله الذي هدى الانسان لينتفع بخيرات الارض وسنن الله في الكون ومن هذه الايات الكريمة: "فأوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا"[٦٣]. وفيها اشارة واضحة الى تعليم

صناعة السفن عن طريق الوحي، وفي قوله تعالى "ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما"[٦٤] دعوة لاستغلال ثروات البحار والتجارة الخارجية وربط لهذا النشاط برعاية الله لخلقه ورحمته بهم ليوجهوه للخير والاحسان.

وفي قوله تعالى "ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير وألنّا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السَّرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير"[٦٥]. توجيه لصناعة الحديد على يد نبي الله داود وربط لهذه الصناعة بالعمل الصالح لتكون قوتها للخير والصلاح، لا للظلم والعدوان والله هو الرقيب البصير باعمال عباده.

وفي قوله تعالى "وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس"[٦٦] توجيه للصناعة لتكون لمنفعة الناس، لا للظلم والاستعلاء والعدوان.

وفي قوله تعالى "والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخِفُّونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم، ومن اصوافها واوبارها، واشعارها أثاثا ومتاعا الى حِين. والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون"[٦٧]. في هاتين الآيتين الكريمتين توجيه لصناعة المباني، والصناعات القائمة على جلود الحيوانات واصوافها واوبارها واشعارها، وصناعة الملابس، وصناعة الدروع للحرب، ويربط القرآن هذه الصناعات وهداية الانسان اليها وتمكينه منها بتذكيرهم بنعمته عليهم لعلهم يسلمون ويشكرون راجعين لحُكْمِه مهتدين بهداه.

وفي قوله تعالى: "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة"[٦٨] توجيه لمكانة رجال التجارة في المجتمع الاسلامي الذين لا ينسون فضل الله ولا تشغلهم تجارتهم وارباحهم عن ذكر الله واقامة الصلاة وايتاء الزكاة، ومعرفة حق الفقير والمسكين في مال الله.

وفي قوله تعالى: "وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء

فاخرجنا منه خضراً نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا الى ثمرة وينعه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون"[٦٩]. "وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أُكُله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين"[٧٠]. في هاتين الآيتين توجيه لاهمية الثروة الزراعية، وتذكير بقدرة الله تعالى وفضله وربط لهذه النعم بالعقيدة باعتبارها آيات على وحدانية الله وقدرته، تدعو الى توحيده وشكره ومعرفة حق الفقراء في هذا المال "وآتوا حقه يوم حصاده" وتحذير من الاسراف ووضع هذه الثروة في غير حقها "ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين".

وفي قوله تعالى: "ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين"[٧١] توجيه الى حسن الانتفاع بالثروة الحيوانية والتذكير بنعمة الله فيها وذلك بتسخير الانعام ليتخذ منها الانسان وسيلة للسفر تحمله ويحمل عليها متاعهُ كما ينتفع بها مصدرا للغذاء، اذ يفرشها للذبح، او مادة للصناعة اذ ينسج من وبرها وصوفها وشعرها الفرش. قال صاحب الكشاف "وأنشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح، او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش"[٧٢].

وفي خاتمة هذه الاية "ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين" نهي عن عادات الجاهلية في التحليل والتحريم التي كان لها آثارها في هدر هذه الثروة الاقتصادية وهذا ما سنزيد توضيحه عند الحديث عن معوقات التنمية.

والاحاديث النبوية في هذا الباب ايضا كثيرة وقد وردت في توجيه الامة الى القيام بسد حاجاتها من المهن والاعمال المختلفة.

١ - وقد روي في التوجيه الى حسن استغلال الارض بالزراعة قوله صلى الله عليه وسلم: "عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به

صدقة"[٧٣]. ورغب الاسلام بزراعة الارض واحيائها بالاعمار بتمليكها لمن عمرها واحياها.

٢ - عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من عمَّر ارضا ليس لاحد فهو احق" قال عروة بن الزبير: قضى به عمر في خلافته [٧٤].

٣ - وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من احيا ارضا ميتة فهي له" [٧٥].

٤ - وفي التوجيه الى المهنة والتجارة والكسب المشروع قال صلى الله عليه وسلم: "خير الكسب كسب يد العامل اذا نصح".
وفي حديث آخر سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: اى الكسب افضل؟ قال "عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور".
وفي فضل التجارة قال صلى الله عليه وسلم: "التاجر الامين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء".

وفي رفع التاجر الامين الصدوق الى هذه المنزلة ما يشير الى اهمية الدور الذي يقوم به التجار الصادقون الامناء في تنمية المجتمع اقتصاديا واجتماعيا، وانه لدوريتكامل مع دور النبي والصِّديق والشهيد في حفظ شخصية الامة الحضارية والتزامها بمنهج الله.

٣. الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

فريضة من فرائض الاسلام. وقد وردت الايات والاحاديث الكثيرة بالامر بها والتنبيه الى عظيم امرها، وخطر التهاون بها على وجود الامة ومصلحتها العامة. ويظهر اثر هذه الفريضة التي تعتبر جزءا من شخصية المسلم، على التنمية حين نعلم ان المشاريع الاقتصادية في القرية والمدينة صغيرها وكبيرها لا تنجح الا اذا دعمت بآراء اصحاب الخبرة وتقويمهم للخطأ وتصويبهم للانحراف وتصحيحهم لسير المشروع من البداية، وان المجاملة على حساب المصلحة العامة من اعظم اسباب فشل هذه المشاريع

وعجزها.

ويحسن القول هنا ان من اعظم اسباب تخلف المجتمعات الاسلامية المتخلفة سياسيا واقتصاديا وعلميا، انها لا تعيش قيم الاسلام واخلاقه في حياتها، وان سياسة الاصلاح والتنمية الاقتصادية يجب ان ترافقها سياسة اصلاح اجتماعية واخلاقية وتوجيهية وتشريعية تربط هذه الامم بدينها وقيمه واخلاقه، لتكون هذه العقائد والقيم خير دعم لعملية التنمية وعجلتها في بلاد المسلمين.

ويؤيد هذا نظرية ماجن[٧٧] عن المجتمع القروي Peasant Society اذ يلاحظ في نظريته ان هناك عدة دوافع اساسية تؤثر في تصرفات افراد المجتمع القروي بشكل سلبي في مقدرته على تحقيق التنمية الاقتصادية. من هذه الدوافع، دوافع ارضاء الآخرين، او المجاملة (غير الموضوعية) ودافع الاعتماد على الاخرين، والرغبة في عدم تحمل المسئولية. ودافع ارضاء الاخرين او حُبْ المجاملة قد يؤدي بالافراد مثلا الى عدم كشف الاخطاء التي تحدث في خلال العمليات الانتاجية، او الى التغاضي عنها، او قد تؤدي الى تعيين افراد في مناصب رئيسية لا يتمتعون بالكفاءة المطلوبة لهذا العمل وكل هذه امور ذات ضرر بالغ على النشاط الانتاجي اذ تعني ببساطة تراكم الاخطاء، وعدم القدرة على استخدام الكفاءات المناسبة في الاوجه المختلفة للنشاط الاقتصادي مما يؤدي بالطبع الى عدم القدرة على استخدام موارد المجتمع الاقتصادية استخداما امثل[٧٨]. وهذه الصورة التي ينقلها (ماجن) تمثل من واقع المسلمين المنحرف عن المنهج الاسلامي. ويمكن توضيح التصور الاسلامي لهذه القيمة من خلال النقاط التالية:

١ - يربي الاسلام ابناءه ان يكون ولاؤهم لله اقوى من ولائهم للقوى الاخرى ذات النفوذ في المجتمع، وان يكون حبهم لله اعظم من كل حب، وان تكون نصيحتهم لله خالصة فوق المجاملة والاعتبارات الشخصية، وهذا ما تقرره الايات الكريمة التالية:

أ - "ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا

اشد حبا لله" (٧٩).

ب- "قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين" (٨٠). هذا النصان الكريمان من القرآن الكريم يفصلان في هذا الموضوع فصلا تاما اذ يجعلان المحبة او المجاملة للصديق والقريب في كفة، وحب الله ومصلحة الامة العامة في كفة اخرى، ولا يصدق الايمان الا اذا رجحت محبة الله ومصلحة الامة وغلبت كل حب ومصلحة.

٢ - وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الدين النصيحة لله ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم" (٨١).

فالدين الحق يتمثل في النصيحة الصادقة للقيادات في الامة؛ تبصرها وتشير عليها، وتقدم لها خبرتها بكل امانة وتجرد واخلاص.

٣ - ومن هذا المنطلق كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر امرا واجبا على كل مسلم قادر ان يصوب المسيرة، ويصحح الانحراف برايه وقلمه ولسانه وسلطانه. لتحقق الامة اسباب خلاصها ونجاحها وفوزها وسعادتها، قال الله تعالى "ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون" (٨٢)

٤ - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان" (٨٣). والانكار بالقلب يعني مقاطعة الامة لكل خيانة وفساد، ولكل مشروع يقوم على الظلم والباطل.

٥ - ويضع القرآن الكريم القاعدة العظيمة لتولية الولاة وتحمل المسؤوليات في قوله "ان خير من استأجرت القوى الامين" (٨٤). فالقوة التي تعني الكفاءة والمقدرة

على العمل والخير، والامانة التي تعني الاخلاص والاتقان والصدق، شرطان اساسيان لتحمل اية مسؤولية.

٦- وحتى لا يكون للضغوط الفردية او الصداقة تأثير في ابعاد الكفاءات عن القيادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو ارضى لله منه فقد خان لله ورسوله وجماعة المؤمنين" (٨٥).

٧- وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما عن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة" (٨٦).

٨- وعندما طلب الصحابي ابو ذر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على احدى الوظائف في الدولة الاسلامية قال له النبي الكريم بصراحة المربي المشرع "يا أبا ذر انك ضعيف وانها امانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من اخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها" (٨٧).

٩- ومن ناحية اخرى فان التهرب من تحمل المسؤولية والقاء التبعة على الاخرين كان من الاخلاق الذميمة التي انكرها القرآن الكريم على بني اسرائيل عندما قالوا لنبيهم: "اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون (٨٨).

١٠- وقد افلحت التربية القرآنية حين جعلت المسلم يقول للنبي صلى الله عليه وسلم قبيل غزوة بدر "والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انّا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون" (٨٩).

١١- ووضح حديث النبي الكريم "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" (٩٠).

١٢- ان على كل مسلم ان يتحمل مسؤولية عمله وحذره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر من ان يفقد شخصيته ورأيه اذا غلب الفساد في المجتمع فقال

"لا يكن احدكم امّعة يقول أنّا مع الناس ان احسن الناس احسنت وان اساءوا أسأت ولكن وطّنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان اساءوا ان تجتنبوا اساءتهم".

١٣- وبين القرآن الكريم خطر المجاملة المحرمة على وجود الامة بالسكوت على الانحراف والخطأ، فقال عندما ذكر سبب لعن بني اسرائيل وهلاكهم: "كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون" (٩١). وفي آية اخرى "فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون" (٩٢).

ويربي الاسلام ابناءه على ان يحرصوا على تصحيح الانحراف وتصويب الخطأ بالنقد العلمي الحكيم والموعظة الحسنة المؤثرة حتى يكون للنقد اثره في انارة الطريق والتذكير بالخير ووضع مصلحة الامة فوق كل مصلحة. قال تعالى: "ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى" (٩٣). وقوله تعالى "ادع الى سبيل ربك " يتسع لكل صور الاصلاح ومضموناته. وقوله "بالتي هي احسن" يتسع لكل اساليب الدعوة والاقناع وطرقها، حتى يكون الداعية المسلم في كل عصر وفي كل تخصص سالكا احسن طرق النقد والتقويم للمسيرة والتصحيح للخطأ، مقدما نصيحته وخبرته لمجتمعه بصدق واخلاص.

غاية العمل والكسب

واذا كان الانسان يعمل ليكسب، فان هذا الكسب او الدخل ليس غاية في حد ذاته، ان المسلم يعمل اولا طاعة لله وقياما بواجب الاستخلاف في الارض فيتعين عمله، وينصح به ولا يكون لكثرة الاجر او قلته اثر على نوع العمل. ويعمل للانفاق على نفسه ومجتمعه وتنمية له.

وقد تحددت غاية العمل في الاسلام بالاية الكريمة: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك، ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين" (٩٤).

ورد في تفسيرها: وابتغ فيما اتاك الله من الغنى والثروة الدار الاخرة بان تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه، وتجعله زادك الى الاخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وهو ان تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك (واحسن) الى عباد الله (كما احسن الله اليك) او احسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك" (٩٥) ولا تبغ الفساد في الارض بالظلم والبغي والتطاول على عباد الله ان الله لا يحب المفسدين.

وهذه الاية الكريمة جاءت خطابا لقارون على لسان المؤمنين الصالحين اولي العلم من بني اسرائيل. وقد ذكر القرآن الكريم قصته موعظة وهداية للمؤمنين لتحذرهم من ان يكون المال والعمل وسيلة للطغيان والاستعلاء والظلم، وليرشدهم كيف يجعلونه وسيلة صالحة لنيل رضوان الله تعالى. وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم. "نعم المال الصالح للرجل الصالح".

واذا كانت غاية العمل في النظرية الاقتصادية الوضعية المستمدة من اصول الحضارة المادية واهدافها الحصول على الدخل (الكسب) (٩٦)، ليحقق الفرد قدرا اكبر من الرفاه المادي والمتعة الشخصية فان غاية العمل عند المسلم مرتبطة بغاية الحياة وهدفها وهي عبادة الله: "وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون" (٩٧).

اثر هاتين الغايتين على العمل

ولهاتين النظريتين آثارهما الكبيرة على العمل سلبا او ايجابا، فالمسلم يعمل باتقان، وبنشاط، وهو ينتظر العوض عند الله، قبل ان ينتظر الاجر المادي المحدود. ومن هنا نجد اخلاصه في اتقان العمل واستمراريته فيه، وتنميته، منطلقا من حرصه

على رضوان الله الذي يعبده ويرضيه بهذا العمل.

وفي المقابل نجد العامل الذي يعمل للكسب المادي متأثرا بمقدار هذا الاجر كثرة او قلة في اتقانه للعمل، واستمراره فيه، وقد شعر بعض الباحثين الغربيين وعلى راسهم فبلن بسوء هذه النظرة وهي "ان يعمل الانسان من اجل الدخل، ورأوا ان الفرد يعمل في الحقيقة من اجل العمل وان هذه مسألة سلوكية غريزية. Work for Workmanship وهذا التفسير افضل من التفسير الاول [٩٨] الذي يربط العمل بهدف الدخل ولكن تبقى عقيدة المسلم المتميزة الذي يقوم بالعمل ابتغاء رضوان الله، ويجد في هذه الغاية الدافع المناسب لفطرته حين يجد ان ذرة من عمل الخير لا تذهب عند الله "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" [٩٩].

تفاوت الحرف والمهن

ويحسن التوضيح هنا بان كتب الفقه التي قسمت المهن والحرف الى حرف شريفة، وحرف غير شريفة طبقاً لقواعد الشرع، وكان الفقهاء ابناء زمانهم يحكّمون في بعضها اعراف ذلك الزمان، وفي بعضها يحكّمون الاصول الشرعية الثابتة. فما كان راجعا الى الاصول الشرعية الثابتة يبقى حكمه مستمرا كالنص على دناءة الاعمال في الغناء المحرم ودور اللهو الآثم والنياحة، وصنع الخمور، وترويج الفساد وغيرها مما يماثلها.

ونلاحظ ان هذه الاعمال التي حرّمها الاسلام وحرّم العمل بها، اثمها وضررها على وحدة المجتمع وتجانسه ووجوده الحضاري اكبر من نفعها المادي الخاص ببعض المفسدين في المجتمع.واذا قارنا هذا الربح المادي الذي يجنيه هؤلاء من هذه الاعمال المحرمة بالاضرار المادية الاخرى التي تصيب الناس في صحتهم وانفسهم، وما تقتضي اليه من عداوة وتقاطع، وما تنتهي اليه من جرائم القتل والاذى المؤدية الى الموت او السجن وانقطاع المورد المالي وهدم الاسرة وتشرد الاولاد، وجدنا ان الاضرار المادية ايضا اكبر والخسارة اعظم.

اما بالنسبة للحرف المباحة فاننا نجد تقسيم الفقهاء وتعليلهم للتفاضل قائما على اعتبار الافضلية راجعة الى مقدار نفع هذه الحرفة للمجتمع، وحاجتها الى اعمال العقل والفكر [١٠٠]. ولهذا نص الحنفية على ان المدرس كفء لبنت الامير [١٠١]. واعتبروا من اشرف الحرف حرفة الجهاد والقضاء والحكم والهندسة ونحو ذلك.

وقد قسم الامام الماوردي الحرف اليدوية الى قسمين: الأول، حرفة يدخلها الفكر، وحرفة لا يدخلها الفكر، ويتابعه شارحهُ في ذلك ويقول: "اما صناعة العمل فهي تقسم الى قسمين: عمل صناعي، وعمل بهيمي، اما العمل الصناعي اعلاها رتبة لأنه يحتاج الي معاطاة في تعليمه، ومعاناة في تصوره، فصار بهذه النسبة من المعلومات الفكرية، كرؤساء ارباب الحرف. والثاني انما هو صناعة كدْ وآلة مهنة، كنقل الاشجار واحتطاب الاشجار، وحمل الاثقال. ونحوها، وهي الصناعات التي تقتصر عليها النفوس الرذيلة، وتقف عليها الطباع الخاسئة" [١٠٢]. وللفقهاء آراء في المفاضلة بين مهن الزراعة والصناعة والتجارة، وقد ذكر بعضهم فضل الزراعة على الصناعة وعلّلوا ذلك بان الزراعة قد جمعت بين عموم النفع للانسان والدواب، والاستسلام لقضاء الله تعالى، والتوكل عليه توكلا كاملا، بينما اقتصرت الصناعة على النفع العام مع قليل من التوكل، واقتصرت التجارة على التوكل مع قليل من النفع العام" [١٠٣].

والملاحظ في تحديد هذه الافضلية، ربط الفقهاء لهذه الحرف بالقيم الاسلامية من النفع العام والتوكل على الله والاستسلام لقضائه. وكذلك يلاحظ مع التقدم العلمي والصناعي ان العمال الفنيين اصحاب الخبرة والدراية لهم مكانتهم في المجتمع الاسلامي وان معظم المهن التي كانت تعتمد على الجهد العضلي في السابق اصبحت تعتمد على الفكر والدقة والدراسة المهنية المتخصصة، فالحياكة، والدباغة، والحجامة، والحدادة وما يشبهها من المهن اصبحت اعمالا فنية تحتاج الى الفكر والدقة، وصار للعمال الفنيين دور كبير في تشغيل الالات، وحفظها وصيانتها وفي نمو البلد الصناعي وانتاجه.

ويحسن هنا ان أبيّن ان المفاضلة بين الحِرَف في التصور الاسلامي واعتبار بعض الحرف اشرف من بعض وراءه مقصد كريم هو ان لا يركن ابناء المجتمع الى الحرفة السهلة

التي لا تحتاج الى كبير جهد ولا عناء، وان يبذل المسلم في هذه الحياة الدنيا قصارى جهده لتوظيف كفاءته وملكاته وطاقته فيما ينفع نفسه ومجتمعه.

وقد وضح بعض علماء المسلمين نظرة الاسلام هذه في المفاضلة بين عمل واخر، فقال القسطلاني في شرحه للبخاري: ان المسألة تختلف باختلاف الاحوال فحيث احتيج الى الاقوات اكثر تكون الزراعة افضل للتوسعة على الناس، وحيث احتيج الى المتجر لانقطاع الطرق تكون التجارة افضل، وحيث احتيج الى الصنائع تكون افضل.

ونلاحظ هذه القيمة في مفاضلة ابن خلدون بين بعض الحرف واعتقاده بان "الزراعة هي معاش المستضعفين"[١٠٤] بناء على ما شاهده في عصره، فقد رأى ان معظم الناس تحاول ان تكفي نفسها ذاتيا من الاقوات الضرورية من الحبوب وغيرها عن طريق الزراعة وان الذين يجعلون الزرع نشاطا خاصا بهم ويعتمدون عليه في معاشهم اعتمادا اساسيا يصبحون في موقف ضعيف اذا قارناهم بالصناع والتجار، ذلك لان المجتمع حين يزدهر اقتصاده ويزداد انتاجه الزراعي، لا يكون الطلب عليه موازيا للطلب على المنتجات الصناعية، فيصبح السوق لاهل الصناعة والتجارة بالدرجة الاولى.

ويضعف هذا الرأى انه لا ينظر نظرة كلية شاملة لحاجات الامة، ولو توجه الناس للصناعة، واهملوا الزراعة ضعفت الامة، وتعرض اقتصادها للضعف، وعطلت كثيرا من اراضيها ومواردها الانتاجية.

ولكن رأي ابن خلدون يبقى صحيحا اذا نظرنا الى الامر من ناحية فردية او جزئية ويمكن علاج الظلم الذي يقع على المزارعين في هذه الحال بان تقوم الدولة بوضع الخطة الشاملة لجميع القطاعات والنشاطات الاقتصادية في الامة، وتنسق بينها، لتتوازن وتتكامل، فلا يطغى قطاع على قطاع، ولا تظلم فئة في المجتمع، ما دامت الامة بحاجة الى جميع هذه القطاعات لتنمية اقتصادها وسد حاجاتها.

اعداد ابناء الامة لسد حاجاتها

ويتصل بتخطيط الدولة للقطاعات واقامة التنسيق والتكامل بينها، والتخطيط للقوى العاملة في الامة وشبابها، حتى لا يحصل تضخم وبطالة في قطاع وفقر ونقص وحاجة في قطاع آخر.

وفي ظل التخلف وفقدان الوعي والتخطيط يتحول اكثر شباب الامة الى التعليم "الاكاديمي" ويهملون التعليم المهني، وتجد الامة نفسها بحاجة الى استيراد العمال من الخارج للقيام بمشاريعها الزراعية والصناعية، بينما يجد كثير من شبابها البطالة لان شهاداتهم الجامعية وتخصصاتهم ليست هي المطلوبة المحتاج اليها، وفي هذا هدر كبير لطاقات الامة وشبابها واموالها التي انفقتها على تعليم هؤلاء الشباب.

توجية نبوى شريف

وقد وجه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم العامل المسلم الى اختيار الحرفة الموافقة له، حتى لا يقصر نفسه على عمل قد لا يتفق مع استعداده الفكري والنفسي، او مع حاجة مجتمعه. روى موسى بن عقبة مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اذا سبب الله رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له" [١٠٥]. وذكر ابن مفلح في الاداب الشرعية. قال القاضي: وهو ابو يعلى - يستحب اذا وجد الخير في نوع من التجارة ان يلزمه، واذا قصد الى جهة من التجارة فلم يقسم له فيها رزق، عدل الى غيره، واستدل بالحديث الذي ذكرناه آنفا. وروى ابن ابي شيبة في مسنده عن عمر بن الخطاب قال: من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يصب فيه فليتحول الى غيره" [١٠٦]. وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يصب فليتحول منه الى غيره [١٠٧].

والمتأمل في هذه النصوص يجدها توجه العامل الى اختبار كفاءته وقابليته في السوق اختبارا عمليا حتى يجد العمل المناسب لكفاءته وقابليته، وهذا يعني في لغة العصر ان تساعد الدولة ابناءها على اختيار كفاءتهم لاختيار المهن المناسبة لاستعدادهم الفكري والجسمي والملبية لحاجات المجتمع، والمحققة لمصلحتهم ومصلحة المجتمع، عن

طريق التخطيط المبكر في مراحل التعليم الاول حتى يجد كل مواطن العمل المناسب له، وتجد الامة حاجتها من القوى العاملة، بحسب اختصاصاتها المتنوعة، وتكون القوى البشرية منسجمة مع خطط التنمية، عاملة لرفع مستوى الانتاج وزيادته، وحفظ موارد الامة وتنميتها.

وقد نبه الى هذه الناحية الدمشقي في كتابة "الاشارة الى محاسن التجارة" انه يجب على التاجر اذا رأى البركة في نوع من الانواع او جهة من الجهات ان يلزم ذلك الشيء. وقال ان رجلا قام يوما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقل له: انه يحترف التجارة ولكنه لا يشترى شيئا الا كسد او فسد، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم: هل ربحت قط في شيء اشتريته وتجاسرت به ربحاً سررت به، فقال: ما اذكر انه اتفق لي ذلك الا في القراض، قال: فالزم القراض، فلزمه فاستغنى وحسنت حاله، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال " من بورك له في شيء فليلزمه" (١٠٨).

والاسلام الذي حرّم الربا والاحتكار لا يترك مجالا لتنمية رأس المال الا عن طريق البحث الرشيد عن افضل مجالات الاستثمار، وعن طريق تحقيق التقدم الغني في مجالات الانتاج والتجديد المستمر. وفي الحديث اشارة ايضا الى ان صاحب رأس المال يجب ان يلزم الاستخدام الافضل لرأسماله ويبحث عن اكثر الانشطة ربحا في دائرة الحلال (١٠٩). وتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم هذا، وهو الحاكم والمشرع بامر الله، يشير الى مسؤولية الحكومة الاسلامية بايجاد التوعية المناسبة لافراد الامة لاختيار الاعمال النافعة لانفسهم ومجتمعهم، ووضع التخطيط المتكامل لسد حاجة الامة من القوى العاملة لتحقيق عملية التنمية الاقتصادية ومساعدة اصحاب رؤوس الاموال والكفاءات على القيام بالمشروعات الانتاجية الرابحة لهم ولمجتمعهم.

ومن هنا، حرّم الاسلام الربا لانه نظام يلد المال فيه المال حتما، بغير عمل ولا مشاركة ولا مخاطرة، فهو يقعد متربعا على اريكته، ضامنا ان تأتي له المئة بعشرة، او الالف بمئة، دون ادنى تحمل للمسئولية. وهذا ضد نظرة الاسلام الى الانسان: انه خلق ليعمل ويعمر الارض "هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها" (١١٠) والمرء كما يأخذ

من الحياة يجب عليه ان يعطيها، وكما يستهلك منها ينبغي ان ينتج لها. ولا يعيش عاطلا متبطلا، ياكل ولا يعمل، ولو كان ذلك بدعوى التفرغ لعبادة الله تعالى، اذ لا رهبانية في الاسلام.

روى البيهقي من عبد الله بن الزبير قال: اشر شيء في العالم البطالة. وعلق على ذلك العلامة "المناوى" في "فيض القدير" (١١١) قائلا: وذلك ان الانسان اذا تعطل من عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه، كان ظاهرهُ فارغا، بل يعشش فيه الشيطان يبيض ويفرخ، فيتوالد فيه نسله توالدا اسرع من توالد كل حيوان. ومن لم ينفع الناس بحرفة يعملها، ياخذ منافعهم، ويضيق عليهم معايشهم، فلا فائدة في حياته لهم الا ان يكدر الماء، ويغلي الاسعار. ولهذا كان عمر اذا نظر الى ذى سيما، سأل: أله حرفة؟ فاذا قيل: لا، سقط من عينه!" (١١٢).

تصحيح مفهوم

وقد يفهم بعض الناس احاديث لرسول الله صلى الله وسلم التي وردت في بعض الاعمال على غير وجهها. فحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم (١١٣). وعن ابي امامة الباهلي انه رأى سكّة وشيئا من آلة الحرث فقال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يدخل هذا بيت قوم الا ادخله الله الذل" (١١٤). وهذه الاحاديث ينبغي ان تفهم في ظل مناسبتها وسياقها، وتحمل على من فضل الاشتغال بالزراعة على الجهاد في سبيل الله مع الحاجة اليه لكثرة العدو.

ومن المعلوم ان من اعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الهجرة تشجيعه زراعة الاراضي غير المستغلة واقامة سوق تجاري للمسلمين في المدينة يواجه سوق يهود حتى تكون قوة الامة الاقتصادية دعما لقوتها العسكرية (١١٥).

واذا علمنا الحكم الشرعي بأن سد حاجة الامة من الصناعات المختلفة والمهن التي

تحتاجها الامة من فروض الكفاية التي تلزم الامة باعداد العاملين فيها، واذا لم تهيئهم كانت الامة كلها آثمة لانها عرضت جماعة المسلمين للفتنة والحاجة، عرفنا اثر التربية الاسلامية في توجيه الامة لاعداد ابنائها ليقوموا بهذه الفرائض ويحققوا القوة والسعة لانفسهم ومجتمعهم.

٤. العدل

واقامة العدل في الامة جديرة بتشجيع رأس المال للظهور والتداول، حيث يأمن الناس على اموالهم من العدوان، وعلى حياتهم من الاذى. واقامة العدل في الكيل والميزان، وتربية الامة على رعاية الصدق، والعدل في وصف السلعة وحين تقدم للمشترين، له اثره الكبير على تقدم التنمية ونجاحها ؛ حيث تنتفي صور الاستغلال والخداع، وترسى قواعد الجودة والاتقان، وتبتعد اساليب الظلم والعدوان. ولهذا كان امر العناية بالمواصفات للسلع ودقتها ممثلا خلق الامة وتفوقها الذي ينعكس في كل تقدم لصناعة الانتاج.

ولهذا كان من اول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة قبل الهجرة، آيات تأمر بالعدل والاحسان، كما تأمر بايفاء الكيل والميزان. والمجتمع الاسلامي في مكة كان مجتمع تربية وتعليم وتزكية بالدرجة الاولى، قبل اقامة دولة الاسلام في المدينة؛ حيث تكامل التشريع مع التربية، وسلطان الدولة وسلطان التقوى في القلوب.

قال تعالى: "واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلا" (١١٦). وقال تعالى: "ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون. واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون. الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين" (١١٧).

واذا فقهنا مفهوم الكيل والميزان بمعناه الشامل، وجدناه يشمل كل عمل يأخذ صاحبهُ اجرا عليه؛ فكما يأخذ اجره كاملا ينبغي ان يقدم العمل كاملا متقنا. ويحسن هنا ان انبّه الى نقطة، وهي ان نزول ايات تحريم تطفيف الكيل والميزان قبل الهجرة ،

يعني ان قيمة المواصفات وتحديد الكيل والميزان ورعايته، تتصل بخلق الامة وعقيدتها بالدرجة الاولى، وليست في وضع التشريع لها بقدر ما هي في تطبيقها وتربية الامة على اخلاقها، وهذه ملاحظة من الاهمية بمكان تفهم في ضوئها الايات التي نزلت في مكة تأمر بالعدل وتحذر من الظلم، كما تحرم الزنا وأكل مال اليتيم وتأمُر بتكريم الاخلاق قبل اقامة الدولة في المدينة، ذلك لان هذه التشريعات خلق امة تربى عليها قبل ان تكون قانونا مفروضا بقوة الدولة وسلطانها.

وقد رأينا الدول الصناعية الكبرى تتبارى في وضع مواصفات لانتاجها واصبح ضبط الجودة في الصناعة من المجالات التي تتسابق فيها الدول الصناعية لكسب الاسواق من جهة ولتبرهن على مستواها الحضاري الذي تعكسه عملية ضبط الجودة، من وجود النظام [١١٨]، واحترام القانون، وصدق التعامل.

وانطلاقا من هذه القيم التي لا يمكن ان تقوم صناعة حقيقية بدونها، وتحقيقا لهذه القيم نشأ في الحضارة الاسلامية نظام الحسبة وهو النظام الشبيه بالمواصفات والمقاييس في هذا العصر.

نظام الحسبة هذا يقضي بالاشراف على مصالح الناس ومنع الظلم في الصناعة ؛ بمراقبة الجودة والمعادن الثمينة وقمع الغش في الاسواق، ومراقبة الموازين والمكاييل، كما كان يضع خصائص للاشياء التي تباع بالاسواق، ويضع دستورا لكل حرفة يلتزم به اهل الحرف، وكان كذلك يتبع في مفهوم الحسبة يشمل صلاحيات ديوان المحاسبة في عصرنا بالمراقبة على اجهزة الدولة وحسن سيرها، ويشمل مراقبة نشاطات المجتمع المتعددة مستمعا لشكاوى الناس آمراً بالمعروف، ناهيا عن المنكر والظلم في جميع صورهِ وألوانه [١١٩].

ولهذه المراقبة مردودها العظيم على عملية التنمية حيث تتحقق الجودة ويُزال الغش، ويعطى كل انسان جهده وينال اجره، فينشط العمل وتتسع دائرته، ويسعد الناس بالعدل ويأمنون من الظلم والاستغلال.

٥. التوبة والاستغفار

اذا كان الامر بالعمل والعلم والعدل وتربية الامة على قيمها ورعايتها لتصبح خير امة، من اعظم اسباب التنمية ودفع عجلتها للامام، ويشكل قوة دافعة لها، فان محاسبة النفس على الخطأ والسعي لتقويم تصحيح المسار المنحرف يشكل قوة واقية تحفظ على الامة اسباب قوتها وتحصنها من اسباب الانهيار الخلقي والمادي على سواء، وهذا ما تهدف اليه التوبة والاستغفار. قال تعالى على لسان نبيه عليه السلام وهو يخاطب قومه "فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا" (١٢٠).

قد يعجب الذين تربوا في مدارس فكرية غير اسلامية ويقولون: ما علاقة الاستغفار والتوبة بالتنمية، والجواب: ان يعرفوا علاقة التنمية بالمناخ الاقتصادي والاجتماعي الذي يدفع ابناء المجتمع للمشاركة في المشاريع التنموية برغبة وحماس ولن يتوافر هذا الجو في مجتمع اسلامي الا اذا تطهرت معاملاته ومؤسساته المالية من التعامل بالحرام والاغراء به. والا وقع الصدام والتنافض بين ما يؤمن به الناس وما يدعون للمشاركة فيه.

ونقول للذين يتحججون بالتقدم الاقتصادي والمادي في المجتمعات الغربية غير الاسلامية: فرّقوا في امور التنمية بين المجتمعات المختلفة، فلكل مجتمع ثقافته وخصائصه الحضارية والاجتماعية، فما يصلح للانسان الغربي الذي تربى في ظل قيم ومفاهيم خاصة عن الحياة قد لا يصلح للمسلم الذي تربى في ظل قيم ومفاهيم مختلفة ولهذه القيم اثرها العظيم في مجالات التنمية.

واضرب لاوضح فكرتي هذه مثلا من واقع التعليم في المجتمعات العربية فهل خريجو كليات الآداب والعلوم والشريعة والزراعة والهندسة من طلاب وطالبات يقبلون على مؤسسات المجتمع التعليمية والزراعية والصناعية على قدم المساواة.

اننا نجد ان الخريجة تحمل شهادتها لتعمل في البلد الذي يقطن فيها اهلها، اذا كان اهلها في عمان ومنطقتها او في السلط وضاحيتها ان كان اهلها هناك، ويصعب ان تذهب الى محافظة بعيدة، ومن النادر ان يرضى اهلها بان تعيش وحدها. مما يؤدي الى ان تستقيل من العمل او لا تتقدم اليه، وكثيرا ما تفضل البقاء في البيت، بينما الطالب يعمل في الغالب في الميدان الذي يحتاجه المجتمع.

اذا درسنا هذه الظاهرة تحت عنوان ربط التعليم بالتنمية والمجتمع وجدنا خسارتنا كبيرة، اذا لم ناخذ بالتساوي حتى يكون التعليم في خدمة المجتمع والتنمية. ولا تُخَرِّج الجامعات من لا يعمل، بينما يكون من عنده القدرة على العلم والعمل محروما من الدخول في الجامعة.

قد تبدو كلمة الاستغفار او التوبة غريبة في مجال الحديث عن التنمية الاقتصادية بينما تبدو عبارات "تصحيح المسار" او "التقويم الذاتي" او "النقد الذاتي" مقبولة تماما وذات رنين خاص يوحى بالاهمية. [١٢١] ، ولكن اذا فهمنا معنى التوبة في الاسلام وانها آعتراف بالخطأ يتمثل بالندم على فعله ثم اقلاع عنه، ثم عزم على عدم العودة اليه [١٢٢] والاستغفار طلب الى الله تعالى ان يمحو الذنب، نجد كيف تتعاون العقيدة مع التشريع في تقويم الخطأ وتصحيح المسار، وتحقيق النقد الذاتي الذي يفتح باب الاصلاح من الداخل امام الافراد والجماعات ليصلحوا مسيرتهم، ويعودوا الى المجتمع معافين اقوياء.

وقد لاحظ بويك Boeke الكاتب الهولندي الذي درس بعمق مشكلات المجتمع الاسلامي في اندونيسيا اثناء استعمار هولندا لها، لاحظ ان غالبية المجتمعات المتخلفة تعاني من ظروف الثنائية الاجتماعية Social Dualism والتي تتمثل في التضارب بين انظمة اجتماعية ذات طابع خاص وانظمة اجتماعية مستوردة من المجتمعات الغربية الرأسمالية او المجتمعات الشيوعية. ويقرر بويك ان هذه الثنائية الاجتماعية تمثل احد الاسباب الكبرى لعدم نجاح اى برامج للتنمية في المجتمعات المتخلفة. ذلك لان اى

مجهودات للتنمية تبذل في البلدان المتخلفة على اساس افكار او تنظيمات غريبة عنها يمكن ان تسبب مزيدا من التدهور الاقتصادي. والسبب في ذلك ان الناس لا يتقبلون هذه الافكار او التنظيمات الغريبة عنهم بطبيعة تكوينهم الفكري والاجتماعي، بل وانهم يقاومونها سلبيا ما فلا يتجاوبون معها ولا يحاولون فهمها او انهم يعرقلونها عمدا، ويضيف بويك ان المجهودات الانمائية في مثل هذه الظروف التي تتميز بالثنائية الاجتماعية تفقد الناس تدريجيا قدرتهم الذاتية على التحرك الصحيح نحو تحقيق التنمية.

ويلاحظ ان هذه القدرة الذاتية لا بد وان تكون مستمدة من الحضارة الاصيلة للمجتمع، فاذا تحقق هذا فان قضية التخلف الاقتصادي والاجتماعي تتأكد وتزداد حدة وظهورا (١٢٤).

ولا بد من القول بصراحة ونحن نتحدث عن التوبة والاستغفار وتصحيح المسار أن من اسباب وجود هذه الثنائية في مجتمعاتنا ضعف الثقافة الاسلامية لدى قادة المجتمع المسؤولين عن وضع الخطط والسياسات الاقتصادية والاجتماعية وميل هؤلاء القادة الى محاكاة الانماط الفكرية والتنظيمية لبعض المجتمعات المتقدمة في الغرب والشرق دون ان يلاحظوا الفوارق الجوهرية بين هذه المجتمعات، ودون ان يطلعوا على ما في تراثهم الاسلامي من كنوز حضارية يستطيعون لو وعوها ان يوظفوها في خدمة التنمية، ولو درس هؤلاء القادة الاسلام بشمول وعمق، وكانت ثقافتهم اسلامية، لكانوا اقدر على وضع خطط تنموية يتفاعل معها الناس، ويكتب لها النجاح لانها لا تصطدم مع عقيدتهم وحضارتهم.

ومن ناحية اخرى، فان القرآن الكريم وهو يحدثنا عن المجتمعات الجاهلية التي حققت تقدما في مجال الزراعة والعمران كان يدعوها الى المحافظة على هذه النعم بالتوبة والاستغفار والرجوع الى منهج الله تعالى حتى لا يصيب هذه الامم القوية ما اصاب من قبلها من هلاك ودمار بسبب ذنوبهم. وهذه حقيقة ان المجتمعات لا تقوم ولا

تحفظ خيراتها الا ببنيان اخلاقي يمنعها من الظلم والعدوان، ويحفظ على المجتمع قوته وتماسكه، وان فقدت الامة هذا الاساس الايماني الاخلاقي انهارت الامة من الداخل وتعرضت لعوامل الضعف والانحلال.

والمجتمعات الغربية المعاصرة رغم تفوقها العلمي والصناعي والاقتصادي والعسكري بدأ رجال الفكر والعلم والفلسفة فيها يدقون نواقيس الخطر وهم يرون اسباب الذوبان والانحلال والتآكل من الداخل قد بدأت تنخر في جسم المجتمعات (١٢٣). فالتوبة والاستغفار تحمل للجماعة المسلمة عناصر تصويب اخطاء الافراد والجماعات وحصانة لاسباب قوتها ودفعا لها الى الامام وفق منهج الله وطاعته.

الاخلاق واثرها على التنمية والانتاج

المال في العقيدة الاسلامية وسيلة لا غاية، وسيلة لاعمار الدنيا واعمار الاخرة بالعمل الصالح. وقد وضع الاسلام للمسلم آدابا وبين له حدودا تجعل هذا المال في طريق الانتاج والتنمية ونفع الناس وتصونه من طرق الهدر والتبذير، والبغي والتفاخر والكبر والاختيال. وتظهر هذه الاداب والاخلاق في مجالين:

أ - اخلاق تشكل قوة حماية وصيانة المال من الضياع والهدر.

ب - اخلاق تشكل قوة دافعة للعمال في المجتمع تبعث الانتاج، وتغذي مشاريعه الانتاجية.

ويمكن تقسيم هذه الاخلاق الى قسمين:

١ - اخلاق نفسية تنعكس في شخصية صاحبها من تواضع او كِبرْ، وتفاخر وتكاثر وبخل او كرم، وقناعة او طمع.

٢- واخلاق عملية تنعكس على التعامل مع الناس في صدق الوعد، واتقان العمل واداء الامانات الى اهلها، والوفاء بالالتزامات والعهود. وعدم بخس الكيل والميزان.

ولهذه الاخلاق بقسميها آثارها على التنمية وهذا ما نوضحه فيما يلي:

٦. تحريم التكاثر والتفاخر:

يعتبر الاسلام خلق الكِبْر من امراض النفس، وقد وردت الايات الكريمة والاحاديث الشريفة بالنهي عنه. قال ختعالى: "ولا تُصَعِّر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور" (١٢٥).

ولخلق الكِبْر مظاهر عديدة يتطاول صاحبهُ فيها على الناس بسلطانه وماله، او بزينته ومتاعه، او بقوله وفخره. ومن مظاهر التفاخر بالمال والمتاع، التباهي بالملابس والازياء والاثاث والبنيان والمراكب وغيرها، الذي يهدر ثروة الامة في غير وجهها ويحرم منها المشاريع التنموية والانتاجية، ويفسد الحياة بما يشيع فيها من امراض الحسد والتنافس الذميم.

وقد حذّر القرآن الكريم من ان يشغل الناس التكاثر بالاموال عن الغاية الكريمة في الحياة التي خلقوا من اجلها وهي عبادة الله وعمل الصالحات، فقال "الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلون كلا لو تعلمون علم اليقين" (١٢٦) وانهم لو علموا علم اليقين لشغلوا عما شغلوا انفسهم به. وفي قوله تعالى "زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب" (١٢٧).

فهذا التكاثر وهذا الحب للقناطير المقنطرة تمثل انانية الانسان وسيطرة غرائزه عليه وبهيميته، والمسلم الحق هو الذي يستعلي على شهواته وانانيته ويسعى لتحقيق ذاته في رضوان الله صابرا صادقا قانتا منفقا مستغفرا، عاملا لآخرته والله عنده حسن المآب.

ذكر العلماء في تفسير هذه الاية: "جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها. والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها

شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمة"، وقال "زُين للناس حب الشهوات" ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير، ثم يفسره بهذه الاجناس، فيكون اقوى لتخسيسها، وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله (١٢٨).

وقد وردت الايات بعدها تصور النقلة التي يرتقي بها الاسلام بالنفس الانسانية حين يحررها من اسر الشهوانية والبهيمية والانانية، وينقلها الى كمالاتها الانسانية التي يتقدم بها المجتمع وينمو، وتزهر بها الحياة وتسمو، "الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار. الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار" (١٢٩).

واذا درسنا مشكلات العالم الاسلامي الذي غزته قيم الحضارة الغربية المادية وجدنا من اسباب تخلفه هذا الهدر للثروة بالتعالي بالبنيان لغير حاجة، والتنافس على مصنوعات الغرب والتفاخر باقتنائها من السيارات الفارهة الى الاثاث الفاخر بانواعه، الى الملابس والازياء المختلفة. وهذه تشكل خطرين:

١ - خطرا على اقتصاد الامة وثروتها القومية حين تصبح سوقا استهلاكية للغرب.
٢ - وخطرا على مشاريعها الانتاجية حين يتحول المال الى السفه والتبذير، بدل ان يحول الى المشاريع النافعة.

وقد عالج القرآن الكريم هذه الامراض في مرحلة مبكرة من تاريخ الدعوة وهي العهد المكي قبل اقامة الدولة في المدينة المنورة لان الدعوة الاسلامية كانت من اول يوم حربا على الطغيان والاستكبار في الارض بغير الحق بكل صوره والوانه. ويعتبر استعلاء الغني بماله، واستكباره بزينته، وهدره للاموال الطائلة في هذا السبيل نوعاً من الاستكبار الاثم الذي صوّره القرآن في قصة قارون: "ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما انّ مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين. وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض انّ الله لا يحب المفسدين. قال

انما اوتيته على علم عندي، او لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون" (١٣٠). وفي سورة الكهف "واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا. كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا. وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا" (١٣١).

ان هذه الايات مع بقيتها من السورة تصور لنا الانسان المتكبر بزرعه وثمره يواجهه الانسان المستعلي بايمانه وعلمه، كما تصور لنا عاقبة الاستكبار هلاكا في الدنيا للزرع والثمر ووبالا على الانتاج، كما تصوره قبل ذلك وبالا على انسانية الانسان وكفرانا للمنعم، واستعلاء في الارض بغير حق.

ويلاحظ الامام الزمخشري المتوفى عام ٥٣٨هـ، تسرب هذا المرض في المجتمع الاسلامي وهو يفسر هذه الايات فيقول: "ودخل جنته وهو ظالم لنفسه " أى وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه، يعرض بذلك نفسه لسخط الله، وهو افحش الظلم" (١٣٢). وفي تفسيره لقوله تعالى "وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا "يقول " اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته، واعتزازه بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله. وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم قاطعة به منادية عليه" (١٣٣).

وهكذا نرى ان هذه الامراض الخلقية من طول الامل واستيلاء الحرص، والاعتزاز بالحياة الدنيا مفضية الى آثارها المهلكة للنفس والمال الهادرة للثروة في مجالات التفاخر الكاذب والصارفة لها عن سبل الخير والنفع العام. فقد اهلك الله قارون وامواله وخسف به وبدراه الارض، واهلك صاحب الجنتين وزرعه وجنته" واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول: يا ليتني لم اشرك بربي احدا" (١٣٤).

ان القرآن الكريم حين يربط بين هلاك المال والزرع وبين كفران الخالق والاستعلاء في الأرض بغير الحق انما يضع للمسلمين المنهج الحق الذي يحافظون به على النعم وتنميتها بالابتعاد عن أسباب زوالها وأداء شكرها بطاعة الله وأداء حقوق المال للفقير والمحتاج وسبل الخير في المجتمع.

وفي سورة الاسراء المكية نجد أصول هذه التربية القرآنية التي توضح أهداف الحياة عند المسلم آكبر من أن تحصر بشهوات الارض وغرائزها العاجلة، حيث تكون الانانية والشح والحرص والتنافس الذميم، وتنقلها الى اعمار الدنيا والاخرة حيث تكون الحياة الطيبة التي تخلو من أخلاق الاستكبار والاستغلال والعجب والخيلاء. ومفصل الطريق بين هاتين الحياتين غاية وارادة يوضحها القرآن الكريم بقوله: "من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا، ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا، كلاً نمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا. انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض. وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا" (١٣٥).

فمن أراد الحياة الدنيا العاجلة نال حظه منها الذي كتبه الله له بما مكنه من سعي وآلة، ولكن ما هي النهاية: "ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا". ومن أراد الاخرةوسعى لها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة، فأولئك كان سعيهم مشكورا. فمن اراد الاخرة لا بد ان يسعى لها سعيها المكافىء لها عملا واعمارا وطاعة ليكون المال في يده لا في قلبه موجّها للخير والصلاح لا للفساد والطغيان والاستكبار في الارض بغير الحق.

ويربط القرآن الكريم في السورة نفسها بين الامر بالقيام بحقوق الجماعة في هذا المال ورعاية حق القريب والمسكين وابن السبيل، وبين النهي عن التبذير وهدر المال على غير وجهه لينبهنا الى قيمة مهمة وهي أن الاسراف والتبذير في جهة يعني حرمانا في جهة أخرى، وان هذا المال الذي أنفق فيما لا ينبغي كان يجب أن تسد به خلة الفقراء والمحتاجين في المجتمع الاسلامي.

وفي قوله تعالى: "ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا" (١٣٦) بيان للقاعدة الاسلامية في الانفاق المتوازن الذي يربي عليها الاسلام أبناءه حين أمرهم بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير. وفي ذلك ورد قوله تعالى:" والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (١٣٧).

ويظهر أثر هذا الخلق على التنمية حين نتصور الاموال التي يحميها الاسلام من الهدر بالاسراف والتبذير قد تحولت الى مدخرات نافعة للجماعة تأخذ طريقها لمد المشروعات الانمائية والانتاجية في الامة. كما تساعد في تحقيق معاني التماسك الاجتماعي والتنمية الاجتماعية برعاية الضعفاء والمحتاجين في المجتمع.

٧. تحريم الكنز وتحريم استعمال أواني الذهب والفضة

وفي ظل هذه التربية نعرف حكمة الاسلام في تحريم الكنز وتحريم استعمال أواني الذهب والفضة لأن هذه الاموال ينبغي أن تتحول الى مد المشاريع الانتاجية في الأمة بدل أن تتجمد وتكنز فلا ينتفع بها أحد، أو تتخذ للمباهاة والزينة في البيوت.

قال تعالى: "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم" (١٣٨).

وقد فسر الفقهاء الكنز المحرم بأنه المال الذي لم تؤد زكاته. وحتى لا تأكل الصدقة المال يجب أن ينمى ويشغل وينفق في سبيل الله، وتحيى به المشاريع الانمائية والانتاجية في الامة.

سياسة الاسلام الادخار

يسعى الاسلام من خلال توجيهاته وتشريعاته الى تحقيق الوفرة في رأس المال أو رفع معدل التكوين الرأسمالي في الامة لتمويل مشروعاتها الانتاجية وسد حاجاتها عن طريقين:

١. أمر يتعلق بمعالجة اسباب انخفاض الدخل القومي الحقيقي ومتوسط نصيب الفرد منه.
٢. أمر يتعلق بالميل للاستهلاك وانخفاض الميل للادخار

اما بالنسبة للامر الاول، فقد عالجه القرآن الكريم بالترغيب بالعمل والمشروعات الانتاجية النافعة وتحذيره من تجميد الثروة بغير نفع وتحريم كنز المال.

أما بالنسبة للامر الثاني فقد تضافرت الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة في الدعوة الى الاعتدال في الاستهلاك كقوله تعالى: "كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين" (١٣٩). ورغّب النبي صلى الله عليه وسلم امته في احاديث كثيرة بعدم التوسع في البنيان والمآكل والمشارب او التفاخر والتباهي بالملابس والآنية. عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول اله صلى الله عليه وسلم يقول "لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تاكلوا في صحافها فانها لهم في الدنيا ولنا في الاخرة (١٤٠). وعن خباب رضي الله عنه قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤجر الرجل في نفقته كلها الا في التراب" (١٤١)، قال الامام المناوى في شرحه: "الا في التراب"، اي في البنيان الذي لم يقصد به وجه الله، وقد زاد على ما يحتاجه لنفسه وعياله على الوجه اللائق فانه ليس له فيه اجر بل ربما كان عليه وزر" (١٤٢).

واذا امعنا النظر في مشكلات التنمية في مجتمعاتنا وجدنا من بينها اما ثروة الامة تُجَمَّد وتهدر في الحجارة، والطين، وهذه العمارات الضخمة على حساب الارض الزراعية، والزراعة والثروة الحيوانية والمشروعات الانتاجية الضرورية للامة.

وان فهمنا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضوء هذا الواقع يتطلب من رجال الفكر والدعوة والتوجيه ان يقوموا بواجبهم في توعية الامة وتبصيرها باخلاق دينها واحكامه حتى تتحرر الامة من هذه القيم الجاهلية التي تدعوها للاسراف، للفخر والخيلاء لغير حاجة، وتلتزم باخلاق دينها ومنهج نبيها صلى الله عليه وسلم فتسعد في الدنيا والاخرة.

٨. الزهد والتنمية

يختلف مفهوم الزهد في الاسلام عن المفهوم الاعجمي الذي انتشر عند كثيرين من المسلمين في العصور المتأخرة بسبب الجهل". فالزهد في الاسلام يعني ان يستعلي المسلم على حب المال حتى لا يصده عن واجب، ولا يمنعه عن طاعة، ولا يصرفه عن معروف.

وأن أمْلُك المال واسعى في تنميته بالعمل المشروع شيء، وان استغرق في حبه واعتبره غاية شيء آخر. ذلك ان الانسان المسلم يعرف رسالته في الحياة وموضعه في دورة الحياة العضوية، وينسجم عمله ونشاطه مع معطيات الحياة حتى ياخذ كفايته منها وينعم بخيراتها بلا اسراف ولا عدوان. وهنا نفهم قوله صلى الله عليه وسلم "ليس الغنى، عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس" (١٤٣)، وقوله "قد افلح من اسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه" (١٤٤).

فهذان الحديثان عن الرسول صلى الله عليه وسلم يوجهان المسلم لان يكون شبعان من الحياة محققا الكفاية والقناعة لا تعبا من الحياة محققا الشقاء واللهاث والضياع، وسر ذلك هذه العقيدة الاسلامية الشاملة التي وصلت الدنيا بالاخرة وربطت سعي الانسان بدنياه بسعيه لاخرته حتى يكون الموت في حياته حدثا له معناه وحكمته، فهو الجسر الذي ينقله الى حياته الآخرة سعيد النفس مطمئن البال لسعيه وعمله الصالح "يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي" (١٤٥).

وفي ظل هذا المعنى نفهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه مالكا قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها" (١٤٦).
وقد نبه هذا الحديث الشريف الى اعظم القضايا التي تهم الانسان: وهي: الامن – الدواء – الغذاء. وحتى تتوافر له هذه الامور لا بد من العمل والسعي والمال. وحتى يؤدي المال وظيفته في تحقيق امن المجتمع وسعادته ربى الاسلام ابناءه على خلق الزهد ليبقى المال في جيوبهم لا في قلوبهم ويحققون فيه امر الله "وابتغ فيما آتاك الله الدار

الاخرة" (١٤٧). وحذرهم من ان يكونوا عبيد شهواتهم، وعبيد اموالهم، وفي الحديث الشريف. "المؤمن يأكل في معى واحد، والكافر يأكل في سبعة امعاء" (١٤٨). وفي حديث آخر "ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فان كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه" (١٤٩). وفي الحديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم "قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعّه الله بما آتاه" (١٥٠). وفي حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم "القناعة مال لا ينفد" (١٥١).

وفي منهج التربية الاسلامي نجد اخلاق الصبر والعلم والعمل تعطي ثمراتها الطيبة في تربية المسلم على خلق القناعة والاقتصاد. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ما عال من اقتصد" (١٥٢). وفي حديث آخر: "ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الرضا والغضب" (١٥٣).

وقد وردت الاحاديث الكثيرة في توجيه المسلم لخلق القناعة والعفة حتى يتحرر الانسان من الداخل من سلطان المال فلا يطغى في جمعه ولا يبخل في انفاقه في الطرق النافعة للفرد والمجتمع، ومنها: ما ورد عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس" (١٥٤). وعن ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: "ان ناسا من الانصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاهم، ثم سألوه فاعطاهم، حتى اذا نفد ما عنده، قال: ما يكون عندي من خير فلن ادخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما اعطي احد عطاء هو خير واوسع من الصبر (٤). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: "قد افلح من اسلم، ورزقه كفافا وقنعه الله بما آتاه (١٥٥).

وان الاسلام حين يدعو المسلم للسعي في الارض معمرا لها مستخرجا لخيراتها، يوجهه ايضا ليصون هذه النعمة من الهدر بتحريم الاسراف، ويعالج مرض الاسراف في

النفس حين يحرم عليه الكبر والاختيال باعتبارهما من اسباب الاسراف، ويجمله بالقناعة والعفة، فيستغني بنفسه، ويستعلي بايمانه عن التنافس الذميم على الدنيا حتى يحفظ التوازن بين كثرة الانتاج ووفرته، وبين ارتقاء الانسان باهدافه وغاياته حتى يكون المال في خدمة الجماعة ومصالحها، ولا يتحول الى سبب الصراع والشقاء والتقاطع بين الناس، ويوضح هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك، وان تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى" (١٥٧).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ان روح القدس نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستكمل رزقها واجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله عز وجل، فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته".

والنبي المربي المعلم صلى الله عليه وسلم يرشد المسلم كيف يتطلع دوما الى الغايات العظيمة ليصل حياته الفانية بالحياة الباقية، فيطمئن ويسعى وهو عزيز بالله، عزيز باستغنائه وقناعته وعظمته، عزيز بعمله وخدمته لنفسه ومجتمعه. قال صلى الله عليه وسلم: "انظروا الى من هو اسفل منكم، ولا تنظروا الى من هو فوقكم، فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم" (١٥٨).

وقد عبر عن وظيفة المال في يد المسلم قول الشاعر:

اذا كان بعض المال ربا لاهله	فاني بحمد الله مالي معبد
يُفَك به العاني ويؤكل طيبا	ويعطى اذا منّ البخيل المصرد

السخاء والكرم

ويتصل بخلق الزهد خلق السخاء والكرم، فالمسلم الذي يسعى في الارض ويمشي في مناكبها ويستخرج كنوزها وخيراتها ينمي هذا المال حين يضعه في مصارف ويسد به

حاجات الضعفاء في المجتمع، فيثمر في نفوسهم رحمة ومحبة وتعاونا وتماسكا اجتماعيا يجني المجتمع منه احسن الثمرات. والكريم الذي ينفق ماله في سبيل الله للجهاد ونشر الدعوة، ومحاربة الظلم يحقق اعظم تنمية لماله عند الله الذي اخبرنا في كتابه "مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم" (١٥٩) . ويحقق اعظم تنمية لماله في الارض حين نزول الانظمة الجاهلية الظالمة التي تقتل النشاط الاقتصادي بظلمها وتغتال انسانية الانسان بأذاها وفجورها.

وهنا نفهم قوله تعالى وهو يحذر من البخل" المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون" (١٦٠) . وفي آية اخرى: "ها انتم هؤلاء تُدْعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقراء، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم" (١٦١) .

والله سبحانه يبين لعباده ان المال في ايديهم امتحان واختبار ليظهر مدى تصديقهم لايمانه بانفاقه في سبيل الله ليعطي ثمراته المباركة في تنمية المجتمع اقتصاديا واجتماعيا. قال تعالى: "واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم" (١٦٢) ؛ ولهذا كان السخاء خلق المسلم. عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: "قال جبريل: قال الله عز وجل: الاسلام دين ارتضيته لنفسي، ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق، فاكرموه بهما ما صحبتموه" (١٦٣) . واذا كان الكافرون ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فالمسلمون الصادقون ينفقون اموالهم ليردوا الاذى وينصروا دين الله. قال تعالى "ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون" (١٦٤) .

٩. الصبر والتنمية

ذكر الله تعالى كلمة (صبر) في القرآن الكريم في نحو من تسعين موضعا، واضاف اليه اكثر الخيرات وجعلها ثمرة له، فقال تعالى: "وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا" [١٦٥] "ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون" [١٦٦]، وقال تعالى "انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب" [١٦٧].

واما الاحاديث، ففي الصحيحين من حديث ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال "ما اعطي احد عطاء خيرا واوسع من الصبر" [١٦٨]. وفي حديث آخر: "الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد". قال الحسن "الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله عز وجل الا لعبد كريم عنده.

ويظهر دور هذا الخلق في التنمية من خلال ما يلي [١٦٩]:

١ - تنمية الانسان بعلمه وفضائله وشخصيته الحضارية.
٢ - تنمية رصيد المسلم وثوابه عند الله في الاخرة.
٣ - تنمية آثاره الصالحة في المجتمع، فوراء كل مشروع نافع، وعمل صالح وانجاز علمي صبر يتحمل صاحبه مشاق العمل، وعناء السهر، ومكابدة الجوع والعطش.

العقيدة والصبر

والغاية الكريمة التي يسعى المسلم للوصول اليها في كسب رضوان الله وخدمة امته ومجتمعه مدد الصبر وغذاؤه. فوراء كل غاية كريمة وعمل عظيم نفوس عالية آمنت برسالتها واستعذبت المشاق في سبيلها، قال تعالى "والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار [١٧٠]. فقوله تعالى "والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم". يربط بين الصبر وغايته، فالصابر يتحمل المشاق ابتغاء وجه الله ورضاه، والصابر يتحمل المشاق خدمة للغاية الكريمة والهدف العظيم الذي يرضى عنه الله.

والتربية الايمانية اذ تسلح المسلم بهذا الخلق انما تعطي ابناءها القوة النفسية لتحمل اعباء اقامة المجتمع الاسلامي وتنميته، وتحصنهم ضد عوامل ضعفه ونخره من الداخل فالانانية وايثار جانب النفس والهوى التي تدعو الانسان لهدر ماله وتبذيره وهدر قوته حين يغرق في لهوه، ولعبه واشباع شهواته، يقابلها الايثار والصبر الذي يستعلي فيه المسلم على هواه وشهوته، ويصبر على مقاومة غرائزه طلبا لرضوان الله وتحقيقا للهدف الكريم الذي يخدم الجماعة ويرضى عنه الله.

والدارس للمواضع التي مدح الله فيها الصبر في كتابه الكريم يجدها وردت في سياق الاهداف الكريمة التي تنمي المجتمع باخلاقة وقيمه واقتصاده وامواله. فالآية التي ذكرناها آنفا وردت في سياق الايات الكريمة التي تذكر صفات المؤمنين بوفائهم بالعهد ووصلهم ما امر الله به ان يوصل، وكظمهم للغيظ وعفوهم عن الناس الى غيرها من الصفات التي تنمي المجتمع بتماسكه وتعاونه وتراحمه، وتكسب اصحابها رضوان الله وجنته. قال تعالى: "افمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولو الالباب. الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق. والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب. والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار" (١٧١).

وفي الصورة المقابلة يوضح لنا القرآن الكريم في الآية التالية النتائج الخطيرة للابتعاد عن هداية القرآن واخلاقه في هلاك المجتمع وافساده، قال تعالى " والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار" (١٧٢). وسوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه ورد في مقابلة عقبى الدار، فالجزاء شامل لعذاب الدنيا والاخرة.

وفي الاية التالية، وبعد ان وضحت الايات السابقة اثر الاخلاق الايمانية في تنمية المجتمع واسعاده، واثر الاخلاق الجاهلية في افساده وهلاكه، يقرر القرآن الكريم حقيقة:

ان التنمية الشاملة التي لا تقتصر على النواحي المادية، قال تعالى: "الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع" (١٧٣). والآية تقرر ان الذي يستحق الفرح والبهجة والسرور هو فرحة الامة بانتصار مبادئها بانتشار قيم العدل والوفاء والخير والتواصل والتراحم والتعاون بين الناس، لا بغلبة الانانية والشح التي تنقض فيها العهود، وتقطع الاوامر وتستحل الحرمات، وتكثر الشكاوى والخصومات، وتقاس قيمة الانسان بما يملك من ارصدة وعقارات وهذا ما نبهت اليه الاية الكريمة وهي تنكر عليهم فرحهم بالحياة الدنيا فرح بطر واشر واختيال وفخر، لا فرح سرور بظل الله وانعامه عليهم، وفرح شكر بحسن استغلال النعمة لطاعته تعالى انتصار على هوى النفس وشهواتها، ولا يقدر على هذا الا الصابرون (١٧٤).

وقد نبه الامام ابن كثير في تفسير هذه الاية الى ان التنمية المادية وسعة الارزاق فيها تجري وفق حكمة الله وعدله في تدبير الخلق، وان العامل يجد ثمرة سعيه ولو كان كافرا، والمؤمن يجد نتيجة تقصيره ولو كان مؤمنا، ولكن عطاء الله للكافر وتوسيعه عليه يكون استدراجا اذا لم يحفظه بالايمان والشكر.

قال ابن كثير (١٧٥) "يذكر تعالى انه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء ويقتر على من يشاء لما له في ذلك من الحكمة والعدل، وفرح هؤلاء الكفار بما اوتوا من الحياة الدنيا استدراجا لهم وامهالا كما قال "ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين. نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون" (١٧٦). ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة الى ما ادّخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة فقال "وما الحياة الدنيا في الاخرة الا متاع".

وقد وضح علماء التربية المسلمون دور الصبر في تنمية شخصية الانسان المسلم لتكون شخصية حضارية يعود نفعها على صاحبها وعلى المجتمع، انتقلت من طور الطفولة حيث تغلب عليها هواها وشهوتها، وتحكمها انانيتها وغرائزها، الى طور الرشد حيث يحكمه عقله ومبادئه ويكبح جماح غرائزه وانانيته انتصارا للحق، وايثارا لجانب الجماعة ومصلحة الامة على المصلحة الخاصة. وللامام احمد بن قدامة المقدسي كلام جميل في توضيح هذا الخلق نقتطف منه ما يلي:

"واعلم ان الصبر من خاصية الانسان، ولا يتصور في البهائم لنقصانها، وغلبة الشهوات عليها من غير شيء يقابلها، ولا يتصور الصبر ايضا في الملائكة لكمالها، فان الملائكة جردوا للشوق الى حضرة الربوبية ولم تسلط عليهم شهوة صارفة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصدها عن حضرة الجلال.

واما الانسان فانه يُخْلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة، لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه، ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة، ثم شهوة النكاح، وليس له قوة الصبر، فاذا تحرك العقل وقوي، ظهرت مبادئ اشراق نور الهداية عند سن التمييز، وينمو على التدرج الى سن البلوغ، كما يبدو نور الصبح الى ان يطلع قرص الشمس، ولكنها هداية قاصرة لا مرشد لها الى مصالح الاخرة، فاذا عقد بمعرفة الشرع تلمح ما يتعلق بالاخرة وكثر سلاحه، الا ان الطبع يقتضي ما يحب، وباعث الشرع والعقل يمنع والحرب بينهما قائمة، ومعركة هذا القتال قلب العبد، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوات، فإن ثبت حتى قهر الشهوة التحق بالصابرين وان ضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر على دفعها التحق باتباع الشياطين، واذا ثبت ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة الهوى، فهذه المقاومة من خاصة الادميين.

اقسام الصبر

والصبر على ضربين: احدهما: بدني، كتحمل المشاق بالبدن، وكتعاطي الاعمال الشاقة من العبادات او من غيرها. الضرب الآخر: هو الصبر النفساني عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى، وهذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج، سمي عفة، وان كان الصبر في قتال، سمي شجاعة، وان كان في كظم غيط، سمي حلما وان كان في نائبة مضجرة، سمي سعة صدر، وان كان في اخفاء امر، سمي كتمان سر، وان كان في فضول عيش، سمي زهدا، وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ، سمي قناعة.

واما المصيبة، فانه يقتصر فيها على اسم الصبر، فقد بان بما ذكرنا ان اكثر اخلاق الايمان داخلة في الصبر، وان اختلفت الاسماء باختلاف المتعلقات. ثم اعلم ان العبد لا يستغني عن الصبر في كل حال من الاحوال، وذلك ان جميع ما يلقى العبد في الدنيا لا يخلو من نوعين:

احدهما: ما يوافق هواه، من الصحة، والسلامة والمال، والجاه، وكثرة العشيرة، والاتباع، وجميع ملاذ الدنيا، فالعبد محتاج الى الصبر في جميع هذه الامور، فلا يركن اليها، ولا ينهمك في التلذذ بها، ويراعي حق الله تعالى في ماله بالانفاق، وفي بدنه بالمعونة للحق. ومتى لم يضبط نفسه عن الانهماك في الملاذ والركون اليها، اخرجه ذلك الى البطر والطغيان، حتى قال بعض العارفين: المؤمن يصبر على البلاء، ولا يصبر على العافية الا صديق.

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء، فلم نصبر، ولذلك قال الله تعالى: "لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله" (١٧٧). وقال تعالى: "واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة" (١٧٨). "ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم" (١٧٩). فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية، وهذا الصبر متصل بالشكر، فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر، وانما كان الصبر على السراء شديدا، لانه مقرون بالقدرة، والجائع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر منه عند حضور الطعام اللذيذ ......".

١٠. الشكر والتنمية

حين ينعم الله على المسلم بمال يؤمن بان هذا المال نعمة من الله استخلفه ليظهر كيف يشكر النعمة بالتزامة بحكم الله في التصرف فيها لله متبعا للحلال، مجتنبا للحرام. "انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوكم ايكم احسن عملا" (١٨٠). فالتمليك استخلاف من الله، والمالك الحق هو الله. "واتفقوا مما جعلناكم مستخلفين فيه" (١٨١).

وقد جعل الاسلام الملكية حقا ذا وظيفة اجتماعية تظهر آثارها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وقد قيد الاسلام الملكية بقيود حتى لا تطغى وتصبح شرا على الجماعة، فحرَّم الربا [١٨٢]، والاحتكار، [١٨٣]، كما حرّم الرشوة وكل وسائل الكسب غير المشروع القائمة على استغلال الوظيفة، او استغلال المركز الاجتماعي والمالي. او التجارة بالمحرمات.

وحرم الاسلام الظلم بجميع صوره والوانه، ومنها ظلم ذي القوة للضعيف بحرمانه عن فرص العمل والمنافسة الشريفة وفتت رأس المال بالارث حتى لا يطغى. وفتح الباب واسعا للزكاة والصدقات واعطى للدولة حقا تفرضه في المال غير الزكاة . وأنشأ في نظامه الخلقي والاجتماعي والتربوي شخصية المسلم المتوازنة التي يكون المال بيدها رحمة وخيرا لا ظلما وبغيا وفخرا.

والقرآن الكريم يوضح ثمرة الشكر بقوله: "لئن شكرتم لازيدنّكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد" [١٨٤]. فثمرة الشكر تنمية وزيادة وبركة. والشكر في الاسلام شامل الشكر القلب والجوارح واللسان: قال الشاعر:

افادتكم النعماء حتى ثلاثة　　　　يدي ولساني والضمير المحجبا

والشكر يحمل معنى الاعتراف بالجميل لمن احسن اليك.واعظم الاحسان: احسان الله الى عباده، والله هو خالق النعم ومعطيها وحافظها "وما بكم من نعمة فمن الله" "وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها". ولهذا كان اعظم الشكر واحقه شكر العبد لربه. واعظم الكفر واشده كفران العبد لنعم ربه.

وشكر الله لعبده يتحقق بالقلب حين يعترف صاحبه بان الله وحده هي ولي النعمة ومالكها والمتفضل بها، وان يقصد الخير ويضمره وللخلق كافة. وشكر اللسان يتحقق بالثناء على المنعم والتحدث بالنعمة وعدم اخفائها. وشكر الجوارح يتحقق باستعمالها وفق منهج الله، لا اسراف ولا تقتير، وتنميتها وفق منهج الله في الطرق الحلال: لا ربا، ولا احتكار ولا غش، ولا تطفيف كيل وميزان، [١٨٥].

والشكر كما يشمل النعمة المالية يشمل كل نعمة انعمها الله على عبده، فشكر العلم تعليمه ونشره. وشكر الجاه مساعدة الفقير والمسكين والضعفاء في المجتمع، وشكر الحكم واقامة العدل بين الناس وتحقيق تكافؤ الفرص، وشكر الامن حماية الخائف المظلوم ونصرته، وشكر القوى مساعدة الضعيف.وشكر الجوارح اداء زكاتها "على كل سلامة صدقة".

وهكذا نجد عقيدة الشكر في قلب المسلم مفجرة لطاقات الخير في نفس الفرد وفي المجتمع المسلم. مؤتية لثمارها الطيبة في تعاون افراد المجتمع، وتوادهم، وتراحمهم وتعاطفهم، مما ينتج احسن الثمرات.

للامام احمد بن محمد بن قدامة المقدسي كلام جميل في بيان اثر خلق الشكر على التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ووظيفة النقد في خدمة الحياة الاقتصادية اقتطف منه ما يلي: (١٨٦)

"واعلم ان المراد من خَلْق الخلق وخلق الدنيا واسبابها، ان يستعين بها الخلق على الوصول الى الله تعالى، ولا وصول اليه الا بمحبته، والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا، ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفه الحاصلة بدوام الفكر، ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام البدن، ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء، ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق جميع الاعضاء الباطنة والظاهرة وكل ذلك لاجل البدن. والبدن مطية النفس، والراجع الى الله هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة، ولذلك قال الله تعالى: (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (١٨٧) فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله، فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها، لاقدامه على تلك المعصية.

ولنذكر مثالا واحدا للحِكَم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى يعتبر بها، ويعلم طريق الشكر والكفران على النعَم، فنقول: من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير اللذين بهما قوام الدنيا، وهما حجران لا منفعة في اعيانهما، ولكن يضطر

الخلق اليهما، من حيث ان كل انسان يحتاج الي اعيان كثيرة، في مطعمه ومشربه وملبسه، ومركبه، وسائر حاجاته، وقد يعجز عما يحتاج اليه، ويملك ما يستغني عنه، كمن يملك قدرا من الزعفران، فلا بد بينهما من معاوضة، ولا بد في مقدار العوض من تقدير، اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران، ولا مناسبة بين الزعفران والجمل، حتى يعطى مثله في الوزن والصورة.

وكذا من يشتري دارا بثياب، او عبدا بخف، او دقيقا بحمار، فهذه الاشياء لا تناسب بينهما، فخلق الله تعالى الدراهم والدنانير، حاكمين ومتوسطين بين سائر الاموال، حتى تقدر بهما، فيقال: هذا الجمل يساوي مائة، وهذا القدر من الزعفران يساوي مائة، فحصل التساوي بينهما حينئذ، وانما امكن التعديل بينهما بالنقدين، اذ لا غرض في اعيانهما، فانه لو كان في اعيانهما غرض لم ينتظم الامر فخلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدي، ويكونا حاكمين بين الاموال بالعد، وجعلهما عزيزين في انفسهما، ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة واحدة، فمن ملكهما، فكانه ملك كل شيء.

اذا عرفت حكمتهما، فكل من عمل فيهما عملا يخالف المقصود منهما، ولا يليق بحكمتهما، فقد كفر نعمة الله فيهما، فمن كنزهما فقد ابطلهما وابطل الحكمة فيهما، وكان كمن حبس الحاكم بين المسلمين في سجن يمتنع من الحكم بسببه، لانه ضيعهما ومنع الايدي من تداولهما. ولما كان كثير من الخلق عاجزين عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة اخبرهم الله تعالى بكلام سمعوه بواسطة رسوله عليه السلام، فقال: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم) [(١٨٨)]. وكل من اتخذ الدراهم والدنانير آنية، فقد كفر الله فيهما، لانه اسوأ حالا ممن كنزهما.

ومثال ذلك من استعمل حاكم البلد في الحياكة والكنس والاعمال التي يقوم بها اخس الناس، وذلك ان الحديد والنحاس والخزف وغيرها يقوم مقام الذهب والفضة في حفظ المائعات، ولا تكفي تلك الاعيان عنهما، ولا يقوم مقامهما فيما اريد بهما من

كونهما قيم الاشياء، فمن لم تنكشف له هذه الحكمة بالرحمة الالهية قيل له: "من شرب في اناء ذهب وفضة، فانما يجرجر في بطنه نار جهنم" وكذلك كل من عامل بالربا في الدراهم والدنانير، فقد اخرجهما عن مقصودهما، فهذا الحكمة خفية من حكم النقدين. فينبغي ان تعتبر شكر النعمة وكفرها بهذا المثال في غيره من جميع امورك، في حركتك، وسكونك، ونطقك، وسكوتك في كل فعل صادر منك، اما شكرا او عكسه، وهو الكفر، وبعض ذلك تصفه بالكراهة، وبعضه بالحظر.

ومن ذلك ان الله تعالى خلق لك يدين، وجعل احداهما اقوى من الاخرى، فاستحقت بمزيد القوة رجحانا وشرفا على الاخرى، وقد احوجك من اعطاك اليدين الى اعمال، بعضها شريفة، كأخذ المصحف وبعضها خسيسة، كازالة النجاسة، فاذا اخذت المصحف باليسار، وازلت النجاسة، فقد عكست المقصود، وخصصت الشريف بما هو خسيس فظلمته. وكذلك في الرِّجلين، اذا ابتدأت باليسرى في لبس الخف، فقد ظلمت اليمنى، لان الخف وقاية للرجل، وقس على ذلك . وكذلك نقول : من كسر غصنا من شجرة لغير حاجة مهمة وغرض صحيح، فقد خالف الحكمة في خلق الاشجار، لانها خلقت للمنفعة بها، فان كان كسره لغرض صحيح، فلا باس، وان فعل ذلك في مُلْك غيره، فهو ظالم، وان كان محتاجا، الا ان يأذن صاحبه.

ويملأ التوجيه النبوي قلب المسلم بقوة دافعة لعمل الخير وهو يعمله ان على كل عضو في جسمه صدقة، وشكرا ينبغي ان يقدمها لله بعمل صالح ينفع المسلمين. عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: "على كل مسلم صدقة"، قيل ارايت ان لم يجد؟ قال: يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قيل أرأيت ان لم يستطيع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قيل له: أرأيت ان لم يستطع؟ قال: "يأمر بالمعروف، او الخير قيل أرأيت ان لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر، فانها صدقة" (١٨٩).

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس" قال: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها او ترفع له عليها متاعه صدقة"، قال: "والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة، وتميط الاذى عن الطريق صدقة" (١٩٠).

الشكر والتنمية

ومن ابواب الشكر التي يحرص عليها المسلم الصدقة على الفقير والمسكين والقيام بحقوق القريب والجماعة، والمشاركة في اعمال الخير. واذا تأملنا في الايات الكثيرة والاحاديث النبوية العديدة التي رغبت بالنفقة في الجهاد وسبل الخير، وابواب البر وجدنا معها قيما تربوية توجيهية تملأ المسلم بالطاقة للعمل والكسب حتى يحصل على المال الذي يشارك فيه باعمال البر ويجد ثوابه في الدنيا والاخرة.

والحديث الصحيح "كل سُلامي من الناس عليه صدقة"، ينبهنا الى قيمة العمل بشكر نعمة الله على الانسان باليد، خلقها قادرة على العمل، ميسرة له، فالسلامى واحدة السلاميات، وهي مفاصل الانامل. وتتسع دائرة اعمال الخير لتنتشر رحمة في المجتمع كما تنتشر الشمس بالاصلاح بين الناس (١٩١)، وتقديم العون لهم بالمعونة المتناسبة مع جهد الانسان وعلمه وطاقته، وبالكلمة الطيبة، والخطوة الكريمة.

واماطة الاذى عن الطريق. ليتحول المجتمع كله الى خلايا عمل ونفع وهدى وخير. وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق".

ان ادنى ابواب الايمان واخفها هو اعلى ما تصبو اليه البلديات وامانات العاصمة في ايامنا هذه.

وهكذا، يكون خلق الشكر في عقيدة المسلم وتربيته تنمية لموارد المجتمع، وتوظيفا لها في خدمة الجماعة ونفعه، محققا اكرم الثمرات في وحدته وتماسكه، وتعاونه على البر والتقوى. كان السلف الصالح يعتبرون "من كفران النعمة، ومن العقوق للزمن ان يمضي يوما لا يستفيدون منه لانفسهم، ولا للحياة من حولهم. نموا في المعرفة ونموا في الايمان ونموا في عمل الصالحات. يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "ما ندمت على شيء ندم على يوم غربت شمسه، نقص فيه اجلي ولم يزد فيه عملي" (١٩٢).

١١.الشورى والتنمية

والتشاور خلق المسلم المقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان كثير المشاورة لاصحابه رضوان الله عليهم.

وقد رغّب القرآن الكريم المسلمين بالشورى وامر المستشار ان يقدم نصيحته بامانة واخلاص، وامر كل ذي مسؤولية الا ينفرد بالرأي والحكم وان يرجع الى اصحاب الخبرة والدراية في كل شأن. قال تعالى: "وشاورهم في الامر" (١٩٣) وقال تعالى في صفة عباده المؤمنين "وامرهم شورى بينهم" (١٩٤).

ويظهر دور الشورى في مشاريع التنمية الاقتصادية بسد الثغرات في الدراسات الاقتصادية الخاصة بالاستثمارات حين تسلط عليها الاضواء من اصحاب الخبرة، وبدراسة الجدوى الاقتصادية لهذه المشروعات، وبما توجده من تعاون بين الاجهزة الاقتصادية الرسمية وبين اصحاب رؤوس الاموال الخاصة حين تباح لهم ان يطلعوا على المشروعات الاقتصادية التي ترغب الدولة باقامتها، وينقددهاا، ويسعوا في تدارك اخطائها، ثم يتعاونوا على اقامتها ووضع خبرتهم في انجاحها، بعد ان يقتنعوا بها ثمرة طيبة للشورى والنصيحة الخالصة بين الحكومة واصحاب الخبرة ورؤوس المال.

واذا كان من واجب الحكومة اجراء الدراسة الكافية للمشروعات الانتاجية والتنموية، وعرضها على اصحاب الرأي والخبرة للانتفاع بارائهم في تلاشي الاخطاء، وسد الفجوات وتشجيع اصحاب رؤوس المال على استثمار اموالهم في هذه المشروعات،

فان التربية الاسلامية تنشىء المسلم على خلق الاخلاص والنصيحة والشورى، فعلى المسلم صاحب الخبرة ان يقدم نصيحته خالصة لمن استشاره والرسول صلى الله عليه وسلم يقول "المستشار مؤتمن". "والدين النصيحة".

وعلى اصحاب رؤوس المال ان يتخلوا عن انانيتهم حين تصطدم مصلحتهم القريبة بتشغيل رأس المال، بالمصلحة العامة والتي تقتضي اقامة صناعات كبرى، ومشاريع تخدم اقتصاد البلد ومصلحة الامة على المدى البعيد، بينما ينظر اصحاب رؤوس المال احيانا الى الربح السريع القريب.

وهنا تظهر عقيدة الاخلاص والعمل لله، ايثار جانب الامة ومصلحتها العامة على جانب النفس والمصلحة الخاصة حين يغلب حب الله كل حب، ومصلحة المسلمين العامة كل مصلحة.

١٢.رعاية الوقت

عظم الله نعمة الوقت على الانسان ليرعاه حق رعايته، ولا يضيع شيئا منه هدرا، ويتحسن الانتفاع به من الاعمال الصالحة.

قال تعالى: "وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار، واتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها" (١٩٥). وقال تعالى: "وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا" (١٩٦). ولفت القرآن الكريم الانظار الى اهمية الوقت، فاقسم الله تعالى في مطالع سور كثيرة في القرآن الكريم باجزاء معينة منه قال تعالى: "والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى"، "والضحى والليل اذا سجى"، "والفجر وليال عشر" "والعصر ان الانسان لفي خسر". والمعروف عند المفسرين، ان الله يُقْسم بشيء من خَلْقه تنبيها لاهميته وتذكيرا بعظيم نفعه وفضل الله عليهم به. ونبه القرآن الكريم المسلم الي وظيفة الليل والنهار في حياته قال تعالى "وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا" (١٩٧).

واقام القرآن الحجة على الذين ضيعوا فرصة العمر الوحيدة، ولم يحسنوا فيها عملا صالحاً ولا توبة مقبولة "اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر، وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير" (١٩٨). قال في الكشاف "وهو متناول لكل عُمْر تمكن فيه المكلف من اصلاح شأنه وان قصّر، الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم" (١٩٩). قال ابن كثير: "اي اوَ ما عشتم في الدنيا أعمارا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لأنتفعتم به في مدة عمركم" (٢٠٠) وفي السُنة النبوية تأكيد لاهمية الوقت وحسن الانتفاع به. عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع خصال: عن عمره فيم افناه، وعن شبابه فيم ابلاه، وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن علمه ماذا عمل به" (٢٠٢).

وفي هذه الاسئلة الاربعة يوم القيامة سؤالان عن الوقت، وعن فترة الشباب منه باعتبارها من القوة والعطاء والعزيمة. وبيَّن النبي صلى الله عليه وسلم ان نعمة الصحة والوقت يغبن فيها كثير من الناس ويخسرون حين لا يحسنون السير فيهما الى الله تعالى بصالح الاعمال.

قال صلى الله عليه وسلم "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ" (٢٠٣). واذا كانت العبادة خير ما يربح فيه المسلم وقته فان اعمار الارض بالعلم وطلبه ونشره، والاعمال الصالحة النافعة للناس ومنها الزراعة والصناعة وسائر الحرف والمهن والاعمال التي يعود نفعها على الفرد والجماعة، تعتبر عبادة وطاعة لله اذا نوى فيها صاحبها وجه الله واداها كما امر الله والتزم فيها حكم الله واوامر الاسلام. ويملأ التوجيه النبوي قلب المسلم بقوة دافعة ليستغل وقته بصالح العمل وهو يعلمه انه مع طلوع كل شمس على كل مفصل من انامله صدقة، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس" قال: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها او ترفع له عليها متاعه صدقة"، قال: "والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة، وتميط الاذى عن الطريق صدقة" (٢٠٤).

نظرة المسلم للوقت

ينظر المسلم الى الوقت الذي مضى للاعتبار باحداثه والانتفاع بدروسه والله يقول له "فاعتبروا يا اولي الابصار" (٢٠٤). "افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها، او آذان يسمعون بها، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" (٢٠٥). ثم يحاسب نفسه على يومه الذي مضى ماذا قدم به من خير كان يمكن ان يزيده، او شرٍ كان ينبغي ان يجتنبه، ويوجه القرآن الكريم المسلم لهذه المحاسبة النافعة "لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة "وقد ورد في تفسيرها عن الحسن البصري: "ان المؤمن والله ما نراه الا يلوم نفسه: ما اردت بكلمتي؟، ما اردت بحديث نفسي؟، وان الفاجر يمضي قدما ما يعاتب نفسه" (٢٠٦).

ويقول امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا اعمالكم قبل ان توزن عليكم" وكان رضي الله عنه يضرب قدميه بالدرة اذا جن الليل ويقول لنفسه: ماذا عملت اليوم؟! ويقول التابعي الجليل ميمون بن مهران: التقي اشد حسابا لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح. ويقول الحسن "المؤمن قوام على نفسه، يحاسبها لله. وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا، وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة. ثم فسر المحاسبة فقال: ان المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول: والله انك لتعجبني، وانك من حاجتي، ولكن هيهات حيل بيني وبينك! وهذا حساب قبيل العمل ثم قال: ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول: ماذا اردت بهذا؟ والله لا اعذر بهذا والله لا اعود لهذا ابدا، ان شاء الله، هذا حساب بعد العمل (٢٠٧).

ويوجه القرآن المسلم للنظرة الجادة للمستقبل وحسن الاعداد له. قال تعالى: "يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد" (٢٠٨).

وفي الحديث:" ان العبد بين مخافتين: بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن

دنياه لاخرته، ومن الشبيبة قبل الهرم فواالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار" (٢٠٩). وفي هذا الحديث لفتات رائعة لتدارك التقصير في الماضي والخوف منه، وسد الثغرات في المستقبل التي يخشى منها بحسن الاعداد له. وذلك عن طريق الانتفاع بالحاضر واغتنام الفرصة من شباب وصحة التي يخشى منها بحسن الاعداد له، وذلك عن طريق الانتفاع بالحاضر واغتنام الفرصة من شباب وصحة وغنى وقوة. وهذا ما نبه اليه الحديث الصحيح "نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ".

والاصل في الغبن ان يكون في البيع والشراء والتجارة، وهنا "شبة المكلف بالتاجر، والصحة والفراغ برأس المال، لكونهما من اسباب الارباح، ومقدمات النجاح، فمن عامل الله بامتثال اوامره ربح، ومن عامل الشيطان باتباعه ضيع رأس ماله" (٢١٠).

وقد حاول العلامة المنارى التوفيق بين شرحه لهذا الحديث، حين اعتبر الفراغ الخلو من الشواغل الدينوية المانعة للعبد من الاشتغال بالامور الاخروية، فقال: فلا ينافي-أى هذا الحديث-الحديث المار: ان الله يحب العبد المحترف"، لانه في حرفته لا تمنع القيام بالطاعات" (٢١١).

ولنا ان نقول ان المهنة وسائر الاعمال النافعة للامة الاسلامية اذا نوى بها صاحبها وجه الله تكون من الطاعات المثاب عليها. وان الفراغ المذموم هو الذي يخلو من عمل نافع في طاعة الله يعمر به صاحبه دنياه وآخرته.

وفي القرآن الكريم دعوة متكررة للمسارعة في اعمال الخير: وقد اثنى الله على طائفة من عباده الصالحين بانهم كانوا يسارعون في الخيرات، قال تعالى "يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين" (٢١٢). وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالمسارعة الى العمل قبل حلول العوائق والفتن، ويقول "هل تنتظرون الا الدجال او غنى مطغيا، او فقرا منسيا، او مرضا مفسدا، او هرما مفندا، او موتا مجهزا، او الدجال، فشر غائب ينتظر، او الساعة

فالساعة ادهى وأمر" (٢١٣). وقال: "من خاف ادلج، ومن ادلج بلغ المنزل، الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة" وهذا مثل ضربة الله لمن خشي الاخرة وأعد لها عدتها بالمسارعة الى الطاعة شأن من يخشى عدوا ان يدركه فيبادر الى السير بالليل حتى يصل الى غايته آمنا مطمئنا" (٢١٤) "وفي الصباح يحمد القوم السرى" وهكذا يعبىء التوجيه الاسلامي قوى المسلم للانتفاع بالوقت وعدم هدره ليكون علما نافعا وعملا صالحا ينمو فيه الانسان والمجتمع، وتسعد فيه الامة، وتصلح معه الحياة.

دور عقيدة التوحيد في مواجهة معوقات التنمية

ويبرز هذا الدور حين نرى كيف واجه الاسلام اسباب الهدر الاقتصادي في مجتمع الجاهلية والمحافظة على الثروتين الزراعية والحيوانية من اسباب الهدر التي كانت تتعرض لها تحت سلطان العقائد الوثنية الجاهلية واستغلال الكهنة.

وقد تناولت سورة الانعام التي نزلت في السنة الرابعة او الخامسة للبعثة النبوية وكان موضوعها بيان اصول العقيدة الاسلامية ورد شبهات المشركين وعقائدهم الباطلة، تناولت هذه السورة موضوع الاهدار الاقتصادي الذي كان احد ثمرات العقائد الوثنية، وانكرت على المشركين عقائدهم الضالة في قتل الاولاد وفي تقسيم الانعام والزرع، واضاعة هاتين الثروتين الاساسيتين، واهدارهما لمصلحة فئة خاصة في المجتمع، هي فئة الكهان، وخدمة الاصنام، وحرمان الفقير والمسكين من هذه الاموال.

قال تعالى: "وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم، ساء ما يحكمون. وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم، ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون. وقالوا هذه انعام وحرث حِجْر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها، وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه، سيجزيهم بما كانوا يفترون. وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا، وان يكن ميتة فهم فيه شركاء، سيجزيهم

وصفهم، انه حكيم عليم. قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله، قد ضلوا وما كانوا مهتدين. وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أُكُلهُ والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه، كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده، ولا تسرفوا، انه لا يحب المسرفين. ومن الانعام حمولة وفرشا، كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان، انه لكم عدو مبين" (٢١٥).

ان دراسة هذه الايات الكريمة في ضوء واقع المجتمع الجاهلي قبل الاسلام، والتعرف على عادات المشركين في الانعام والزرع، وكيف كانوا يهدرون هذه الثروة اذا كانوا يقسمون زروعهم قسمين: قسما يجعلونه لله ويعطونه للفقير والمسكين، وقسما يجعلونه لآلهتهم ليكون لسدنتها وخدمتها، واذا جاء القسم الذي خصصوه لله خصبا ناميا، والقسم الذي خصصوه لاصنامهم مجدبا قاحلا، حولوا القسم الذي لله الى آلهتهم بحجة ان الله غني وليس بحاجة، واما اذا كان العكس فلا يحولونه.

وكذلك كانوا يهدرون الثروة الحيوانية، ويخصصون قسما كبيرا منها لآلهتهم وقد حرّم الله هذه العادات بقوله "ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب، واكثرهم لا يعقلون" (٢١٦). وفي ظل الفقر والجوع وقتل الاولاد خشية املاق، كنت ترى قطعان الانعام المعلمة بعلامات خاصة انها ملك لخدمة الاصنام، لا يجرؤ احد ان ينتفع بحلبها او ركبها او ذبحها.

ويلاحظ من خلال دراسة هذه الايات ما يلي:

بعد ان انكر القرآن الكريم على المشركين هدر هاتين الثروتين الحوانية والزراعية، نبّه الى كنوز الارض الزراعية وحسن استخراجها بهذا الاسلوب المشوق: "وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات، والنخل والزرع مختلفا اكله، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه، كلوا من ثمرهِ اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده، ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين" (٢١٧).

وقد نبّه القرآن الكريم من خلال ذلك، الى قيم ايمانية من شانها ان تساعد في الانتفاع بالثروة وعدم هدرها وهي:

- كلوا من ثمره اذا أثمر.
- وآتوا حقه يوم حصاده.
- ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين.

فالانتفاع بالثمر حين يثمر واباحة طيبات الارض، ورعاية حق الفقراء في المجتمع، والذي يفضي الى وحدة المجتمع وتعاونه ومحبته، وعدم الاسراف الذي يحفظ الثروة من الهدر والضياع، كلها قيم ايمانية تذكر في هذا الموطن باعتبارها من ثمرات التربية القرآنية التي تصلنا باسلوب القرآن الكريم، في الهداية والتربية والتوجيه.

وقد نبه القرآن الكريم الى هدف التنمية وغايتها، وهو الانسان، وربط بين الذين يهدرون اموالهم وزروعهم، ويقتلون اولادهم في قوله تعالى: "قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله، قد ضلوا وما كانوا مهتدين" (٢١٨).

ان القاعدة التي تلتقي عليها احكام الاسلام في التحليل والتحريم هي قوله تعالى: "يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا، ان الله لا يحب المعتدين. وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون" (٢١٩). وقد بين الفقهاء مسترشدين بقوله تعالى (يسألونك عن الخمر والمَيْسِرْ قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما" (٢٢٠)، ان ما غلب شره على خيره، وضرره على نفعه فهو حرام. وحين التأمل بهذه القاعدة نجد ان رفع الحظر والحرمة عن الذبائح والمطعومات والطيبات التي كانوا يحرمونها على انفسهم قبل الاسلام، في حقيقته عملية تنموية تستهدف رحمة الانسان وانقاذه من هدر الثروة وضياعها، وتدعو للانتفاع بها، ويسمي القرآن الكريم ما احله طيبات، ويسمى ما حرمه خبائث.

ونلاحظ هنا ايضا كيف يربط القرآن هذه الاحكام بالعقيدة، الحارس الاول لرعاية هذه الاحكام، في نفوس الافراد وواقع المجتمع من خلال النقاط التالية:

- بدأت الاية بالخطاب مستثيرة صفة الايمان: "يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم".
- كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا.
- واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون.

فلا ينبغي للمؤمن ان يحرم طيبات ما احل الله له. وفي قوله تعالى: (لكم) نلاحظ تكريم الله للانسان، ورعايته له، ودعوته لينتفع بما خلق الله، ورزق الله وخلق من اجله، كما نلاحظ كيف ترافق هذه الدعوة للانتفاع بالطيبات الدعوة للتقوى حتى لا يطغى الانسان، وتكون الطيبات بين يديه وسيلة لا غاية، وخادما لا مخدوما، قال تعالى: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين" [٢٢١].

هوامش البحث

(١) طه/١٢٣.

(٢) الاسراء/٣٦.

(٣) الانعام/١٢/

(٤) الانعام/ ١٤٠، يونس/ ٤٥.

(٥) عبد الرحمن يسرى احمد، دراسات في التنمية الاقتصادية (معهد البحوث والدراسات العربية)، القاهرة، ١٩٧٣، ص٧٧ - ٧٩.

(٦) رواه ــــــ/عن جابر/فيض القدير للمناوي ٣/ ٤٨١.

(٧) رواه البخاري ١١/ ٢٣١د ٢٣٢ في الرقاق، باب الغنى غنى النفس.

(٨) الانعام/٦.

(٩) سبأ/ ١٥ - ١٧.

(١٠) الحجر/ ٨٠ - ٨٤.

(١١) سبأ/ ١٨ - ١٩.

(١٢) الانعام/٤٢ - ٤٥.

(١٣) الاعراف/٩٤ - ٩٦.

(١٤) الكشاف ٢/ ١٣٢.

(١٥) الاعراف/٩٦.

(١٦) النحل/٩٦، ٩٧.

(١٧) الاية ١١٢ من سورة النحل.

(١٨) الايات ١١-١٤ من سورة الفجر

(١٩) مريم/٧٧.

(٢٠) الهمزة ٣/١.

(٢١) الاية ١٠ - ١٦ من سورة القلم.

(٢٢) الاية ١٦ من سورة الاسراء.

(٢٣) المرجع السابق.

(٢٤) الآية ٥٨ من سورة الاعراف

(٢٥) الاية ٥٨ من سورة الاعراف.

(٢٦) الطبري ١٢/٤٩٦.

(٢٧) سيرة ابن هشام.

(٢٨) سيرة ابن هشام.

(٢٩) القصص/٧٧.

(٣٠) اتبعت بتبويب هذا البحث وعناوينه بالبحث القيم: "الاولويات الاساسية في المنهج الاسلامي للتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي للاستاذ الدكتور عبد الرحمن يسرى آحمد محمد، طبع ونشر المركز العالمي لابحاث الاقتصاد الاسلامي/جامعة الملك عبد العزيز-جدة، سلسلة المطبوعات بالعربية رقم (٩) رمضان/ ١٤٠٢هـ/حزيران/١٩٨٢م.

(٣١) النساء/٣٦.

(٣٢) الحجرات/١٢.

(٣٣) الحجرات/١١.

(٣٤) الحجرات/١٠

(٣٥) المائدة/٢.

(٣٦) اذكر هنا بشركة المضاربة التي تنتشر في العالم الاسلامي ويلتقي فيها رأس المال بالعمل عن طريق جهد مشترك بين العامل وصاحب رأس المال: هذا يقدم عمله وهذا يقدم ماله. وان خسرت الشركة وقعت الخسارة على راس المال، وان ربحت كان الربح بين الطرفين على نسبة معينة، ولا يجمع على العامل على خسارة عمل ورأس ماله كما يقع في النظام الرأسمالي الظالم بتجمع الارباح الصافية لدى البنوك واصحاب رؤوس الاموال.

(٣٧) نشرة التقييس ص٢، تصدرها المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس آذار / ١٩٨٠ من كلمة الامين العام للمنظمة الدكتور محمد ظافر الصواف التي ألقاها في مؤتمر التنمية الصناعية الخامس الذي انعقد في الجزائر ١٩ - ١٢/١١/١٩٧٩م.

(٣٨) الآيات ١-٨ من سورة العلق.

(٣٩) الآيات ٦-٨ من سورة العلق.

(٤٠) الاية ٢ -٤ من سورة الجمعة.

(٤١) الاية ٩ من سورة الزمر.

(٤٢) الاية ١١٠ من سورة المجادلة.

(٤٣) روت اصول كتب الحديث كصحيح البخاري ومسلم وسنن ابي داود والترمذي وابن ماجه أبوابا خاصة للعلم وفضله.

(٤٤) انظر جامع اصول الحديث لابن الاثير.

(٤٥) الاية ٣٦ من سورة الاسراء.

(٤٦) الكشاف/٦٦٦.

(٤٧) الاية ١٠١ من سورة يونس.

(٤٨) الغاشية/١٧ - ١٩.

(٤٩) انظر كتاب تاريخ الحضارة العربية للدكتور ناجي معروف. وكتاب حضارة العرب.

(٥٠) الاسراء/٧٠.

(٥١) الكشاف ٢/٦٨٠.

(٥٢) اخرجه البخاري ٣/٢٥٦ في الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة.

(٥٣) اخرجه البخاري ٣/٢٦٨ باب من سأل الناس تكثرا، ومسلم رقم ١٠٤٠ في الزكاة والنسائي ٥/٩٤ في الزكاة باب المسألة.

(٥٤) رواة البخاري ٣/٢٦٥ ومسلم رقم ١٠٤٢ والموطأ ٢,٩٩٨ والترمذي رقم ٦٨٠ والنسائي ٥/٩٦.

(٥٥) اخرجه البخاري ٤/٢٥٩ في البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده.

(٥٦) التوبة/١٠٥.

(٥٧) رواه الطبراني.

(٥٨) الجمعة.

(٥٩) تبارك/١ - ٥.

(٦٠) تفسير ابن كثير/٤.

(٦١) تبارك/١٥.

(٦٢) نظام الاسلام/الاقتصاد/الاستاذ محمد المبارك.

(٦٣) المؤمنون/٢٧.

(٦٤) الاسراء/٦٦.

(٦٥) سبأ/١٠.

(٦٦) الحديد/٢٥.

(٦٧) النحل/٨٠ و ٨١.

(٦٨) النور/٣٧.

(٦٩) الانعام/٩٩.

(٧٠) الانعام/١٤١.

(٧١) الانعام/١٤٥

(٧٢) الكشاف/٢/٧٣.

(٧٣) رواه البخاري ٢/٥ في الحرث والمزارعة ومسلم رقم ١٥٥٣ في المساقاة، والترمذي رقم ١٣٨٢ في الاحكام باب ما جاء في فضل الغرس. وانظر جامع الاصول في احاديث الرسول لابن الاثير ٥٧٧/٩ - ٥٧٨.

(٧٤) اخرجه البخاري ٤١٦/٥ - ٤١٨ في المزارعة، باب من احيا ارضا مواتا.

(٧٥) اخرجه الموطأ ٧٤٣/٢ في الاقضية، باب القضاء في عمارة الموات والترمذي رقم (١٣٧٨) في الاحكام، وابو داود ١٥٨/٢ و ١٥٩ في الخراج والغرس.

(٧٧) عبد الرحمن يسري احمد محمد، الاولويات الانسانية، ص١٣ وقد مر ذكره.

(٧٨) عبد الرحمن يسرى احمد محمد، الاولويات الاساسية في المنهج الاسلامي للتنمية الاقتصادية ص١٣، المركز العالمي لابحاث الاقتصاد الاسلامي، سلسلة المطبوعات العربية (٩) حزيران ١٩٨٢م.

(٧٩) البقرة ١٦٥.

(٨٠) التوبة ٢٤.

(٨١) رواه مسلم رقم ٥٥ في الايمان وابو داود رقم ٤٩٤٤ في الادب النسائي ١٥٦/٧.

(٨٢) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

(٨٣) رواه مسلم تحت رقم (٤٩) في الايمان، والترمذي رقم (٢١٧٣) في الفتن/ابو داود رقم (٤٠).

(٨٤) القصص/٢٣.

(٨٥) الترغيب والترحيب للحافظ المنذري، جـ ٣، ص١٧٩.

(٨٦) رواة البخاري ومسلم، فيض القدير/رقم ٨٠٦٤ حـ ٤٨٨/٥.

(٨٧) الترغيب والترهيب للحافظ المنذري.

(٨٨) المائدة/٢٤.

(٨٩) سيرة ابن هشام.

(٩٠) رواه احمد والشيخان وابو داود الترمذي انظر نص القدير رقم ٦٣٧٠ حـ٣٨/٦

(٩١) الآية ٧٩ من سورة المائدة.

(٩٢) الآية ١٦٥ من سورة الاعراف.

(٩٣) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

(٩٤) القصص/٧٧.

(٩٥) الكشاف ٤٣/٣.

(٩٦) الاوليات في المنهج اسلامي للتنمية القتصادية، يسرى عبد الرحمن وقد مر ذكره نقلا عن Roll'E" A History of Economic Thought" Faber and Faber Ltd., London, 1973, pp 447, 448

(٩٧) الآيتان ٥٦، ٥٧ من سورة الذاريات.

(٩٨) المرجع السابق.

(٩٩) الآيتان ٧.٨ من سورة الزلزلة.

(١٠٠) نهاية المحتاج ٢٥٤/٦ وروضة الطالبين ٨٢/٧ ومنهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ٣٢٢، وحاشية ابن عابدين ٣٢٢/٢، و ٢٩٧/٥، وحاشية قليوبي ٢٣٦/٣.

(١٠١) حاشية ابن عابدين ٣٢٢/٥.

(١٠٢) منهاج اليقين شرح ادب الدنيا والدين/ ٣٧٠.

(١٠٣) المبسوط ٢٥٩/٣٠، وابن عابدين ٢٩٧/٥، والفتاوى الهندية ٣٤٩/٥ ومنهاج اليقين ٣٦٦، والاداب الشرعية ٣٠٧/٣.

(١٠٤) عبد الرحمن يسرى احمد، مساهمة ابن خلدون في الفكر الاقتصادي/٥٩ - ٦٢.

(١٠٥) اخرجه ابن ماجة في التجارات، ورمز له السيوطي بأنه حسن.

(١٠٦) كنز العمال رقم/٩٨٦٥ عن ابن ابي شيبة.

(١٠٧) الاداب الشرعية ٣٠٥/٢.

(١٠٨) الاشارة الى محاسن التجارة للمقدسي.

(١٠٩) الاولويات في المنهج الاسلامي للتنمية،د. عبد الرحمن يسرى، وقد سبق ذكره.

(١١٠) سورة هود/٦١.

(١١١) فيض القدير جـ ٢، ص ٢٩٠، ٢٩١.

(١١٢) الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي/٢٧، مؤسسة الرسالة ١٩٨٤م، ط١.

(١١٣) سنن ابي داود في البيوع، باب النهي عن العينة.

(١١٤) رواه البخاري باب ما يحذر من عواقب الاشغال بآلة الزرع وأنظر المبسوط ٢٥٩/٣٠ وابن عابدين ٢٩٧/٥ والفتاوى الهندية ٣٤٩/٥.

(١١٥) وفاء الوفاء للسمهودى/ وعالم الاسلام للدكتور حسين نونس.

(١١٦) الاسراء/٣٥.

(١١٧) المطففين/١ -٥.

(١١٨) محمد ظافر الصواف٦/ نشرة التقييس التي تصدرها الأمابة العامة للمنظمة العربية ص٢.

(١١٩) انظر كتااب الحسبة للامام ابن تيمية.

(١٢٠) الايات، ١٠ - ١٢ من سورة نوح.

(١٢١) الاولويات الاساسية في المنهج الاسلامي للتنمية الاقتصادية، د. عبد الرحمن يسرى/١٠ وقد مر ذكره.

(١٢٢) مختصر منهاج القاصدين واحياء علوم الدين/باب التوبة.

(١٢٣) عبد الرحمن يسرى احمد، الاولويات في المنهج الاسلامي في التنمية ص ١١ نقلا عن:
Boeke, J. K, Ecomomics and Economic poliogog Dubl Socicties, New York 1953 نشر جامعة الملك عبد العزيز، المركز العالمي لابحاث الاقتصاد الاسلامي، حزيران ١٩٨٢، سلسلة المطبوعات رقم(٩).

(١٢٤) مشكلات الحضارة الغربية لسيد قطب، والحجاب للمودودي، دار الفكر الاسلامي ط ١٩٥٩/٨١-١٤٠.

(١٢٥) لقمان/١٨.

(١٢٦) التكاثر/١-٥

(١٢٧) آل عمران/١٤.

(١٢٨) الكشاف ٣٤٢/١.

(١٢٩) آل عمران، الآيتان١٦ ,١٧.

(١٣٠) القصص/٧٦- ٧٨.

(١٣١) الكهف/٣٢-٣٥ وانظر بقية القصة والايات من ٣٢ -٤٤ الكهف.

(١٣٢) الكشاف ٧٢/٢.

(١٣٣) الكشاف ٧٢٢/٢.

(١٣٤) الكهف/٤٢.

(١٣٥) الاسراء/ ١٨-٢١.

(١٣٦) الاسراء/٢٩

(١٣٧) الفرقان/٦٧

(١٣٨) التوبة/٣٤.

(١٣٩) الاعراف/٣١.

(١٤٠) رواه البخاري ومسلم.

(١٤١) رواه الترمذي/فيض القدير للمناوى ٦/رقم ٩٩٩.

(١٤٢) فيض القدير ٤٥٦/٦ شرح الجامع الصغير ومحمد عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الثانية، دار المعرفة لبنان، ١٩٧٢.

(١٤٣) رواه البخاري ١١/٢٣١ و ٢٣٢ ومسلم رقم ١٠٥٠١ والترمذي رقم ٢٣٧٤.

(١٤٤) رواه مسلم رقم ١٠٥٤ في الزكاة والترمذي رقم ٢٣٤٩.

(١٤٥) الفجر، ٢٧-٣٠.

(١٤٦) اخرجه الترمذي رقم ٢٣٤٧ باب رقم ٣٤ والبخاري في الادب المفر لكم ٣٠٠.
وابن ماجة رقم ٤١٤١ في الزهد باب القناعة.

(١٤٧) الآية ٧٧ من سورة القصص

(١٤٨) رواه مسلم.

(١٤٩)

(١٥٠) رواه مسلم.

(١٥١) مختصر منهاج القاصدين/٢٠٢.

(١٥٢) حديث شريف.

(١٥٣) المرجع السابق/٢٠٣.

(١٥٤) رواه البخاري ١١/٢٣١ و ٢٣٢ في الرقاق، باب الغنى غنى النفس. ومسلم رقم ١٠٥١ في الزكاة، والترمذي رقم ٢٣٧٤.

(١٥٥) رواه مسلم رقم ١٠٣٦ والترمذي رقم ٢٣٤٤ باب رقم ٣٢.

(١٥٦) رواه مسلم رقم ١٠٥٤ في الزكاة، باب في الكفاف والقناعة والترمذي رقم ٢٣٤٩، في الزهد باب ما جاء في الكفاف.

(١٥٧) رواه مسلم رقم ١٠٣٦ في الزكاة والترمذي رقم ٢٣٤٤ في الزهد رقم ٣٢.

(١٥٨) رواه مسلم. رواه البخاري ١١/٢٧٦، ومسلم رقم ٢٩٦٣ في الزهد في فاتحته.

(١٥٩) البقرة/٢٦١.

(١٦٠) التوبة/١٦١.

(١٦١) الآية ٣٨ من سورة محمد.

(١٦٢) الانفال/٢٨.

(١٦٣) مختصر منهاج القاصدين/٢٠٤.

(١٦٤) الانفال/٣٦.

(١٦٥) السجدة/٣٤.

(١٦٦) النحل/٩٦.

(١٦٧) الزمر/١٠.

(١٦٨) رواه البخاري.

(١٦٩) يراجع كتاب الصبر والشكر في كتاب منهاج القاصدين لابن قدامة الحنبلي.

(١٧٠) الآية ٢٢ من سورة الرعد.

(١٧١) الرعد ١٩ - ٢٤.

(١٧٢) الرعد /٢٥.

(١٧٣) الرعد/٢٦.

(١٧٤) انظر الكشاف ٥٢٨/٢.

(١٧٥) انظر في تفسيرها ابن كثير ٥١١/٢ - وانظر الكشاف ٥٢٧/٢، و ٥٢٨.

(١٧٦) الآيتان ٥٥، ٥٦ من سورة المؤمنون.

(١٧٧) الآية ٩ من سورة المنافقون.

(١٧٨) الآية ٢٨ من سورة الانفال.

(١٧٩) الآية ٩ من سورة التباين.

(١٨٠) الآية ٧ من سورة الكهف

(١٨١) الآية ٧ من سورة الحديد.

(١٨٢) انظر الاية ٧٥ و ٢٧٦/ البقرة.

(١٨٣) انظر ما رواة مسلم رقم ١٦٠٥ في المساقاة باب تحريم الاحتكار في الاقوات.

(١٨٤) ابراهيم/٧.

(١٨٥) مختصر منهاج القاصدين/ احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، المكتب الاسلامي، دمشق، ط٣، ١٣٨٩هـ، ٢٨٦ - ٢٩١.

(١٨٦) مختصر منهاج القاصدين/الامام احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي المتوفى عام ٧٤٢هـ الطبعة الثالثة، ص٣٨٩، منشورات المكتب الاسلامي دمشق.

(١٨٧) سورة الذاريات، الاية: ٥٦.

(١٨٨) سورة التوبة، الاية: ٣٤.

(١٨٩) اخرجه البخاري ٤/ ٥٠، في الزكاة باب على كل مسلم صدقة، و ١٠/٣٧٤ و ٣٧٥ في باب كل معروف صدقة، واخرجه مسلم رقم (١٠٠٩) في الزكاة.

(١٩٠) اخرجه البخاري ٥/٢٢٦ في لاصلح و ٥/٦٣ ، ٩٢ في الجهاد باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر، واخرجه مسلم رقم (١٠٠٩) في الزكاة.

(١٩١) قال الكرمان في تفسير "تعدل بين الاثنين صدقة "يصلح بينهما بالعدل والجملة في تأويل المصدر مبتدأ خبره صدقة.

(١٩٢) الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي/١٣، مؤسسة الرسالة ١٩٨٤ الصفحة الاولى.

(١٩٣) الآية ٥٩ من سورة آل عمران.

(١٩٤) الآية ٣٨ من سورة الشورى.

(١٩٥) ابراهيم/٣٣، ٣٤.

(١٩٦) الفرقان/٦٢.

(١٩٧) عم، الآيتان ١٠-١١.

(١٩٨) فاطر/٣٧.

(١٩٩) الكشاف/٣/٦١٥.

(٢٠٠) ابن كثير ٣/٥٥٨.

(٢٠١) رواه البزار والطبراني باسناد صحيح واللفظ له.

(٢٠٢) رواه البخاري.

(٢٠٣) رواه البخاري ٥/٢٢٦ في باب الاصلاح بين الناس واخرجه مسلم رقم (١٠٠٩) في الزكاة.

(٢٠٤) الحشر/٢.

(٢٠٥) الحج/٤٦.

(٢٠٦) ابن كثير ٤/٤٤٧ و ٤٤٨.

(٢٠٧) الوقت في حياة المسلم/يوسف القرضاوي/٤٨ موسسة الرسالة ط١ ١٩٨٤.

(٢٠٨) الحشر/١٨.

(٢٠٩) حديث شريف.

(٢١٠) فيض القدير، شرح الجامع الصغير للعلامة المناوى ٦/٢٨٨.

(٢١١) فيض القدير للمناوى ٦/٢٨٨.

(٢١٢) آل عمران/١١٤.

(٢١٣) رواه الترمذي رقم (٢٣٠٧) في الزهد باب ما جاء في المبادرة بالعمل.

(٢١٤) فيض القدير ٦/١٢٣.

(٢١٥) الانعام/١٣٦ - ١٤٢.

(٢١٦) المائدة/١٠٣.

* البحيرة: الناقة التي تلد خمس بمرات آخرها ذكر يبحرون اى يشقون اذنها بعد الخامسة ويتركونها هبة للاقسام فلا تركب، ولا تحلب ولا تمنع من ماء ولا مرعى.

* السائبة: هي الناقة التي كانوا ينذرونها لآلهتهم.

* الوصيلة: كانت الشاة عندهم اذا ولدت انثى فهي لهم، وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت الانثى أخاها بها في عدم ذبحه لخدام اصنامهم.

* حام: اصلها حامي من الحماية، وهو الفحل من الابل الذي خرج من صلبه عشرة ابطن فانهم كانوا يقولون ساحمي الفحل ظهره، فلا يركب ولا يحمل عليه، ولا يمنعونه ماء ولا مرعى.

(٢١٧) سورة الانعام/١٤١.

(٢١٨) الانعام/١٤٠.

(٢١٩) المائدة ٨٧ - ٨٨.

(٢٢٠) البقرة/٢١٩.

(٢٢١) القصص/٧٧، ٢

المراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - صحيح البخاري.

٣ - صحيح مسلم.

٤ - سنن ابي داود.

٥ - سنن الترمذي.

٦ - سنن ابن ماجة.

٧ - مسند احمد بن حنبل، دار المعرفة.

٨ - الجامع لاصول الحديث لابن الاثير/طبعة دار الفكر تحقيق وتخريج عبد القادر الارناؤوط.

٩ - كنز العمال لعلي المتقي الهندي البرهانفوري، مكتبة التراث الاسلامي، الطبعة الثانية ١٩٨٣.

١٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوى/محمد، المدعو بعبد الرؤوف المناوى ١٩٧٢.

١١- فتح البارى شرح صحيح البخاري لابن حجر/تحقيق محيي الدين الخطيب.

١٢- تفسير الطبري.

١٣- تفسير ابن كثير/تفسير القرآن العظيم/اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى ٧٧٤هـ دار المعرفة بيروت لبنان - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التنزيل للامام محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٢٨هـ، الطبعة الاولى، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٣٦٥هـ، ١٩٤٦م، أدب الدنيا والدين للماوردي/

١٥- الاداب الشرعية لابن مفلح/طبعة مطبعة المنار.

١٦- حاشية ابن عابدين (رد المختار على دار المختار، لابن عابدين، طبع بولاق الاولى.
١٧- حاشية قليوبي، طبع عيسى البابي الحلبي.
١٨- روضة الطالبين للنووي - طبع المكتب الاسلامي.
١٩- الفتاوى الهندية لجماعة من العلماء، طبع دار احياء التراث العربي.
٢٠- كتب متفرقة ونشرات.
٢١- الوقت في حياة المسلم د. يوسف القرضاوي/١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة.
٢٢- الاولويات الاساسية في المنهج الاسلامي للتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي/الدكتور عبد الرحمن يسرى احمد محمد.
٢٣- المركز العالمي لابحاث الاقتصاد الاسلامي، جامعة الملك عبد العزيز/جدة سلسلة المطبوعات بالعربية: (٩) ١٤٠٢/١٩٨٢.
٢٤- الاحتراف وآثاره في الفقه الاسلامي/د. محمد رواس قلعجي، نشر المركز العالمي لابحاث الاقتصاد الاسلامي/جامعة الملك عبد العزيز/جدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٢٥- نشرة التقييس، جامعة الدول العربية.

النظام المالي في القرآن الكريم
[دراسة اجتماعية اقتصادية]

الدكتور جاسر خليل ابو صفية
كلية الآداب- قسم اللغة العربية
الجامعة الاردنية

تمهيد

لما كان المال هو الدعامة الاساسية في النظام الاقتصادي، فقد أولاه الله، سبحانه وتعالى، عناية خاصة، بأن جعله فرعا عن العقيدة التي تنظم حياة الانسان الروحية والمادية على وجه الارض.

وحتى لا يكون المال دُولة بين الاغنياء في المجتمع، أنزل الله، سبحانه، قواعد اساسية تنظم عملية توزع الثروة توزعا عادلا بين مختلف فئات الناس، ينشأ عن ذلك مجتمع نظيف ينعدم فيه التمايز الطبقي بنوعيه: الاقتصادي والاجتماعي.

ولم يقف الامر في القرآن الكريم عند هذا الحد، بل تعداه الى بيان الاثر الاجتماعي والاقتصادي الذي ينتج عن الاخلال بتطبيق هذه القواعد، مما يؤدي بالتالي الى اعاقة التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فينشأ عن ذلك مجتمع مليء بالكراهية والحقد الطبقي كما هو الحال اليوم.

وهذا البحث محاولة لدراسة الايات القرآنية التي تتعلق بتوزيع الثروة، والآيات الاخرى التي تعرض لمظاهر الاختلال في تطبيق القواعد الاساسية التي ذكرها القرآن الكريم.

وعلى هذا، فالمصدر الاول لهذه الدراسة هو القرآن الكريم، ثم كتب الحديث والتفسير، وبعض الكتب الاخرى المتعلقة بالموضوع اشير اليها في الحاشية.

قواعد توزيع الثروة

قبل ان يحدّد، سبحانه وتعالى، قواعد توزيع الثروة في المجتمع يقرر حقيقتين يجب ألاّ يعزبا عن بال المرء في دراسته للنظام المالي في القرآن.

اولاهما: ان الله هو المالك الحقيقي للمال، والناس مستخلفون فيه بالتصرف الذي يرضي الله، وبوراثته عمن قبلهم، فهم بمنزلة النواب والوكلاء [(١)] ، وذلك قوله تعالى: "آمنوا بالله ورسوله، وأنفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيه" [الحديد ٧]. وقال تعالى ايضا: "وآتوهم من مال الله الذي آتاكم". [النور ٣٣].

ثانيتهما: ان الله، سبحانه وتعالى، هو الذي يتحكم في مقدار الرزق الذي يهبه لعباده، لئلا يفسد الناس ويبغوا في الارض.

وفيما يلي عرض لأهم القواعد التي تحقق التوازن الاقتصادي والاجتماعي كما ذكرها الله تعالى:

١ - الزكاة:

لست اريد هنا ان اعرض للزكاة من منطلق فقهي، ولكنني ساتحدث عنها بوصفها أهم قاعدة من قواعد توزيع الثروة توزيعا عادلا في المجتمع، وهو الهدف الذي فرضت الزكاة من اجله على الاغنياء؛ فهي حق الفقراء في مال الاغنياء، وذلك قوله تعالى: "خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها" [التوبة ١٠٣]، وقوله: "وفي اموالهم حق للسائل والمحروم" [الذاريات ١٩]، وقوله: "والذين في اموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم". [المعارج ٢٤ - ٢٥].

والى هذا الحق أشار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عندما بعث معاذ بن جبل، رضي الله عنه، الى اليمن فقال له: "... فاخبرهم ان الله، عز وجل، فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم" حرصا على بقاء التوازن الاقتصادي بين الفقراء والاغنياء.

وتأتي اهمية الزكاة من كونها الفعل التطبيقي للعقيدة في الجانب الاقتصادي الاجتماعي، وذلك قوله تعالى: "والذين هم للزكاة فاعلون". [المؤمنون ٤]، وجاءت مقترنة بالصلاة- الفعل التعبدي في الاسلام- في كثير من الآيات القرآنية، منها مثلا قوله تعالى: "واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، واركعوا مع الراكعين". [البقرة ٤٣] وهذه الاهمية هي التي دفعت أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، الى قتال المرتدين الذين منعوا الزكاة. (٣)

ويلخص سيد قطب، رحمه الله، أثر الزكاة في النفس والمجتمع قائلا: "والزكاة طهارة للقلب والمال: طهارة للقلب من الشح، واستعلاء على حبّ الذات، وانتصار على وسوسة الشيطان بالفقر، وثقة بما عند الله من العوض والجزاء. وطهارة للمال تجعل ما بقي منه بعدها طيبا حلالا، لا يتعلق به حق - الا في حالات الضرورة - ولا تحوم حوله شبهة. وهي صيانة للجماعة من الخلل الذي ينشئه العوز في جانب والترف في جانب، فهي تأمين اجتماعي للافراد جميعا. وهي ضمان اجتماعي للعاجزين، وهي وقاية للجماعة كلها من التفكك والانحلال". (٤)

أما الآثار الاقتصادية للزكاة فتبدو في تشجيع الناس على استثمار اموالهم لئلا تأتي عليها الزكاة، وهذا ما يفسر قول الرسول الكريم: "اتجّروا بمال اليتيم حتى لا تأكله الزكاة" (٥) لأن عدم استثمار المال يؤدي الى كنز الاموال، وبالتالي الى الركود الاقتصادي.

كما ان عملية اعادة توزيع الثروة، المتمثلة هنا في الزكاة، من شأنها ان تقلل من حدة التفاوت في الدخول، وهو اجراء له تأثيره الكبير في علاج البطالة، وزيادة الانتاج،

وزيادة فرص العمل لقطاع كبير من الناس. [٧] ولعل القاء نظرة على الآية الكريمة التي تحّدد فئات الناس الذين يستحقون الزكاة، تؤكد لنا انهم يشكلون قطاعا كبيرا من المجتمع. ولهذا لم يترك الله، سبحانه، عملية توزيع الزكاة لاجتهاد البشر حرصا منه على ان توزع الثروة بشكل متوازن. قال تعالى: "انما الصدقات للفقراء والمساكين، والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل، فريضة من الله، والله عليم حكيم". [التوبة ٦٠]

٢ - الفيء:

الحكم في الفيء أن يكون للفقراء عامة، ولكن الله تعالى جعله في غزوة بني النضير للمهاجرين خاصة، ولم يعط الانصار منه شيئا سوى رجلين منهم كانا من الفقراء. [٨] وسبب هذا الحكم الالهي في اعطاء المهاجرين دون الانصار، ان الله اراد ان يصنع لنا تشريعا يبين فيه كيفية اعادة توزيع الثروة في حال حدوث خلل اقتصادي يؤدي الى ايجاد فوارق طبقية اقتصادية متباينة بشكل حاد، وذلك قوله تعالى: "كي لا يكون دُولة بين الاغنياء منكم". والمعروف أن المهاجرين تركوا اموالهم في مكة عندما فرّوا بدينهم الى المدينة المنورة، بينما كان الانصار على درجة كبيرة من الغنى؛ ولهذا اراد الله ان يحقق التوازن الاقتصادي بين المهاجرين والانصار، وينزع من نفوس الطرفين ما قد يحدثه التمايز الطبقي من غل أو حسد، فبين لرسوله كيفية توزيع فيء بني النضير. [٩] قال تعالى "ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كي لا يكون دُولة بين الاغنياء منكم، وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله، ان الله شديد العقاب. للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله، اولئك هم الصادقون، والذين تبوّأوا الدار والايمان من قبلهم يحبّون من هاجر اليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون" [الحشر ٧ - ٩].

٣ - الانفاق في سبيل الله:

يندرج تحت الانفاق في سبيل الله كل ما يخرجه الانسان من صدقات طوعية يبغي بها وجه الله تعالى. ويشكل الانفاق، مع الزكاة، قاعدة اساسية من قواعد التكافل الاجتماعي في الاسلام.

وفي اواخر سورة البقرة نجد حديثا مفصلا عن البذل والانفاق في سبيل الله، وقواعد الصدقة والتكافل، وما يحيط بها من آداب نفسية واجتماعية تجعل من الصدقة تهذيبا للنفس، وعملا نافعا مربحا لآخذيها، وتحوّل المجتمع الى اسرة يسودها التعاون والتكافل والتواد والتراحم، وترفع البشرية الى مستوى كريم؛ المعطي فيه والآخذ على السّواء. (١٠)

ومن خلال استعراض الايات القرآنية التي تتحدث عن الانفاق يتركز الحديث حول القضايا المهمة التالية:

أ - ان الانفاق في سبيل الله زيادة ونماء للمال وليس نقصا منه، ولهذا نجد صورة مشرقة للانسان المنفق في سبيل الله، فهو كالحبة التي تنبت سبع سنابل، في كل سنبلة مئة حبة. وهي صورة تطمئن الانسان المنفق في سبيل الله الى انه سيحصل على اصناف مضاعفة لما يقدمه. قال تعالى: "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مئة حبة، والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم". [البقرة ٢٦١]

ولكي يزيد الله من اطمئنان الذين يخشون على اموالهم من الانفاق في سبيل الله، يقول لهم: "ومثلُ الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنّة بربوة أصابها وابل فآتت أُكُلها ضعفين، فان لم يصبها وابل فطلٌ والله بما تعملون بصير". [البقرة ٢٦٥]، ويقول لهم ايضا: "الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا، والله واسع عليم". [البقرة ٢٦٨] ويقول: "وما تنفقوا من خير يوفّ اليكم وانتم لا تُظلمون". [البقرة ٢٧٢].

ب - ان الانفاق في سبيل الله لا يجوز الا من المال الطّيّب، وذلك قوله تعالى: "يا ايها الذين آمنوا، انفقوا من طيبات ما كسبتم، ومما اخرجنا لكم من الارض، ولا تَيمموا الخبيث منه تنفقون، ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه، واعلموا ان الله غني حميد." [البقرة ٢٦٧].

وحول قوله تعالى: "ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون" روى النّسائي عن ابي امامة بن سهل بن حنيف، رضي الله عنه، قال: هذا الجعرور ولون حُبيق نوعان من التمر الرديء، فنهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ان تؤخذ في الصدقة الرُّذالة.(١١) وروى عوف بن مالك قال: خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبيده عصا، وقد علق رجلٌ قِنو حَشَف (نوع من التمر الرديء واليابس)، فجعل يطعن في ذلك القنو فقال "لو شاء ربُّ هذه الصدقة تصدق باطيب من هذا. ان رب هذه الصدقة يأكل حَشَفا يوم القيامة" (١٢)

جـ- عدم المن على الفقراء بالصّدقة؛ لأن المنّ يحيل الصدقة أذى للواهب وللآخذ على السّواء؛ أذى للواهب بما يُثير في نفسه من كبر وخيلاء، ورغبة في رؤية اخيه ذليلا كسيراً لديه، وبما يملأ قلبه بالنّفاق والرّياء والبعد من الله. وأذىً للآخذ بما يثير في نفسه من انكسار وانهزام، ومن رد فعل بالحقد والانتقام. (١٣) ولهذا أراد الله سبحانه من الانفاق أن يطهّر النّفس البشريّة، وينزع من نفس الغني مظهر الاستعلاء الطبقيّ، ومن نفس الفقير مظهر الذّلة والانكسار والحقد.

٤ - توزيع الميراث:

لم يترك الله، سبحانه وتعالى، عملية توزيع الميراث على الورثة للانسان يحكم فيه بهواه، بل تدخل لتوزيعه توزيعا عادلا نابعا من معرفته عز وجل، بما يستحقه كلّ وارث، تبعا لوظيفته الحياتية، ودرجة قرابته من الميت ومدى نفعه او ضّره له، وذلك قوله تعالى: "آباؤكم وآبناؤكم لا تدرون أيُّهم اقرب لكم نفعا" [النساء ١١].

وقد هدف الله، سبحانه وتعالى، من وراء ذلك الى التفتيت المستمر للثروة وتجزئتها لتعم فائدتها اكبر عدد ممكن من الورثة، فيتحقق بذلك التوازن الاقتصادي والعدل بين أعباء الذكر والانثى. وهذا التوزيع الحكيم من الله تعالى منع انحصار الثروة في ايدي فئة قليلة من الأسرة، مما يؤدي الى ضياع الحقوق، وشيوع الحقد والكراهية بين افراد الاسرة الواحدة. (١٤)

ولما كان الميراث بهذه الاهمية، فقد عده رسول الله، صلى الله عليه وسلم، نصف العلم. عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: "تعلموا الفرائض وعلموه الناس، فانه نصف العلم. وهو أول شيء ينسى، وهو أول شيء يُنتزع من امتي" (١٥) وفي حديث اخر قال: "العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فهو فضل: اية محكمة او سنة قائمة، او فريضة عادلة". (١٦)

٥ - التجارة، اقامة الوزن بالقسط:

قال تعالى: "واحل الله البيع وحرم الربا" [البقرة ٢٧٥]. والبيع باب واسع في الفقه الاسلامي، وقوام العملية التجارية، لا مجال للحديث عنه هنا، ولذا ساقصر الحديث على جانب واحد من العملية التجارية، يبدو في أعين الكثيرين صغيرا، وهو عند الله كبير ويستحق العذاب العظيم اذا ما أخلّ به الانسان، وهو اقامة الوزن بالقسط. وقد نص الله، سبحانه، على هذا الجانب في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: "واقيموا الوزن بالقسط ولا تُخسروا الميزان" [الرحمن ٩]، وقوله: "واذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون" [المطففين ٣].

ولعل أوضح مثال على ارتباط العقيدة بالنظام الاقتصادي في المجتمع قصة سيدنا شعيب، عليه السلام، في قضيتين اساسيتين هما: اقامة العقيدة في نفوس أهل مدين، وتصحيح الانحراف الاقتصادي عندهم.

وحكاية أهل مدين أنهم كانوا يقطنون منطقة حيوية تقع على الطريق الرئيسي للتجارة بين جنوب بلاد العرب وشمالها عبر مكة ويثرب، والساحل الشرقي للبحر المتوسط وخليج العقبة الى مصر. (١٧) ولما كان هذا الموقع يمكنّها من السيطرة على اهم طريق من طرق القوافل التجارية، فقد عاثت مدين في الارض فسادا، فتلاعبت بالمكيال، وكسرت الدنانير، وطفّفت الميزان، وفرضت إتاوات ظالمة على القوافل، وقطعت الطريق. ولهذا أرسل الله لهم شعيبا لعلهم يرتدعون عن هذا الانحراف الذي يقلب ميزان القوى الاقتصادية في المنطقة، ويؤدي الى الانحراف والفساد والظلم واحتكار الثروات، فينتج عن ذلك حرمان قطاع كبير من الناس من الحصول على الاحتياجات اليومية. وهذا ما يفسر العناية الخاصة التي أولاها الله، سبحانه، لهذه الظاهرة الخطيرة التي ترتب عليها اهلاك قوم شعيب بالرّجفة ويوم الُظلّة، وحذر الناس من مصيرهم إن هم تلاعبوا بالميزان والمكيال. قال تعالى: "والى مديَن أخاهم شعيبا، قال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره، ولا تَنقصوا المكيال والميزان، اني اراكم بخير، واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط. ويا قوم، أوفوا المكيال والميزان بالقسط، ولا تَبخسوا الناس اشياءهم، ولا تعثوا في الارض مفسدين. بقيّة الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظ. قالوا: يا شعيب، اصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في اموالنا ما نشاء؟ إنّك لأنت الحليم الرشيد!!" (١٨) [هود ٨٤ - ٨٧].

قال القرطبي في قوله تعالى: " ولا تنقُصوا المكيال والميزان": كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف، كانوا اذا جاءهم البائع بالطعام اخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون عليه وظلموا، وان جاءهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص، وشححوا له بغاية ما يقدرون، فأُمِروا بالايمان اقلاعاً عن الشرك، وبالوفاء نهيا عن التطفيف. (١٩)

وتجدر الاشارة هنا الى ما ذكره علماء التفسير حول مسألة المكيال والميزان، وعلة تحريم التلاعب بهما. قال اهل التفسير: "كان مما ينهاهم عنه وعذبوا لأجله، قطع الدنانير والدراهم. كانوا يقرضون من اطراف الصّحاح لتبقى لهم القراضة، وكانوا يتعاملون على الصحاح عدّا، وعلى المقروضة وزنا، وكانوا يبخسون في الوزن. وقال مالك: كانوا

يكسرون الدنانير والدراهم ..... وكسرهما ذنب عظيم ... فانها اذا كانت صحاحا قام معناها، وظهرت فائدتها، واذا كسرت صارت سلعة، وبطلت منها الفائدة، فأضرّ ذلك بالنّاس.[٢٠] ومن هنا نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، "ان تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس".[٢١]

الانحراف في النظام الاقتصادي:

تبرز مظاهر الانحراف في النظام الاقتصادي اذا لم يلتزم المجتمع، ممثلا بمؤسساته الحاكمة، بتطبيق شرع الله، بما فيه القواعد التي تحقق التوزيع العادل للثروة كما نص عليها القرآن الكريم. وابرز مظهر لهذا الانحراف تكوُّن طبقية اقتصادية اجتماعية، نتيجة لانحصار الثروة، في أيدي فئة قليلة من الناس. ومن أهمّ الظواهر التي تكوّن هذه الطبقية الاقتصادية الاجتماعية ما يلي:

١ - حبس الزكاة وعدم الانفاق في سبيل الله:

يؤدي حبس الزكاة وعدم الانفاق في سبيل الله الى هدم نظام التكافل الاجتماعي الذي يحرص الاسلام على بقائه ثابتا، لئلا تنحصر الثروة في ايدي فئة قليلة تتحكم في القطاع الأوسع من الناس، ويحرم الفقراء من حقهم في مال الله، وهو اعتداء على حق الله سبحانه وتعالى. وقد حذر الله الناس من مغبة هذا الحبس في آيات كثيرة من القرآن الكريم، يتضح من خلالها الترابط الوثيق بين العقيدة والنظام الاقتصادي الاسلامي. قال تعالى مبينا ان المال والجاه لا ينفعان صاحبهما اذا لم ينفق في سبيل الله: "ما اغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه، خذوه فغلّوه ثمَّ الجحيم صلُّوهُ، ثم في سلسلةٍ ذرعُها سبعون ذراعا فاسلكوه. انه كان لايؤمن بالله العظيم، ولا يَحُضُّ على طعام المسكين" [الحاقة ٢٨ - ٣٤] وقال تعالى: "كل نفس بما كسبت رهينة، الا اصحابَ اليمين، في جنّاتٍ يتساءلون. عن المجرمين: ما سلككم في سقر؟ قالوا لم نكُ من المصلّين ولم نكُ نطعم المسكين" [المدثر ٣٨ - ٤٤]. وقال: "واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه

رزقه فيقول: ربي اهانن. كلا، بل لا تكرمون اليتيم ولا تحآضُّونَ على طعام المسكين، وتاكلون التراث اكلا لما، وتحبون المال حبا جما" [الفجر ١٦ - ٢٠].

ولعل قصة اصحاب الجنة، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في معرض الحديث عن ابتلاء اهل مكة،(٢٢) خير مثال على العقاب الذي يحيق بكل من يحاول حرمان الفقراء والمساكين حقهم من مال الله. قال تعالى: " إِنّا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة، اذ اقسموا ليصرمنّها مصبحين. ولا يستثنون. فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فاصبحت كالصريم. فتنادوا مصبحين. ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين. فانطلقوا وهم يتخافتون. ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. وغدوا على حرد قادرين. فلما رأوها قالوا انآ لضالون، بل نحن محرومون. قال اوسطهم: الم اقل لكم لولا تسبّحون قالوا: سبحان ربنا إنا كنا ظالمين. فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون. قالوا: يا ويلنا انا كنا طاغين". [القلم ١٧ - ٣١].

ويبين الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، في الحديث التالي ما يترتب على حبس الزكاة وتطفيف الميزان من عواقب وخيمة. قال: "خمسٌ بخمس: ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشافيهم الفقر، وما ظهرت الفاحشة فيهم الا ظهر فيهم الطاعون، وما طففوا الكيل الا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة الا حبس الله عنهم المطر." (٢٣)

٢ - كنز الاموال:

وهو بعد آخر من ابعاد تكديس الثروة في ايدي فئة قليلة، وعدم انفاقها في سبيل الله. وقد حذر الله تعالى اشد التحذير من هذه الظاهرة الخطيرة اجتماعيا واقتصاديا. قال تعالى: "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم. يوم يُحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. هذا ما كنزتم لانفسكم، فذوقوا ما كنتم تكنزون". [التوبة ٣٤ - ٣٥].

وجاء تحريم كنز الاموال لانه باب من ابواب منع الزكاة والصدقات، وحبس للمال، وابعاده عن التداول، اي عن المساهمة في عملية الانتاج، وهذا بحد ذاته من المضار الاقتصادية، لان المساهمة في مشروعات انتاجية توجد فرص عمل جديدة تقضي على البطالة، وفرص العمل تؤدي الى زيادة في الدخول التي تؤدي بدورها الى زيادة القوة الشرائية، فزيادة الانتاج مما يتطلب عمالة جديدة، وهكذا يستمر تداول المال ويزدهر المجتمع اقتصاديا، وكنز المال يقف عائقاً امام هذا الازدهار. (٢٤)

ومن ابواب كنز المال جمعه والانشغال بعدّه، وعدم انفاقه في سبيل الله، وذلك قوله تعالى في صورة الهمزة: "ويل لكل همزة لمزة، الذي جمع مالا وعدده، يحسب ان ماله اخلده، كلاً لينبذن في الحطمة، وما ادراك ما الحطمة، نار الله الموقدة". [الهمزه، ١-٦]

٣ - الربا:

يصدر الله تعالى حكمه على آكل الربا بالجنون، لانه يرى في الربا عملية تجارية كالبيع، وذلك قوله تعالى: "الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، ذلك بأنّهم قالوا انما البيع مثلُ الربا، واحلّ الله البيع وحرم الربا". [البقرة: ٢٧٥] كما يصفه الله بالكفر والاثم في قوله: "يمحق الله الربا ويربي الصدقات، والله لا يحب كل كفار اثيم" [البقرة ٢٧٦]، ويتهدده بحرب من الله ورسوله ان لم ينته عن اكل الربا: "يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله، وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله." [البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩]. ولعن الرسول صلى الله عليه وسلم، آكل الربا ومؤكله. (٢٥)

وسر هذه الحملة العنيفة على الربا وآكليه ومؤكليه انّ فيه انحرافات اقتصادية واجتماعية تؤدي الى التدهور والضياع، وحرمان الفقراء من حقهم في اموال الاغنياء.

ومن اهم سيئات النظام الربوي انه ينظر الى عملية جمع المال على انها غاية بحد ذاتها لا وسيلة، فاصحابه ينطلقون في جمع المال وتكديسه دون نظر الى الوسيلة فيما اذا كانت مشروعة او غير مشروعة، فينشأ عن ذلك "نظام يسحق البشرية سحقا، ويشقيها في حياتها، افرادا وجماعات ودولا وشعوبا، لمصلحة حفنة من المرابين، ويحطها اخلاقيا ونفسيا وعصبياً، ويحدث الخلل في دورة المال ونمو الاقتصاد البشري نموا سويا، وينتهي به،ا كما انتهى في العصر الحديث، الي تركيز السلطة الحقيقية، والنفوذ العملي على البشرية كلها في ايدي زمرة من احط خَلْقِ الله، واشدهم شرا ... وترجع اليهم الحصيلة الحقيقة لجهد البشريّة كلها، وكد الادميين وعرقهم ودمائهم في صورة فوائد ربوية لم يبذلوا فيها جهدا. (٢٦)

وقد تنبه لسوء النظام الربوي وانحصار الثروة في ايدي فئة قليلة نتيجة لهذا النظام، الدكتور شاخت، مدير بنك الرايخ الالماني سابقا، فقد قال في محاضرة القاها في دمشق سنة ثلاث وخمسين وتسع مئة والف ما نصه: "انه بعملية رياضية يتضح ان جميع المال في الارض صائر الى عدد قليل جدا من المرابين، ذلك ان الدائن المرابي يربح دائما في كل عملية، بينما المدين معرض للربح والخسارة. ومن ثم فان المال كله في النهاية، لا بد ان يصير الى الذي يربح دائما، وان هذه النظرية في طريقها للتحقق الكامل، فان معظم مال الارض يملكه ملكا حقيقيا بضعة الوف، اما جميع المُلاك واصحاب المصانع الذين يستدينون من البنوك، والعمال وغيرهم، فهم ليسوا سوى اجراء يعملون لحساب اصحاب المال، ويجني ثمرة كدهم اولئك الالوف". (٢٧)

وهذا ما يفسر لنا حرص الله، سبحانه وتعالى، على الا يكون المال دولة بين الاغنياء كما ذكرت آنفا.

٤ - أكل اموال الناس بالباطل:

قال تعالى: "ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل، وتدلوا بها الى الحكام، لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون" [البقرة ١٨٨] وقال تعالى: "يا ايها

الذين آمنوا، لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراضٍ منكم" [النساء ٢٩].

ويدخل تحت اكل اموال الناس بالباطل: القمار والخداع والغصب وجحد الحقوق، وما لا تطيب به نفس مالكه، او حرمته الشريعة وان طابت به نفس مالكه، والبغي وحلوان الكاهن، واثمان الخمور والخنازير، كما يدخل تحته ايضا بيع العربان (٢٩)، فهذا لا يصح لانه من باب بيع القمار والغرر والمخاطرة، واكل المال بالباطل بغير عوض ولا هبة. (٣٠)

ومن اكل المال بالباطل ان يقضي لك القاضي وانت تعلم انّه مُبطل، فالحرام لا يصير حلالا بقضاء القاضي، لانه انما يقضي بالظاهر. ومنه ايضا اكل مال اليتيم الذي يستحق فاعله ان ياكل في بطنه ناراً قال تعالى: "ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا". [النساء ١٠]

وعلة تحريم اكل اموال الناس بالباطل انه من عوامل الاختلال في النظامين: الاقتصادي والاجتماعي، بما يشيعه في المجتمع من ظلم وكراهية وفساد وتمايز طبقي. ومما يزيد في هذا الظلم والكراهية وازدياد حدة التمايز الطبقي اقتصاديا واجتماعيا ان تؤكل حقوق الناس عن طريق الرشوة المقدمة الى الحكام. قال القرطبي في معنى قوله تعالى "وتدلوا بها الى الحكام" : "لا تصانعوا باموالكم الحكام ليقضوا لكم على اكثر منها". قال ابن عطية:" وهذا القول يترجح لان الحكام مظنّة الرشوة الا من عصم وهو الاقل". (٣٢)

ويصاحب هذه الطبقية الاقتصادية الاجتماعية في العادة استعلاء طبقي مقيت تمثل بشكل واضح في اصحاب رؤوس الاموال والتجار الذين وقفوا في وجه دعوات الانبياء بدءا بابراهيم، عليه السلام، وانتهاء بمحمد، صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى على لسان قوم نوح: " قالوا: انؤمن لك واتبعك الارذلون"؟ [الشعراء ١١١]، وقالوا له في موقف آخر: "وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي". [هود ٢٧]

وقال تعالى على لسان قوم صالح ، عليه السلام: "قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم: اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه؟ قالوا: إنا بما ارسل به مؤمنون. قال الذين استكبروا: انا بالذي آمنتم به كافرون" [الاعراف ٧٥ - ٧٦].

وقال تعالى مبينا موقف الطبقة المترفة من الرسالات السماوية: "وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا: نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين" [سبأ ٣٤ - ٣٥]

وقال ايضا: "وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا: ما هذا الا بشر مثلكم، ياكل مما تاكلون منه، ويشرب مما تشربون" (٣٣) [المؤمنون ٣٣].

وقد جعل الله، سبحانه وتعالى، هلاك الامم مقرونا بفساد الطبقة المترفة وافسادها في المجتمع، فقال: "واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها، فحق عليها القول فدمرناها تدميراً [الاسراء ١٦]. قال سيد قطب، رحمه الله، في ظلال هذه الاية "والمترفون في كل امة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم، ويجدون الراحة، فينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجون، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتلغ في الاعراض والحرمات، وهم اذا لم يجدوا من يضرب على ايديهم عاثوا في الارض فسادا، ونشروا الفاحشة في الامة واشاعوها، وارخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب الا بها ولها. ومن ثم تتحلل الامة وتسترخي، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها، واسباب بقائها، فتهلك وتطوى صفحتها". (٣٤)

واوضح امثلة الاستعلاء الطبقي نجدها ممثلة في قصة قارون الذي آتاه الله مالا عظيماً كان سببا في تجبره وطغيانه واستعلائه على قومه، ومباهاته بكثرة ماله، حتى كاد يفتن بعض قومه لولا ان تداركهم الله بان خسف بقارون وبداره الارض. قال تعالى: "ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم. وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوءُ

بالعصبة اولي القوة، اذ قال له قومه: لا تفرح الله إنّ لا يحب الفرحين. وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة، ولا تَنسَ نصيبك من الدنيا، واحسن كما احسن الله اليك، ولا تبغ الفساد في الارض، ان الله لا يُحبُّ المفسدين. قال: انما اوتيته على علم عندي، أَوَ لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون؟. فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا: يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون، إنَّهُ لذو حظ عظيم. وقال الذين اوتوا العلم: ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا، ولا يُلقاها الا الصابرون. فخسفنا به وبداره الارض، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله، وما كان من المنتصرين. واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون: وَيكَأَنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدِر لولا ان منّ الله علينا لخسف بنا، ويكأنه لا يفلح الكافرون" [القصص ٧٦ - ٨٢].

وحتى لا يكون الناس امة واحدة في الكفر، وحتى لا تتكرر حكاية قارون، فقد نبه الله تعالى الى ان كثرة المال تبعث في النفس الغرور والاستعلاء الطبقي والكفر، فقال: "ولولا ان يكون الناس امة واحدة، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقفا من فضة، ومعارجَ عليها يظهرون. ولبيوتهم ابوابا وسُرراً عليها يتكئون. وزخرفا، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا، والاخرة عند ربك للمتقين". [الزخرف ٣٣ - ٣٥].

وبعد،

فهذه نظرات في الايات القرآنية التي تضمنت اهم القواعد في النظام المالي، دفعني اليها ما احسه في هذا العصر من اختلال في العقيدة تبعه اختلال في النظم الاجتماعية والاقتصادية، مما ادى الى وجود تمايز طبقي صارخ، وهو ما لوحظَ، من خلال عرض الايات القرآنية، ان الله سبحانه وتعالى، يرفضه رفضا قاطعا، لانه يحرص على ان توزع الثروة توزيعا عادلا على مختلف فئات الناس من خلال اطراد حركة المال. فان وفقت في عرض الموضوع فبفضل من الله ومنه، وان عثرت فأرجو العفو من العفو الغفور، ثم منكم.

الحواشي

١ - القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري (٦٧٠هـ)، الجامع لاحكام القرآن، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٦، جـ ١٧، ص ٢٣٨.

٢ - البخاري، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ) الجامع الصحيح، دار احياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ، جـ ٢، ص ١٣٠، الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي، الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، جـ ٣، ص ١١٧ - ١١٨ و ١٤٧ - ١٤٨، النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب الخراساني (ت ٣٠٣ هـ)، السنن، دار احياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ، جـ ٥، ص ٣ -٤.

٣ - بخاري، جـ ٩، ص ١٩، ١٣٨، احمد بن حنبل (٢٤١ هـ)، المسند، ط ٢، بيروت، ١٩٧٨م جـ ١، ص ١١، ١٩، ٣٥ - ٣٦.

٤ - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ جـ ١٨، ص ١٠.

٥ - انظر حول هذا الحديث ودرجته في جامع الترمذي، جـ٣، ص ١٣٦.

٦ - د. احمد العسال ود. فتحي احمد عبد الكريم، النظام الاقتصادي في الاسلام: مبادؤه واهدافه، مكتبة وهبه، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٧م، ص ١١٨ - ١١٩.

٧ - لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع انظر النظام الاقتصادي في الاسلام، ص ١٢١ فما بعدها.

٨ - انظر القصة في: تفسير القرطبي جـ ١٨، ص ١١، الواقدي، محمد بن عمر (٢٠٧ هـ)، كتاب المغازي، تحقيق د. مارسون جونز، بيروت عن طبعة لندن، ١٩٦٦م، جـ ١، في ظلال القرآن، جـ ٢٨، ص ٣٧ فما بعدها. ابن هشام، ابو محمد عبد الملك (ت ٢١٣) السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا ورفاقه، القاهره، ط ٢، ١٩٥٥م، جـ ٣.

٩ - انظر تفصيل الفيء في القرطبي، جـ ١٨، ص ١٤ فما بعدها.

١٠- في ظلال القرآن، جـ ٣، ص ٤٦.

١١- سنن النسائي، جـ ٥، ص ٤٣.
١٢- المصدر نفسه، جـ ٥، ص ٤٤، وقارن بالقرطبي جـ ٣، ص ٣٢٥.
١٣- في ظلال القرآن، جـ ٣ ، ص ٤٩.
١٤- انظر حول الميراث: د. علي عبد الرسول، المبادىء الاقتصادية في الاسلام، دار الكفر العربي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٠م، ص ١٦٦، د. ياسين درادكه الميراث في الشريعة الاسلامية، مؤسسة الرسالة، عمان، ط٢، ١٩٨٣م، ص في ظلال القرآن. جـ ٤، ص ٢٤٥.
١٥- الدار قطني، علي بن عمر (ت ٣٨٥ جـ)، السنن، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني، دار المحاسب للطباعة، القاهرة، ١٩٦٦م، جـ ٤، ص ٦٧.
١٦- المصدر نفسه جـ ٤، ص ٦٨، ابو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)، السنن، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار احياء التراث العربي بيروت، دون تاريخ، جـ ٣، ص ١١٩.
١٧ - د. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن، الرياض، ١٩٨٠م، جـ ١،ص
١٨- وردت قصة شعيب مع قومه في عدة سور من القرآن الكريم، منها: الاعراف ٨٥ - ٩٣ التوبة ٧٠، الحجر ٧٨ - ٧٩، الحج ٤٤، الشعراء ١٧٦ - ١٩١، القصص ٢٢، ٢٥، ٤٥، العنكبوت ٣٦ - ٣٧.
١٩- القرطبي جـ ٩، ص ٨٥.
٢٠- المصدر نفسه جـ ٩، ص ٨٨.
٢١- سنن ابي داود، جـ٣، ص ٢٧٢، مسند احمد، ج ٢، ص ٥٤١.
٢٢- انظر تفصيل القصة في القرطبي جـ ١٨، ص ٢٣٩ فما بعدها، وفي ظلال القرآن، جـ ٢٩، ص ٥٩ فما بعدها.
٢٣- ابن حجر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت ط ٢، ١٩٨٠م، جـ٣، ص ٦٥، تفسير القرطبي جـ ١٩، ص ٢٥٣ بما ورد في النسائي، جـ ٥، ص ١٠ فما بعدها، والبخاري جـ ٢، ص ١٣٢.
٢٤- النظام الاقتصادي في الاسلام، ص ٩٥ - ٩٦.

٢٥ - بخاري جـ ٣، ص ٧٧، الدّرامي، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (٢٥٥ هـ)، السنن دار الكتب العلمية، بيروت، بعناية محمد دهمان، دون تاريخ، جـ ٢، ص ٢٤٦ .

٢٦- في ظلال القرآن، جـ ٣، ص ٦٧ - ٦٨.

٢٧- نقلا عن سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٣، ص ٦٩.

٢٨- تفسير القرطبي جـ ٢، ص ٣٣٨.

٢٩- بيع العربان: ان ياخذ احد منك السلعة او يكتري الدابة، ويعطيك درهما فما فوقه على انه ان اشتراها او ركب الدابة فهو من ثمن السلعة او كراء الدابّة وان ترك ابتياع السلعة او كراء الدابة فما اعطاك فهو لك. (القرطبي ٥/ ١٥٠ والصنعاني، محمد بن اسماعيل الكحلاني (ت ١١٨٢ هـ)، سبل السلام، دار احياء التراث العربي، ط ٤، ١٩٦٠م، جـ ٣، ص ١٧.

٣٠- القرطبي جـ ٥، ص ١٥٠.

٣١- المصدر نفسه، جـ ٢، ص ٣٣٨.

٣٢- المصدر نفسه، جـ ٢، ص ٣٤٠.

٣٣- انظر ايضا المؤمنون ٦٤ - ٦٧، الانبياء ١٣ - ١٤، هود ١١٦، نوح، الزخرف ٢٣ - ٢٤، الواقعة ٤٥ - ٤٨.

٣٤- في ظلال القرآن، جـ ١٥، ص ١٩.

التنمية في الإسلام والنظم الوضعية

الدكتور سمير ستيتية
جامعة اليرمــوك

توطئة

تختلف التنمية الاسلامية عن التنمية في النظم الوضعية، بسبب اختلاف كل من المنهجين في نظرته الى الكون، والحياة، والانسان. فالكون في نظر واضعي النظرة المادية والتشريعات الوضعية، في الشرق والغرب، ما هو الا ميدان تسابق، يطغى فيه القوي على الضعيف، واذن يكون البقاء فيه للاقوى. والكون في نظم التشريع الاسلامي ميدان فسيح، يأخذ منه كل انسان نصيبه، من غير أن يكون في حاجة الى أن يطغى على غيره، أو يظلم سواه. والكون مسخر للانسان، بغض النظر عن جنسه ولونه ولغته، بل بغض النظر حتى عن معتقده، "كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا."[1] وأما البقاء في الكون في نظر الاسلام فهو، في النهاية، للاصل. "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون"[2]

والحياة في نظر واضعي النظم المادية ليست الا مادة. ولهذا، فان هذه النظم تشن حربا شعواء على الجانب الروحي. وهذا الجانب، في أحسن الحالات وأخفها سوءا، مغفل اغفالا تاما. فالقانون هو المسيطر الوحيد، سيفا مصلتا على رؤوس الناس، اقتنعوا به أو لم يقتنعوا. والقانون هو الذي يعاقب، وهو الذي يحفظ الحقوق. ولكنه مع ذلك، لايثيب محسنا على احسان. أما الحياة في نظر الاسلام، فليست مجرد مادة، بل أن مع

المادة روحا. وهذه الروح هي التي تجعل في الإنسان ضميرا، يحفظ عليه سلامة طويّته، فلا يفعل ما يستهجنه هو في علانيته. اذا كان بمفرده، فهو يعلم أن الله يراه، وهو يعلم أنه أن سلم من العقاب في هذه الحياة، فهو مسؤول ومعاقب في الحياة الآخرة. وفي المقابل، فهو مثاب على سلامة طويّته ، بل على كل خير يفعله مهما كان صغيرا. ولو لم يكن للشريعة من ميزة على القوانين الوضعية الا اثابة المحسن على احسانه، لكان ذلك وحده كافيا لتفوق الشريعة على القوانين الوضعية كلها.

والانسان في نظر واضعي النظم المادية، هو المالك، وهو المتصرف بكل مقدرات الحياة. ولكنه في نظر الاسلام مستخلف لا مالك حقيقي، قائم على شؤون اعمار الكون، واصلاح الدنيا، وليس مطلق التصرف في أن يفعل ما يشاء.
فاختلاف الشريعة عن القوانين الوضعية اذن، اختلاف جذري، ينسحب على كل التشريعات وقوانين الحياة. فهو اختلاف في الاصول.

التنمية في الشريعة الاسلامية قد تلتقي، وقدتختلف عنها في القوانين الوضعية. والتشابه في ذاته ليس ذا قيمة، اذ يجدر بنا أن ننظر الى الأصل الذي انطلق منه القانون الشرعي أو الوضعي. وأنا هنا أسجل ملاحظة على العلماء الذين احتفوا بالتشابه الظاهري بين بعض القوانين الشرعية، وبعض القوانين الوضعية، وعدوا ذلك سبقا للشريعة، وانتصارا للاسلام.

ويحسن عند الموازنة بين النظم الوضعية، والشريعة الاسلامية، أن نذكر الاصل الذي أدى الى التشابه الظاهرى، منطلق كل من التشريعين. وهو ما سنفعله في هذا البحث ان شاء الله.

أما المعالم الرئيسية التي في ضوئها ستتم الموازنة، فهي:

١. الغايات والأهداف.
٢. المنهج والتطبيق.

وفيما يلي بيان مفصل لهذه المعالم:

٠١ الغايات والأهداف

يهدف منهج التنمية الاسلامية الى تحقيق غايات الخلافة على الارض. وخلافة الارض تعني اصلاحها وتعميرها. وينبغي أن ننوه هنا أنه اذا كان الاسلام يتميز على القوانين الارضية، باعتبار مبدأ الخلافة هذا، فانه يتميز على الاديان الاخرى التي جعلت الحياة على الارض عقوبة لآدم وذريته. الحياة على الارض، في نظر الاسلام ، ليست الا اعمارا لها "هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها."[٣] وخلافة عن الله تعالى في ذلك "اني جاعل في الارض خليفة. "[٤]

اعمار الارض، والتنمية جزء منه، ليس هدفا في ذاته في المنهج الاسلامي، وانما هو طريق لتحقيق الغاية من الخلق التي نص عليها القرآن الكريم "وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون. "[٥] فالهدف اذن، هو عبادة الله سبحانه. ولكن اعمار الارض في النظم الوضعية هدف نهائي منشود. ولذلك فهم يسلكون اليه كل سبيل، مهما كان فيه من استغلال وربا واحتكار، وأكل لاموال الناس بالباطل، وظلم الانسان لاخيه الانسان.

ومن أجل أن الهدف من اعمار الارض هو طاعة الله بتنفيذ أوامره، فقد جعل الله كل سبيل موصلة اليه طاعة يثاب عليها الانسان. جاء في الحديث الشريف "واماطتك الاذى عن الطريق صدقة". هذا الحديث الشريف يشير الى اعمار الطرق واصلاحها، ويجعل أقل القليل من ذلك، وهو اماطة الاذى، طريقا الى كسب الاجر والثواب. فكيف بشق الطرق، والقيام على اصلاحها باستمرار، وتعهد سلامتها، والقيام على حفظ السلامة فيها؟ هذه الوجوه كلها من وجوه التنمية، وهي في الوقت نفسه، من وجوه كسب الاجر، والدخول في طاعة الله سبحانه.

٠٢ المنهج والتطبيق

واذا كان الخلاف بين المنهجين خلافا في الاهداف والغايات، فلا بد أن يكون بينهما خلاف في المنهج والتطبيق. واذا وجد التشابه، كان تشابها ظاهريا لا حقيقيا. وفيما يلي مناقشة لبعض مبادئ التنمية ومفاهيمها في المنهجين الاسلامي والوضعي:

(أ) التوازن بين الحاجة والانفاق:

الحاجة والانفاق عاملان متغيران من عوامل التنمية. وهما كذلك في نظر الاسلام. غير أن الحاجة في الاسلام تعني افتقار الانسان الى العوامل الاساسية التي تساعده على القيام بطاعة الله، لا على مجرد البقاء. وفي ضوء المفهوم السابق، يتم تحديد الحاجة. فكل ما يوصل الى طاعة الله، فهو حاجة. ويفهم من القاعدة الشرعية "ما لا يتم الواجب الا به، فهو واجب "أن الحاجات ترتبط بالطاعات، فهما أمران لا ينفصلان. وهذا المفهوم، أى ارتباط الحاجات بالطاعات، من شأنه أن يحد من الاستهلاك الذي قد يكون عبئا على الخطط التنموية.

يذهب علماء الاقتصاد والاجتماع المعاصرون الى أن حاجات الانسان متنوعة وغير محدودة، فاذا أشبعها، تطلع الى اشباع حاجات أخرى جديدة، تحقيقا لمركز اجتماعي أكبر، واظهارا للغنى والثراء .[٦]

ولكن الحاجة في الاسلام منظمة، وعليها ضوابط تنبع من داخل الانسان المسلم، فهو يترفع عن أن ينافس الاخرين لمطمع دنيوي، أو مركز اجتماعي، أو اظهارا للغنى والثراء وهو يعلم أن التمسك بهذه المظاهر، ما هو الا باب من أبواب التحلل من زي الآخرة الذي هو التقوى، "ولباس التقوى ذلك خير."[٧]

يذهب بعض الاقتصاديين الى أن المشكلة الاقتصادية تتمثل في كون حاجات الانسان غير محدودة، في الوقت الذي نجد فيه الموارد الاقتصادية محدودة. فالمشكلة اذن نابعة من موارد محدودة، مطلوب منها أن تشبع حاجات غير محدودة. وسمى هذا المبدأ في الاقتصاد، بمبدأ الندرة.[٨] رغني عن البيان أن هذا المبدأ مدفوع بما يلي:

١٠ جاء في الاحصاءات الرسمية الصادرة عن منظمة الاغذية الدولية أنه يوجد الآن ما يكفي كل فرد من الغذاء. فالعالم ينتج كل يوم رطلين من الحبوب للفرد الواحد، أي أكثر من ثلاثة آلاف سعر حراري. وهذه السعرات أكثر مما يستهلكه الشخص الواحد من أوروبا الغربية. هذا الى جانب الاطعمة المغذية الاخرى كالبقول والفواكه والخضروات واللحوم[٩]

٢. ان مشكلات التغذية والجوع التي نراها في أنحاء كثيرة من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ناجمة، وفي الدرجة الاولى، عن قلة استخدام الموارد الطبيعية وسوء استخدامها. فهناك دراسات تثبت أنه لا يزرع الان سوى ٤٤٪ من الاراضي الصالحة للزراعة في العالم. ومن ناحية أخرى، فقد أثبتت هذه الدراسات أن البلدان التي فيها مجاعات، انما يكون سبب هذه المجاعات فيها سيطرة كبار الملاك على معظم الارض. وقد ظهر من دراسة ٨٣ بلدا أن ما لا يقل عن ٣٪ من ملاك الارض يسيطرون على نحو ٧١٪ من الارض المزروعة كلها. غير أن هؤلاء الكبار هم الاقل انتاجا، اذ تكشف الدراسات أنه في بلاد مختلفة، يجني الملاك الكبار دائما محصولا للفدان الواحد أقل مما يجنيه أصغر المزارعين.[١٠] إن الانفاق الاستهلاكي من العوامل المتغيرة في التنمية، وهو كذلك في نظر الاسلام. غير أنه في الاسلام، مهما كان يسيرا، يعتبر معصية اذا لم يكن في سبله المشروعة.

وحتى حين يكون في سبله المشروعة، فانه لا بد من مراعاة مبدأ "عدم الاسراف". والاية الكريمة تضع الحدود الواضحة للانفاق الاستهلاكي اذ تقول: "ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك، ولا تبسطها كل البسط، فتقعد ملوما محسورا."[١١] ولا يكون الاسراف والتقتير في الانفاق الاستهلاكي بخاصة، الا حين يكون الجانب التوجيهي، الذي يجدر أن يرافق الخطط التنموية، معدوما أو غير مخطط له تخطيطا دقيقا. وساعتئذ، يتحول المجتمع الى مجتمع ملامة، ينحي فيه كل فرد باللائمة على غيره، وتنحي كل مؤسسة من المؤسسات المعنية باللائمة على غيرها من المؤسسات التي لها دور مباشر أو غير مباشر في توجيه المجتمع.

ومن الواضح أننا نفرق هنا بين ما سميناه بالانفاق الاستهلاكي، وما يمكن أن يسمى بالانفاق الانتاجي الذي يمكن أن يطلق على عمليات الانفاق التي تهدف الى زيادة الدخل أو تحسين أوضاع المجتمع، أو الدفاع عن الامة. غير أن التفريق الاصطلاحي بينهما، لا يعني أن مبدأ "عدم الاسراف والتقتير" لا ينطبق على الانفاق الانتاجي، فالاسراف في كل منهما محظور "ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين، وكان الشيطان لربه كفورا"[١٢].

وإنما يتم التوازن بين الحاجة والانفاق، حين تحدد الحاجات، ويحدد الانفاق المناسب لها، تحديدا ليس فيه تسريب للاموال، وليس فيه تقتير يمسك الاموال من أن تنفق في سبلها المشروعة. وقد بينت الآية الكريمة التالية وجها من وجوه التوازن بين الحاجة والانفاق، وهو الوجه الذي يزيد فيه الانفاق، مع قلة الموارد . عندئذ تؤخذ الحاجات من هذه الموارد، ويختزن الباقي، لاحتمال تناقص الموارد. تقول الآية الكريمة، على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: "فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون. "[١٣] والآية تشير الى غير واحد من المبادئ التي تجدر مراعاتها في عملية التنمية، وقد نشير الى بعضها في مواطن أخرى من هذا البحث، ان شاء الله.

(ب) الانسان أساس التنمية.

بعض المتخصصين يقولون : "الانسان هو أداة التنمية"، وهو قول صحيح؛ إذ لا تنمية بدون الانسان، ولا تصح حياة الانسان دون تنمية. وتوشك أن تكون هذه المفاهيم من البداهة والاوليات النظرية في التنمية. وعند التطبيق، لا يكفي أن نعرف هذه المفاهيم، بل لا بد من التصرف على أساسها، عند بناء أي خطة من خطط التنمية.

وقد اعتبر القرآن الكريم كل ما من شأنه أن يكون تنمية للانسان، تكريما له. وهذا يعني أن التنمية يجب أن تكون لتكريم الانسان، والحفاظ على انسانيته. يقول الله سبحانه "ولقد كرمنا بني آدم، وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا."[١٤] وربما كان واضحا أن هذه الآية تشير بوجه خاص، الى تنمية وسائل الاتصالات البرية والبحرية، واستغلال كنوز البر والبحر، واستخلاص طيباتهما.

واذا كانت النظم الوضعية لا تنكر دور الانسان في عمليات التنمية، فانها تنزل الظلم بالانسان بصورة أو بأخرى. فالنظم الرأسمالية تجعل الافراد معيارا رئيسيا في عمليات التنمية، مما يجعل كيان المجتمع تحت رحمة الافراد الاغنياء، الذين يمتلكون

مقدرات المجتمع، وموارده الاقتصادية، فيسيئون استخدام هذه الموارد، وينحرفون في استغلالها واستثمارها، فتقع الطبقات الفقيرة تحت ارادة هؤلاء ورحمتهم.

والنظم الاشتراكية تستهين بالافراد، وتقيد حرياتهم، وتجعل طبقة من المجتمع، وهي طبقة العمال والفلاحين، هي المحرك الاساسي لعملية التنمية. وهذا من شأنه أن يعطل طاقات الافراد التي لا بد من وجودها في عمليات التنمية والتطوير.

لقد غالى بعض الاقتصاديين في نظرتهم المادية الى الانسان، حتى لقد ذهب منهم من ذهب الى احتساب ما سموه بالقيمة النقدية للانسان، بالنظر الى: مجموع المبالغ النقدية والعينية التي يتم انفاقها على الانسان، منذ ولادته، أو باحتساب القيمة النقدية للغلات الدورية المتوقعة طوال حياة الانسان، وذلك عن طريق جمع الاجور النقدية الحاصلة طيلة حياة الفرد، أو عن طريق معرفة القيمة الحالية للدخول المستقبلية.

ويذهب هؤلاء الى احتساب مكونات رأس المال في الكائن البشري، على أساس أن المهارات والقدرات المكتسبة هي بمنزلة العناصر الاساسية التي تمثل الاصل الرأسمالي غير المنظور، دون غيرها من العناصر الاخرى. برزت هذه النظرة ابان انتشار النظام الرأسمالي، وظهور استخدام الالات على نطاق واسع.[١٥] والاسلام يرفض هذا المذهب، ويعتبر الانسان رفيق كل القيم المادية، بل يعتبر المادة نفسها، والكون الفسيح، مسخرين لحياته.

ان عدم اعتبار "الانسان" كانسان أساسا في التنمية، يؤدي الى احباط خططها مهما بلغت من الدقة والطموح. واعتبار "الانسان" يعني تقويم واقعه الثقافي والاجتماعي، وتطلعاته المستقبلية، مثلما يعني تقويم قدراته وامكاناته المادية والبشرية. ونضرب لاهمية هذا الاعتبار مثلا المفارقة بين خطتين اقتصاديتين كانتا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة. أما الخطة الاولى فهي خطة المانيا التي بدأت بعد الحرب من الصفر، وقد استطاعت أن تستعيد مكانتها الاقتصادية بين دول العالم في فترة قصيرة. وأما الخطة الثانية فهي خطة الدكتور شاخت الالماني، والذي كان مدير بنك

الرايخ الالماني. وقد وضعت هذه الخطة لاندونيسيا، بعد أن كانت قد استعادت استقلالها وسيادتها. وكانت هذه الخطة من الاتساع والطموح، وكأنها خطة موضوعة لأخصب بلاد الله كما يقول مالك بن نبي[١٦] . نجحت الخطة الاولى، برغم الدمار الشامل الذي منيت به ألمانيا، لان تلك الخطة كانت تنظر الى "الانسان" الذي يقوم على تلك الخطة وينفذها. وفشلت الخطة الثانية، لانها لم تنظر الى قدرات ذلك الانسان وامكاناته، بل نظرت الى طموحاته وحسب. وقد كان فشل تلك الخطة ذريعا، بل كان فشلها سببا في احباطات كثيرة، ربما كان من أبرزها فقدان الثقة بالذات، وقبول التبعية الى التفكير الغربي في الاقتصاد.

(جـ) الاستثمار أسلوب تنموي

هذا مبدأ اقتصادى يتفق فيه المنهجان الاسلامي والوضعي. ولكن وسائل الاستثمار في الاسلام مرتبطة بمبدأ "الكسب المشروع". فكل ما كان كسب مشروعا، كان استثمار الاموال فيه مشروعا. وكل ما كان حراما، كان استثمار الاموال فيه حراما. وهنا نجد أنفسنا أمام بعض الموارد التي تعتبرها المجتمعات غير الاسلامية جزءا أساسيا من مواردها الاقتصادية، ومن مصادر الدخل فيها، ولكنها لا تعد في نظر الاسلام مالا مقوما، وذلك كالخمر والخنزير، مثلما نجد أنفسنا في مواجهة قضية الربا، التي تعد أساسا مهما من أسس الاقتصاد في النظم الوضعية.

أما مالا يعتبر مالا مقوما في الاسلام، كالخمر والخنزير، فتصور الحل فيه أمر يسير، اذا نظرنا الى النظرية الاقتصادية الاسلامية نظرة شاملة متكاملة، ويجب علينا ألا ننظر الى الاقتصاد الاسلامي بوصفه كيانا منفصلا عن سائر الكيانات الاجتماعية والسياسية الاخرى في الفكر الاسلامي.[١٧] فالاسلام لم يضع التشريعات الاقتصادية بمعزل عن التصور الاسلامي للمجتمع. وعليه، فان انتزاع أي تشريع اقتصادي اسلامي عن سائر التشريعات الاسلامية، يحول بيننا وبين فهم الحكمة من ذلك التشريع. يضاف الى هذا، أنه ينبغي لنا ألا ننظر الى المسألة من زاوية مادية بحتة، والا وقعنا في المأزق

الذي يقع فيه بعض الاقتصاديين حين يقولون ان الاعداد للتنمية، يجب أن يتجاوز الاعتقادات الدينية التي تحرم استغلال بعض الموارد الاقتصادية.[١٨] ومعلوم أن هذا الحكم، يشمل الاسلام وغيره من المعتقدات، وهو في المعايير الاقتصادية، حكم كان قد شاع في مرحلة، كان كل شيء فيها مستوردا، حتى المفاهيم الاقتصادية.

وأما مسألة الخمر، فان الاسلام لم ينظر اليها من زاوية ضيقة، كما يفعل بعض الاقتصاديين اليوم، وانما نظر اليها نظرة كلية شاملة، فحرمها لاضرارها المادية الجسيمة. وما تم هذا التحريم إلا بعد أن وازن الاسلام بين أضرارها الاجتماعية التي تؤدي بالتالي الى أضرار اقتصادية منظورة وأخرى غير منظورة، وفوائدها المادية المؤقتة المنظورة. وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الموازنة تعبيرا شافيا حين قال "يسألونك عن الخمر والميسر، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس، واثمها أكبر من نفعهما. [١٩] هذه موازنة هادفة عجيبة. فقد عبر عن الاضرار يقوله: "اثم كبير". وسنعرف بعد قليل، وجوه هذا الاثم، حتى من الناحية الاقتصادية. وأما منافعها فوقتية، لا تحل المشكلة الاقتصادية في المجتمع الاسلامي، أو غيره، بل تعمل على تفاقمها بشكل أشد.

ان نظرة عجلى على حوادث الطرق والقتل والانتحار في العالم الغربي بخاصة، وسائر دول العالم بعامة، توضح لنا أن كثيرا من هذه الحالات، كان بسبب تعاطي الخمور. أرواح تزهق، وسيارات تدمر، وطاقات تعطل، ونفوس تشوه وتعطل عن الانتاج، فتصبح في عداد المعوقين الذين هم عالة على المجتمع. هذه كلها خسائر مادية يدفعهما المجتمع، لقاء تعاطي بعض أفراده الخمور. وقد اثبتت احدى الدراسات الاقتصادية التي أجراها بعض علماء الاقتصاد في الولايات المتحدة، أن ما خسرته الولايات المتحدة نتيجة المشاكل الناجمة عن الخمر، ارتفع في سنة ١٩٧١ الى ثلاثين بليون دولار.[٢٠] هذا من جانب الخسارة المادية المنظورة، في دولة واحدة من دول العالم، فاذا أضفنا الى ذلك، الخسائر المنظورة في سائر دول العالم، تبين لنا الى أي حد يمكن أن تكون الخمر عبئا ثقيلا على الاقتصاد العالمي بأسره.

أما الجانب غير المنظور من الخسائر الناجمة عن الخمر، فذلك أمر لا يستطيع أحد تقديره؛ اذ ان قتل رجل منتج، أو عالم مبدع، أو انسان متخصص، أو فرد موهوب، يعد هدرا للطاقات المنتجة التي تدر دخولا كثيرة للمجتمع. فهل أرباح صناعة الخمر وتجارتها تعدل حتى غير المنظور من خسارة المجتمع أفراد منتجين ومفكرين ومبدعين، في الوقت الذى نعلم فيه أن الانسان هو أساس التنمية؟ بل أليس في هذه الصناعة ما يعوق تنمية المجتمع واقتصاده؟

وأما الربا، فانما حرم لان الكسب فيه يسبب استغلال حاجة الضعيف بدون حق. وهو مرض اجتماعي صوره القرآن الكريم تصويرا رائعا حين قال: "الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس. "[٢١] وقد أحسن الشهيد سيد قطب حين ذهب الى القول أن هذه الآية تمثل واقع الحياة البشرية عقد المضاربة الذي أقيمت على أساسه بنوك اسلامية في بلاد كثيرة من عالم الاسلام، وكانت كلها قائمة على عقد المضاربة هذا، بل كانت جميعها مبنية على دراسات اسلامية واقتصادية عميقة.[٢٢] وأقترح أن تسارع البنوك الاسلامية الى انشاء بنك مركزي اسلامي، تتعامل معه البنوك الاسلامية في العالم الاسلامي، ويكون بمنزلة المركز لها جميعا، ويعمل على فتح بنوك اسلامية جديدة، في مختلف أرجاء العالم الاسلامي.

ومن المبادئ التي ينبغي مراعاتها عند وضع خطط التنمية الاسلامية أن تكون الاستثمارات متنوعة القطاعات.[٢٣] ، بحيث يكمل كل قطاع منها القطاع الاخر، وتكامل قطاعات الاستثمار هوالفارق بين خطة متكاملة، وأخرى غير متكاملة. والذي أراه في هذه المجال هو أن تكون القطاعات متكاملة على النحو التالي:

١. **التكامل في القطاع الزراعي:** وفيه يتم استثمار الاراضي غير المزروعة، واستغلال كافة الطاقات العلمية، لزيادة محصول الفدان الواحد. وبذلك يطبق مفهوم الزيادة الافقية والرأسية. وفيه أيضا تتم زيادة الثروة الحيوانية، بمضاعفة عدد المزارع وتحسين نتاج كل نوع بتحسين التغذية. وفيه أيضا تتم العناية

بالاشجار المثمرة ذات المردود الاقتصادي والغذائي الجيدين. كل ذلك الى جانب الاهتمام بالصناعات الزراعية، كصناعة الصوف والقطنيات، والغزل، والنسيج، والجلود، والاصباغ، وصناعة العلب والمعلبات بأنواعها. ان تكامل هذه الصناعات، ورفد بعضها لبعض، يخفف من الاعتماد على الصناعات الاجنبية.

٢. **التكامل في القطاع الصناعي**: ويتم التكامل فيه بأن يفاد من الصناعات اليدوية والالية في وقت واحد، والاكثار من الصناعات الالية بصورة خاصة، والاهتمام بالصناعات المحلية، كصناعة التحف وسائر الصناعات السياحية. ولا بد من الافادة من الاساليب العلمية في تحسين الصناعات المحلية.

(د) حفظ أموال العامة من وسائل التنمية

حفظ أموال العامة أسلوب غير مباشر من الاساليب الاسلامية في التنمية. وقد حرص الاسلام على أن يجعل بين الملكية الخاصة، والملكية العامة حاجزا منيعا، بحيث لا تختلط موارد الافراد بممتلكات الامة. وقد علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك درسا فريدا، فقد استعمل صلى الله عليه وسلم أبا حميد الساعدي على الصدقات. فلما جاء أبو حميد ومعه الصدقات، دفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم، واحتجز قسما كان قد أهدي اليه، وقال: هذا لكم، وهذه هدية أهديت الي. وقد غضب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك، وأخذ منه ما كان قد أعطي له، وقال: "تستعمل أحدكم على الصدقات، ثم يأتينا فيقول: هذا لكم، وهذه هدية أهديت الي. أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته أن كان صادقا".

وأحسب أن هذا الحديث قد فهم خطأ، فظنه بعض الناس نصا في تحريم الرشوة. وقد أتوقف عن ذلك الفهم، فأقول: أن أبا حميد الساعدى، رضي الله عنه، لم يكن ليرتشي. ولا كانت مصادرة الرسول لما أعطى له لانه رشوة. ثم ان القسم الذين دفعوا الصدقة لابن حميد دفعوها كاملة غير منقوصة، وزادوا عليها هدية أبي حميد، فهم لم يرشوه، بل لم يفكروا في الرشوة أصلا. لكن الحديث درس عملي ناصح، في أن يحفظ العاملون أموال الامة حفظا يدرأ عنها أى شبهة من شبه الاختلاط بأموال الافراد.

ولذلك، وبناء على الحديث السابق، فان كل دخل يأتي للموظف الرسمي من الافراد، بسبب وظيفته، وعن غير طريق الدولة الاسلامية، يعد كسبا غير مشروع، وللدولة أن تصادره، تماما كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدية أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، ولا يغير حقيقة هذه الاموال أن تسمى بغير أسمائها، كأن تسمى هدية، أو هبة، أو منحة. فتغيير اسمها لم يغير شيئا من حقيقتها، وبالتالي لم يتغير حكمها في أنها كسب غير مشروع.

فالمسلمون حينما يقومون على حفظ اموال العامة، وممتلكات الامة، فانما يقومون بحفظها من أن تستخدم في أغراض شخصية، أو يتسرب شيء منها الى أيدي بعض الافراد فتنتقص أو تستهلك. وقد كان التوجيه النبوي الذى أوردناه بمنزلة "أمر دفاع" يدرأ الايدي ويكفيها عن حق الامة وممتلكاتها. وهو أسلوب غير مباشر في تنمية هذه الاموال، بل اسلوب مباشر في حفظ الخطط التنموية.

(هـ) علاقة الدخل والاستهلاك بالتنمية

ذهب بعض علماء الاقتصاد الى أن الافراد يتجهون الى زيادة استهلاكهم حينما تزداد دخولهم، كما أن الزيادة في الاستهلاك لا تكون قدر الزيادة في الدخل، بل تقل عنها.[٢٤] وهذا يعني أن التنمية لا بد أن تتأثر، بطريق مباشر أو غير مباشر، بزيادة الدخل الذي يؤدى الى زيادة الاستهلاك. هذا ما انتهى اليه علماء الاقتصاد.

أما في الاسلام، فان الامر مختلف جدا. فان زيادة الدخل تؤدى الى زيادة الانفاق الانتاجي بالضرورة، ولا تؤدى بالضرورة الى زيادة الانفاق الاستهلاكي. سأسمي الانفاق الاستهلاكي هنا، بالاستهلاك، كما أنني سأسمي الانفاق الانتاجي بالانتاج فأقول: أن الفرق بين الاستهلاك كمفهوم معاصر، والانفاق كمفهوم اسلامي فرق كبير جدا. فالاستهلاك هو صرف الاموال في مقابل الحصول على منافع دنيوية ضرورية أو ثانوية. وأما الانفاق فهو صرف الاموال في الطاعات، كاعمار المؤسسات، والمدارس والمستشفيات، ومساعدة الفقراء والمحتاجين. فالانقاق على هذا، من وجوه التنمية،

وليس الاستهلاك كذلك بالضرورة. وقد جاء في القرآن الكريم ما يمكن أن يشير الى ارتباط الانفاق بالتنمية، قال سبحانه: "وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه" [٢٥]. يفهم من هذه الآية أن الله سبحانه يخلف الانفاق ويعوضه. ومعلوم أنه انما يشير هنا الى الانفاق لا الاستهلاك. يؤيد هذا الفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "والذى نفسي بيده ما نقص مال من صدقة. "الله سبحانه يخلف الانفاق بالانتاج، ويخلفه بزيادة دخل الامة، ويخلفه بانتعاش اقتصاد البلاد، ويخلفه بالاستقرار والامن والهدوء وحفظ أموال الافراد، ويخلفه بالاجر والثواب.

وأما أن الزيادة في الاستهلاك لا تكون الزيادة في الدخل بل تقل عنها فأمر لا بد من الوقوف عنده قليلا. ان المجتمعات غير الاسلامية تحرص أشد الحرص على أن يكون الاستهلاك أقل من الدخل لا لأن الاسراف في ذاته أمر مكروه، وانما لعدم قناعتهم بأن هناك إلها يحكم هذا الكون ويدبره ويرزق من فيه. أما في المجتمع الاسلامي فان الاستهلاك على هذا النحو، لان الاستهلاك زائدا عن الحاجة نوع من التبذير والاسراف، والاسراف مكروه لذاته كما هو. واذن ، فالتشابه بين الاقتصاد الاسلامي، والاقتصاد الوضعي في كون الاستهلاك أقل من الدخل، تشابه غير ذي قيمة، لكونه تشابها ظاهريا في أمر ينطلق من منطلقين مختلفين.

هذا، وليس من الضرورى أن يكون "الانفاق" أقل من الدخل، في المجتمع الاسلامي. نعم، يكون الامر كذلك بالنسبة للاستهلاك. فقد علمتنا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين أن زيادة الدخل كانت سبيلا الى زيادة الانفاق، بل كانوا ينفقون في سبيل الله كل ما يأتيهم. فقد توفي رسول الله ودرعه مرهونة عند يهودي. وأنفق أبو بكر كل ثروته في سبيل الله ، لم يترك دينارا ولا درهما. ومات عمر مدينا وأوصى ابنه أن يدفع عنه الدين، مع ما فتح الله عليه من البلاد. وجهز عثمان جيش العسرة. وكان لسيدنا علي ايراد طائل من أملاكه، ينفقه جميعه على الفقراء والضعفاء.[٢٦] وهناك أمثلة لا حصر لها من حياة الصحابة تؤيد هذا.

اذن، فهناك فوق كبير بين انفاق الافراد واستهلاكهم. انفاقهم جزء ايجابي فعال في عملية التنمية، واستهلاكهم قد يكون عبئا على خطط التنمية. ويوضح لك أثر الاستهلاك على تعويق عملية التنمية أن الاستهلاك يحد من عملية الادخار التي هي جزء من التنمية. ومن الامثلة المتكررة في حياتنا على ذلك أنه بمجرد أن ينتقل نمط جديد من السلع الاستهلاكية الراقية الى البلدان النامية، فانه ينتشر بسرعة حتى يعم معظم أفراد الطبقة الذين هم من ذوي الدخل المرتفع نسبيا، وهذا يحد من ميلهم الى الادخار.(٢٧) بل أن الافراد الذين هم من ذوي الدخل المحدود يميلون لأسباب كثيرة، الى تقليد أفراد الفئة الاولى، مما يحدث أزمة لديهم في عملية التوازن بين الدخل والاستهلاك.

من المعلوم أن المجتمعات النامية غير قادرة في الغالب، على انتاج السلع الراقية من السلع الاستهلاكية، فتلجأ هذه المجتمعات الى استيراد هذه السلع من الدول الصناعية، مقابل دفع أثمانها بالعملات الصعبة، الامر الذى يؤدي الى زيادة التضخم في هذه المجتمعات، في الوقت الذى كان من الممكن أن تستخدم فيه هذه الاموال الصعبة في شراء معدات وآلات، تساهم في رفع المستوى الاقتصادي للامة. وانما ينشأ مثل هذا الموقف حين لا يكون هناك ضوابط على عملية الاستهلاك. ومثل هذه الضوابط في الاقتصاد الاسلامي أمر مسلم به، بل أن ذلك يأتي من داخل الفرد المسلم نفسه، كما قلنا في موطن سابق من هذا البحث.

ونحن أحوج ما نكون الى الضوابط لعلمية الاستهلاك، حين تكون هناك أزمات اقتصادية، تعرقل الخطط التنموية. ساعتئذ، فان الحد الادنى من الاستهلاك يصبح موضع التطبيق، عملا بالاية الكريمة التي مرت مناقشة لاحد جوانب التنمية فيها، وهي ما رواه القرآن الكريم عن سيدنا يوسف عليه السلام: "فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون". فالتقليل من الاستهلاك مفهوم من منطوق الاية: "الا قليلا مما تأكلون". ولا يكون هذا دون وجود القناعة الداخلية بضرورة التقليل من الاستهلاك.

وحتى في الاحوال العادية، فان مثل تلك الضوابط أمر مقرر في التشريع الاسلامي. وعليه، فان يمكن حل مشكلة الاستهلاك في ضوء الآية الكريمة التالية: "والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما." [٢٨] وجاء في الحديث الشريف: "لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فانها لهم الدنيا، ولنا في الآخرة."

(و) مراعاة الاولويات في الانفاق

"مراعاة الاولويات" قاعدة من القواعد المقررة في الشريعة. وهي قاعدة تنطبق، بوجه أو بآخر، على سائر العبادات، انطباقها على مبدأ الانفاق. فقد ورد رجلا كان يلبي في الحج عن رجل آخر قائلا: "لبيك اللهم عن شبرمة" "فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "حج عن نفسك ثم عن شبرمة". وفي الميراث يقدم صاحب الفريضة على العصبة، مع كونهما مشتركين في الميراث.

ومراعاة الاولويات في الانفاق مستفاد من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "وابدأ بمن تعول". وعلى ذلك ، فالمنهج الاسلامي يوازن بين الحاجات، ويقدم أكثرها أهمية لحياة الفرد والمجتمع، ويوازن بين المشروعات، فيبدأ بأكثرها الحاحا، وأشدها ضرورة.

والمنهج الاسلامي متفق في ذلك مع المنهج الوضعي في التنمية. ولكن هذا الاتفاق الظاهرى غير ذي قيمة اذا عرفنا أن المعيار الذي يتم به تحديد الاولويات مختلف في المنهج الاسلامي، عما هو عليه في المنهج الوضعي. ففي المنهج الاسلامي يتم تحديد الاولويات في ضوء معيار يمكن أن نسميه "جدول الاولويات الشرعية". ورسم هذا الجدول يحتاج الى دراسة مستقلة. غير أن المهم بيانه هنا، هو أن تقديم الاهم على المهم أمر واجب، كما أن تقديم المهم على الأهم أمر غير صحيح من الناحية الشرعية.

جدول الاولويات الشرعية يجب أن يتضمن أبواب الانفاق جميعا، وفي ضوء ما ذكرنا سابقا، وما سنذكره بعد قليل، يتم ترتيبها وتدريجها. والمعايير التالية: قد تكون تعبيرا أوليا يعين في ترتيب الاولويات الشرعية:

١. المصارف المحددة بالنص القطعي الثبوت، مقدمة على المصارف المحددة بنص ظني الثبوت. وكذلك، فان المصارف الثابتة بنص قطعي الدلالة، مقدمة على المصارف التي وردت بنص ظني الدلالة.

٢. المصارف المعطلة، أو التي اشتهرت بأنها كذلك، مثل الرقاب، والمؤلفة قلوبهم، تصرف بجملتها، فيما أرى، الى المصارف الأخرى المنصوص عليها في الآية الكريمة: "انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل، فريضة من الله والله عليم حكيم." [٢٩]فان بقي منها فائض صرف لنظيره المعاصر. فسهم الرقاب والمؤلفة قلوبهم معطلان هذه الايام. وقد قال أبو حنيفة بانقطاع سهم المؤلفة قلوبهم، لما روي أن مشركا جاء يلتمس من عمر مالا، فلم يعطه وقال: من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. ولانه لم ينقل عن عثمان ولا علي أنهما أعطيا شيئا من ذلك، ولان الله تعالى أظهر الاسلام، وقمع المشركين، فلا حاجة الى التأليف.[٣٠]

وقد ذهب بعض العلماء المعاصرين الى حل هذا الاشكال، فارتأوا عدم سقوط سهم المؤلفة قلوبهم. وقد أخذت بهذا الرأي حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية، اذ اعتبرت ذلك من قبيل الدعاية للاسلام وتقريب الناس اليه. ورأى هؤلاء العلماء أنه حق على المسلمين الصرف من الزكاة لبيان حقيقة الاسلام ومزاياه، وان ذلك فرض خالد الى يوم القيامة.[٣١] وارتأى هؤلاء العلماء أيضا أن رصيد الرقاب لم يعطل هو الآخر، ولذلك فانه يصرف الى تحرير الشعوب المسترقة.

والذى أراه في هذه المسألة، هو أن يصرف رصيد المصارف المعطلة كالرقاب والمؤلفة قلوبهم الى المصارف الاخرى المنصوص عليها في الآية، فان بقي منها فائض صرف الى النظير المعاصر.

وسبب هذا الرأى الذي أذهب اليه، هو أن هذه المصارف فقدت أولويتها في مشاريع التنمية الاسلامية، وأبواب الانفاق، لتعطل الاصل الذى نزل فيه النص المحكم. ومن المعلوم أن النص المحكم لا يصرف الى نظير مضمونة الا من قبيل التأويل. والتأويل لا يرقى الى درجة البقين القاطع، الذى يستخلص من النص الحكم.

٣. المصارف المحددة بوقت معين، كصدقة الفطر مثلا، تقدم في وقتها على المصرف الاخرى.

٤. أهل كل بلد أولى بفائض الدخل من غيرهم. وهذا مستفاد من وصية النبي صلى عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعث به الى اليمن. فقد أوصاه النبي أن يأخذ الصدقات من أغنياتهم، لبردها على فقرائهم.

٥. المشاريع التي تحفظ على المجتمع المسلم حياته وسلامته من الجهل والوباء مقدمة على المشاريع العمرانية، لان المجتمع اذا كان أبناؤه أسوياء فانهم يقومون بهذه المشاريع ويفيدون منها. واذا لم يكونوا كذلك، فلا فائدة لمثل هذه المشاريع.

(ز) **صلة التنمية بالضوابط الاخلاقية**

هناك فارق كبير بين النظام الاقتصادى في الاسلام، والنظم الاقتصادية الوضعية، من حيث ان الاول مبني على معايير وضوابط اخلاقية، في حين ترسم الاطر الاقتصادية في النظم الوضعية بمعزل تام عن الضوابط الاخلاقية. والتنمية، بصفتها من أهم وجوه النظام الاقتصادي، يتم التخطيط لها في الاسلام، في ضوء الاطر الاخلاقية الاسلامية. وحين تكون الاطر التنموية مبينة على معايير اخلاقية، كما هو الحال في الاسلام، فان ذلك يؤدي الى ما يلي:

١. لن تكون المادة هدفا في ذاتها، بل وسيلة من وسائل الطاعة والقرب الى الله سبحانه. وبذلك تنتفي كل أساليب الاستغلال والغش والتكالب على المادة، والنهب، والسرقة، والرشوة، وغيرها من العوامل التي تعطل خطط التنمية بل تحبطها.

٢. يصبح المواطن، تبعا لما مر، أداة من أدوات نجاح التنمية، لا عبئا ثقيلا عليها. وهذه صفة تميز المجتمع الاسلامي عن سائر المجتمعات المعاصرة، وتيسر مهمة الدولة في بلوغ اهدافها. [٣٢]

وقد تحررت النظم الاقتصادية من القيم الاخلاقية، باعتبارها قيودا على التحرك والانتعاش الاقتصاديين. وقد أدى هذا التحرر الى ويلات اقتصادية في العالم الغربي، بل العالم بأسره. فقد ساعد ذلك على نشر الرذيلة والاباحية. وأصبح لذلك سماسرة ليس لهم عمل ولا انتاج الا الترويج للرذيلة والدعوة لها. وكانت الرأسمالية، بما انطوت عليه من استهتار بالقيم والاخلاق، تمهيدا للشيوعية والالحاد.

ان الخطل الكبير الذى وقعت فيه الرأسمالية والشيوعية هو انهما تصورتا القيم الاخلاقية معوقات للاقتصاد، ومحبطات لتقدمه. أما الاسلام، فانه ينظر الى هذه القيم باعتبارها ضوابط تضبط كل أفعال الانسان وسلوكه وتصرفاته. وهي اذن، ضوابط تضبط السلوك الاقتصادى، مثلما انها تضبط السلوك الاجتماعي.

قد يقال ان بعض القوانين الوضعية توجب على الشركاء مثلا، التزامات هي في حقيقتها، ضوابط، اخلاقية، ومن شأنها أن تعمل على انجاح الشركة التي يعتبر انجاحها دعما للتنمية. فقد نصت بعض القوانين على انه "يجب على الشريك أن يبذل من العناية في تدبير مصالح الشركة، ما يبذله في تدبير مصالحه الخاصة. فاذا عرف بالحرص والاتقان والمهارة في تدبير شؤونه الخاصة، وجب عليه أن يبذل ذلك بالنسبة للشركة" [٣٣]

والحق أن الفارق بين الالتزام بما نصت عليه العبارة السابقة، والالتزام بما ينص عليه القانون الشرعي، كالفارق بين من يعمل عملا قد يؤمن به وقد لا يؤمن ، ومن يعمل عملا وهو به مؤمن حقا. فالاول قد يسلك مسالك ينتهب فيها أموالا دون أن يشعر به أحدا، اذا سنحت له الفرصة، والثاني لن يجد مثل هذه الفرصة، لانه يعلم أن الله رقيب عليه.

أو ليس توافق الخلق في العملية الاقتصادية، والتنمية على وجه الخصوص، حافظا لها من أن تكون مجالا للهوى، ومحلا تتنازعه الاطماع الفردية والرغبات الانانية؟

(ع) العرض والطلب وصلتهما بالتنمية

كثيرا ما يردد علماء الاقتصاد ما يسمونه بقانون العرض ولاطلب، والذي ينص عليه أنه اذا زاد العرض قل الطلب، واذا قل العرض زاد الطلب.

وقد اشتق القانون السابق من تصرفات المجتمعات المعاصرة، ولا استثني المجتمعات في البلاد الاسلامية، فالكل سواء في غياب الاسلام عن الساحة العالمية والاسلامية. وقد غاب حتى عن بعض الكتاب المسلمين أن هذا القانون لا ينطبق على مجتمع اسلامي يحكمه كتاب الله وسنة رسوله. يقول الدكتور عيسى عبده في معرض تصنيف بعض القوانين الاقتصادية، والحكم عليها بمعايير الاسلام: "ومن خصائص الاقتصاد الاسلامي أنه يعترف ببعض المفاهيم العلمية كالقوانين والنماذج والمعادلات وطائفة أخرى من ضوابط الدراسة التي اشتهر أمرها في القرنين الآخرين....ولكن بعض هذه الضوابط بدخل في مجال الاقتصاد الاسلامي بغير تحفظ." [٣٤]

أما أن هذا القانون لا يعمل في مجتمع يحكم فيه الاسلام نفوس أصحابه، فذلك أمر واضح من أن المسلم يؤمن بحقيقة مؤداها أن الله سبحانه هو الذي قدر أقوات الخلق قبل أن يخلقهم "قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين." [٣٥] ومعنى ذلك أن المسلم لن يتكالب على القوت ليخزنه، فهو يعلم أنه أن فعل ذلك فانه يحرم الاخرين في المجتمع من قوتهم. واذن، فان كل واحد سيأخذ كفايته وحاجته. وبالتالي، فان ما يعرض في الاسواق سيكون كافيا سيما وأن الدولة الاسلامية تعمل على توفير ما يكفي جميع المواطنين من السلع الاساسية.

يلجأ بعض أصحاب رؤوس الاموال في المجتمعات الرأسمالية، وبعض المجتمعات المتخلفة، الى طرح قليل من السلع الاستهلاكية، من أجل أن يكون ذلك مقدمة الى رفع اسعارها، فيقبل المستهلكون الاسعار الجديدة مهما كانت ثم ان المواطنين يقبلون على شراء أكبر كميات يجدونها في الاسواق من هذه السلع قبل رفع الاسعار. هذا كله أو بعضه لا يجرى في مجتمع اسلامي، اذ لا وجود فيه للاحتكار والمحتكرين. ولو علم هؤلاء المحتكرون في المجتمعات المعاصرة أن الناس لن ينساقوا الى مخططاتهم لترددوا كثيرا قبل المخاطرة ، باستغلال حاجات الناس، وممارسة اسلوب الابتزاز معهم.

وعلى ذلك، فان الدولة الاسلامية في الوقت الذي تعمل فيه على رسم خطط التنمية وتطبيقها، تعمل على تربية النفوس وصقلها بالتعاليم الاسلامية. وبذلك يمكن أن تحيا النفوس، وبهذه المفاهيم يمكن أن تنجح خطط التنمية.

مقترحات وتوصيات

١. أن المقارنة بين النظام الاقتصادى الاسلامي والنظم الاقتصادية المعاصرة محفوفة بالمخاطر، بسبب أن النظم الاقتصادية المعاصرة مشتقة من معايير وضعية، ومن سلوك المجتمعات غير الاسلامية. وعليه، لا بد من أن نكون على حذر شديد عند اجراء هذه المقارنات، وذلك حتى لا ننخدع بالتشابه الظاهري بين النظامين الاسلامي والوضعي. فالتشابه بين النظامين تشابه ظاهري. كما أن الاصل الذي انطلق منه الفرع مناط التشابه مختلف في الاسلام عنه في النظم الوضعية كلها.
وأساليب التنمية على وجه الخصوص من الامور التي يتشابه فيها النظامان الاسلامي والوضعي. ولذلك لا بد من معرفة الاصول التي تنطلق منها مبادئ التنمية في الاسلام.

٢. لا بد أن يعمل علماء الاقتصاد المسلمون على ايجاد حلول للمشكلات الاقتصادية التي يعاني منها الاقتصاد العالمي. حقا، ان الحل لن يكون ناجحا مع اصلاح

الفروع وترك فاسد الاصول على فساده، ولكن لا بد أن يقدم المسلمون التصور الاسلامي لحل كل مشكلة مهما كانت صغيرة أو كبيرة في ضوء اطارها الاسلامي الكبير. والمؤتمرات واللقاءات الاسلامية بين علماء الاسلام والمفكرين المسلمين من أنجح الوسائل في استثارة همم العلماء والمتخصصين في دراسة هذه المشكلة وتقديم الحلول الناجحة لها، في ضوء فهمهم للاسلام، والمعطيات الاسلامية في تاريخ الاسلام الناصع.

٣. لا بد من أن تتضافر جهود القائمين على البنوك الاسلامية في العالم الاسلامي لانشاء بنك مركزي اسلامي، يكون بمنزلة المركز لها جميعا، ويعمل على دعم خطط التنمية الاسلامية في انحاء العالم الاسلامي.

٤. لا بد من ان تستغل رؤوس الاموال المسلمة في اقامة مشروعات تنموية متكاملة. أما اقامة المشروعات التنموية فانها تجعل هذه الاموال في خدمة الاسلام والمسلمين. ومن شأنها أن ترد الناس الى دينهم، بخاصة اذا رأوا النجاح الذي يمكن أن تحظى به المشروعات التنموية ذات الصلة بها، كما أن ذلك من شأنه أن يوفر الاموال الطائلة، ويدر دخولا أوفر وأوفى.

٥. أقترح أن تصرف المصارف المعطلة من مصارف الزكاة مثل الرقاب والمؤلفة قلوبهم الى المصارف الاخرى المنصوص عليها في آية سورة التوبة "انما الصدقات للفقراء والمساكين...." الى آخر الآية، فاذا بقي منها فائض صرف الى نظيره المعاصر. فالنظير المعاصر للمؤلفة قلوبهم العمل على نشر الاسلام والدعوة اليه.

٦. لا بد أن يقوم علماء الاقتصاد المسلمون بتحديد جدول أولويات الانفاق بحيث يصلح لخطط التنمية الاسلامية في كل بلد من بلاد الاسلام.

هوامش البحث

(١) الاسراء: ٢٠

(٢) الانبياء: ١٠٥

(٣) هــــود : ٦١

(٤) البقــره : ٢٩

(٥) الذاريات: ٥٦

(٦) محمد دويدار، دراسات في الاقتصاد المالي، ص٧

(٧) الاعـــراف: ٢٦

(٨) عبد الله عبد الغني غانم، المشكلة الاقتصادية ونظرية الاجور والاسعار.

(٩) المرجع السابق، ص ١٧٧

(١٠) المرجع السابق، ١٧٨

(١١) الاسراء : ٧٠

(١٢) الاسراء : ٢٧

(١٣) يوسف : ٤٧

(١٤) الاسراء : ٧٠

(١٥) جمال محمد أحمد عبده، دور المنهج الاسلامي في تنمية الموارد البشرية، ص٩٠

(١٦) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ص٥٦

(١٧) أحمد النجار، المدخل الى النظرية الاقتصادية في المنهج الاسلامي، ص٣٤.

(١٨) رفعت المحجوب. الاقتصاد السياسي، ص٢٣٤.

(١٩) البقرة : ٢١٩

(٢٠) انظر:

E. Pattison & E. Kaufman, (eds.), Encyclopedic Handbook of Alcoholism, p.422.

(٢١) البقرة : ٢٧٥

(٢٢) من هذه الدرسات: د. محمد عبد الله العربي، النظم الاسلامي. و د. رفيق المصري، مصرف التنمية الاسلامي. و د. سامي حمود، تطوير الاعمال المصرفية بما يتفق والشريعة الاسلامية. ومحمد الصدر، البنك الاسلامي.

(٢٣) شوقي أحمد دنيا. الاسلام والتنمية لاقتصادية، ص٢٤٢

(٢٤) رفعت المحجوب الاقتاط السياسي، ص٤١٩

(٢٥) سبأ : ٣٩

(٢٦) محمد ضياء الدين الريس. الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية، ص١٧٥-١٧٦.

(٢٧) عبد الرحمن يسرى أحمد، التنمية الاقتصادية ولاجتماعية في الاسلام، ص٥٩.

(٢٨) الفرقان : ٩٧

(٢٩) التـــوبـــــة : ٦٠

(٣٠) ابراهيم فؤاد علي. الموارد المالية في الاسلام، ص١٣٧

(٣١) المرجع السابق، ص١٣٧

(٣٢) محمد عبد الله العربي. النظم الاسلامية جـ٢، ص٢٧

(٣٣) عبد العزيز الخياط. الشركات في الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي، ص٢٧٨

(٣٤) عيسى عبده. الاقتصاد الاسلامي- مدخل ومنهج، ص٣٨.

(٣٥) فصلت : ٩، ١٠

المراجـــع

١. ابراهيم فؤاد علي. **الموارد المالية في الاسلام**، معهد الدراسات الاسلامية، ١٩٧١.

٢. أحمد النجار. **المدخل الى النظرية الاقتصادية في المنهج الاسلامي**، ط٢، دار الفكر، ١٩٧٤.

٣. جمال محمد أحمد عبده، **دور المنهج الاسلامي في تنمية الموارد البشرية**. دار الفرقان ومؤسسة الرسالة، ١٩٨٤.

٤. رفعت المحجب. **الاقتصاد السياسي جـ١**، دار النهضة العربية، ١٩٧١.

٥. سيد قطب. **في ظلال القرآن**، ط٤، دار العربية.

٦. شوقي أحمد دنيا. **الاسلام والتنمية الاقتصادية**. دار الفكر العربي، ١٩٧٩.

٧. عبد الله عبد الغني غانم. **المشكلة الاقتصادية ونظرية الاجور والاسعار**، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٤.

٨. عبد الرحمن يسرى أحمد. **التنمية الالقتصادية والاجتماعية في الاسلام**. مؤسسة شباب الجامعة.

٩. عيسى عبده. **وضع الربا في البنيان الاقتصادى**، ط٢، دار الاعتصام، ١٩٧٧.

١٠. . **الاقتصاد الاسلامي - مدخل ومنهج**. دار نهضة مصر، ١٩٧٤.

١١. عبد العزيز الخياط. **الشركات في الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي**. منشورات وزارة الاوقاف الاردنية، ١٩٧١.

١٢. مالك بن نبى. **المسلم في عالم الاقتصاد**. دار الفكرة، ١٩٧٩.

١٣. محمد دويدار. **دراسات في الاقتصاد المالي**. منشأة المعارف، ١٩٨١.

١٤. محمد ضياء الدين الريس. **الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية**، ط٢، الانجلو مصرية، ١٩٦١.

١٥. محمد عبد الله العربي. **النظم الاسلامية جـ٢**، معهد الدراسات الاسلامية، ١٩٧١.

الزكاة ودورها في التنمية

الدكتور أحمد البقري

الاسكندرية

للزكاة معنيان: معجمي واصطلاحي:

(أ) **المعنى المعجمي للزكاة:**

الطهر النفسي كما في قوله تعالى: (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا من زكاة وأقرب رحما)[1]

ويقال: زكا الزرع يزكو زكاءً بالفتح - أي نما وتزكية النفس مدحها، ومنه : (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى)[2]

والغالب هو الثناء بالطهر، فهو ثناء بالمعنويات لا الماديات، وهو غاية المؤمن في نحو قوله تعالى آمرا موسى - عليه السلام - بالذهاب إلى فرعون. (إنه طغى فقل هل لك الى أن تزكى)[3]

ووسيلة التزكية في الاسلام تنظر الى الدوافع الانسانية من حب الاستطلاع والبحث عن الطعام والجنس.

١- معرفة آيات الله والحكمة كما في قوله تعالى:(يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)[4] والكف عن الفضول: (وأن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم)[5]

٢- البحث عن الطيّبات من الرزق: (فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه)[6]
وقد يتحرج أناس أن يطعموا ما هو حرام مصدره، غير أنهم ينفقون المال الحرام

في لهو ولذة نفس، وقد ورد من الآحاديث النبوية ما يقف الإنسان على اعتدال من أمـره " فمن يأخذ مالا بحقه يبارك له فيه، ومن يأخذ مالا بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع" (٧) ، ويقول - صلى الله عليه وسلم "ولو كان لابن آدم واديان من مال لتمنّى واديا ثالثا ولا يملأ جوف أبن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب" (٨)

أما الغنى الحقيقي فغي النفس موصولة دوافعها بالله تعالى: "ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس" (٩)

٣- صون الدافع الجنسي عن الحرام: يقول الله تعالى:

(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون)(١٠)

وفي قوله تعالى: (قال إنّما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا)(١١) كـان المثل الأعلى في تلك المعجـزة الخاصة بمريم أن يكون الغلام طاهرا (آية للناس)(١٢) فاستحق بذلك أن يكون "هبة" من الوهاب العظيم.

٤- **التقوى في البذل:**

في قوله تعالى: (.. وسيجنّبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى)(١٣)

(ب) المعنى الاصطلاحي للزكاة:

هي الركن الثالث من أركان الاسلام بعد شهادة ألاّ إله إلا الله وإقام الصلاة، ويقصد بها ذلك القدر من المال الذي يعطيه المسلم سنويا لولى الأمر لإنفاقه على مستحقيه.

وقد وردت كلمة "الزكاة" في القرآن الكريم ثنتين وثلاثين مرة، وأكثر ورودها مسبوقة بفعل الأمر بصيغة الجمع (وآتوا) لما لهذه العبارة من نشر روح التواد في المجتمع.

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله)(١٤)

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) [١٥]

وإذا كانت تقترن بإقامة الصلاة [١٦] ، وفي الصلاة ركوع؛ فإن النص على الركوع بعد ذكر الزكاة في غير آية يشير عندنا إلى ما يجب أن تكون عليه النفس من تطامن غير شامخة بأموالها. يقول الله تعالى:

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) [١٧]
(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) [١٨]

قد فرضت الزكاة على الأمم قبل الرسالة المحمديّة الخاتمة لتعالج من النفس غرورها بالمال، وإهمال حق المستحقين فيه، يقول الله تعالى:
(ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إنّي معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنّكم جنات..) [١٩]

فتأمل ذلك العهد الإلهي على بني إسرائيل يشير إلى ما اشتهر به بنو اسرائيل من تجارة وبعض معاملات ربوية، فإذا الآية تشير إلى قرض لله "قرضا حسنا" أى لا يشوبه رياء أو استغلال، وإنما تخلص دوافعه إلى الله، وإذا الآية تشير أيضا إلى الثواب بما لا فائدة عليه فالمقابل للربا هو الزكاة. هكذا تصحح الآيات مفهوم الناس حيث يظنون في الزكاة نقصا.

(وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هما المضعفون) [٢٠]

إن الزيادة أو النماء رغبة في النفس، فإذا لم يوجد النماء فإن سعي الناس إليه لا يفتر إذا أرادوا لأنفسهم خيرا، وقد كانت الزكاة في صدر الاسلام ركيزة تعتمد عليها الدولة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

معنى التنمية

يقصد بالتنمية في المصطلح المعاصر، تلك العملية التي تزيد من موارد الدولة بكثرة الانتاج وتقليل النفقات.

وأكثر مجال استعمالها الدراسات الاقتصادية، ذلك أن الأصل تنمية المال، وفي المعجم: نمى المال وغيره ينمي - بالكسر - نماء - بالفتح والمد -. وربما جاء من باب "سما" [٢١]. ومعنى التنمية قديما يختلف كل الاختلاف عما يقصد به في القرن العشرين (الميلادي؛ فيقال: نميته تنمية أي بلغته على وجه النميمة والإفساد [٢٢].

ويغيب هذا الاستعمال اليوم ليقال : التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية والتنمية الزراعية... في محاولة لعلاج أزمات في نواح شتى تكثر في بلدان تسمى طورا متخلفة Backward Countries أو نامية Developing أو بلدان العالم الثالث كأنه ينظر اليها من حيث الترتيب التحضري. وأياً ما كانت التسمية فإن مرجع هذا التقهقر عندنا يكمن في الجهل باستغلال الموارد الاقتصادية استغلالا سليما، وسوء الخلق.

وتعد الزكاة أحد الموارد المضيّعة وكان يحسن النظر إليها لصلاح الدين والدنيا، للفرد والمجتمع كما تعد باخلاقياتها وسيلة للتنمية أيا كانت صورها.

ذلك أن التنمية في الاسلام تقوم على النية الحسنة والعلم الصالح معا، بل إن النية من العامل تتجه لصلاح شامل لمناشط الحياة.

ففي الحديث " ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة" [٢٣] تبدو التنمية الزراعية مرتبطة بتنمية حيوانية ففي كلتيهما ثروة تعود الى الانسان راضيا بها .

ونلاحظ أن الحديث يخاطب الفرد لكيلا يحتقر عمله وأنه لا بأس من نبته أو زهرة في صحراء قاحلة.

ويلتفت باحث معاصر إلى صيغة الجمع في نحو قوله تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) [٢٤]

ويعقب أ. د. عبد الرحمن يسرى [٢٥] قائلا: " وفي اللغة الاقتصادية نقول الامر هنا يخص الاقتصاد ككل أو المجتمع ككل ولا يخص الفرد أو الجزء، ومن ثم يدخل في نطاق التحليل الكلي Macro Analysis وليس التحليل الجزئي Micro Analysis ويستأنف قائلا: "وليس هناك من دليل في القرآن على أن إيمان الفرد وتقواه طريق إلى زيادة رزقه ونمائه، بل إن الفرد يستغفر ويتوب الى الله ويصل الى درجات أعلى من الإمان فيتعرض للبلاء أكثر من غيره" [٢٦]

ونحسب أن الباحث أخطأه التوفيق في هذا التعميم الذي عبرت عنه كلمة "من دليل" ونكتفي بقوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله إذا تردى) [٢٧]

فها نحن نرى أن الفرد في النظر الاسلامي لا يذوب في كيان الجماعة، كما أنه لا ينفصل عنها، وقد تتم البركات إذا كثر الخير من الفرد أو الجماعة، وقد يتم البلاء إذا كثر الخبث، وتأمّل تذييل الآية الكريمة:(ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين) [٢٨]

ذلك أن فضيلة الصبر لا بد من امتحان لكشفها، كما أن هذا الابتلاء العام قد يكون وسيلة للتوحد الاجتماعي Social Integration، كما أن العبارات والفضائل الإسلامية بعامة التي تنبثق من كلمة التوحيد عامل اساسي في التنمية في النظام الاسلامي حيث يكون التوحد في نظم أخرى قائما على عصبية عنصرية أو أفكار يتخللها الوهن أحيانا.

بل إن دعاء المسلمين أن يصلي الله ويسلم على محمد بن عبد الله خاتم الرسل أدب يذكر بهذا التوحد بين الحين والآخر. إن الإشعاع المحمدي ينبثق عبر الزمان من صدر الاسلام إلى أن يرث الله الارض ومن عليها، وتظل شهادة الصحابة نبراسا على التنمية الإدارية - بلغة عصرنا- التي قادها رسول رب العالمين محمد- صلى الله عليه وسلم- قائمة على حسن الخلق.

يقول عثمان - رضي الله عنه- "إنا والله قد صحبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا القليل والكثير ..) (٢٩) إنها المشاركة الوجدانية معززة بالبذل الكثير أو القليل، بالنفس أو بالمال أساس التنمية الاجتماعية، وهي هدف القيادة الفعّالة دوما.

أرأيت والقائد على هذا الخلق النبوي يعصيه الأتباع أو يحاول أن يتلف أو يغش أو يسوء خلقه إلا أن يكون من الشواذ المرضى؟!

كلا، بل إنه في مثل هذا الوسط القيادي يعمل ما وسعه الجهد امتثالا لأمر الله، واستجابة لدافع الانجاز عنده Achievement Motive يقول أحد الباحثين:

"اتفق المهتمون بدراسة أثر العوامل غير الاقتصادية على التنمية الاقتصادية على أن وجود الافراد الذين يمتلكون دافع الإنجاز في مختلف مجالات النشاط الاقتصادي يعد من أهم العوامل التي تدفع عملية التقدم في الفنون الإنتاجية؛ ذلك لأن تطبيق الفنون الانتاجية الحديثة يتضمن دائما درجة عالية من المخاطرة كما يتطلب جلدا خاصا وصبرا من منظم المشروع حيث قد يضطر الى العمل لفترات أطول من المعتاد يوميا، وإلى التضحية بربحه لفترة قد تطول حتى يثبت نجاحه" (٣٠)

إن دافع الإنجاز بغض النظر عما يحققه الإنجاز للمنجز من مكسب مادي أو أدبي يتفرد به قلة من الأشخاص، غير أن الإسلام لا يدع ذلك الدافع يؤول إلى ضعف بأنكار الناس لثمرة الجهد، بل محاربة من يعملون من أجل العمل أحيانا؛ ففي التوجيه القرآني: (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا) (٣١)

وتأمل النهى عن بخس الناس أشياءهم - أى حقوقهم المادية والأدبية - مرتبطا بالنهى عن الإفساد، وهو عدو التنمية، في قوله تعالى: (ولاتبخسوا الناس آشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين) (٣٢)
(ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين) (٣٣)

وليس يخفى أن تقدير العمل والعاملين يدفع الى مزيد من العمل، وكثير من الراحة للعاملين، غير أن البطر والتراخى قد يصيب العاملين، وهنا يأتي التوجيه القرآني دافعا للتنمية المستمرة في قوله تعالى: (فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب) (٣٤)

وربما استقر في الأذهان أن النصب للعبادات فحسب، ونحسب أن المقصود مناشط الحياة جميعا ما دامت موصولة دوافعها إلى الله؛ ففي السورة إشارة إلى رفع الذكر، "جزاء معنوي" وإن مع العسر يسرا "جزاء مادي" ثم هي في خاتمتها تومئ إلى أولها:

(ألم نشرح لك صدرك) (٣٥)

فثمرة الجهد لله في المقام الاول انشراح الصدر، وهو أساس التنمية بضروبها المختلفة. وتأمل الرحمة واسعة تكون للمؤمن المؤتي الزكاة في قوله تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) (٣٦)
(إنما يعمر مساجد لله من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) (٣٧)
(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله) (٣٨)
إن الرحمة أجر من الله عظيم حيث تنفق الأموال للشفاء من أمراض النفس:
يقول الله تعالى: (..وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم) (٣٩)
وتأمل تعبير "أجرهم" وهو يبتغي الافراد في زيادة دخولهم يكون باستقطاع بعض مالهم للزكاة.

إنه أجر للجماعة الاسلامية بعامة بإيمانها وأعمالها وإقامة أركان الاسلام، ومنها الزكاة، فهي - بتعبير بعضهم - عملية تصحيحية لتوزيع الدخل القومي بين من زادت دخولهم عن حاجاتهم، ومن هم دونهم عن طريق الصدقات والقرض الحسن. (٤٠)

وإذا كان من أسس الاقتصاد الإسلامي في إنعاش السوق الداخلي هو عدالة توزع الدخل القومي فإن للزكاة أثرا في انتعاش تلك السوق. "فالمجتمع الاسلامي لا يمكن أن يعاني من تكدّس السلع الاستهلاكية في المخازن لدى المصانع وذلك لأن الزكاة تعمل في كل فترة زمنية على تحويل جزء من دخول الاغنياء الى جيوب الفقراء الذين يرتفع ميلهم للاستهلاك نسبيا فيقبلون على إنفاق معظم-وربما كل- ما يصل إليهم، ولذلك نعتقد أن شبح أزمة "قصور الاستهلاك" بعيد كل البعد عن المجتمعات الاسلامية التي تطبق شريعة الله التي تطبق في الزكاة ..." (٤١)

الدعوة الى الزكاة:

إن الدعوة إلى الزكاة دعوة لجميع الأمم في سالف الزمان إلى يوم القيامة، على مستوى الفرد والجماعة، والذكور والإناث لما في إيتائها من تزكية للنفس، هكذا "أخذ الله ميثاق بني اسرائيل"، وكان موسى عليه السلام داعيا إليها "وأرسل بها" (٤٢)

يقول الله تعالى: (هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى) (٤٣)

وعلى لسان المسيح - عليه السلام - (وجعلني مباركا أينما كنت، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) (٤٤)

وفي بيت النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- حيث القدوة في أزواجه لنساء العالمين يقول تعالى: (..وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (٤٥)

وتأمل حديث بعض أزواج النبي- عليه الله وعليه وسلم - اليه "قلن: أينا أسرع بك لحوقا؟ قال - صلى الله عليه وسلم - أطولكن يدا ... فكانت سورة أطولهن يدان"(٤٦) وإيتاء الزكاة أمارة عملية على توبة المشركين:(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم..)(٤٧)
وأكثر من ذلك: (فإن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين)(٤٨)

وقد اتخذت الدعوة الى الزكاة في الإسلام سبيل الترغيب والترهيب مع الاشادة بالقدوة وضرب الامثال. يقول الله تعالى:(واذكر في الكتاب إسماعيل إنهّ كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا)(٤٩)

ومن الأمر الإلهي: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم)(٥٠). ويقول صلى الله عليه وسلم - امتثالا لهذا الأمر: "ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب- ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت ثمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوّه أو فصيله" (٥١)

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: "كان النبي - صلى عليه وسلم - إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل على ال فلان، فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى" (٥٢). ومن الترغيب ألا يحضر الانسان شيئا ضئيلا يتصدق به؛ فحسبه أن عود النفس العطاء: يقول - صلى الله عليه وسلم: "يا نساء المؤمنات. لا تحقرن إحداكن أن تهدي لجارتها ولو كراع شاة محرقا". (٥٣)

وقد استطعم مسكين عائشة - رضي الله عنها- وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: خذ حبة فأعطه إياها. فجعل ينظر إليها ويعجب. فقالت عائشة: أتعجب؟ كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟(٥٤)

لقد صدرت عن فقه استمدته من القرآن في بيت النبوة (فمن يعمل مثقال ذرة

خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرايره) [٥٥]

ويقول تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شرلهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير) [٥٦]

ويعرض رسول الله - صلى عليه وسلم - لما تعنيه "سيطوقون" بقوله: "ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثّل له يوم القيامة شجاعا أقرع يفر منه، وهو يتبعه حتى يطوقه في عنقه" [٥٧]. وتأمل ذلك الحديث النبوي الذي يجمع ترهيبا إلى ترغيب باليسير من العطاء مع الحركة من وجهه الكريم تساير اللغة تعميقا لما يريد إيصاله للناس: يروى أنه - صلى الله عليه وسلم، "ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه ثلاث مرات ثم قال: اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة." [٥٨]

على من تجب الزكاة؟

يرى بعض الفقهاء أنها تجب على الحر البالغ العاقل، ويرى أستاذنا عبد الحليم محمد حمودة- رحمة الله - "أنها تجب في الأموال في أي أيد كانت" [٥٩] وهو الحق عندنا لتعم الفائدة لصاحب المال ومستحقه ذلك أنه "ما نقص مال من صدقة" [٦٠]. وهذه مرتبة عالية من الإيمان.

وإذا كان على ولي الأمر أن يستثمر مال اليتيم والمعتوه، فإنه عند عدم القدرة على الاستثمار لا يؤخذ من هذا المال زكاة، وهو ما نص عليه بعض الفقهاء "ليس في مال يتيم ولا معتوه زكاة إلا أن يعمل به". [٦١] وهي مرتبة دون الاولى في الإيمان والتوكل على الله الرازق.

وكذلك من له دين على الغير "يدافع عنه ولا يصل اليه إلا بخصومة فزكاته على الذي هو في يديه". [٦٢]

جواز الصدقة عن الغير:

ويجوز أن يتصدق الرجل عن أبيه وعمه وأمه، وأن تتصدق المرأة من بيت زوجها. وله بما تصدقت أجر لأنه كاسب المال.

فقد حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمر- رضي الله عنه - عاملا على الزكاة فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال رسول الله: ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدا قد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله، وأما العباس فهو عليٍّ ومثلها معها ثم قال: يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه" (٦٣)

معنى الحديث أن من كان فقيرا فأغناه الله يجب ألا ينسى أيّامه الخوالي وآلام الفقراء، ومن يقف أدراعه وأعتاده(٦٤) وغيرها في سبيل الله يعفى من الزكاة لأن أمواله هذه ليست من عروض التجارة.

أما العباس فقد تكفل النبي - صلى الله عليه وسلم- بإيتاء صدقته للسنة السالفة ومثلها معها. لأنه عمه كأبيه.

وعن أبي هريرة أن رجلا قال للنبي - صلى الله عليه وسلم- "إن أبي مات وترك مالا، ولم يوص، فهل يكفّر عنه أن أتصدق عنه قال: نعم" (٦٥)

وروت عائشة -رضي الله عنها- "أن رجلا أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله إن أمي إفتلتت نفسها ولم توصِ وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها اجر إن تصدقت عنها قال: نعم." (٦٦)

ويقول -صلى الله عليه وسلم- "اذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها، وله مثله بما اكتسب، ولها بما أنفقت، وللخازن مثل ذلك من غير أن ينتقص من أجورهم شيئ". (٦٧)

وكذلك للمملوك أن يتصدق من مال مولاه. (٦٨)

مسؤولية الحاكم عن الزكاة:

تتردد كلمة على مسمع الزمان قالها الخليفة الأول أبو بكر الصديق تحدد مسؤولية الحاكم في تحصيل الزكاة "لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلن من فرّق بين الزكاة والصلاة" (٦٩)

ويلفتنا تعبير "القتال" في مثل هذا الامر لبيان خطورته، وأن النفس قد تشح بما لديها، غير أن عبارة أبي بكر لا تغفل عن إرشاد الناس كما أمر الله ورسوله، ولا تغفل عما قرره الفقهاء أن "على ولي الأمر أن يأخذ المال من حلّه، ويضعه في حقه، ولا يمنعه من مستحقه" (٧٠).

وإذا كان من أعداء التنمية الإتلاف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: "من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفة الله" (٧١)

فالقوة في تحصيل الزكاة تساندها قوة في حفظها، وفي ذلك يخاطب الوزير في العدل في الأموال "لأنك في الحقوق سفير مؤتمن ، وكفيل مرتهن، عليك غرمها، ولغيرك غنمها" (٧٢).

لقد أدرك الفقهاء أن الزكاة ركن ركين من موارد الدولة المقررة شرعا، لتنمية المجتمع نفسيا واجتماعيا واقتصاديا. يقول ابن تيمية: "فأما استخراجها وحفظها فلا بد فيه من قوة وأمانة، فيولّي عليها شاباً قوياً يستخرجها بقوته وكاتب أمين يحفظها بخبرته وأمانته" (٧٣)

ولا تتحقق التنمية، بمعناها الواسع، بقوة في تحصيل الزكاة، لا تسايرها أمانة في حفظها وصرفها على مستحقيها، ولقد كان توجيه النبي لمعاذ بن جبل حين بعثه على اليمن قوله - صلى الله عليه وسلم. "..فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" (٧٤)

ومن هذا التوجيه النبوي تستقر النفوس فيراعى حق صاحب المال ويراعى حق[٧٥] الفقير حين تخرج زكاة الحيوان من أوسطها، فلا يؤخذ أحسنها ولا يؤخذ أظهرها عيبا ونقصا".

إن إخراج الزكاة بهذا التوجيه من شأنه وضوح الرؤية للحاكم عما يكون في مجتمعه من وجوه النشاط الاستثماري والاستهلاكي، وتوزيع الدخول.

والتوزيع الجغرافي للزكاة يعين على توجيه الاستثمار في المناطق المختلفة. يقول الشافعي: "أحب أن تقسم صدقة المال حيث المال.. فإذا كان لرجل عشرون شاة في بلد، وعشرون في غيره رفع إلى كل واحد من المصدقين ما يجب عليه من شاة."[٧٦]

وتتمثل صيانة النظام الإسلامي للزكاة في وسم إبل الصدقة بميسم لتتميز عن الاموال المملوكة كما يقول القسطلاني[٧٨]. واذا اعتدى عليها معتد عوقب بما هو أهله، وقد حدث في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن ناسا من عرينة قتلوا راعي إبل الصدقة "واستاقوا الذود فأرسل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر اعينهم وتركهم بالحرة يعضون الحجارة" [٧٩].

الأصناف التي تجب فيها الزكاة

لعل اللافت في الأموال التي حددتها الشريعة لتجب فيها الزكاة أنها تنقلب عدواً أو وسيلة عذاب لمن يضن بها ولا يخرج زكاتها؛ فالذهب والفضة تحمى بها أعضاء الانسان، والإبل تطأ صاحبها.يقول الله تعالى: (.. والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم..) [٨٠]

ويقول – صلى الله عليه وسلم. "من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثّل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزميه – يعني شدقيه – ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك ثم تلا (لا يحسبنّ الذين يبخلون..) الآية" [٨١]

ويقول عليه الصلاة والسلام :"تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها تطؤه بأخفافها، وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرنها.. قال: ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يعار، فيقول: يا محمد فأقول: لا أملك لك شيئا قد بلّغت، ولا يأتي ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول: يا محمد فأقول: لا أملك لك شيئا قد بلّغت". (٨٢)

ومن هذه النصوص، يتبين أن من الأموال التي تجب فيها الزكاة:

(أ) الذهب والفضة وما يصاغ منهما من حلي.

(ب) أموال التجـــارة.

(جـ) الحيوان: وينحصر في الإبل (الجمال)، والغنم (وتشمل المعز) والبقر أيضاً ويقال لهذه جميعا الأنعام.

كـــذلك:

(د) الزروع والثمار لقوله تعالى: (آنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون..) (٨٣)

(كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) (٨٤)

(هـ) الركاز والمعدن: والمقصود بالركاز دفين أهل الجاهلية كأنه ركز في الأرض. (٨٥)

أما ما كان من آثار المسلمين فليس بركاز ويعد لقطة. (٨٦)

والمعدن: ما استخرج من الارض من ذهب أو فضة. (٨٧)

وإذا كانت كلمة "كنز" تعنى المال المدفون (٨٨) فإنها تعنى في المفهوم الديني المال الذي لا تؤدى زكاته، ويكون سببا للتعذيب بنص الكتاب. (٨٩)

وقد غدت المناجم والركاز ملكا للدولة ولا شأن للأفراد بها، وعلى الدولة استغلال هذه المناجم بأقل النفقات، مع تشجيع العاملين فيها بما يحقق نهوضا بالتنمية.

نصاب الزكاة

النصاب: هو القدر أو العدد من الماشية الذي تجب فيه الصدقة، وكذلك هو من الذهب والورق. [٩٠]

(أ) الذهب والفضة وغيرها

١- الذهب: تجب فيه الزكاة أيا كانت صورته نقودا أم سبائك أم تبرا. [٩١]
وإذا كان أقل من عشرين ديناراً [٩٢] فلا تخرج منه زكاة، فإذا بلغ هذا النصاب أو زاد عنه وتم عليه الحول وجبت زكاته بمقدار ربع العشر من هذا النصاب. [٩٣]

٢- الفضة: تخرج منها الزكاة إذا بلغ نصابها مائتي درهم[٩٤] ، وتخرج الزكاة عن ورق البنكنوت والسندات والأسهم على أساس الفضة بمقدار ربع العشر من القيمة النقدية [٩٥].

٣- الحلي: لا شيء عليه إذا كان لفقيرات يتزيّن به. أما إذا كان للادخار، فيؤخذ ربع عشره "إلا أن ينقص من وزن عشرين دينارا عينا، أو مائتى درهم، فإن نقص من ذلك فليس فيه زكاة، وانما تكون فيه الزكاة إذا كان إنما يمسكه لغير اللبس.
فأما التبر والحلي المكسور الذي يريد أهله إصلاحه ولبسه، فإنما هو بمنزلة المتاع الذي يكون عند أهله فليس على أهله فيه زكاة" [٩٦].

٤، ٥- العنبر واللؤلؤ: سئل ابن عباس عن العنبر فقال إن كان فيه شيء ففيه الخمس[٩٦]، وقال الحسن: في العنبر واللؤلؤ الخمس. [٩٧]
وقال مالك: ليس في اللؤلؤ ولا في المسك ولا العنبر زكاة [٩٨].
والأمر عندنا في هذه موكول لإيمان المسلم، وحاجة الدولة للمال من هذه الاصناف، إذا كانت للتجارة.

(ب) أموال التجارة

تجب فيها الزكاة كسائر الأموال، فعن عمرو بن حماس أن أباه قال: مررت بعمر بن الخطاب رضى الله عنه- وعلى عنقى آدمة أحملها، فقال عمر: ألا تؤدى زكاتك يا حماس؟ فقلت: يا أمير المؤمنين مالي غير هذه التي على ظهرى وآهبة في القرظ فقال: ذلك مال فضع، قال فوضعتها بين يديه فحسبها فوجدها قد وجبت فيها الزكاة فأخذ منها الزكاة [٩٩].

ومعنى "فحسبها" أى قومها بمال ليأخذ منها ربع العشر مصداقا لما أمر به عمر بن عبد العزيز: كتب إلى رزيق بن حكيم "أن أنظر من مربك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم من التجارات من كل أربعين دينارا دينارا، فما نقص فحساب ذلك حتى تبلغ عشرين دينارا فإن نقصت ثلث دينار فدعها ولا تأخذ منها شيئا" [١٠٠].

والعروض التي لم تشتر للتجارة من الأموال ليس فيها زكاة بأنفسها؛ فمن كانت له حمامات أو دور لغلة أو غيرها أو ثياب ففيها، زكاة، أو قلت فلا زكاة فيها، والزكاة في غلاتها إذا حال عليها الحول في يد مالكها [١٠١].

(ج) الحيوان

ليس في العوامل من الإبل والبقر صدقة (وهى التي يحمل عليها وتستعمل في الأعمال)، كما ليس في الدواجن من الغنم صدقة (وهي التي تحبس في البيوت على العلف). [١٠٢]

إذا كان العالم الاسلامي على مشارف القرن الخامس عشر الهجري قد أغفل هذا النوع من الثروة للتنمية فإن جهاز الزكاة الاسلامية يستطيع تنمية الثروة الحيوانية إذا طبق الحكم الشرعى في أخذ النصاب من زكاة الحيوان على النحو التالي:

١- الإبـــل

"لا صدقة في الابل الجارّة" أى التي تجر وتقاد [١٠٣].

"ليس فيما دون خمس ذوو صدقة" [١٠٤] فإذا بلغ عددها خمسة فأكثر وكانت سائمة[١٠٥] أى تكون راعية طوال العام أو معظمه وجبت فيها الزكاة.

٢٠-٣٥	بنت مخاض (أى دخلت في الحول الثاني من ولادتها)[١٠٦] { فإن لم توجد فابن لبون + شاتان أو ٢٠ درهما}
٣٦-٤٥	بنت لبون (أي أكملت حولين ودخلت في الثالث}[١٠٧] { فإن لم توجد فبدلا منها حقة + شاتان أو ٢٠ درهما} أو { بنت مخاض + شاتان أو ٢٠ درهما}
٤٦-٦٠	حقة -بالكسر- (أي دخلت في السنة الرابعة واستحقت أن يحمل عليها الحمل والفحل)[١٠٨] { فإن لم توجد فبدلا منها جذعة + شاتان أو ٢٠ درهما} أو { بنت لبون + شاتان أو ٢٠ درهما}
٦١-٧٥	جذعة - بفتحات (وهي للإبل في السنة الخامسة)[١٩٠] {فإن لم توجد فبدلا منها حقة + شاتان أو ٢٠ درهما}
٧٦-٩٠	بنتالبون.
٩١-١٢٠	حقتان.
١٢١- فأكثر	في كل أربعين ابنة لبون، وفي كل خمسين حقة.[١١٠]

* نلاحظ أنه لا يؤخذ الذكور في الزكاة إن كان في النصاب إناث غير ابن اللبون عند عدم وجود بنت مخاض، فإن كانت الإبل كلها ذكورا جاز أخذ الذكور في الزكاة.[١١١]

٢- الغنم

ليس فيما دون الاربعين من الغنم -ويشمل المعز- صدقة. فإذا بلغت أربعين وكانت سائمة، وحال عليها الحول كانت الزكاة فيها شاة واحدة. ثم:

العدد	النصاب
١٢٠-٢٠٠	شاتان.
٢٠١- ٣٠٠	ثلاث شياه.
٣٠١ فأكثر	في كل مائة شاة واحدة.

وتكون الشاة المزكى بها سليمة من العيوب، لا تقل سنها إن كانت من الضأن عن سنة، وإن كانت من المعز فلا تقل عن سنتين.

٣- البقر

ليس فيما دون الثلاثين من البقر -ويشمل الجاموس- صدقة؛ فإذا كانت ثلاثين سائمة ففيها تبيع (ولد البقرة أول سنة)، وفي كتاب الصدقة لاهل اليمن "في ثلاثين باقورة بقرة"..[١١٢] ثم:

العدد	النصاب
٤٠-٥٩	مسنة (أنثى من البقر عمرها سنتان)
٦٠-٦٩	تبيعان {أي ضعف على الثلاثين}
٧٠-٧٩	تبيع ومسنة
٨٠-٨٩	مسنتان {أي ضعف الأربعين}.
٩٠-٩٩	ثلاث تبائع.
١٠٠-١٠٩	مسنة وتبيعان
١١٠-١١٩	تبيع ومسنتان.
١٢٠	أربع تبائع { أو ثلاث مسنات}.
١٢١ فأكثر	في كل ثلاثين تبيع، وفي كل أربعين مسنة.[١١٣]

ونلاحظ أن الزكاة تخرج من نفس هذه الاعيان عند حلول الحول "ولاتخرج قيمتها نقدا الا لعذر أو مصلحة تعود على الفقير"..[١١٤]

وقال مالك: في الإبل النواضح، والبقر السواني، وبقر الحرث: انى أرى أن يؤخذ من ذلك كله، إذا وجبت فيه الصدقة..[١١٥]

(د) الزروع والثمار

ولا يشترط في أداء الزكاة عنها مرور حول عليها، وإنما وقت حصادها وقت إيتاء زكاتها.

ويروى أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أخذ الصدقة من الحنطة والشعير والذرة.[١١٦]، ولا يؤخذ مما ينبت للدواء "ولا من حبوب البقل لأنها كالفاكهة وكذلك

القثاء والبطيخ وحبه لا زكاة فيه لأنه كالفاكهة، ولا يؤخذ من حب العصفر ولا برز الفجل ولا برزبقل ولا سمسم[١١٧] .

ويقول الشافعي: "ولا أعلم في الترمس صدقة ولا أعلمه يؤكل إلا دواء أو تفكها لا قوتا، ولا صدقة في بصل ولا ثوم لأن هذا لا يؤكل إلا أبرازاً أو أدما"[١١٨].

ويقول أيضا: "ولا يخرج زكاة مما أخرجت الأرض ييبس حتى ييبس ويُدرس"[١١٩]. فإذا نضج البلح على النخيل، والعنب وأصبح كل منهما صالحاً فإن الخبراء يخرصونهما[١٢٠]. ثم يقدرون ذلك تمراً وزبيباً لمعرفة مقدار الزكاة فيهما حتى إذا جفت الثمار أخذت الزكاة المفروضة.[١٢١].

والنصاب الواجب في زكاة الزروع والثمار هو ما رواه أبو سعيد الخدرى أن رسول الله – صلى عليه وسلم – قال: "ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة.."[١٢٢] الحديث والوسق- بفتح فسكون- ستون صاعاً[١٢٣] ، والصاع قدح وثلث فتكون الحسبة، خمسة أوسق:

$$٦٠ \times ٥ \times \frac{٤}{٣} = ٤٠٠$$ قدح {أى خمسين كيلة أو أربعة أرادب وسدس}

ولا يجوز التوسع في أصناف الزروع قياساً على ما ذكر " فلا تؤخذ الزكاة من الخضروات ولا من محصولات أخرى" [١٢٤] لا سيما مما يسرع إليه التلف عندنا.

وتفرق الزكاة على ما تنبت الأرض بين ما بذل فيه الإنسان جهدا كبيرا وبين ما جاء يسيراً؛ فما سقت السماء والأنهار والعيون ففيه العشر، وما سقي بالغرف ففيه نصف العشر" [١٢٥] .

فكأن الفرق بين الحالين وهو ٥٪ هو ما يسمى بلغتنا المعاصرة مقابل التكاليف وتستبعد أجور العمال من قيمة المحصول والمصروفات التي أنفقت على الزرع بعامة، كما يتسامح فيما يأكله صاحب الزرع من زرعه قبل حصاده، ويضم جيد الزرع الى رديئه عند احتساب الزكاة.

(هـ) الركاز والمعادن

تجب الزكاة فيما تنبت الأرض "حين يخرج من الأرض ويصلح وكذلك ما خرج من الأرض من المعادن، وما وجد في الأرض من الركاز" [١٢٦].

فمن المعادن الحديد والرصاص والنحاس، وفيها العشر كذلك. قال مالك. "والمعدن بمنزلة الزرع يؤخذ منه مثل ما يؤخذ من الزرع. يؤخذ منه إذا خرج من المعدن من يومه ذلك، ولا ينتظر به الحول كما يؤخذ من الزرع، إذا حصد، العشر، ولا ينتظر أن يحول عليه الحول" [١٢٧].

ونصاب الزكاة في المعادن أن يبلغ ما يخرج منها قدر عشرين دينارا عينا أو مائتي درهم وما زاد على ذلك أخذ بحساب ذلك [١٢٨].

أما الركاز فتؤخذ زكاته على أساس الخمس لقوله- صلى الله عليه وسلم-"في الركاز الخمس" [١٢٩].

ويروى أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال في كنز وجده رجل في خربة جاهلية إن وجدته في قرية مسكونة أو سبيل ميتاء [١٣٠] فعرفه ، وإن وجدته في خربة جاهلية أو في قرية غير مسكونة ففيه وفي الركاز الخمس [١٣١].

وإذا وجد الرجل في أرض الرجل أو داره ركازا فادعى صاحب الدار أنه له فهو له بلا يمين عليه، وإن قال صاحب الدار ليس لى وكان ورث الدار قيل إن ادعيته للذي ورثت الدار منه فهو بينك وبين ورثته، وإن وقفت عن دعواك فيه أو قلت ليس لمن ورثت عنه الدار، كان لمن بقى من ورثة مالك الدار أن يدعوا ميراثهم ويأخذوا منه بقدر مواريثهم [١٣٢].

وتخرج زكاة الركاز حين يجد الرجل الركاز "كما تجب زكاة المعادن حين يجدها لأنها موجودة من الأرض، وهو مخالف لما استفيد من غير ما يوجد في الأرض" [١٣٣].

زكاة الفطر

فرضت زكاة الفطر من رمضان على الناس، على كل حرأو عبد، ذكر أو انثى من المسلمين[١٣٤] . وتجب على المسلم، عنه وعمن يعول، وعن الحمل قبل أن يولد [١٣٥]، إذا ملك قوت عياله يوما وليلة.

ومقدارها صاع من طعام، يقول أبو سعيد الخدري: "كنا نخرج زكاة الفطر صاعا من طعام أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر أو صاعاً من أقط أو صاعا من زبيب"[١٣٦].

وإنما كانت الزكاة من التمر والشعير لأنهما غالب أقوات أهل المدينة، قال عمر: "فجعل الناس عدله مدين من حنطة"[١٣٧]

والمعنى المستفاد أن الزكاة تكون مما يتيسر من أقوات كل إقليم، وفي كلمة "عدله" ما يوضح ذلك، فإذا فتحت العين فالمعنى ما يعادله من غير جنسه، وبكسر العين مثله من جنسه ومقداره [١٣٨].

وإذا تحققت مصلحة المستحق لهذه الزكاة أن تخرج قيمتها نقدا له حسن ذلك. وتخرج قبل الفطر بيومين أو ثلاثة، وقد استحب أهل العلم أن يخرجوا زكاة الفطر إذا طلع الفجر من يوم الفطر قبل أن يغدوا إلى المصلى. قال مالك: "وذلك واسع إن شاء الله أن تؤدى قبل الغدو من يوم الفطر وبعده [١٣٩].

صدقة التطوع

فتح باب التطوع بالصدقات ليشمل بعض أفراد المجتمع تحقيقا لمزيد من التنمية الاجتماعية، كالذمي والمحارب. لقوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)[١٤٠] ويقول جل ثناؤه: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)[١٤١]

وكان باب الصدقة راحة لمن لم يجد إلا القليل ينفقه على مستحقيه، يقول الشافعي: "لا صدقة في العسل ولا في الخيل فإن تطوع أهلهما بشئ قبل منهم، وجعل في صدقات المسلمين، وقد قبل عمر بن الخطاب من أهل الشام أن تطوعوا بالصدقة عن الخيل، وكذلك الصدقة عن كل شيء تقبل ممن تطوع بها"[١٤٢] .

والصدقة تنمية مستمرة للمجتمع وللمتصدق نفسه، إذ يعوّد نفسه العطاء ولو بالقليل. ارأيت لو أن سائلا جاء على فرس ولا نعلم ما أمره غنى، أينتظر حتى وقت توزيع الزكاة؟ إننا نفرج كربته بالصدقة وأمره إلى الله مصداقا لما رواه زيد بن أسلم أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال "أعطوا السائل وإن جاء على فرس"[١٤٣] .

وقد وردت أحاديث تغرى المتصدق بالعطاء، وتنفر أن يأخذ الصدقة من لا يستحق نحو "اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة" [١٤٤].

ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- هو المثل الأعلى لأمته يقول: "لا نورّث. ما تركنا فهو صدقة"[١٤٥] ويقول: "لا يقتسم ورثتى دنانير. ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملي، فهو صدقة"[١٤٦]. ويقول: "لا تحل الصدقة لآل محمد. إنما هي أوساخ الناس"[١٤٧].

وتأمل قول عبد الله بن الأرقم: "آتحب أن رجلا بادنا في يوم حار غسل لك ما تحت إزاره ورفغيه ثم أعطاكه فشربته؟. إنما الصدقة أوساخ الناس يغسلونها عنهم"[١٤٨]. وتكون الصدقة عن ظهر غنى، والأقربون أولى بالمعروف، وليس للمتصدق أن يضيع المال بعلة الصدقة. قال كعب - رضي الله عنه- قلت: يا رسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله- صلى الله عليه وسلم- قال: أمسك عليك بعض مالك فهو خيرلك قلت: فإنى أمسك سهمى الذي بخيبر" [١٤٩].

ومن السبعة الذين يحدثنا عنهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم أنهم يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: رجل "تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه..."[١٥٠]

ويقول الله في آداب الصدقة:(يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى.)[١٥١] ذلك أن جرح المشاعر ممن أخذ وإيذاءه لا يحقق له الاستقرار النفسي، ولهذا كان فضل إعطاء الصدقة سرا مقدما على العلانية في أربع آيات من القرآن.

وثواب الصدقة للمتصدق بها ليس في الآخرة فحسب بل في الدنيا قبل الآخرة إذ تصد الفتن مصداقا لقول الله- صلى الله عليه وسلم- "فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف" [١٥٢]. ويقول الله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[١٥٣]. (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور)[١٥٤]

مصارف الزكاة

يقول الله: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)[١٥٥]

حددت هذه الآية الكريمة ثمانية يستحقون الصدقات، وتطلق "الصدقة" شاملة الزكاة [١٥٦]هم:

(٢،١) الفقراء والمساكين:

وقد اختلف أيهم أحسن حالا الفقير أم المسكين؟ ونحسب أن الأول أحسن حالا؛ ذلك أننا بتقليب حروف "فقر" نجد منها رفق وقفر وفرق وقرف مما يستدعى شيئا للإحسان إليه ليستجمع ما تفرق من أمره، وتشقت من حاله بل يقال: القفار- بالفتح- الخبز بلا أدم، فالفقر قد يأكل خبزه قفارا، وأقفر الرجل: لم يبق عنده أدم، وأقفرت الدار خلت [١٥٦].

أما المسكين فقد سكن إلى حال لا يقوى فيها على الحركة والسعى كما يجب أن تكون الحركة، والسعى، وكناس- بكسر الكاف- الظبى موضعه في الشجر يكتن فيه ويستقر [١٥٧].وبالنظر إلى حروف الكلمة من آخرها نجد "نكس" يقال: نكس الشئ قلبه على رأسه فانتكس [١٥٨].

فهذه المعاني شديدة الوقع إذا أطلقت على إنسان، وأيا ما كان الأمر، فإن الفقراء والمساكين من لا يحصلون على الحد الأدنى للمعيشة الكريمة.

وفي الحديث "ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذي ليس له غنى ويستحي، أو لا يسأل الناس إلحاقا"[١٥٩] .

ويقول جل وعلا: (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) [١٦٠].

ومعنى ألحف السائل: ألح، فالتوجيه الإسلامي ألا يكون معيار معرفة المسكين والفقير هو الإلحاح منهما في طلب الصدقة لهما، وإنما لا بد من بحث اجتماعي للحال التي عليها طالب الصدقة فإذا وضعت في يد من لا يستحق فلا بأس بعد التحري، فقد تكون هذه الصدقة عبرة لمن وقعت في يده بداية لتصحيح حياته؛ فالغني الشحيح يجود، والبغي تتوب، والكافر يعرف فضل الإسلام.[١٦١]

(٣) العاملون على الزكاة

ويشترط فيهم الإسلام والأمانة، وتحكم عملهم القوانين التي تكفل حسن سير العمل بحيث لا ييأس المتعاملون مع جهاز الزكاة من الحصول على حقوقهم، وتكثر الشكوى من سوء المعاملة.

ولا بأس أن يكون العامل على الزكاة من الموسرين فإنما يتقاضى أجر عمل أو عمالة- بفتح كما ورد عن ابن الساعدي المالكي أنه قال: استعملني عمر بن الخطاب-

رضي الله عنه- على الصدقة فلما فرغت منها وأديتها أمر لى بعمالة فقلت له: إنما عملت لله وأجري على الله، قال: خذ ما أعطيت؛ فإني قد عملت على عهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقلت مثل قولك، فقال لي رسول الله: "إذا أعطيت شيئا من غير أن تسأل فكل وتصدق".(١٦٢)

وعن عطاء بن يسار أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أرسل إلى عمر بن الخطاب بعطاء فرده عمر. فقال له رسول الله- صلى الله عليه وسلم-"لم رددته؟" فقال: يا رسول الله أليس أخبرتنا أن خيرا لأحدنا ألا يأخذ من أحد شيئا؟ فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- "إنما ذلك عن المسألة، فأما ما كان من غير مسألة فإنما هو رزق يرزقكه الله" قال عمر بن الخطاب: أما والذي نفسي بيده، لا أسأل أحدا شيئا، ولا يأتيني شئ من غير مسألة إلا أخذته.(١٦٣) .

فنحن نلاحظ من هذين الحديثين أن عمر بن الخطاب وابن الساعدي المالكي كانا متعففين عن أجر العمل وقد عملا بالتوجيه النبوي أن يقبلا هذا الأجر ثم يتصدقا.

ومما يعزز هذين الحديثين وما ذكرنا من أنه لا بأس أن يكون العامل موسرا ما رواه عبد الله بن السعدي أنه لم يكن يقبل القمالة فلما كلّمه في ذلك عمر بن الخطاب "قال: أنا غنى؛ لى أعبد ولى أفراس، أريد أن يكون عملي صدقة على المسلمين" فوجهه عمر- رضي الله عنه- أن يأخذ ما آتاه الله "غير مشرف له ولا سائله" وأن يتصدق به (١٦٤).

(٤) المؤلفة قلوبهم

ومعنى تأليف القلوب استمالتها إلى الخير بالإحسان إلى أصحابها، وقد يكونون من الأشراف أو من الفقراء فإخراج الزكاة إليهم قد يدفع عن المسلمين أذاهم، وقد يحفزهم إلى الإسلام، وقد يثبت قلب من أسلم منهم. إنها تنمية للمجتمع تراعي الفروق الفردية فيما يمس النفس من إشباع الحاجات وتقدير الذات.

ويروى أنه- صلى الله عليه وسلم- لما فتح حنينا قسم الغنائم فأعطى المؤلفة قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس فكان مما قاله فيهم: "ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ الأنصار شعار والناس دثار.(١٦٥) ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض" (١٦٦). فقد تألف قلوب الأنصار بالكلمة الطيبة حقا وصدقا "والكلمة الطيبة صدقة، وتألف قلوب غيرهم بنصيب من الزكاة.

وفي رواية "إن قريشا حديث عهد بجاهلية ومصيبة، وإنى أردت أن أجبرهم واتألفهم، أما ترضون أن يرجع الناس بالدينار، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم؟....". (١٦٧)

(٥) في الرقاب

ونتأمل الحرف "فى" بهذا الموضع، إنه يشير عندنا إلى السعى بعمق لتحرير الرقاب، وفكها من الأسر، أسر العبودية التي فرضت على أناس في الجاهلية، وأسر الحرب في أي زمان كان إذا اشترط العدو لإطلاق سراح أسرى المسلمين مقابلا نقديا يكون من الصدقات ولهذا فليس في مال المكاتب زكاة (١٦٨).

(٦) الغارمون

الغرم- بضم فسكون- الدين: والمقصود بالغارمين في الآية المدينين في طاعة الله (١٦٩). والدين أحد معوقات التنمية، فهو هم بالليل وذل بالنهار.

ويتكفل الحاكم المسلم بقضاء الديون إذا توفي المدين لقوله- صلى الله عليه وسلم-" والذي نفس محمد بيده إن على الأرض من مؤمن إلا أنا أولى الناس به فأيكم ما ترك دينا أو ضياعا فأنا مولاه وأيكم ترك مالا فإلى العَصَبَة من كان"(١٧٠). أى بنيه وقرابته لأبيه.

ومصدره في أداء الديون الزكاة؛ فمن مات وعليه دين تخرج من تركته وتقدم على حق الدائنين والوصية".[١٧١] لقوله تعالى بعد تقرير أنصباء الورثة: (من بعد وصية يوصي بها أو دين.).[١٧٢] ويقول الشافعي: "..وإذا مات الرجل وقد وجبت في ماله زكاة وعليه دين وقد أوصى بوصايا أخذت الزكاة من ماله قبل الدين والميراث والوصايا، وإن مات قبل أن تجب الزكاة فيها ثم حال حولها قبل أن تقسم أخذت منها الزكاة..".[١٧٣]

ويفرق التشريع الإسلامي هنا بين الزكاة والصدقة؛ فالزكاة مقدمة قبل توزيع الميراث لأنها واجبة على المسلم، أما الصدقة فهى من إنفاق المسلم طوعا و"الدين أحق أن يقضى من الصدقة".[١٧٤]

(٧) في سبيل الله

إن العبادات والمعاملات يقوم بها المسلم "في سبيل الله"، وإنما جاءت هذه العبارة في آية التوبة لتفتح بابا لمزيد من التنمية "من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد"[١٧٥] وكل ما يحتاج إليه المجتمع الإسلامي على مر الزمان من وجوه الخير في الحرب والسلم.

(٨) ابن السبيل

وقد سلك ابن السبيل في حديث شريف مع المسكين واليتيم إشارة إلى نفاد ماله، وسوء حاله بعد أن انقطع عن بلده مسافرا، وذلك في قوله- صلى الله عليه وسلم".. إنّ هذا المال خضرة حلوة. فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل"[١٧٦]

على أن يكون مبتغاه في الطريق مما لا يعصى به الله- جل وعلا- وقد قدم قبل هذا المصرف من مصارف الزكاة المصرف السابع "في سبيل الله" ليكون من المسلم في ملتقى البصر، ولا تتناقض عبارة في الآية وعبارة أخرى في القرآن الكريم.

من تحرم عليهم مصارف الزكاة

على ولى الأمر ألا يضنّ على المستحقين بعد تحرى استحقاقهم وفي ذلك يقول- صلى الله عليه وسلم- "ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفّه الله..."(١٧٧) غير أنه يبقى في ضمير المسلم ألا يأخذ المال بغير حقه "وإن يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيدا عليه يوم القيامة".(١٧٨)

١ - تحرم الزكاة على آل النبي- صلى الله عليه وسلم- وفي ذلك تلقين للقيادات ألا يتورطوا في شبهة إعطاء المال العام لذويهم بغير حق.

٢ - تحرم على من تجب النفقة عليهم من المزكي نفسه كالزوجة والأبناء.

٣ - تحرم على المحاربين للإسلام إلا من نستألف قلوبهم منهم.

الزكاة والضريبة

تعمد الحكومات لزيادة مواردها المالية إلى فرض ضريبة" على بعض فئات المجتمع، وتأخذ هذه الضريبة تسميات تكشف عن نوعيتها كضريبة التركات وضريبة الدخل العام.

وواضح الفرق بين مدلولي "الزكاة" و"الضريبة" فبرغم أن كليتهما ضربة لازب، تلزم الأفراد بشروط معينة، إلا أن الأولى تحمل معنى الطهر ولا كذلك الأخيرة، والأولى فرضها الله- سبحانه- مالك الخبراء في الدنيا والآخرة، أما الأخيرة فقد تميل إلى تشدد أو تخفيف يدفعها الأفراد مذعنين، وقد يحاولون التهرب منها، وهم في ذلك تحت الشعور بوطأة الظلم قد ينسون ما أمر به الله من طاعة اولى الأمر لأنه في نظرهم يحكم بغير ما أمر الله به من العدل.

وإذا كانت المساجد تقوم بتحصيل الزكاة من الأفراد، وتوزيعها مما يعين على عمارتها مصداقا لقوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)(١٧٩)

ويلتفت المفسرون إلى اعتبار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في عمارة المسجد "لأن الإنسان إذا كان مقيما للصلاة فإنه يحضر في المسجد فتحصل عمارة المسجد بذلك المسجد، وإذا كان مؤتيا للزكاة فإنه يحضر في المسجد طوائف الفقراء والمساكين لطلب أخذ الزكاة فتحصل عمارة المسجد بذلك الحضور [١٨٠].

وإذا كان لا بديل في نظرنا عن إنشاء جهاز مركزي للزكاة فإن المساجد الكثيرة في كل حي تعد فروعا لهذا الجهاز في تحصيل الزكاة والصدقات حيث لا يمكن للحكومة أن تنشئ مكاتب للضرائب بعدد المساجد، وفي ذلك تيسير على مؤتي الزكاة لا يجده الممول للضرائب الوضعية، بالإضافة إلى ما يشيعه جو المسجد من ارتفاع الروح المعنوية (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين).

وعند تولى الحكومة أخذ زكاة الحيوان فإنها تنشئ دارا للتنمية الحيوانية، ولزكاة الزروع والثمار فتنشئ مزرعة الزكاة، مما يتيح لهذا الجهاز الضخم فرصا لتشغيل الأيدي العاملة، والخبرات المختلفة من خريجي كليّات الزراعة والطب البيطرى وتخصصات متنوعة في الشؤون الدينية والاجتماعية والاقتصادية. ويحسن عندنا أن يتبع هذا الجهاز رئيس الدولة مباشرة.

هوامش البحث

١ - الكهف ٨
٢ - النجم ٣٢
٣ - النازعات ١٧، ١٨
٤ - آل عمران ١٦٤.
٥ - النور ٨
٦ - الكهف ١٩
٧ - صحيح مسلم ٢ /١٠١
٨ - مسلم ٢ /٩٩/ ١٠٠
٩ - مسلم ٢/ ١٠٠
١٠ - النور ٣٠
١١ - مريم ١٩
١٢ - مريم ٢١
١٣ - الليل ١٧ ، ١٨
١٤ - النجم ٣٢
١٥ - المزمل ٢٠
١٦ - تأويل الدعائم ٣/٨٥
١٧ - البقرة ٤٣
١٨ - المائدة ٥٥
١٩ - المائدة ١٢
٢٠ - الروم ٣٩
(٢١ ، ٢٢) مختار الصحاح: ن م ي

٢٣ - حديث صحيح، رواه مسلم والبخاري.

٢٤ - الاعراف ٩٦

٢٥ - استاذ ورئيس قسم الاقتصاد بكلية التجارة

٢٦ - التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاسلام ص١٠ .ط. فينوس. الاسكندرية.

٢٧ - الليل ٥-١١

٢٨ - البقرة ١٥٥

٢٩ - مسند أحمد ص ٢٥٣

٣٠ - التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاسلام ص ٩٨.

٣١ - الجن ١٣

٣٢ - الأعراف ٨٥

٣٣ - هود ٨٥، الشعراء ١٨٣

٣٤ - الانشراح ٧، ٨

٣٥ - الإنشراح ١

٣٦ - الاعراف ١٥٦

٣٧ - التوبة ١٨

٣٨ - التوبة ٧١

٣٩ - البقرة ٢٧٧

٤٠ - التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاسلام ص٥٣

٤١ - المرجع السابق ص١٠٦، ص١٠٧

٤٢ - الدعائم ٥١/١

٤٣ - النازعات ١٤، ١٥

٤٤ - مريم ٣١

٤٥ - الأحزاب ٣٣

٤٦ - البخاري ٢٤٧/١، ٢٤٨، ٢٥٠

٤٧ - التوبة ٥

٤٨ - التوبة ١١

٤٩ - مريم ٥٤، ٥٥

٥٠ - التوبة ١٣

٥١ - مسلم ٢/٨٥، الموطأ ص٩١٥ مع اختلاف في اللفظ. الفلو: ولد الفرس، الفصيل: ولد الناقة.

٥٢ - البخاري ١/٢٦١.

٥٣ - الموطأ ص١٦٥.

٥٤ - الموطأ ص٦١٦.

٥٥ - الزلزلة ٧، ٨ .

٥٦ - آل عمران ١٨٠ .

٥٧ - الأم ٢/٢ .

٥٨ - مسلم ٢/٨٦

٥٩ - التشريع الاسلامي ص١٢٩، ص١٤٥ الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م إلا .....

٦٠ - اللفظ مختلف في الموطأ ص٦١٧.

(٦١، ٦٢) الدعائم ٣/٧٧، ٧٨

٦٣ - مسلم ٢/٦٨

٦٤ - الأعتاد: جمع عتد - بفتحتين - كأزمان جمع زمن، ما يتأهب به للحرب من ملابس حربية وسلاح ودواب.

٦٥ - مسلم ٥/٧٣

٦٦ - مسلم ٢/٨١، ٥/٧٣

٦٧ - مسلم ٢/٩٠

٦٨ - مسلم ٢/٩١

٦٩ - البخاري ١/٢٤٣ وفيه "لومنعوني عناقا"، العواصم ص٤٦.

٧٠ - السياسة الشرعية ص٤٥.

٧١ - البخاري ١/٢٤٨

٧٢ - قوانين الوزارة ص٤٨.

٧٣ - السياسة الشرعية ص١٩ ، ص٣١

٧٤ - البخارى ٢٦١/١

٧٥ - التشريع الاسلامي ص١٤٣.

٧٦ - الأم١٦/٢ ويراجع حديثنا عن نصاب الزكاة في هذه الدراسة.

٧٨ - البخارى ٢٦٢/١ وحاشية السندي.

٧٩ - البخارى ٢٦٢/١

٨٠ - ونلاحظ أن تذييل الآية يشير الى سبب العذاب وهو الكنز (.. هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) التوبة ٣٤، ٣٥.

٨١ - صحيح البخارى ٢٤٤/١، الشجاع - بضم الشين، وتكسر-: الحية، الموطأ ص١٧٤.

٨٢ - صحيح البخارى ٢٤٤/١

٨٣ - البقرة ٢٦٧

٨٤ - الانعام ١٤١

٨٥ - مختار الصحاح: رك ز.

(٨٦.٨٧) التشريع الاسلامي ص١٤٤.

٨٨ - مختار الصحاح، ك ر ز.

٨٩ - البخارى - حاشية السندى ٢٤٤/١، الموطأ ص١٧٤.

٩٠ - تأويل الدعائم ٩٦/٣.

٩١ - التبر: ما كان من الذهب مضروب: فإذا ضرب دنانير فهو عين، ولا يقال تبر إلا للذهب، وبعضهم يقول للفضة أيضا. مختار الصحاح: ت ب ر

٩٢ - الدينار على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من الذهب، والدرهم من الفضة.

٩٣ - فإذا كانت لك مائتا درهم ففيها خمسة دراهم. الأم ٣٤/٢، الموطأ ص١٦٨.

٩٤ - أى.

٩٥ - التشريع الاسلامي ص١٣٥.

٩٦ - الموطأ ص١٧١.

(٩٦-٩٨) البخارى ١/٢٦١، الأم ١/٣٦، الموطأ ص١٧١.

٩٩ - آدمة على وزن أفعلة جمع أديم كرغيف وأرغفة وهو الجلد، وآهبة كذلك جمع إهاب وهو الجلد ما لم يدبغ. الأم ٢/٣٩

١٠٠ -الأم ٢/٣٩

١٠١ - الأم ٢/٣٩

١٠٢ -الأم ٢/٣٠، تأويل الدعائم ٣/٩٥

١٠٣ -النهاية ١/٢٥٨ فاعلة بمعنى مفعوله مثل ارض غامرة بمعنى مغمورة

١٠٤ -الام ٢/٣، الموطأ ١٧٨ الذود-بفتح فسكون- ما بين الثلاث الى العشر من الابل، وهي مؤنثة لا واحدة لها من لفظها، وجمعها أذواد.

١٠٥ -سامت الماشية تسوم برعت.

١٠٦ -الدعائم ٣/٨٧

١٠٧ -الدعائم ٣/٨٩

١٠٨ -الدعائم ٣/٩١، النهاية ١/٤١٥

١٠٩ - وهي لولد الشاة في السنة الثانية ولولد البقرة والحافر في السنة الثالثة. وجمع جذعة جذعات وجذاع. مختار الصحاح: ج ذ ع. وأصل الجذع من أسنان الدواب وهو ما كان منها شاباق النهاية ١/٢٥٠، الدعائم ٣/٩٢.

١١٠ -التشريع الاسلامي ص ١٤٠، ص١٤١.

١١١ -التشريع الاسلامي ص ١٤١.

١١٢ -الباقورة في لغة اليمن البقر. النهاية ١/١٤٥، مختار الصحاح: ن ق ر

١١٣ -الدعائم ٣/٩٣، النهاية ١/١٧٩.

١١٤ -التشريع الاسلامي ص ١٤٦.

١١٥ -الموطأ ص ١٧٨.

الناضح: البعير (الجمل أو الناقة) يستقى عليه، والأنثى ناضجة وسانية، وفي المثل: سير السواني سفر لا ينقطع.

(١١٦-١١٧)الأم ٢/٣٠، ٣١، الموطأ ص ١٨٤.

١١٨ - الأم ٢/ ٣٠، ٣١، الموطأ ص١٨٤

١١٩- الأم ٢/ ٣٠، ٣١، الموطأ ١٨٤.

١٢٠ -خرص: من باب خرص يخرص ما على النخل من الرطب تمراً قبل حصاده بغير كيل.

١٢١ -التشريع الاسلامي ص ١٣٩.

١٢٢ -الموطأ ص ١٦٧.

١٢٣ -قال الخليل: الوَسْق محل البعير والوِقر-بكسر فسكون-محل البغل والحمار، مختار الصحاح: و س ق.

١٢٤ -التشريع الاسلامي ص ١٣٨، ص ١٣٩.

١٢٥ - البخاري ٢٥٩/١، الدعائم ٣/ ١٠٠-الغرب بفتح مسكون الدلو الكبيرة واشباهها مما يستقى به من الآبار.

١٢٦ -الأم ٢/ ١٤، ٣١

١٢٧ - الموطأ ص١٧٠

١٢٨ -الموطأ ص٧٠

١٢٩ -الموطأ ص١٧٠

١٣٠ -ميتاء- على وزن فيعال - أى كثيرا ما يأتي إليها الناس.

١٣١ -الأم ٣٧/٢.

١٣٢ -الأم ٣٧/٢

١٣٣ -الأم ٣٨/٢

١٣٤ -الموطأ ص١٩٠

١٣٥ -الدعائم ١٠٤/٣

١٣٦ -البخارى ٢٦٣/١، مسلم ٦٩/٢- الأقط- بفتح فكسر- اللبن المتحجر مثل الجبر.

١٣٧ -مسلم ٦٩/٢ والمد- بضم الميم- حفنة من كفي رجل معتدل الكفين، وهو ربع الصاع.

١٣٨ -مسلم ٦٩/٢- حاشية.

١٣٩ -الموطأ ص ١٩١، مسلم ٢/ ٧٠، الدعائم ١٠٣/٣

١٤٠ -المتحنة ٨

١٤١ -الإنسان ٨

١٤٢ -الأم ٢/٣٣

١٤٣ -الموطأ ص ٦١٥

١٤٤ -الموطأ ص٦١٧، البخارى ١/١

(١٤٥، ١٤٦) الموطأ ص٦١٤، المسند ص٤٩، ص٧١

١٤٧ -الموطأ ص٦١٨

١٤٨ -الموطأ ص٦١٨

١٤٩ -البخاري ١/٢٤٨

١٥٠ -البخاري ١/٢٤٨

١٥١ -البقره ٢٦٤

١٥٢ -البخاري ١/٢٤٩

١٥٣ -البقره ٢٧٤

١٥٤ -فاطر ٢٩، ٣٠

١٥٥ -التوبة ٦٠

١٥٦ -حاشية السندي ١/٢٥٤

١٥٦ -مختار الصحاح: ف ق ر، ق ف ر.

(١٥٧، ١٥٨) مختار الصحاح: ك ن س، ن ك س.

١٥٩ -البخاري ١/٢٥٨، مسلم ٢/٩٥

١٦٠- البقره ٢٧٣

١٦١ -يراجع حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في صحيح البخاري ١/٢٤٧، مسلم ٢/٩.

١٦٢ -المسند ص٢٠٠

١٦٣ -الموطأ ص٦١٧، مسلم ٣/٩٩

١٦٤ -المسند ص١٦٥.

(١٦٥. ١٦٦) أي الأنصار ألصق به- صلى الله عليه وسلم- من سائر الناس، والشعار: الثوب يلي الجسد، والدثار فوقه. مسلم ٣/١٠٨.

١٦٧ -مسلم ٣/١٠٦ أجبرهم أي أغنيهم من فقر، من الفعل "جبر" من باب نصر.

١٦٨ -المكاتب: العبد الذي يكاتب مولاه على مال يجعله على نفسه نجوما فإن أدى ذلك على ما شرطه على نفسه عتق. الدعائم ٣/٧٩.

١٦٩ -مراح لبيد ١/٣٤٤

١٧٠ -مسلم ٥/٦٢

١٧١ -التشريع الإسلامي ص١٤٥.

١٧٢ -النساء ١٢

١٧٣ - الأم ٢/١٣

١٧٤ -البخاري ١/٢٤٨

١٧٥ -مراح لبيد ١/٣٤٤

١٧٦ -البخاري ١/٢٥٥، مسلم ٢/١٠٢

١٧٧ -البخاري ١/٢٥٧، مسلم ٢/١٠٢.

١٧٨ -البخاري ١/٢٥٦.

١٧٩- التوبة ١٨

١٨٠- مراح لبيد ١/٣٣٣.

الزكاة ودورها في التنمية

المبحث الأول

فريضة الزكاة، طبيعتها ماهيتها

الدكتور عوف محمود الكفراوي

استاذ الاقتصاد الاسلامي المساعد

بجامعة الامام محمدبن سعود الاسلامية

الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة يكفر جاحدها، ويجد الباحث في النظام المالي الإسلامي أن الشريعة الاسلامية الغراء خصصت بعض الإيرادات للإنفاق منها على أوجه معينة محددة، وفي الوقت نفسه تركت باقي الموارد مصرفا عاما على باقي المصالح العامة في الدولة الاسلامية دون تخصيص. وفيما يتعلق بالزكاة:

فقد بين الله تعالى في كتابه الكريم مصرف الزكاة، فقال جل شأنه: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" [(١)]

وتدل الآية السابقة أن لولي الأمر أن ينفق على المصارف التي أمر الله بها ولا يحيد عن ذلك، فلا ينفق حسب هواه كما يتصرف المالك في ملكه الخاص. فقد فصل التشريع المالي الاسلامي بوضوح بين مالية الحاكم ومالية الدولة؛ فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه ليس المنع والعطاء بإرادته واختياره، كما يفعل ذلك المالك في ماله الخاص، وانما هو عبدالله يقسم المال بأمره، فيضعه حيث أمره الله تعالى ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة والقدوة الحسنة، ففي ذلك قال صلى الله

عليه وسلم: "إني - والله - لا أعطي احداً ولا أمنع أحدا، وإنما أنا قاسم أضع حيث أمرت"[٢]، وهكذا تقسّم أموال الزكاة في مصارفها.

وكانت نتيجة حتمية لهذا التقسيم وتخصيص كل نوع من الإيرادات بوجوه معينة من المصارف عدم توجيه إيراد نوع إلى غير مصرفه، كما لا يجمع بين الايرادات من المصادر المختلفة. فمثلا لا يتولّى عمال الخراج العمل في الصدقات حتى لا تختلط الاموال. وفي ذلك يقول القاضي أبو يوسف [٣] "ولا تولأها "الصدقات" عمال الخراج فإن مال الصدقة (الزكاة) لا ينبغي أن يدخل في مال الخراج ولا ينبغي أن يجمع الخراج الى مال الصدقات والعشور لأن الخراج لجميع المسلمين والصّدقات لمن سمى الله عز وجل في كتابه". كما يقول الماوردى [٤] "ولا يجوز أن يصرف الفيء في أهل الصّدقات ولا تصرف الصّدقات في أهل الفيء ويصرف كل واحد من المالين في أهله".

نخلص من هذا أن التشريع المالي الإسلامي اعتبر الميزانية العامة للدولة تتكون من مجموع ميزانيات او أقسام لكل منها أبواب ايراد وأبواب صرف. فلا يجوز في التنظيم المالي في الإسلام ان تضم الميزانيات الى بعضها البعض، فلا يجوز ان تضم ميزانية الزكاة الى ميزانية الدولة العامة التي تصرف في مصارف شتى [٥].

فقد اهتم التشريع المالي الاسلامي اهتماما كبيرا بالمصارف حتى لا يأخذ المال من لا يستحقه ويحرم منه صاحب الحق الشرعي، فجعل التشريع المالي الإسلامي لكل محتاج نصيبا في الأموال العامة ومال الزكاة خاصة، وكان هذا الاتجاه الجماعي في التشريع المالي الإسلامي سبقا في علم الاقتصاد المالي عامة وفي الإنفاق الحكومي خاصة، لم ينتبه له علماء الغرب إلا بعد قرون عديدة من ظهور الاسلام وانتشار مبادئه وتعليماته.

المبحث الثاني
مصارف الزكاة

وفي هذا المبحث نبين المصارف المختلفة للزكاة، وذلك على النحو الاتي:

حدد الله جل شانه مصارف الزكاة في قوله تعالى "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" (٦) والمتأمل في هذه الأصناف الثمانية المستحقين للزكاة يجد أنهم يمثلون طبقة تستحق العطف والاعانة في المجتمع، اذا أراد هذا المجتمع أن يكون وحدة متماسكة وأن يكون كالبنيان يشد بعضه بعضا. ففريضة الزكاة روعي فيها مصلحة أرباب الأموال ومصلحة المستحقين فاقتضت حكمة الله تعالى أن جعل في الأموال قدرا يسيرا لا يجحف بها للإنفاق على الأصناف الثمانية ويجمعها صنفان من الناس.

أحدهما من يأخذ لحاجة فيأخذ بحسب شدة الحاجة وضعفها وكثرة الزكاة وقلتها وهم الفقراء والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل.

والثاني من يأخذ لمنفعته وهم العاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمون لإصلاح ذات البين والغزاة في سبل الله.

فاذا لم يكن الآخذ محتاجا ولا فيه منفعة للمسلمين فلا سهم له في الزكاة وإنه لا يستحق (٧) الزكاة إلا حر مسلم، ليس بهاشمي، ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله عز وجل. ولا تصرف زكاة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمي ولا الى مطلبي. اما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما اذا قبض وليهما. (٨)

فالأصناف الثمانية التي أوجب الله لهم الزكاة، بين لنا الفقهاء صفاتهم التي يستوجبون بها استحقاقهم لسهمهم، يتضح بصفة عامة أنهم يستحقون الزكاة إما بسبب حاجتهم ولتمكينهم من الحياة الكريمة ورفع مستوى معيشتهم الى المستوى الذي يمكن المجتمع من الاستفادة منهم وبهم وحتى لا يكونوا حجرا في طريق تقدمة ونموه، او إنهم يستحقونها بسبب منفعة تعود على المسلمين بإعطائهم. ويعطى كل صنف مقدار كفايته على اختلاف في المذاهب "واذا عدم بعض الأصناف الثمانية قسمت الزكاة على من يوجد منهم ولو كان صنفا واحدا ولا ينقل سهم من عدم منهم في جيران المال الا سهم سبيل الله في الغزاة فإنه ينقل إليهم لأنهم يسكنون في الثغور في الأغلب" (٩). فلا تنقل الزكاة من إقليمها الا إذا توافرت شروط، منها أن تنقل لذي رحم او استكفاء الإقليم وعدم وجود مستحقين فيه.

وقد وضع لنا التشريع المالي الإسلامي أسس التمويل المحلي منذ أربعة عشر قرنا بإنفاق حصيلة الزكاة في الأقاليم التي تجبى منها. ولا يؤخذ منها بدون حق او بغير استحقاق، فاخذ بدون حق مزاحمة للمساكين وتضييق عليهم ومنع من أن تصرف في باقي المصارف. فيجب أن يراعي ولى الأمر وآخذ الزكاة ومخرجها انها حق واجب لله سبحانه وتعالى في الأموال، ورزق لعباده المحتاجين يأخذ منها بالحاجة ولا منة فيها.

ولما كان الانفاق يعدّ من أهم أركان الاقتصاد مهما كان لونه، فإن انفاق الزكاة المفروضة على المسلمين يصبغ هذا الركن بصبغة إنسانية تميّز المجتمع الاسلامي عن المجتمعات، ويتضح لنا ذلك جليا من دراسة الآثار الاقتصادية المترتبة على فريضة الزكاة وإنفاقها. (١٠)

المبحث الثالث

الآثار المترتبة على الزكاة ودورها في التنمية

آثار الزكاة كل لا يتجزأ من الصبغة الإسلامية العامة للحياة، فالشريعة الاسلامية تترابط فروعها وتتفاعل، والهدف الأسمى الذي ترمى الى إدراكه هو تحقيق العدالة التوزيعية بوجه خاص والعدالة الاجتماعية بوجه عام، فتؤثر على الإنتاج وعلى التوزيع من خلال سياسة تهدف الى التنمية والاستقرار.

فالزكاة جباية مالية من اعدل الجبايات وأكثرها اتزانا واعتدالا من جميع الجبايات التي عرفها التاريخ الاقتصادي المالي في العالم منذ اقدم العصور إلى أن يرث الله الارض ومن عليها، وهي اكبر موارد الدولة الاسلامية وهي ركن من اركان الاسلام مما يضمن استمرار هذا المورد. ولهذا الركن او لهذه الفرضية آثار متعددة يعنينا هنا في المقام الأول الآثار الاقتصادية والتنموية للزكاة. الا أننا لكي نوضح ذلك يتطلب الامر منا أن نوضّح، ولو باختصار الاثار، النفسية والاجتماعية لهذه الفريضة حتى تأتي الصورة واضحة متكاملة مترابطة.

ونتناول فيما يلي الآثار المختلفة لفريضة الزكاة مع التركيز على الآثار الاقتصادية ودورها في التنمية:

أولا: الآثار النفسية والاجتماعية للزكاة

شرع الله الزكاة ليدفعها المقتدر ليحيي بها بطونا ويزيل بها آلاما. فالزكاة فريضة إنسانية يبذلها الغني رابطة بينه وبين ربه راضية بها نفسه يفيد منها المجتمع والدولة، حتى لا يعيش مسلم معدما محروما ولا يبقى غني أنانيا جشعا. (١١)

فالمسلم الحق يعطي الزكاة عن طيب خاطر ساعيا بها للتقرب الى الله موقنا بان المال لا تنقصه الصدقة بل تطهره وتنميه ولا يحتاج في ذلك الى رقيب.

الزكاة حق شرعه الله لمستحقيها وليست منة من أحد، وقد جاء في القرآن الكريم تحذير شديد لمن يشعرون بالاستعلاء عند دفع الزكاة وأنواع الصدقات فقال تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا"[١٢]

فمستحق الزكاة عندما يأخذ نصيبه منها فانما يأخذ حقا له واجبا، ولا يسقط حقه هذا بعدم مطالبته به بل هو قائم في أموال الاغنياء.

فالزكاة تدعم روابط الالفة والمحبة، وتحيي بواعث الإخاء والود بين أفراد الجماعة وتجعل المناخ النفسي مناسبا وملائما للتنمية والازدهار في ظل سلام اجتماعي حقيقي.

كما إن لفريضة الزكاة آثاراً إجتماعية بالغة الاهمية تهيىء المناخ المناسب للتنمية الاقتصادية. ومن اهم هذه الآثار التي تخلق الجو المستقر اللازم والضروري لقيام التنمية الإقتصادية ما يلي:

١ - وجود مجتمع متكافل ومتضامن

ففرضية الزكاة بمثابة رابطة بين الانسان وربه من ناحية، وبينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه من ناحية أخرى.

والإسلام فرض الزكاة لتكون بمثابة ضريبة إنسانية مقدسة يبذلها الغني ويفيد منها المجتمع والدولة، حتى لا يعيش مسلم معدوما محروما، ولا يبقى غني انانيا جشعا. هذا هو الضمان والتكافل الاجتماعي في أرقى وأفضل صورة كثمرة من ثمار تشريع الزكاة.

٢ - محاربة الفقر وتقليل التفاوت بين الطبقات:

ففريضة الزكاة أول مصارفها كما بيّن الله تعالى للفقراء والمساكين هذا يدلنا على ان الهدف الأول من الزكاة هو القضاء على الفقر والعوز ويستدل على هذا أيضا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين وجّهه الى اليمن "أعلمهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم".

فقد اعتبر الإسلام أن الفقر مرض اجتماعي خطير[١٣] كما قال عليه السلام "كاد الفقر أن يكون كفرا"[١٤] فلا بد من محاربة الفقر بألوانه كلها، وإنما يتم ذلك بالنظر الى المجتمع كله على أنه وحدة متماسكة.

استهدف التشريع المالي السلامي من فرض الزكاة على الاغنياء وتوزيعها في مصارفها الثمانية، تعميم التكافل الاجتماعي حتى يكثر حق الفقير ويزداد نصيبه بذلك.

إن تشريع الزكاة أدى الى التقريب بين الطبقات بمعنى أنه رفع مستوى المعيشة لدى الطبقات الفقيرة.

٣ - المحافظة على الأمن العام للدولة والحرص على حرية الافراد

نجاح الزكاة في التقليل من التفاوت الطبقي وتحقيقها للتقارب بين طبقات المجتمع من شانه ان يخلق جوا من الامن والطمأنينة يسود المجتمع ويزيل ما يكون قد ترسب في النفوس من حقد او حسد بين طبقاته. ويساعد على ذلك اخراج الزكاة من المال نفسه.

والنتيجة التي تترتب على ذلك هي إشاعة الأمن بين الناس وقلة الجرائم وخاصة المالية منها. كما ان تحديد سهم من مصارف الزكاة للمؤلفة قلوبهم من شأنه تحقيق صالح المجتمع الإسلامي وتجنيبه شرور هؤلاء الذين لم يحسن إيمانهم وأخذهم عونا لخدمة الاسلام.

فقد جاء النظام الاسلامي والرق نظام عالمي متعارف عليه، ولكن الاسلام يقدّس الحرية ويحافظ عليها وتعمل الدولة جاهدة من اجلها، فلا حرية للدولة اذا كان افرادها أرقّاء. وبناء عليه كان لا بد أن يعمل الاسلام على انتهاء هذه المشكلة، فحد الاسلام من مصادر الرق وسد منافذه، فحرم السلب والنهب والإغارة وكذلك ان يعتبر الانسان أخاه سلعة فيشتريه، وكان تحديد القرآن الكريم لسهم من الزكاة لشراء الرقيق وعتقهم من أهم الاسباب التي عجلت بتصفية الرق في البلاد الاسلامية.

ثالثا: الآثار الاقتصادية للزكاة ودورها في التنمية

بعد أن أوضحنا الآثار النفسية والاجتماعية بالنسبة للزكاة تبرز أهمية فلسفة الزكاة من الناحية الاقتصادية والمالية فهي جماع ما تقدم، وهي تقرر أن ارتقاء الانسان ماديا وروحيا مرهون بارتقاء حالته الاقتصادية. ولهذا، جاء تشريع الزكاة ليضمن حد "الكفاية" لا حد الكفاف لكل مواطن. وذلك باعادة توزيع الدخل بما يحقق الاستقرار والتنمية الاقتصادية.

وتقوم فلسفة إنفاق الزكاة على نظرية اقتصادية لم تعرف الا حديثا [١٥] وهي نظرية "تناقص المنفعة الحدية، للدّخل عند الاغنياء وتزايدها عند الفقراء، مما يساعد على زيادة الرفاهية الاقتصادية في المجتمع. وتعتمد فلسفة الزكاة في اعادة توزيع الدخل علي ظاهرة اقتصادية هامة وهي "تناقص الميل الحدّي للاستهلاك وتزايد الميل الحدّي للادخار عند الاغنياء "وبالعكس" تزايد الميل الحدّي للاستهلاك، وتناقص الميل الحدّي للادخار عند الفقراء. ويترتب على تلك الظاهرة زيادة الطلب الفعال كما ذهب الى ذلك الاقتصادي الكبير "كينز" ومعروف ان الطلب الفعال يؤثر في حجم التوظف الذي يتوقف بدوره على كمية الانفاق على الاستهلاك وعلى كمية الانفاق على الاستثمار، والمحصلة لذلك هي الانتعاش الاقتصادي سواء من ناحية الاستهلاك، أو الاستثمار. وهنايكون الانتعاش مانعا من الوصول الى حالة الركود الاقتصادي التي تترتب على زيادة المدخرات ونقص الاستثمار وقلة الطلب الفعّال، اذ ان الزكاة تقلل من انسياب

الاموال بشدة الى مجرى الادخار وتحول جزءا منها الى مجرى الاستهلاك الامر الذي يمنع من الركود الاقتصادي او يمنع من تحقيقه.

يقوم انفاق حصيلة الزكاة بدور هام وفعّال في اقتصاديات المجتمع الاسلامي ومن أهم هذه الآثار:

١ - تأثير الزكاة على الإنتاج والاستثمار

فضلا عمّا لفريضة الزكاة عند تحصيلها من تأثير من شأنه أن يدفع الناس الى ضرورة استثمار أموالهم حتى لا تأكلها الزكاة، اي حتى لا تاتي عليها التكاليف التي تتحملها، وحتى يستطيع الممول ان يدفع الزكاة من ربح الاستثمار بدلا من أن يدفعها من راس المال نفسه. وفي هذا يوصي رسول الله صلي الله عليه وسلم باستثمار مال اليتيم حتى لا تاكله الصدقة حيث يقول "اتّجروا بمال اليتيم حتى لا تأكله الزكاة" فاذا كان الرسول الكريم يامر الأوصياء باستثمار مال اليتامى فمن باب اولى ان ينمي الانسان ماله ليدفع الزكاة من ربحه، حتى لا تاكله الزكاة، ويكون ذلك ايسر على النفس. وفضلا عن هذا التاثير الذي يدفع المسلمين الى استثمار اموالهم وعدم اكتنازها - والاكتناز منهى عنه - فان هذا يساعد في مجال التنمية الاقتصادية بالعمل على سرعة دوران راس المال، لان فريضة الزكاة على رأس المال والدخل المتولد منه معا- وليست على الدخل فقط- يدعو الى عدم ترك الاموال عاطلة دون استغلال مما يشجع الاستثمار، كما أن إنفاق حصيلة الزكاة على مستحقها له آثار اقتصادية هامة على الإنتاج والاستثمار:

أ - فمستحقو الزكاة من الفقراء والمساكين سوف ينفقونها في الغالب [١٦] لقضاء حاجتهم الاستهلاكية سواء كانت سلعا او خدمات، فمن المعروف تزايد الميل الحدّي للاستهلاك وتناقص الميل الحدّي للادخار لدى هذه الطبقات وهذا من شأنه ان يدعم تيار الاستهلاك، ومن المعلوم اقتصاديا ان زيادة الاستهلاك تؤدي الى استثمار جديد.

فهذا الانفاق يؤدي الى خلق قوة شرائية تؤدي الى نماء المال المزكى بزيادة الطلب على منتجاته وخدماته، وبهذا قال فقهاء المسلمين [١٧] ان الزكاة نماء للمال وبركة. فالنقص الناتج عن إخراج الزكاة يعقبه زيادة حقيقية في مال الغني وبالتالي زيادة في الزكاة. فإن هذا الجزء القليل الذي يدفعه الغني كزكاة لماله يعود عليه بأضعاف ما أخذ منه من حيث يدري او لا يدري، والله يؤتى من فضله ما يشاء لمن يشاء "والله ذو الفضل العظيم".

وقريب من هذا ما نراه في بعض الدول الغنية المتخمة تتبرع باموال من عندها لبعض الدول الفقيرة - لا لله - ولكن لخلق قوة شرائية لمنتجاتها ولعل هذا التفسير الاقتصادي للنماء هو بعض ما تشير اليه آيات القرآن الكريم.

"وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين"[١٨] وقال تعالى "الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم"[١٩]

وقال تعالى "وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون"[٢٠]

وقال تعالى "يمحق الله الربا ويربي الصدقات"[٢١]

ب - انفاق اموال الزكاة للفقراء والمساكين كاداة لمساعدتهم في القيام باستثمارات صغيرة ولذلك يمنح الفقراء من ارباب المهن والحرف بعض رؤس الاموال اي المبالغ الضرورية التي تمكنهم من القيام بمشروعاتهم وباعمالهم التجارية او الصناعية والنهوض بها . [٢٢] فان ما يصرف لمثل هؤلاء الافراد قصد معاونتهم ومساعدتهم وتمكينهم من شق طريقهم له اكبر الاثر في شحذ هممهم على العمل والانتاج.

ج - الانفاق من حصيلة الزكاة لسداد ديون الغارمين. فان هذا يعني ان بيت المال يضمن للدائن وفاء دينه وفي هذا دعم الائتمان، لان المقترض في غير معصية للقيام بتجارة او صناعة او فلاحة سوف يطمئن الى أنه اذا عجز عن سداد دينه فان المجتمع ممثلا في الدولة سوف يؤدي عنه دينه لذلك يتجنب الافلاس وما

يؤدي اليه، من حرمانه من المساهمة في النشاط الاقتصادي، ومن ناحية اخرى فان المقرض لا يحجم عن الاقراض ما دام مطمئنا الى سداد دينه ولذلك تعمل الزكاة على تيسير الائتمان وتشجيعه الأمر الذي له اكبر الاثر على تمويل التنمية الاقتصادية.

كما ان الانفاق على الغارمين بسبب المصالح العامة مع الفقر والغنى (كما ذكر الماوردي) من شأنه ان يشجع المسلمين على البذل في المصالح العامة دون الخوف من الفقر فلا تتعطل مصالح ضرورية للمسلمين انتظارا للانفاق العام مما يعود بالخير على الاقتصاد العام.

ففي مال الزكاة المنقذ لاعضاء الجماعة الاسلامية الذين يتهددهم العجز عن ممارسة دورهم الانتاجي في المجتمع بسبب ديونهم.

د - واخيرا فان الانفاق في الرقاب من شانه ان يحرر قوة عاملة لا باس بها لتساهم في الاعمال الاقتصادية المختلفة بما يعود عليهم وعلى المجتمع باسره بمزيد من الانتاج الذي من شانه ان تزيد فرص الاستثمار.

٢ - أثر الزكاة في اعادة توزيع الدخل والثروة

كانت مشكلة اختلال التوازن في الثروة لا تجد حلولها الناجعة قبل ظهور الاسلام فالضعف المادي الذي يصيب بعض الفئات الاجتماعية لا يجد علاجه الا من خلال فكرة الإحسان الاختياري الذي يتطوع به الاغنياء لصالح الفقراء، فلما جاء الاسلام انفرد بتشريع الزكاة ونقل مفهوم الإحسان الى مجال الالتزام، فاصبح الغني ملزما باداء جزء من ماله في شكل زكاة، كما تعلق حق الفقير بهذا الجزء من المال. وقد قامت الزكاة في العهد الاسلامي الأول بدور حاسم في إقامة التوازن المادي بين الفئات الاجتماعية المختلفة وكان اهم ما استهدفت هو ضمان حد ادنى لمعيشة كل فرد؛ فالحد الادنى للمعيشة الذي تكفله الزكاة ليس حد الكفاف، المعروف في الاقتصاد السياسي التقليدي اي الحد الادنى الذي يسمح فقط ببقاء الفرد على قيد الحياة وذلك ما يعبر عنه رجال

الفقه الاسلامي بحد الكفاية او حد الغنى تمييزا له عن الحد الادنى بالمعنى السابق، لانه يكفل للفرد عيشا كريما في حدود ضروريات الحياة الملائمة[٢٣]

وللزكاة دور كبير في اعادة توزيع الدخل بين الافراد، وذلك بتأثيرها على دخول الأفراد الدين تصرف لهم الزكاة ودخول من تجب عليهم الزكاة [٢٤].

فاما بالنسبة لتأثيرها في دخول الذين تصرف لهم الزكاة نجد دور الزكاة في توزيع الدخل هنا واضحا ومحددا فالزكاة هي دخل لمن لا دخل له من الفقراء والمساكين وهي دخل ابن السبيل بصفة مؤقتة. وهي دخل للقيام بصفة رئيسيّة لمن استدان لنفسه في غير معصية وبصفة ثانوية لمن استدان للمصلحة العامة.

ويمكن القول بان للزكاة اثرا واضحا في اعادة توزيع الدخل بالنسبة لمن تصرف له فهي تغطي كل أهداف التضامن والتكافل الاجتماعي فضلا عن انها دخل مناسب للمحتاج يسمح له بمواصلة النشاط الاقتصادي.

اما بالنسبة لتاثيرها في دخول من تجب عليه الزكاة نجد ان دور الزكاة هنا اقل أهمية من دورها بالنسبة لمن تصرف له. بل ان تاثيرها في دخول من تصرف لهم يبدو كهدف، اما تاثيرها في دخول من تجب عليهم، فهو هدف غير مباشر الى حد ما. ومع هذا فاعتبار ان الزكاة تمثل اقتطاعا من دخول من تجب عليهم نجد انها من هذا الجانب تؤثر في اعادة توزيع الدخل بسبب تأثيرها في دخول من تفرض عليهم.

شمول تشريع الزكاة

ومما يجعل الزكاة تؤدي هذا الدور التوزيعي السابق بكفاءة، هو شمول تشريعها فالزكاة من حيث درجة شمولها نجدها بالنسبة للخاضعين لها تشمل جميع الافراد الذين يملكون النصاب سواء بلغوا من التكليف الشرعي او لم يبلغوا هذا السن "تجب الزكاة على المكلف في ماله وتجب ايضا في مال غير المكلف ويؤديها عنه في ماله من له الولاية على هذا المال"[٢٥]

وفي هذا نجد ان تشريع الزكاة بشموله هذا قد قطع الطريق على من يريد التهرب من دفع الزكاة بتفريق امواله على أولاده القصر لخضوعهم ايضا للتشريع اذا توافرت شروط النصاب وحولان الحول حتى اذا لم يبلغ كل قاصر النصاب، فقد نهى الاسلام عن تفريق الاموال بهدف منع اخراج الزكاة فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم "... ولا يفرقن بين مجتمع، ولا يجمع بين متفرق حذار الصدقة"(٢٦).

وهذا هو البعد الاول في الشمول في الزكاة، اما البعد الثاني هو الذي يتناول المال الذي تجب فيه الزكاة "فنجد ان الزكاة شملت جميع الاموال النامية والمفترض فيها النماء وهي النعم والزروع والثمار وعروض التجارة والنقود. كما قرر الفقهاء وجوب الزكاة في الاموال النامية التي تستحدث في هذه العصور ولم يرد نفس ولا رأي فقهي بايجاب الزكاة، فيها(٢٧)

وان هذا الشمول في إخضاع جميع الاموال النامية لفريضة الزكاة قد سد منافذ التهرب على ضعاف الايمان من فريضة الزكاة، فلو أن هذه الفريضة فرضت على بعض الاموال دون بعضها الآخر، لسهل بدرجة كبيرة على التهرب من الدفع بحيازة انواع الاموال الاخرى وحتى اذا لم يحدث تهرب فان هذا يعد بمثابة نقطة ضعف في التشريع لو وجدت. هذا فضلا على ان الزكاة تفرض على رأس المال والدخل المتولد معا.

اما البعد الثالث الاخير في الشمول فهو الطرف المستفيد من الزكاة اي "الذين شرعت الزكاة من اجلهم - فإنها تصرف لجميع المحتاجين، ولا تفرقة في ذلك بين خلق الله فاذا كان الشمول ضروريا فيمن يجب عليه الزكاة حتى يتحمل الجميع المشاركة في التكافل الاجتماعي. واذا كان ضروريا فيما تجب فيه الزكاة من اموال حتى لا تتاح الفرصة لمال او لفرع من النشاط الاقتصادي ألا يساهم في مسؤولية التضامن الاجتماعي فان توافر الشمول يكون اكثر ضرورة فيمن تجب لهم الزكاة. ان الزكاة تشريع للضمان الاجتماعي اي أنها لتغطية حاجة المحتاجين، ومن هذا فان شمول الزكاة يقاس بمعدل تغطيتها للمحتاجين(٢٨).

وعلى ذلك فعنصر الشمول الذي يتوافر في الزكاة سواء من حيث من تجب عليهم او المال الذي تجب فيه، يحقق التأثير في دخول كل الافراد، والتأثير في كل الاموال بواسطة الزكاة. ولا شك ان هذا اجراء يساعد على إعادة توزيع الدخل.

تحقيق حد الكفاية لكل فرد كأثر توزيعي لإنفاق الزكاة

فمن أهم آثار الزكاة التوزيعية ان يضمن الفرد حد الكفاية او حد الغنى، فان المقدار، الذي يجب ان يعطى للفرد يشترط ان يكون مغطيا لهذا الهدف او يساعد لتغطيته على قدر مال الزكاة، ويعنى هذا ان الزكاة تغطى من حيث الغرض الاساسي من حاجة الفرد ما يمكن ان نطلق عليه حد الكفاف، فاذا كان في حصيلة الزكاة زيادة تتزايد الأنصبة بالنسبة للمحتاجين الى ان تبلغ بهم حد الكفاية وهو ضمان حد لائق لمعيشة كل فرد[٢٩] وهو الحد الذي يجعله الاسلام هدفا يعمل على ضمانه.

فالزكاة هي التشريع المالي الاول الذي يواجه به الاسلام اختلال التوزيع في الجماعة الاسلامية وسد حاجة بعض الافراد في المجتمع "فالزكاة على قلة نسبتها توزع الثروة بين فئات الشعب المختلفة خلال سنوات محددة، وتكاد تؤمن نفقات التكامل الاقتصادي الاجتماعي التي لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ويساعد على هذا ان نصاب الزكاة قليل فهو لا ينحصر في الاغنياء فقط والكبار بل معظم الشعب يسهم في هذا النصاب"[٣٠].

اعادة توزيع الدخل طبقا لظاهرة تناقص المنفعة

للزكاة دور هام في إعادة توزيع الثورة داخل المجتمع الاسلامي. فلو طبقنا "ظاهرة تناقص المنفعة[٣١]" يمكن القول انه كلما زادت وحدات السلع المستهلكة يمكن اقامة الدليل على تناقص المنفعة الحدّية للدخل كلما زادت عدد وحداته؛ فالغني تكون لديه منفعة الوحدة الحدية للدخل (اي الوحدة الاخيرة) أقل من منفعة الوحدة الحديّة للدخل لدى الفقير، وعلى ذلك فان نقل عدد من وحدات الغني عن طريق الزكاة الى الفقير يسبب

كسبا للفقير أكثر من خسارة الغني، والنتيجة النهائية ان النفع الكلي للمجتمع يزيد باعادة توزيع الدخل عن طريق إنفاق حصيلة الزكاة.

هذا، وللزكاة خصيصة هامة وهي أنها لا تخرج إلا بعد تكامل النصاب فتخرج من الفائض عن الحاجيات الاصلية والضرورية للمكلف. وواضح أن الزكاة لو وجبت بدون اشتراط النصاب الفائض عن الحاجيات الاصلية، لكان معنى ذلك انها تدفع من وحدات الدخل المخصصة للحاجيات الاساسية للشخص وهي ذات منفعة اكبر من وحدات الدخل التي تزيد عن النصاب، وبذلك تكون الخسارة أكبر على دافع الزكاة وبالتالي على المجتمع ولكن اشتراط توافر النصاب زيادة عن الحاجات الضرورية يجعل الزكاة تخرج من وحدات الدخل الاخيرة ذات النفع الأقل للغني، وتؤدى الى الفقير الذي تزداد عنده المنفعة للوحدات الأخيرة من الدخل بالمقارنة بالغني، والنتيجة هي زيادة المنفعة الكلية للمجتمع كأثر من الاثار التوزيعية للزكاة.

هذا، ومن أسباب نجاح الزكاة كوسيلة من وسائل اعادة توزيع الثروة أنها تعرض على جميع الاموال النامية شاملة لرأس المال والدخل معا، لا تفريق بين اشخاص الخاضعين او المستوجبين لها، وبذلك تتسم بالشمول، وباتساع قاعدة تطبيقها كما تتسم بالعدالة المطلقة. وكون الزكاة تتكرر سنويا يجعلها اداة دائمة لاعادة توزيع الثروة.

وهكذا نجد ان الآثار التوزيعية للزكاة تحقق التوزيع العادل للدخول محاولة ازالة التناقضات الصارخة في مستويات المعيشة في المجتمع الواحد، وبتكرار هذه الاثار التوزيعية يحقق تشريع الزكاة كنظام اجتماعي ثمرته ويحفظ التوازن بين طبقات الأمة وكان الاسلام اول من سبق العالم في هذا المجال[٣٢].

٣ - تأثير الزكاة على العمل[٣٣]

يظن البعض خطأ ان الزكاة قد تشجع على البطالة، وهذا الظن خطأ لاسباب عديدة أهمها:

أ - موقف الاسلام من العمل كأحد عوامل الانتاج في الاقتصاد الاسلامي.

ب - ان الزكاة لا تعطي الا للعاجزين عن الكسب فلا تعطي للقوى القادر على العمل ومن الواضح أن على محتاج الزكاة والمستوفي شروطها ان لا يأخذ منها الا قدر حاجته ويعف عما يزيد عن ذلك. وشتان بين ذلك وبين ما نحن فيه من المطالبة المستمرة من الحكومة بضغط النفقات. وبين ان يقوم بضغط الانفاق وتقليله المستحق له، وذلك بعدم اخذه الا قدر الحاجة طبقا لاستحقاقه، جاعلا رقابة ضميره هي الاقوى من استحقاقه الشرعي.

ج - ان الاسلام يوجب العمل على القادر عليه ويجعله فرض عين، ثم هو يمجّده ويحث عليه.

فقد جعل الاسلام العمل هو اساس الكسب وأحد وسائل الملكية. ففي المجتمع الاسلامي الصحيح يعمل افراده ويتقنون العمل ويمشون في مناكب الارض يلتمسون الرزق في خباياها. وينتشرون في أرجائها زرّاعا او صنّاعا وتجّارا وعاملين في شتى الميادين ومحترفين شتى الحرف مستغلين لكل الطاقات، منتفعين بكل ما استطاعوا مما سخر الله لهم في السماوات والارض جميعا منه (٣٤). وعن رسول الله صلي الله عليه وسلم في حثه الناس على العمل حتى يكفيهم السؤال "لان يأخذ أحدكم حبله على ظهره فيأتي بحزمة من الحطب فيبيعها. فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه او منعوه" (٣٥).

وعلى العكس من القول السابق فإن مصارف الزكاة تشجع على العمل ولا تشجع على البطالة، بل وتقلل من فرصها وذلك للاسباب الآتية:

أ - فمن المعلوم اقتصاديا ان عملية إعادة توزيع الدخل من شأنها أن تقلل من وحدة التفاوت في الدخول وهذا امر له تأثيره الكبير في علاج البطالة.

ب - الزكاة تقوم بعملية نقل وحدات من دخول الاغنياء الى الفقراء، ومن المعلوم ان الاغنياء يقل عندهم الميل الحدّي للاستهلاك ويزيد عندهم الميل الحدّي للادخار، اما الفقراء فعلى العكس يزيد عندهم الميل الحدّي للاستهلاك وينقص عندهم

الميل الحدّي للادخار ويترتب على ذلك نتيجة هامة وهي ان حصيلة الزكاة سوف توجه الى طائفة من المجتمع يزيد عندها الميل الحدّي للاستهلاك، وهذا يؤدي بدوره الى زيادة الطلب الفعّال. الأمر الذي يترتب عليه الزيادة في طلب سلع الاستهلاك فتروج الصناعات الاستهلاكية ويؤدي ذلك الى رواج السلع الانتاجية المستخدمة في صناعة السلع الاستهلاكية وبذلك يزيد الانتاج ويزيد تبعا لذلك فرص العمل الجديدة.

وأخيرا فإن مصارف الزكاة توجه النظر الى تقرير حقيقة إيجابية[٣٦] تدعو اليها وهي عدم استغلال المجتمع لأي عامل فيه. فلم يجعل الإسلام جمع الزكاة سخرة بدون أجر رغم ما في ذلك من فضل، بل يقرر الإسلام صراحة الا يؤدي اي انسان عملا الا ويحصل على أجره. كما أنها اول دعوة الى إطلاق الحوافز المادية بتقريرها سهما من الزكاة للعاملين عليها. وبديهي أنه كلما اجتهد العامل في جمع الزكاة وأحسن الأداء، زاد من الزكاة وارتفع سهم العاملين ليفي بأجورهم كاملة منها.

٤ ـ مصارف الزكاة نظام تأميني اسلامي

يجد الدارس لمصارف الزكاة، أنها وضعت نظاما للتأمين والضمان مما يضعف أثر الكوارث على الأفراد وبالتالي علي الاقتصاد القومي. فمن المعلوم أن الانسان معرض للكوارث المفاجئة التي لا يد للإنسان في جلبها ولا طاقة له بها، كأن يهلك مال التجار او يصاب الزرع بآفة او بجفاف شديد يقضي عليه. وقد جعلت هذه الكوارث الكثيرين يخافون على متاجرهم ومصانعهم وزراعتهم ورؤوس اموالهم "وعلى ذويهم من بعدهم" فبحثوا عن شيء يؤمّنون به من ضربات الدهر وكوارثه، من ذلك نظام التأمين الذي عرفه الغرب في القرون الاخيرة في صور شتى والوان عديدة، وهذا النظام الذي لا يقره الانسان والاسلام.

فلو نظرنا الى نظام الزكاة لوجدناه[٣٧] شركة التأمين الكبرى التي يلجأ اليها كل من نكبه الدهر فيجد فيه العون والملاذ. إنه لا يترك المصاب تحت رحمة تبرعات قد تصل اليه من الخيرين من الناس وان كان لا يمنع ذلك - وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لاحد اصحابه عندما شكى اليه جائحه حلت به "تصدقوا عليه" فتصدق الناس عليه[٣٨] فمن أصابته كارثة وجعلته من مستحقي الزكاة فمن الفقهاء من يرى ان يعطي ما يعود به الى حالته الاولى[٣٩]. ولكن هذا بطبيعة الحال يتوقف على قدر مال الزكاة كثرة وقلة وحاجة المصارف الاخرى شدة وضعفا.

ونستطيع القول إن أموال الزكاة يمكن أن تأخذ بيد المنكوبين وتنشلهم من هوة النكبة ليعودوا الى قافلة الحياة الاقتصادية مرة أخرى بمزاولة كل منهم عمله الاصلي تجاريًا كان او زراعيًا او صناعيًا، مما يؤدي الى ضعف تأثير الكوارث على الاقتصاد القومي الى اقصى حد ممكن.

ومما سبق نستخلص أن للزكاة اهدافا متعددة لا يمكن حصر كل اهدافها اذ تضيف الدراسات في كل يوم الجديد مما تستهدفه الزكاة من خير الفرد والجماعة والمجتمع والدولة كيف لا والزكاة نظام وضعه الله سبحانه وتعالى وارتضاه لعباده لخيرهم في الدنيا والآخرة. فلها **أهداف دينية** فهي ركن من اركان الاسلام وعبادة يتقرب بها المسلم الى ربه، وكثيرا ما ذكرها تعالى الى جانب الايمان بالله وتقواه، **واهداف اجتماعية** وهي تحقيق التكافل الاجتماعي وخلق مجتمع تسوده المحبة والتعاون، ولها **اهداف مالية** وهي تدبير الموارد المالية اللازمة والدائمة لبيت المال مع تحديد أوجه الصرف بما يكفل حصول كل ذي حق على حقه. ولها **اهداف اقتصادية** فهي تستهدف منع تكدّس الأموال واكتنازها وضرورة استثمارها فهي تؤدي لزيادة الاستثمار وتشجيعه والعمل على تداول الاموال وخلق السيولة اللازمة التي ينشدها الاقتصاد الحديث.

وتعتبر الزكاة اسلوبا لاعادة توزيع الدخول بين الأفراد إذ يمكن عن طريقها نقل قوة شرائية من فئة اجتماعية إلى اخرى ويمكن القول إن فريضة الزكاة في محصلتها

النهائية تؤدي الى تنمية الإنتاج مع عدالة في التوزيع من شأنها تحقيق اقتصاد الرفاهية، وغير أنه اذا كانت غاية كل مجتمع هي الرقي والتقدم، فانه يتعين ان نبيّن ان التقدم لكي يبقى ويزداد لا بد ان يستند الى ايديولوجية معينة، او بعبارة اخرى أن يكون كاملا بشقيه المادي والروحي او بشقيه الاقتصادي والديني وان الاهتمام بجانب دون الاخر يؤدي الى خلل واضطراب في حياة الفرد والجماعة، وقد تدارك الاسلام ذلك. وفي فريضة الزكاة التي نحن بصددها بقدر خاص فبقدر اهتمامه بالعقيدة اهتم بالجانب المادي حتى يطمئن المسلم على يومه وغده ويشعر ان المجتمع يقف معه ويؤمنه عند الحاجة، فتنطلق ملكاته الخلاقة في العمل والانتاج ويقدم على كل عمل خير دون خوف من إفلاس او نقص في الأموال.

وإن التشريع المالي الاسلامي وخاصة تشريع الزكاة له تأثير واضح على طبائع الناس وأسلوب تفكيرهم، وله أفضل الاثر في نمو وتطور الاقتصاد الاسلامي في عصور الاسلام الزاهرة التي طبق فيها هذا التشريع المالي وفق شريعة الله شريعة الحق والعدل بين الناس.

هذا درس نستخلص منه العبرة، وتخطيط لما هو آت ترجى معه الثمرة وهو ما ظهر لي من بحثي للآثار ا لاقتصادية للانفاق العام في الاسلام. فما كان منه صوابا فمن الله، وما كان غير ذلك فمنى ومن الشيطان، استغفر الله.

والله ولي التوفيق

هوامش البحث

(١) سورة التوبة، الاية ٦٠

(٢) ابن تيمية، السياسية الشرعية - ص ٢١

(٣) ابو يوسف، الخراج - ص٨٧.

(٤) الماوردي، الاحكام السلطانية - ص ١١٢.

(٥) دكتور احمد محمد الشافعي، منهج عمر بن الخطاب في تطبيق نظام المال، دبلوم الشريعة الاسلامية، كلية الحقوق جامعة الاسكندرية - ص ١٢٦، ص ١٢٧.

(٦) سورة التوبة، الاية ٦٠

(٧) الامام ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد محمد خاتم النبيين وامام المرسلين، المطبعة المصرية ومكتبتها - القاهرة - جـ١ ص ١٤٧، ص ١٤٨.

(٨) الامام ابو حامد الغزالي، احياء علوم الدين، مطبعة الحلبي - جـ١ ص ٢٢١.

(٩) - الماوردي - الاحكام السلطانية - ص ١٢٣.
- ابن رشد الحفيد - بداية المجتهد ونهاية المقتصد - جـ١ ص ٢٥٢.
- النفقة على المذاهب الاربعة - دار الشعب - القاهرة - ٣٤٦.
- ابو عبيد - الاموال - ص ٧٣٠، ٧٣٧.

(١٠) دكتور عوف محمود الكفراوي، سياسة الانفاق العام في الاسلام وفي الفكر المالي الحديث، دراسة مقارنة - مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية - ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(١١) دكتور محمد عبدالله دراز، نظرات في الاسلام، المكتب الفني للنشر - الطبعة الاولى ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م. ص ٣٣، ٣٤.

(١٢) سورة البقرة - الاية ٢٦٤.

(١٣) دكتور صبحي الصالح، النظم الاسلامية، نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الثانية ١٣٨٨/١٩٦٨ ص ٣٧٣.

(١٤) رواه مسلم.

(١٥) دكتور ابراهيم احمد علي، الانفاق العام في الاسلام، مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الاولى - ١٣٩٣/١٩٧٣ ص ١٥١.

(١٦) دكتور احمد محمد العسال ودكتور فتحي احمد عبدالكريم، المرجع السابق ص ١١٩٠ - دكتور ابراهيم فؤاد احمد علي، المرجع السابق ص ١٥٣.

(١٧) دكتور يوسف القرضاوي - فقه الزكاة - مؤسسة الرسالة بيروت جـ٢ ص ٨٧٠.

(١٨) سورة سبأ آية ٣٩.

(١٩) سورة البقرة آية ٢٦٨.

(٢٠) سورة الروم آية ٣٩.

(٢١) سورة البقرة آية ٢٧٦.

(٢٢) دكتور ابراهيم دسوقي اباظة - المرجع السابق ص ١٢٤.

(٢٣) دكتور ابراهيم دسوقي اباظة - المرجع السابق ص ١٢٣ وما بعدها.

(٢٤) رفعت العرضي - الاقتصاد الاسلامي والفكر المعاصر - نظرية التوزيع - مجمع البحوث الاسلامية - الازهر ١٣٩٤/١٩٧٤ رسالة ماجستير ص ٣٥٧ وما بعدها.

(٢٥) توصيات المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ١٣٨٥/١٩٦٥.

(٢٦) ابو عبيد، الاموال، ص ٥٣٨، ص ٥٤١.

(٢٧) محمد ابو زهرة، الزكاة، المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية - الازهر - ١٣٨٥/١٩٦٥ ص ١٧٩ وما بعدها.
- توصيات - المؤتمر الثاني - المرجع السابق.

(٢٨) رفعت العرض، المرجع السابق، ص ٣٥٢.

(٢٩) د. محمد شوقي الفنجري، الاسلام والمشكلة الاقتصادية - الانجلو المصرية ١٩٧٨ ص ٢٧ وما بعدها.

(٣٠) دكتور صبحي صالح، النظم الاسلامية - المرجع السابق - ص ٣٧٤.

(٣١) دكتور ابراهيم فؤاد احمد، المرجع السابق ص ١٥٩.
- دكتور احمد محمد العسال - دكتور فتحي عبد الكريم - المرجع السابق ص ١٢٠.

(٣٢) عفيف طبارة، روح الدين الاسلامي، ص ٣٤٣.

(٣٣) د. احمد محمد العسال، د. فتحي عبد الكريم، المرجع السابق ص ١٢١.

(٣٤) دكتور يوسف القرضاوي - فقه الزكاة، المرجع السابق، جـ٢ ص ٨٨٩، ص٨٩٢.

(٣٥) رواه البخاري في صحيحه.

(٣٦) عبد الرزاق نوفل - الزكاة - المرجع السابق ص ٥٣.

(٣٧) دكتور يوسف القرضاوي، المرجع السابق جـ٢ ص٩٠٧ وما بعدها.

(٣٨) رواه ابن ماجه وابو داود والنسائي.

(٣٩) الامام الغزالي، الاحياء، ص ٥٧٣.

الاسلام والتنمية الاقتصادية

الدكتور محمد شوقي الفنجري
وكيل مجلس الدولة
واستاذ الاقتصاد الاسلامي المنتدب
بجامعتي الازهر والرياض

تمهيد

١ - الاسلام والمشكلة الاقتصادية

التنمية الاقتصادية، هي من اهم الاصول واولى المبادىء التي جاء بها الاسلام في المجال الاقتصادي. ذلك ان الاسلام ومنذ ظهوره من اربعة عشر قرنا، وضع المشكلة الاقتصادية، وهي مشكلة الفقر والتخلف، منذ البدء وقبل ان تتطور الاحداث وتفرض المشكلة نفسها، حيث يجب ان توضع في الاساس والمقدمة.

٢ - الصيغة الاسلامية للتنمية الاقتصادية

والتنمية الاقتصادية في الاسلام، هي تنمية متكاملة بمعنى الشمول والتوازن، بهدف تنمية الانسان نفسه. ولعل ادق وصف لدولة الاسلام: انها دولة التنمية الاقتصادية الشاملة لكل من التقدم المادي والروحي، والمتوازنة لكل من كفاية الانتاج وعدالة التوزيع، مستهدفة بذلك تنمية الانسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في ارضه.

ومن ثم فان قيمة اي حكم في اى بلد اسلامي، هو بقدر ما يحققه من تنمية متكاملة: سواء من الناحية المادية والروحية، او من ناحية الكفاية والعدل، أى كفاية الانتاج وعدالة التوزيع. وانه بهذا المعيار المحدد، نتبين صلاحية او فساد الحكم القائم في اى مجتمع اسلامي، وهو ما عبر عنه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله

(ان الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ونوفر لهم امنهم، فان لم نفعل فلا طاعة لنا عليهم).

٣ - الاسلوب الاسلامي لتحقيق التنمية الاقتصادية.

والتنمية الاقتصادية في الاسلام، هي مسؤولية الفرد والدولة معا. ولعل ذلك مما يميز الاقتصاد الاسلامي ويبرز تفرده على الاقتصادين السائدين الرأسمالي والاشتراكي، وذلك في مجال التنمية الاقتصادية، كما هو شانه في سائر المجالات الاخرى.

اكثر من ذلك، فان الاسلام في اعترافه بالملكية سواء كانت خاصة او عامة، وفي نظرته اليها وتنظيمة لها، انما اقامها باعتبارها وسيلة انمائية أي حافزا من حوافز التنمية. وعليه فان الملكية سواء كانت خاصة او عامة، وباعتبارها في كلتي الصورتين على نحو ما سنبينه، امانة، بحيث تسقط شرعيتها اذا لم يحسن الفرد او الدولة استخدام هذا المال استثماراً او انفاقاً في مصلحته ومصلحة الجماعة.

٤ - الضمانات الاسلامية لنجاح التنمية الاقتصادية واستمرارها.

واذ اعتبر الاسلام تنمية الانسان ليكون بحق خليفة الله في ارضه بقوله تعالى (اني جاعل في الارض خليفة)[١] ، وهو غاية حياته وسبب وجوده بقوله تعالى (هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها)[٢] أي كلفكم بعمارتها، وهو في الوقت نفسه سبيل سعادته في الدنيا والاخرة بقوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا)[٣]، فقد حرص الاسلام على ايجاد او توفير ضمانات او ركائز لتحقيق هذه التنمية واستمرارها. لعل ابرزها: ايجاد ملكية عامة تساند التنمية، وترشيد الاستهلاك، وتوجيه الفائض الاقتصادي لاغراض التنمية، وتطلب المشاركة الشعبية في عمليات التنمية الاقتصادية، ومراعاة اولويات التنمية بتقديم الاهم فالمهم، والاخذ بالاساليب العلمية والتقنية الحديثة الملائمة للمجتمع .

ولعل اكبر ضمان لنجاح جهود التنمية الاقتصادية واستمرارها، هو ارتفاع الاسلام بالتنمية الى مرتبة العبادة، بل هي في نظره من افضل ضروب العبادة ومن اقوى علامات الايمان والتقوى. وان التنمية الاقتصادية اليوم، وقد اشتدت الفجوة بين الشعوب المتقدمة والشعوب النامية- ومنها الامة الاسلامية عامة والعربية خاصة- تتطلب تعبئة جميع المواطنين لها بحيث نعلنها حربا مقدسة ضد التخلف الذي هو ابرز صور المنكر في العصر الحديث ويؤدي الى الكثير من المساوىء الاجتماعية والانحرافات الخلقية.

٥ - المفكرون المسلمون اول من عالج قضايا التنمية الاقتصادية.

ولاهمية التنمية الاقتصادية المتكاملة، في نظر الاسلام، والتي تستهدف رقي الانسان ماديا وروحيا، وكفاية وعدلا، كان المفكرون المسلمون منذ ظهور الاسلام، اول من عالج قضايا التنمية الاقتصادية، وان جاء ذلك بين ثنايا كتب الفقه المختلفة وجوانب الهوامش والمتون.

اكثر من ذلك، فان اولى المؤلفات العلمية في مجال التنمية الاقتصادية، كانت لعلماء مسلمين سبقوا العلماء الاجانب بعدة قرون، امثال الامام ابو يوسف في كتابه الخراج، والرائد الاقتصادي ابن خلدون في مقدمته المشهورة باسمه، والفقيه الاقتصادي ابن الدلجى في كتابه الفلاكه والمفلوكون اى الفقر والفقراء.

٦ - ضرورة عقد مؤتمر قمة عربي وآخر اسلامي للتنسيق بين خطط التنمية ومعالجة عوائقها.

ولقد آن الاوان لعقد مؤتمر قمة عربي وآخر اسلامي للتنسيق في خطط التنمية الاقتصادية على المستويين العربي والاسلامي، من اجل البناء المشترك والمتكامل للوطن العربي ككل والعالم الاسلامي ككل.

وتزداد اليوم اهمية مثل هذا المؤتمر او ذاك للتنسيق وضرورته الملحة، ان اكثر ما تعانيه كل دولة عربية او اسلامية على حدة من عوائق التنمية، نجد حله متوافرا وموجودا لدى الدولة الاخرى. ونخص بالذكر على سبيل المثال قضية الامن الغذائي، والمشكلة السكانية، وقضية الانفاق العسكري المتزايد، ومشكلة التمويل، وقضايا التعليم والكفاية البشرية.

وعلى ضوء هذا التمهيد، نعالج ما تقدم باختصار شديد، في الفروع التالية:

الفرع الاول، الاسلام والمشكلة الاقتصادية.

الفرع الثاني، الصيغة الاسلامية للتنمية الاقتصادية.

الفرع الثالث، الاسلوب الاسلامي لتحقيق التنمية الاقتصادية.

الفرع الرابع، الضمانات الاسلامية لنجاح التنمية الاقتصادية واستمرارها.

الفرع الخامس، المفكرون المسلمون اول من عالج قضايا التنمية الاقتصادية.

الفرع السادس: ضرورة التنسيق في خطط التنمية على المستويين العربي والاسلامي.

الفرع الاول

الاسلام والمشكلة الاقتصادية

١ - اهتمام الاسلام بالجانبين المادي والروحي على قدم المساواة.

لقد جاء الاسلام بمنهج كامل للحياة، يهتم بالجانب المادي في حياة البشر بقدر ما يعنى بالجانب الروحي. ذلك لانه لاقوام لجانب دون آخر، وكلاهما يتأثر بالاخر ويؤثر فيه.

فاذا كان حقا ليس بالخبز وحده يحيا الانسان، فانه ايضا بدون الخبز لا يستطيع ان يحيا الانسان.

٢ - الاسلام يضع مشكلة الفقر والتخلف في المقدمة والصدارة.

لذلك وضع الاسلام المشكلة الاقتصادية، وهي مشكلة الفقر والتخلف، وذلك منذ البدء وقبل ان تتطور الاحداث وتفرض المشكلة نفسها، حيث يجب ان توضع في الاساس وفي المقدمة. ومن قبل ذلك أنه اعتبر المال زينة الحياة الدنيا وقوام المجتمع، وانه نعم العون على تقوى الله، وان طلب المال الحلال فريضة وجهاد في سبيل الله.[٤]

اكثر من ذلك، لقد ساوى الاسلام بين الفقر والكفر، ولم يستعذ الرسول صلى الله عليه وسلم من شيء يقدر استعادته من الفقر، فيقول عليه السلام (كاد الفقر ان يكون كفرا [٥]، ويقول (اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفقر) فلما سأله احدهم: ايعدلان، قال: نعم.[٦]

٣ - ارتباط العبادة بتأمين الناس في حياتهم المعيشية:

ذلك ان الاسلام حين طالب الناس بالعبادة وذكر الله تعالى، علله في القرآن بقوله تعالى (فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)[٧] وان موسى عليه السلام حين دعا الله بقوله (رب اشرح لي صدري ويسر لي امري)[٨] بقوله (كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا).[٩]

اكثر من ذلك، اعتبر الاسلام مجرد ترك احد افراد المجتمع ضائعا او جائعا هو تكذيب للدين نفسه، فيقول تعالى (أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتم ولا يحض على طعام المسكين)[١٠].

الفرع الثاني
الصيغة الاسلامية للتنمية الاقتصادية

نستطيع ان نلخص الصيغة الاسلامية للتنمية الاقتصادية بانها تنمية شاملة، ومتوازنة، غايتها الانسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في ارضه:

١ - فأما انها تنمية شاملة،

فذلك لانها لا تستهدف رقي الانسان ماديا فحسب، وانما روحيا بصفة اساسية.

والروحية في الاسلام، ليست كما يتصور البعض مسألة ميتافيزيقية او غيبية، وانما هي العمل الصالح ايمانا بالله واعتبارا ومراعاة له تعالى، سواء كان ذلك الايمان او تلك المراعاة والاعتبار المتأصلة في العقل والنفس، والمتمثلة في النشاط والسلوك، مردها خشيته تعالى والخوف من عقابه، او كان مردها ابتغاء مرضاته والفوز بجنته.

فالاسلام كما سبق ان اوضحنا بكتابنا (ذاتية السياسة الاقتصادية الاسلامية)، لا يعرف الفصل بين ما هو مادي وما هو روحي، ولا يفرق بين ما هو دنيوي وما هو اخروي. فكل نشاط مادي او دنيوي يباشره الانسان، هو في نظر الاسلام عمل روحي او اخروي، طالما كان مشروعاً وكان يتجه به الى الله تعالى[١١]. فالله تعالى ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه، اى ليعملوا عملا صالحا، والايمان في الاسلام ليس ايمانا مجردا Abstract ولكنه ايمان محدد concrete ومرتبط بالعمل الصالح.

وان مبدأ الشمول في التنمية الاقتصادية الاسلامية ، يقتضي ان تضمن التنمية كافة الاحتياجات البشرية من ماكل وملبس ومسكن ونقل وتعليم وتطبيب وترقية وحق العمل وحرية التعبير وممارسة الشعائر الدينية .... الخ، بحيث لا تقتصر التنمية على اشباع بعض الضروريات او الحاجيات دون الاخرى.

ومن هنا لا يقبل الاسلام تنمية رأسمالية تضمن حرية التعبير ولا تضمن لقيمة الخبز، كما لا يقبل تنمية اشتراكية تضمن لقمة الخبز وتقتل حرية التعبير.

٢ - واما انها تنمية متوازنة:

فذلك لانها لا تستهدف الكفاية فحسب، أي زيادة الانتاج، بقوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)[١٢]، وانما تهدف اساسا العدل اى عدالة التوزيع بقوله تعالى (اعدلوا هو اقرب للتقوى)[١٣]، بحيث يعم الخير جميع البشر ايا كان موقعهم في المجتمع وايا كان مكانهم في الكون. ذلك ان هدف الاسلام من التنمية الاقتصادية، هو ان يتوافر لكل فرد، ايا كانت جنسيته او ديانته أي بصفته انسانا، حد الكفاية لا الكفاف اى المستوى اللائق للمعيشة بحسب زمانه ومكانه لا مجرد المستوى الادنى اللازم للمعيشة، بحيث يستشعر نعم الله وفضله، فيتجه تلقائيا الى حمده، وشكره تعالى وعبادته. ذلك الحمد والشكر الذي لا يعبر عنه في الاسلام بالقول والامتنان فحسب، وانما اساسا بالعمل والاخلاص فيه لقوله تعالى (اعملوا آل داود شكرا)[١٤]، وتلك العبادة التي لا تتمثل في الاسلام بالصلاة والتوجه الى الله فحسب وانما اساسا بخدمة الغير ومديد المعونة لكل محتاج لقوله تعالى: (لاخير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس).[١٥]

فالاسلام كما سبق ان اوضحنا بكتابنا "الاسلام والمشكلة الاقتصادية"، اذ يتطلب زيادة الانتاج يستلزم في الوقت نفسه عدالة التوزيع، بحيث لا يغني احدهما عن الاخر فوفرة الانتاج مع سوء التوزيع هو احتكار واستغلال لا يسلم به الاسلام، كما ان عدالة التوزيع دون انتاج كاف هو توزيع للفقر والبؤس مما يرفضه الاسلام.[١٦]

ومن ثم لا يقبل الاسلام تنمية رأسمالية تستهدف تنمية ثروة المجتمع دون نظر الى توزيع هذه الثروة. واذا كانت التنمية الاشتراكية تؤكد العلاقة بين اشكال الانتاج والتوزيع، الا انها ترى ان نظام التوزيع يتبع دائما شكل الانتاج، في حين يرفض الاسلام

هذه التبعية بحيث ايا كانت اشكال الانتاج السائدة فانه يضمن اولا حد الكفاية لكل فرد وذلك كحق الهي مقدس يعلو فوق كل الحقوق، ثم بعد ذلك يكون لكل تبعا لعمله وجهده، وبحيث اذا لم يتوافر حد الكفاية لكل مواطن وهو مالا يكون الا في ظروف استثنائية كمجاعة او حرب تأسر الجميع في حد الكفاف.[(١٧)]

وان مبدأ التوازن في التنمية الاقتصادية، يقتضي ان تتوازن جهود التنمية. ومن ثم فانه لا يقبل في الاسلام ان تنفرد بالتنمية المدن دون القرى، او ان تستأثر الصناعة بالتنمية دون الزراعة، او ان تتجاوز نسبة الزيادة السكانية معدلات التنمية، او ان تقدم الكماليات او التحسينات على الضروريات او الحاجيات، او ان تسبق الصناعات الثقيلة او المستوردة الصناعات الاستهلاكية او المحلية، او ان يركز على البناء والتشييد دون توفير المرافق العامة والتجهيزات الاساسية، وتمييزها من الاخطاء العديدة التي وقعت فيها مختلف الدول العربية والاسلامية، مقلدة دون وعي تجارب شرقية او غربية، غافلة او جاهلة الصيغة الاسلامية بضرورة التوازن الانمائي.

ولا شك ان التنمية الاقتصادية غير المتوازنة التي نراها في اغلب دول العالم الاسلامي مركزة على جزء من الاقتصاد القومي دون بقية الاجزاء، هي تنمية مشوهة، بل هي في حقيقتها تنمية للتخلف، اذ تزيد من تدهور بقية الاجزاء.

٣ - واما ان غايتها الانسان نفسه

ليكون بحق خليفة الله في ارضه، فذلك ما يحدد بواعث او غاية التنمية الاقتصادية الاسلامية وآثارها.

ففي التنمية الرأسمالية، الباعث هو تحقيق اكبر قدر من الربح، مما يؤدي عادة الى الانحراف بالانتاج عن توفير احتياجات المجتمع الضرورية، مع وفرة انتاج السلع الكمالية التي يطلبها الاغنياء والمترفون، وما يصاحب ذلك من سيادة المادة ومختلف المساوىء الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الغربية.

وفي التنمية الاشتراكية، الباعث هو سد احتياجات الدولة وفق اطماع وسياسات القائمين على الحكم، لا وفق احتياجات ورغبات المواطنين انفسهم، مما يهدد كلية حرية الفرد ويجعل منه مجرد ترس او اداة لا غاية.

اما التنمية الاسلامية فباعثها ليس الربح شان التنمية الراسمالية، ولا اهواء القائمين علي الحكم شأن التنمية الاشتراكية، وانما هو توفير حد الكفاية لكل مواطن ليتحرر من اية عبودية او حاكمية الا عبودية وحاكمية الله وحده.

فغاية التنمية الاسلامية هو الانسان نفسه؛ لا تستعبده المادة شأن التنمية الرأسمالية، ولا يستبد به الغير شأن التنمية الاشتراكية، وانما محررا مكرما يعبر الدنيا ويحييها بالعمل الصالح ليكون بحق خليفة الله في ارضه.

الفرع الثالث

الاسلوب الاسلامي لتحقيق التنمية الاقتصادية

يقوم الاسلوب الاسلامي لتحقيق التنمية الاقتصادية على اساس تعاون الفرد والدولة معا لكل مجاله، بحيث يكمل كلاهما الاخر ولا يغني احدهما عن الاخر. ومن هنا كان اعتراف الاسلام بالملكية المزدوجة الخاصة والعامة، كلاهما على قدم المساواة يتحملان معا مسؤولية التنمية. اكثر من ذلك، فان الاسلام في اعترافه للملكية سواء كانت خاصة او عامة، وفي نظرته اليها وتنظيمه لها، انما اقامه باعتبارها وسيلة انمائية اى حافزا من حوافز التنمية.

١ - ففي الاقتصاد الرأسمالي:

التنمية هي في الاساس مسؤولية الفرد او القطاع الخاص.

بخلاف الاقتصاد الاشتراكي، فان التنمية هي في الاساس مسئولية الدولة او لاقطاع العام.

اما فى الاقتصاد الاسلامي، فانها في الاساس مسؤولية الفرد والدولة معا، أي القطاعين الخاص والعام، لكل مجاله بحيث يكمل كلاهما الاخر، ولا يغني احدهما عن الآخر، وبحيث لا تزداد مسؤولية أي منهما أو تقل الا بقدر ما تتطلبه طبيعة وظروف التنمية في كل مجتمع.

٢ - ازدواج الملكية فى الاسلام:

ومن هنا، ومن اهم الاصول الاقتصادية الاسلامية مبدأ ازدواج الملكية الخاصة والعامة، يساهمان معا على قدم المساواة في عمليات التنمية، كلاهما كاصل وليس استثناء، وكلاهما يكمل الآخر، فلكل مجاله بلا تعارض او اصطدام حيث لا تقوم الدولة

الا باوجه النشاط الاقتصادي التي يعجز او يقصر الافراد عن القيام بها كمد السكك الحديدية وتعمير الصحارى وصناعة الاسلحة.

٣ - شرعية الملكية هو باعتبارها وسيلة انمائية.

وانما نسجل بحق ان الاسلام في اعترافه للملكية سواء كانت خاصة او عامة، وفي نظرته اليها وتنظيمه لها، انما اقامها باعتبارها وسيلة انمائية اى حافزا للتنمية، بحيث تنتفي او تسقط شرعية الملكية سواء كانت خاصة او عامة، اذا لم يحسن الفرد او الدولة استخدام هذا المال استثمارا او انفاقا في مصلحته ومصلحة الجماعة. وقد عبر عن ذلك اصدق تعبير سيدنا عمر بن الخطاب حين قال لبلال وقد اعطاه الرسول ارض العقيق: (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحجز عن الناس وانما اقطعك لتعمل، فخذ ما قدرت على عمارته ورد الباقي).

ومن هنا ندرك،

أ - لماذا نهى الاسلام بشدة لا مثيل لها عن اكتناز المال وحبسه عن الانتاج والتداول بقوله تعالى: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)[١٨]، ويقول الرسول عليه السلام (من جمع دينارا او تبرا او فضة ولم ينفقه في سبيل الله، فهو كنز يكوى به يوم القيامة)[١٩].

ب - ومن هنا ندرك ايضا لماذا ينهى الاسلام بشدة بالغة عن صرف المال بغير حق في ترف او سفه، حتى انه وصف المترفين بالمجرمين بقوله تعالى (واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين)[٢٠]، ووصف المبذرين بانهم اخوان الشياطين بقوله تعالى: (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)[٢١]، وكيف انه اجاز الحجز على السفيه.

جـ- ومن هنا ندرك كذلك لماذا لا يسلم الفقهاء للحاكم بنزع الملكية الخاصة أو التأميم أو التوسع في الملكية العامة، الا بقدر ما تقتضيه المصلحة العامة واخصها العمران والتنمية الاقتصادية، ويعبرون عن ذلك بان (الامام مخير فيها تخيير مصلحة لا تخيير شهوة).

د - ومن هنا ندرك ايضا لماذا ربط الاسلام بين الايمان والانفاق في سبيل الله اي في سبيل المجتمع وتعميره. بل انه جعل ذلك الانفاق او التعمير علامة الايمان والتقوى، وهو شرطه الاساسي، حتى انه ما من آية او حديث نبوي يتكلم عن الايمان والتقوى الا ويقرنه بالانفاق في سبيل المجتمع وتنميته.

ولقد عبر القرآن الكريم عن الفائض الاقتصادي، الذي هو مصدر تمويل عمليات التنمية الاقتصادية، بتعبيرات العفو والفضل، وهو كل ما زاد عن الحاجة بغير سرف او ترف. ودعا الى ضرورة انفاقه كله في سبيل الله، اى في سبيل المجتمع وتنميته، بل جعل ذلك كما اسلفنا علامة الاسلام وشرط الايمان.

الفرع الرابع
الضمانات الاسلامية لنجاح التنمية
الاقتصادية واستمرارها

١- اعتبر الاسلام تعمير الكون وتنمية الانسان ليكون بحق خليفة الله في ارضه بقوله تعالى (اني جاعل في الارض خليفة)[٢٢]، هو غاية خلقه ووجوده بقوله تعالى (هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها)[٢٣] اى كلفكم بعمارتها. فلم يخلق الله الانسان في هذه الدنيا عبثا او لمجرد ان ياكل ويشرب، وانما خلقه لرسالة يؤديها، هي ان يكون خليقه الله في ارضه: يدرس ويعمل، وينتج ويعمّر، عابدا الله شاكرا فضله، ليقابله في نهاية المطاف بعمله وكدحه بقوله تعالى (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه)[٢٤]. بل لقد جعل الاسلام صدق الكدح او بطلانه هو سبيل سعادة المرء او شقائه في الدنيا والاخرة، بقوله تعالى (ومن كان في هذه اعمى، فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلاً)[٢٥].

٢- ولقد بلغ حرص الاسلام على التنمية الاقتصادية وتعمير الدنيا، ان قال الرسول عليه الصلاة والسلام (اذا قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة - اى شتلة - فاستطاع الا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها فله بذلك اجر)[٢٦]، ويقول عليه السلام (ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه طير او بهيمة الا كان له به صدقة)[٢٧].

ومن هنا فقد سخر الله تعالى للانسان كل ما في السموات والارض بقوله تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه)[٢٨]. ودعا الى الانتشار في الارض يحييها وينعم بخيراتها ويسبح بحمده بقوله تعالى (فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)[٢٩]، وقوله تعالى (ولقد مكنّاكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش)[٣٠] اى هيأ لكم السيطرة على الارض عن طريق تعميرها وتنميتها.

٣- ومن هنا كان حرص الاسلام على توفير ضمانات او ركائز لتحقيق هذه التنمية واستمرارها. لعل ابرزها ما يلي: الارتفاع بالتنمية الاقتصادية الى مرتبة العبادة والفريضة، وتطلب المشاركة الشعبية في عمليات التنمية، والاخذ بالاساليب العملية والتقنية الملائمة، وترشيد الاستهلاك، وتوجيه الفائض الاقتصادي لاغراض التنمية، ومراعاة اولويات التنمية بتقديم الاهم، والمعالجة الجذرية لمعوقاتها وبخاصة ما تعلق بالاميه والانفاق العسكري المتزايد .

اولا: الارتفاع بالتنمية الاقتصادية الى مرتبة العبادة:

١- لعل اكبر ضمان لنجاح التنمية الاقتصادية واستمرارها، هو ارتفاع الاسلام بالتنمية الى مرتبة العبادة. اذ لم يكتف الاسلام بالحث على العمل والانتاج بقوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)[٣١]، وقوله عليه الصلاة والسلام (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)[٣٢]، بل اعتبر العمل في ذاته عبادة وان الفرد قريب من الله ومثاب على عمله الصالح في الدنيا والاخرة، بقوله تعالى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله)[٣٣]، وقول رسوله الكريم (العمل عبادة) وقوله عليه الصلاة والسلام (ما عبد الله بمثل عمل صالح) وقوله (من امسى كالا من عمل يده امسى مغفورا له يوم القيامة)[٣٤].وروي ان الرسول عليه الصلاة والسلام قبل يداً اورمت من كثرة العمل وقال (هذه يد يحبها الله ورسوله)[٣٥].

٢- ولقد سوى الاسلام بين المجاهدين في سبيل الدعوة الاسلامية وبين الساعين في سبيل الرزق والنشاط الاقتصادي بقوله تعالى (وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله)[٣٦]. اكثر من ذلك، اعتبر الاسلام السعي على الرزق وخدمة المجتمع وتنميته افضل ضروب العبادة: فقد ذكر للنبي عليه السلام رجل كثير العبادة فسأل من يقوم به، قالوا: اخوه، فقال عليه السلام (اخوه اعبد منه)[٣٧]. وقد اراد احد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام (لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله - اى في

خدمة المجتمع وتنميته - افضل من صلاته في بيته ستين عاما)[٣٨]، ويقول عليه السلام (لكل امة سياحة وسياحة امتى الجهاد في سبيل الله)[٣٩].

٣ - ونلخص مما تقدم ان التنمية الاقتصادية في الاسلام، هي فريضة وعبادة، بل هي من أفضل ضروب العبادة. وان المسلمين قادة وشعوبا مقربون الى الله تعالى، بقدر تعميرهم للدنيا واخذهم باسباب التنمية في مختلف صورها. ولقد لخص سيدنا عمر بن الخطاب نظرة الاسلام الي العمل والتنمية بقوله (والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل، فهم اولى بمحمد منا يوم القيامة)[٤٠].

ثالثا: تطلب المشاركة الشعبية في التنمية واعتبارها من قبيل الجهاد المقدس:

١- ان التنمية الاقتصادية ليست عملية فنية يكتفي فيها بمجرد اعداد خطط التنمية، ثم متابعة تنفيذها لدى القطاع الخاص او العام. وانما هي اساسا عملية جماهيرية، اذ تتطلب تعبئة جميع المواطنين لها بحيث تكون مطلبا شعبيا ملحا يعي كل فرد مسؤوليته المحددة فيها ويدرك حقوقه المؤكدة من نجاحها، فلا يكفي ان تتوافر ارادة التغيير وتنمية المجتمع والارتفاع بمستواه، لدى بعض القيادات المخلصة، وانما ان يتحول ذلك الى ارادة شعبية. ولا شك ان من اهم عوامل عدم نجاح التنمية في بعض البلاد النامية، ان الاساليب المستخدمة لم تستطيع ان تحرك الامة كلها لمواجهة معركة التخلف، اذ لا احد يستطيع ان يقود التنمية لصالح الشعب دون اسهام من الشعب نفسه. واذا كنا نقول بضرورة تعبئة المجهود الشعبية للتنمية الاقتصادية، فان ذلك لا يكون بالتلقين والشعارات كما هو حاصل في الكثير من الدول النامية، والتي يغلب عليها عادة الاتجاهات المتسلطة ودكتاتورية الحكم، وانما تتم تعبئة هذه الجهود الشعبية بالمشاركة الفعلية في مشاكل المجتمع، وذلك بفتح باب الحوار والمناقشة فيها بحرية وصدق، والاستماع الى مختلف وجهات النظر المعارضة، بحثا عن حلول سليمة يقتنع بها الجميع ويلتزمون.

٢- والمشاركة الشعبية في التنمية، هي في نظر الاسلام غاية ووسيلة في آن واحد، استنادا الى عموم قوله تعالى (وشاورهم في الامر)[٤١]، وقوله تعالى (وامرهم شورى بينهم)[٤٢]. ولقد ثبت ان المشاركة الشعبية في التنمية الاقتصادية، هي عصب استراتيجية التنمية، وذلك بخروج المواطن العادي من السلبية التي كان يفرضها عليه وضعه الهامشي في المجتمع.

واذا كانت مشكلة التخلف في مختلف صوره، هي من اولى المشكلات التي تواجه الشعوب العربية والاسلامية اليوم، فانه لا بد من تعبئة كل قواها وطاقاتها للمعركة ضد التخلف من اجل التنمية. ونرى لذلك ضرورة ربط التنمية بفكرة الجهاد المقدس تفجيرا للطاقات المختزنة في الفرد المسلم وتحقيقا للتنمية الشاملة باحالتها الى ممارسة دينية وواقع ايماني. ذلك ان قوام المجتمع الاسلامي، هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله تعالى: (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)[٤٣]. والامر بالمعرف يتضمن في رأينا بصفة اساسية تحقيق التنمية الشاملة والنهي عن المنكر يشمل اساسا القضاء على اهم صوره، الا وهو التخلف والفقر الذي يؤدي الي الذلة والمسكنة والى الكثير من المساوىء الاجتماعية والانحرافات الخلقية.

فلا بد ان نعبىء النفوس بكافة وسائل الاعلام من صحافة واذاعة وتليفزيون ومساجد، ونعلنها حربا مقدسة ضد التخلف من اجل التنمية الشاملة. ولا بد ايضا من الاسراع الى وضع خطط محددة تعهد الى مختلف قطاعات الشعب، وخاصة الموظفين وطلاب الجامعات وافراد القوات المسلحة، وكذلك مختلف النقابات والجمعيات والنوادي، من اجل القضاء على معوقات التنمية، وهي الامية المتفشية بالوطن العربي والعالم الاسلامي، ومن اجل القيام بمشاريع انمائية بالجهود الذاتية، ذلك ان الدولة وحدها عاجزة عن محو الامية، او القيام بكافة المشاريع الانمائية. ولا شك انه لتحقيق ذلك لا بد من القدوة من جانب القادة والمسؤولين، ولا بد ان يكرس العمل السياسي جهوده لدفع حركة التنمية، وحشد مختلف الطوائف الشعبية للمشاركة الفعلية في البناء والتعمير، وان يعيش المجتمع كله في مناخ التنمية.

٣- وتبدو اليوم اهمية وضرورة ما تقدم، ان التحدي الذي نلقاه من قبل اسرائيل وغيرها، ليس تحديا حربيا فحسب، وانما هو اساسا تحد حضاري. فاسرائيل ومن هم ورائها، ينشدون التمكن من العالم الاسلامي، ويهدفون الي السيطرة الاقتصادية على المنطقة العربية، ومعركتنا مع اسرائيل ليست مقصورة على ازالة اثار العدوان، وانما هي تتمثل بتخلفنا الحضاري وما يتطلبه من ضرورة التنمية العاجلة، والتي يجب ان نجند لها كافة قوى وامكانيات الشعوب العربية والاسلامية. ولندرك جيدا ان الخطر الحقيقي الذي نواجهه، ليس قوة اسرائيل ومن وراء اسرائيل، وانما هو تفرق العرب والمسلمين، الى جانب تخلفهم رغم مالديهم من امكانيات بشرية ومادية غير محددة. ولا شيء اقام اسرائيل وطمع فينا العدو، سوى تفرقنا وتخلفنا، فجهادنا المقدس اليوم هو جهاد ضد التفرقة، وهو جهاد ضد التخلف ومن اجل التنمية الشاملة، وصدق الله العظيم (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)[٤٤]، وقوله تعالى (واعدوالهم ما استطعتم من قوة)[٤٥].

ثالثا، الاخذ بالاساليب العلمية والتقنية الملائمة،

١- يوجب الاسلام اتقان العمل وتحسين الانتاج كما وكيفا، ويعتبر ذلك امانة ومسؤولية وقربى بقوله تعالى (ولتسألن عما كنتم تعملون)[٤٦] وقوله تعالى (انا لا نضيع اجر من احسن عملا)[٤٧]. كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه)[٤٨].

وانه لاتقان العمل والانتاج، يتعين اتباع ادق واحدث الاساليب العملية في الانتاج، وصدق الله العظيم (قل هل يستوى الذي يعلمون والذين لا يعلمون)[٤٩]، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام (قليل العمل مع العلم كثير، وكثيره مع الجهل قليل)[٥٠]، وعنه صلى الله عليه وسلم (تفكر ساعة خير من عبادة سنة)[٥١]، وقوله عليه السلام (مداد العلماء احب الى الله من دماء الشهداء)[٥٢].

٢– والاخذ بالاساليب العلمية في العمل والانتاج كالتزام اسلامي لضمان نجاح التنمية الاقتصادية، هو ما يطلق عليه بالاصطلاح الاجنبي (تكنولوجيا). وبالاصطلاح العربي (تقنية) بمعنى اتقن العامل الامر واحكمه ومنها التحسن وهو حسن الاداء والسيطرة على الشيء.

وعليه فانه لا يقصد بالتكنولوجيا او التقنية الحديثة، كما تصور البعض خطأ، نقل او استيراد احدث الالات والمعدات، ولا حتى كيفية تركيبها وتشغيلها، وانما الاخذ بالاساليب العلمية التي تتناسب مع بيئة معينة لتحقيق اكبر استفادة من عوامل الانتاج المتوافرة بها. فالتكنولوجيا او التقنية المطلوبة هي التي تتناسب مع واقع المجتمع واحتياجاته، اذ ما يصلح لمجتمع معين لا يصلح لمجتمع آخر يختلف عنه في ظروفه وبيئته.

ومتى كان المعول عليه، هو ظروف كل مجتمع، خاصة من حيث نوعية ثرواته وموارده الطبيعية المتوافرة، ومن حيث كثافته السكانية وكفاية افراده، ومن حيث احتياجات المواطنين الاساسية وأذواقهم، فان هذه الظروف هي وحدها الى تحدد التكنولوجيا او التقنينة المطلوبة. فهناك التكنولوجيا التي تعتمد على البترول فتناسب دولة كالسعودية، او على القطن فتناسب دولة كمصر، وهناك التكنولوجيا التي تعتمد على كثرة الايدي العاملة مع قلة المهارة كصناعة النسيج، او التي تعتمد على قلة الايدي العاملة مع ارتفاع المهارة كصناعة الالات الحاسبة. ولعل ذلك يكشف لنا سبب فشل تجربة استخدام الجرارات المستوردة في الزراعة بمصر، لعدم ملائمة بعضها لظروف الزراعة المصرية ولاستخدام معظمها بما لا يزيد عن نصف طاقتها، ولم تتحسن الصورة الا بتصنيع بعض تلك الجرارات محليا،

فليس بشرط ان تكون التكنولوجيا الحديثة المتقدمة، افضل من التكنولوجيا التقليدية المتطورة، ذلك ان التقدم التكنولوجي او التحديث لا يعني هجر اساليب الانتاج القديمة، بل دراستها والكشف عن امكانيات تطويعها، ولنضرب مثلا بصناعة

النسيج او السجاد او الاحذية، فانه يفضل الكثير فيها منتجات شغل اليد على منتجات الصناعة الالية.

كذلك من الخطأ الكبير ان يتصور البعض ان التقدم التكنولوجي مجاله الالكترونيات او الكمبيوتر او الذرة او الفضاء، بل الامر مرده ظروف كل دولة. ولا شك انه في بلد كمصر يعتبر اكتشاف اسلوب فعال وعملي للقضاء على البلهارسيا، او اسلوب جديد للمقاومة البيولوجية لدودة القطن، او تكنولوجيا جديدة للري توفر استخدام المياه مع زيادة المحاصيل، هي تكنولوجيا ذات وزن عالمي لا تقل اهمية عن استخدامات الذره او التفوق في الفضاء.[٥٣]

ومؤدى ما تقدم ان التكنولوجيا او التقنية، لا تعني مجرد شراء او استيراد احدث الاجهزة والادوات، ولا حتى التدريب على تشغيلها ثم التوقف اذا لحقها عطل فني او نقصها قطعة غيار، وانما هي معرفة نظام هذه الاجهزة ،طريقة صنعها والسيطرة عليها، اذ المعول عليه هو ممارسة وبناء التكنولوجيا وليس شراء او استيراد منجزاتها، وعلى نحو ما يقول المثل الصيني (لا تعطني سمكة ولكن علمني كيف اصطاد). كذلك لا تعني التكنولوجيا او التقنية ملاحقة احدث صورها، وانما اختيار ما يتناسب وظروف كل بلد وموارده الطبيعية وطاقاته البشرية واحتياجاته الفعلية، اي المعول عليه هو ما اصطلح بالتعبير عنه "التكنولوجيا الملائمة" appropriate technology اذ جوهر القضية كما عبر البعض هو "بناء هيكل انتاجي يتسق مع واقع المجتمع واحتياجات المواطنين فيه"[٥٤]، وبمعنى اخر عبر عنه البعض وهو "ان التنمية الاقتصادية في كل بلد هي الكفيلة بخلق التكنولوجيا وليس العكس"[٥٥]. ذلك انه بحسب مشكلات كل مجتمع ومقتضيات تنميته، تكون الحلول العلمية المناسبة اى التكنولوجيا الملائمة.

٣ — واذا كنا نرى ان التقدم التكنولوجي او التقني، بمفهومه الصحيح، لا يشترى او يستورد، وانما يستنبت داخل ارض الوطن وفقا لمشكلاته واحتياجاته وتبعا لتطوره فان ذلك يتطلب تقدما او مناخا علميا، اذ كما عبر عنه البعض "ان التقدم التقني هو نتيجة للتقدم العلمي وليس العكس".[٥٦]

وليس من سبيل، في وطننا العربي وعالمنا الاسلامي، لتحقيق التقدم العلمي، المؤدي بدوره الي التقدم الفني، الا بامرين متوازيين:

أولهما: مكافحة الامية المتفشية بين العرب والمسلمين والتي تبلغ نسبتها بحسب احصائيات الامم المتحدة اكثر من ١٠٪ من المواطنين.

فانه لا يكفي الوف الخريجين من الجامعات العربية والاسلامية، ووجود مئات العلماء، ممن يمثلون قطرة من بحر الملايين الاميين، ولكن يتعين ان يعرف ولا شك ان من اهم معوقات التنمية والتخلف التقني الذي يعاني منه العرب والمسلمون والعالم الثالث اجمع، ويسيره في طريق التبعية والاسر التكنولوجي للدول المتقدمة، هو ظلمة الجهل وتفشي الامية خاصة الوظيفية.

ثانيهما: ربط التعليم العام والجامعي خاصة بواقع المجتمع وتطويعه لخدمة احتياجاته وتطوره، وان تقوم بمختلف دول الوطن العربي والعالم الاسلامي مراكز معلومات واكاديميات العلوم والتكنولوجيا، ومعامل تجريبية لاختيار التقنية الملائمة لظروف كل بلد واحتياجاته.

ومؤدى ما تقدم ان المعول عليه هو الانسان في وطننا العربي وعالمنا الاسلامي، ان الافراد في كل مكان بالعالم يتساوون تقريبا من حيث قدراتهم الفطرية ومواهبهم الطبيعية، ولا تتميز دولة عن اخرى الا بحضارتها تبعا لانتشار التعليم فيها وما يتوافر لديها من اكاديميات وعلماء.

رابعا: ترشيد الاستهلاك، وتوجيه الفائض الاقتصادي لاغراض التنمية

١- أن التنمية تفترض ان يقتطع المجتمع من استهلاكه الحالي ليستثمر الفائض في زيادة طاقته الانتاجية، وهو ما يسمى في الاصلاح الحديث بالتكوين او التراكم الرأسمالي.

والاسلام يقوم على ترشيد الاستهلاك بقوله تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)[٥٧]. كما انه يلعن المبذرين بقوله تعالى (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين)[٥٨]، بل يعتبر كل من يسيء استخدام المال الزائد عن احتياجاته وكفايته- وهو ما عبر عنه القرأن الكريم باصطلاح العفو او الفضل ويعبر عنه في الاقتصاد الوضعي باصطلاح الفائض الاقتصادي- بانه سفيه يجوز الحجر عليه بقوله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما)[٥٩]. اكثر من ذلك فان الاسلام لا يكتفي باعتبار السفه وصرف المال في غير موضعه رذيلة محرمة ومفسدة ممنوعة، بل هو في نظره تهلكة حقيقية وانتحار بطيء، لقوله تعالى (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة)[٦٠] وقول الرسول عليه الصلاة والسلام (من اخذ من الدنيا اكثر من حاجته، اخذ حتفه وهو لا يشعر)[٦١].

٢- فترشيد الاستهلاك والاكتفاء بما عبر عنه فقهاء الشريعة باصطلاح حد الكفاية اى المستوى اللائق للمعيشة، وبالتالي توجيه الفضل او الفائض الاقتصادي الى التنمية، هو في الاسلام موقف ديني وسلوك احتماعي.

وهناك تبدو لنا اهمية القدوة من جانب القادة والمسؤولين، من اجل اعمال هذا المبدأ الاقتصادي الاسلامي والالتزام به تلقائيا. وهو الموقف الذي عبر عنه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين حرم على نفسه عام المجاعة ان ياكل لحما. وقال كلمته المشهورة (كيف يعنيني امر رعيتي اذا لم يمسني ما يمسهم)[٦٢].

ولقد حدث ان انكر رضي الله عنه على عامله باليمن حللا مشهرة ودهونا معطرة، فلما عاد اليه في العام التالي اشعث مغبرا عليه اطلاس بالية، قال له: لا، ولا كل هذا[٦٣]. وكلنا يعلم كيف ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان يعيش عيشة رفاه، حتى اذا تولى الخلافة واصبح مسؤولا عاش عيشة تقشف، لا لشيء الا ليعطي المجتمع المثل والقدوة وليعمل الجميع على ترشيد استهلاكهم والاكتفاء بما ارتضاه لهم الاسلام وهو حد الكفاية اي المستوى اللائق للمعيشة دون سرف او ترف.

ولا شك ان موقف الفئات الغنية من رفض ضبط الاستهلاك، لا يعتبر موقفا لا اسلاميا فحسب، وانما يتسم ايضا بدرجة كبيرة من قصر النظر يكاد يبلغ حد العمى الاجتماعي، وهم في الواقع كما ورد في القرآن الكريم يلقون بايديهم الى المفسدة والتهلكة الخفية.

٣ - هذا، وان ضبط الاستهلاك يجب ان يكون عاما، فلا يقتصر على الافراد، بل يتناول الحكومات. وانه مما يرثى له حقا ان تتورط حكومات المجتمعات النامية خاصة الفقيرة منها، فيما يسمى بمشروعات الهيبة او مركبات النقص، وذلك كاقامة قصور فخمة تتجاوز احتياجاتها وكتشييد مطارات حديثة تفوق طاقاتها ومعداتها مقتضيات حركة النقل فيها.

كذلك فانه مما يجب التنبيه اليه، ان ترشيد الاستهلاك، يرتبط ارتباطا وثيقا بترشيد الانتاج بمعنى. فكم عانينا في مصر من المنتجات التي انخفض فيها الانتاج بدون مبرر وكان واقع الامر جهدا ضائعا ومالا فاقدا.

خامسا: الالتزام باولويات التنمية والمعالجة الجدرية لمعوقاتها:

١ - ولعل من اهم الضمانات الاسلامية لتحقيق التنمية الاقتصادية واستمرارها ما اجمع عليه فقهاء الاسلام من تقديم الضروريات على الحاجيات، وتقديم الحاجيات على التحسينات، وهو ما تعبر عنه في الاصطلاح الحديث باولويات التنمية. بل ان الضروريات في الاسلام ليست في مرتبة واحدة، فلا يراعى ضرورى اذا كان في مراعاته اخلال بضروري اهم منه، وبالمثل الحاجيات والتحسينات، الامر الذي نعاه القرآن الكريم بقوله تعالى (وبئر معطلة وقصر مشيد)[٦٤].

١ - قضية المرافق العامة:

وتطبيقا لهذا المبدأ فان المرافق العامة كتعبيد الطرق وتوفير المياه والكهرباء والهاتف وتمييزها، مما اصطلح عليه بالتجهيزات الاساسية Infrastructure مقدم على انشاء المصانع. وان انشاء المصانع التي تنتج الاحتياجات الاساسية للجماهير كالسلع

الغذائية والملابس مما اصطلح عليه الصناعات الاستهلاكية، مقدم على الصناعات الثقيلة. كما ان الصناعة الثقيلة التي تقوم على الموارد المحلية، مقدمه على التصنيع الذي يقوم على الموارد المستوردة، بمعنى ان تكون الموارد الطبيعية المتاحة، هي القاعدة الصلبة التي ينمو عليها الانتاج ويتشعب، وانها وحدها التي تحدد اولويات الصناعات الثقيلة. كذلك يجب ان ندرك جيدا أن كل استثمار في تطوير الريف والمدن الصغيرة، يوفر استثمارات هائلة يفرضها تضخم واكتظاظ العواصم والمدن الكبيرة، بل ودون عائد مناسب، ان لم يكن زيادة في افساد البيئة وتضيق واتلاف لاعصاب الناس بسبب الازدحام.

٢ - قضية التعليم الابتدائي والمتوسط

وما دمنا نتكلم عن اولويات التنمية ومعوقاتها، فان الامر يتطلب مراجعة جذرية للتعليم خاصة الابتدائي والمتوسط، بحيث لا يستمر كما هو حاصل الى اليوم، مجرد حلقة من سلسلة متصلة الحلقات تؤدي بالضرورة الى الجامعة . بل يجب ان يكون تعليما مستقلا هدفه محو الامية خاصة الوظيفية، وتاهيله للعمل اليدوي والذهني في آن واحد، والا تظل المدرسة في عزلة عن البيئة المحيطة بها في الريف او الاحياء بل تعاون وتشارك في انواع النشاط الاقتصادي السائد بالريف او الحي زراعيا كان او صناعيا او تجاريا.

وهنا ننبه ونؤكد بان اهم عنصر من عناصر التنمية الاقتصادية، ليس هو عنصر المال او التراكم الراسمالي او الفائض الاقتصادي، ولا هو عنصر الارض او الموارد الطبيعية وإنما هو عنصر العمل التقني أو العماله المدربة أو الكفاية البشرية. لقد أتت الحرب العالمية الثانية، ودمرت معظم مصانع اوروبا واليابان وجردتها من كل امكانياتها المادية، ومع ذلك فان نموها الاقتصادي فاق كل خيال بسبب كفايتها البشرية. وان اغلب دول افريقيا وآسيا غنية بالثروات والموارد الطبيعية، ولديها كثرة سكانية، وبعضها كالدول المنتجة للبترول لديها فائض اقتصادي ضخم، ولكنها جميعا متخلفة اقتصاديا بسبب افتقارها للكفاية البشرية والعمالية المدربة. وهذا يبين لنا ان اولى ما يجب

الاهتمام به لتحقيق اية تنمية اقتصادية هو التعليم خاصة الفني، ولا شك ان اكبر سبب لتخلف العالم النامي هو تفشي الامية خاصة الامية الوظيفية. وليس أدل على اهتمام الاسلام بمكافحة الامية في عصر الجهالة والجاهلية ان اول كلمة في القرآن الكريم هي إقرأ، وانه كان يفتدي الاسير الكافر اذا علم عشرة اميين.

٣ - قضية الجيش والانفاق العسكري المتزايد:

كذلك يتصل باولويات التنمية ومعوقاتها قضية الجيش والانفاق العسكري المتزايد، ولا شك ان الاسلام يتطلب القوة العسكرية ويلتزم التدريب والاعداد، ولو في وقت السلم بقوله تعالى (واعدوا لهم ما استطعم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)[٦٥].

ولكن نقطة الخلاف هو ان يظل الشعب كما هو الجاري حتى اليوم متفرجا، وان يلقى بعبء الدفاع على جيش متضخم هو عالة على الانتاج. لذلك نرى ان تكون جيوشنا النظامية المتفرغة باقل عدد مناسب وعلى اعلى مستوى من الكفاية، وبحيث يتولى الجيش النظامي بكل دولة عربية او اسلامية مسؤولية تدريب الشعب كله على فترات دورية منتظمة، بحيث يمكن ان يكون الشعب باسره جيشا عند اللزوم، وهو ما كان يحصل في العهد الاسلامي الاول.

كما انه ليس هناك ما يمنع ان يشارك الجيش النظامي ببعض اجهزته وفروعه كسلاح المهندسين والاطباء، في عمليات التنمية الاقتصادية ذاتها. وكم كانت فرحتنا عقب حرب ١٠ رمضان سنة ١٣٩٣ الموافق ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣، حين صدرت التعليمات في بعض الدول العربية كمصر، بان يكون التدريب العسكري مادة اساسية بالمدارس والجامعات، وان يشارك الجيش بامكانياته الضخمة المعطلة في عمليات التنمية الاقتصادية. ولكن الامر- شأن الكثير من اوجه الاصلاح في الدول النامية- لا يتجاوز الكلام ولا يخرج الى حيز التنفيذ، وليس من سبب في نظرنا سوى استهانة وتقصير القادة والمسؤولين عن تسيير الامور.

الفرع الخامس

المفكرون المسلمون اول من عالج قضايا التنمية الاقتصادية

١- عالج الفقهاء القدامى قضايا التنمية الاقتصادية، مبينين بجلاء انها ليست عملية انتاج فحسب، وانما هي عملية كفاية في الانتاج مصحوبة بعدالة في التوزيع، وانها ليست عملية اقتصادية بحتة، وانما هي عملية انسانية تبتغي تنمية الانسان وتقدمة بشقيه المادي والروحي.

ولسنا هنا بصدد دراسة تفصيلية لقضايا التنمية الاقتصادية في الاسلام، او بصدد تتبع افكار الفقهاء القدامى واجتهاداتهم في قضايا التنمية، وما هي في نظرتهم اولويات التنمية الاسلامية، وما هي ضماناتها، وطرق تمويلها، مما لا تتسع لمدارستنا الحالية.

وانما كل ما يهمنا هنا ابرازه، هو ان التنمية الاقتصادية قد شغلت المقام الاول من فكر المسلمين القدامى، وان بُحثت تحت لفظ عمارة الارض لقوله تعالى (هو الذي انشأكم من الارض واستعمركم فيها)[٦٦]، اى كلفكم بعمارتها. واصطلاح عمارة الارض يشمل مضمون التنمية الاقتصادية وزيادة، اذ يقول سيدنا على بن ابي طالب في كتابه الى واليه بمصر (وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة، ومن طلب الخراج من غير عمارة اخرب البلاد)[٦٧]. بل يلخص سيدنا عمر بن الخطاب مهمة القادة واساس الحكم في عبارة جامعة مانعة بقوله رضي الله عنه (ان الله قد استخلفنا علي عباده لنسد جوعتهم ...... ونوفر لهم حريتهم، فان لم نفعل فلا طاعة لنا عليهم)[٦٨]. فتأمين الناس في معاشهم وفي تحريتهم، هو قوام الحياة واساس الحكم، وهو ما اصطلح عليه في الاسلام بضمان حد

الكفاية وضمان الشورى وحرية الكلمة. وما مشكلة الدول النامية وازمة بل وتخلف شعوبها، الا لافتقارها هذين العنصرين الاساسيين، وذلك بجهل وانحراف قادتها الذين اغرقوها بالشعارات والمظاهر بدلا من العمل والتنمية، وبالوصاية والتسلط بدلا من الشورى والحرية.

٢- واذا كنا اليوم ندرك ان التنمية الاقتصادية تعني توفير ما اصطلح عليه بالفائض الاقتصادي، واستخدامه في زيادة قدرات المجتمع الانتاجية، بحيث لا ينتج التخلف الا عن فقدان المجتمع لفائضه الاقتصادي او تبديده في مصارف غير انتاجية او في استهلاك بذخي او ترفي.

فلقد نبه الى ذلك القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا، معبرا عن الفائض الاقتصادي باصطلاح العفو او الفضل، واعتبر التبذير سفها والترف اجراما، ودعا الى صرف كل ما زاد عن الحاجة او الكفاية بغير سرف او ترف، في سبيل الله اى في سبيل المجتمع وتنميته، بل جعل ذلك كما اسلفنا علامة الاسلام وشرط الايمان.

ومن هنا فقد وضع القرآن الكريم منذ البدء حكام المسلمين وفقهاء الشريعة والشعوب المسلمة، على الطريق الصحيح لتحقيق ذاتها وتنميتها، ليكونوا بحق كما اراد لهم الله خلفاءه في ارضه. وتحقق للمسلمين الاوائل تقدمهم وانطلاقاتهم يوم التزموا بذلك الهدي القرآني، وانتكسوا يوم حادوا عنه. وما سر ما تستمتع به اليوم الدول المتقدمة، الا لاهتدائها منذ عهد ليس ببعيد الى هذا السبيل، وستنتكس بدورها يوم تحيد عنه.

٣ - ولذلك لا تعجب ايضا ان كانت اولى المؤلفات الاقتصادية العالمية في مجال التنمية القتصادية، هي لكتاب مسلمين سبقوا الكتاب الاجانب بعدة قرون. ونخص بالذكر الرائد الاقتصادي ابن خلدون الذي عالج مختلف قضايا التنمية الاقتصادية في مقدمته سنة ٧٨٤هـ المشهورة باسمه تحت عنوان الحضارة وكيفية تحقيقها.

وان كتاب الخراج للامام ابو يوسف المتوفى سنة ١٨٢هـ/٧٦٢م، يعتبر على نحو ما سبق الاشارة اليه قمة في بحوث التنمية الاقتصادية، رغم انه وضع اصلا للخليفة هارون الرشيد لتنظيم الخراج. واننا نجد الفقيه الاقتصادي احمد بن الدلجى في كتابه الفلاكة والمفلوكون اى الفقر والفقراء، يتعرض في القرن الخامس عشر الميلادي لقضية الفقر، أي يتعبير آخر لقضية التنمية الاقتصادية، وذلك بتفصيل واحاطة وعمق نادر بحسب زمانه.

الفرع السادس
ضرورة التنسيق في خطط التنمية على المستويين العربي والاسلامي

١- تواجه الدول العربية خاصة والاسلامية عامة، عقبات ومشكلات عديدة، عند تنمية مجتمعاتها تنمية مستقلة، وذلك لافتقادها منفردة لبعض مقومات التنمية. في حين تتوافر لها هذه المقومات وهي مجتمعه في وطن عربي او اسلامي كبير، فما ينقص احداها من موارد طبيعية او راس مال او قوى عاملة او خبرات فنية، يتوافر بكفاية لدى البعض الاخر.

ولعل في ذلك حكمة كبرى من الله تعالى، لتسعى الدول والشعوب نحو تحقيق التعاون المتكامل فيما بينها، لا الاختلاف والصراع. وكما لا يوجد انسان يستطيع ان يستغني عن معاونة الاخرين في سد احتياجاته وتكامله معهم، فان الامر كذلك بالنسبة للدول، لا يمكن لاحداها الاستغناء عن الدول الاخرى بتبادل المنافع التكامل مع بعضها. وياتي شقاء الفرد، وشقاء الدول، وكافة الازمات من افتقاد هذا التعاون والتكامل.

وعلى المستوى العربي، على سبيل المثال، نجد مصر لا تملك من مقومات التنمية سوى القوى البشرية، والسودان والصومال لا تملك سوى الموارد الطبيعية، ودول الخليج لا تملك سوى رؤوس الاموال الفائضة. وهذا الوفرة لدى البعض، والندرة لدى الاخر، هي سنة الله التي لن تجد لها تبديلا، وذلك بهدف تحقيق التعاون والتكامل فيما بينها ليسبغ الله عليها نعمته، والا حقت عليها نقمته وظلت تدور في حلقة التخلف والضياع، الجهنمية المفرغة لا يخرجها منها سوى ما اراده لها الله من التعاون والتكامل. وكذلك الامر بالنسبة للعالم الاسلامي، والعالم اجمع.

لذلك يتطلب الامر عند وضع خطط التنمية، والتنسيق بين امكانيات كل بلد عربي او اسلامي بحيث يكمل كل منها الاخر، وهو ما يحقق اكبر استفادة من امكانيات كل دولة عربية او اسلامية دون فاقد او ضائع، وهو في المحصلة، يدفع بعجلة التنمية في الوطن العربي والعالم الاسلامي. كما انه يؤدي في النهاية الى الوحدة العربية والتضامن الاسلامي والتعاون العالمي. فليس هناك اى تناقض بين الوحدة العربية، وبين التضامن الاسلامي، وبين التعاون العالمي، بل إن كل منها خطوة اساسية لتحقيق الاخرى، وذلك طالما كان هناك تنسيق دقيق للتعاون والتكامل لا للتصارع والتناقص. وحينئذ يسود العالم امله المنشود في الحياة المثلى والذي لخصة القرآن الكريم في اصطلاحي "التعاون" و "العزة" بقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)[٦٩]، وقوله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين).[٧٠]

٢- وما احوجنا اليوم الى احصائيات دقيقة ودراسات علمية في هذا المجال، والى المبادرة بوضع خطط تنمية واضحة المعالم والقسمات، تحدد منها ما تلتزم بتحقيقه كل دولة عربية او اسلامية، بحيث يتم التعاون والتكامل بينها لا الفرقة والتضارب.

ولعل الخطوة العملية لذلك هو عقد مؤتمر قمة اقتصادي عربي واخر اسلامي، يتصدى لمناقشة برامج تنمية مدروسة على اساس علمي ورؤية واقعية لنقط الضعف والقوة، من اجل البناء المشترك والمتكامل للوطن العربي ككل، والعالم الاسلامي ككل.[٧١]

٣- لقد سبق ان اعدت الامانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية بجامعة الدول العربية، وكذا الامانة العامة لمؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية دراسات مفصلة لتحقيق التنمية الاقتصادية والتكامل في الوطن العربي ككل والعالم الاسلامي ككل. وذلك بدءا من تنظيم التبادل الاقتصادي العربي او الاسلامي، وتعاون الاجهزة والمنظمات الاقتصادية المتخصصة العربية او الاسلامية، الى انشاء بنوك وصناديق مالية عربية، واخرى اسلامية لتمويل المشروعات العربية والاسلامية التي ثبتت جدواها الاقتصادية، الى مباشرة بعض هذه المشروعات على المستويين العربي والاسلامي.

ولكن حتى الان ما زالت جهود التنمية الاقتصادية على المستويين العربي والاسلامي محددة وقاصرة، وما زالت استراتيجية هذه التنمية غامضة وغير منسقة، اذ لا يكفي مجرد الغاء الجمارك او فتح الحدود او اقرار مختلف التسهيلات، وانما يتعين اساسا التنيسق للاستفادة من عوامل الانتاج المتوافرة على المستوى العربي والاسلامي.

ان العالم العربي خاصة والاسلامي عامة، يتمتع منذ حرب ١٠ رمضان و ٦ اكتوبر بفرصة تاريخية بحكم ثرواته الطبيعية وواقعه الجغرافي. وان هذه الفرصة قد لا تستمر طويلا، وبالتالي فاما ان نستفيد منها او ان تضيع. وانه من اكبر الظلم ان تظل فوائض البترول العربية الضخمة ببنوك اوروبا وامريكا، بل ويأكلها التضخم وتدهور الدولار، بينما في السودان والصومال ملايين الافدنة من الاراضي الصالحة للزراعة ولا تزرع، وهي لا تحتاج في تقدير بعض المسؤولين الا نحو عشرة مليارات دولار سنويا لاستثمارها، بحيث تصبح سلة الغذاء ليس للامة العربية وحدها وانما للعالم اجمع.[٧٢]

ان التنسيق في خطط التنمية الاقتصادية على المستويين العربي والاسلامي، هو المخرج الوحيد لمواجهة التخلف الذي يعانيه الوطن العربي والعالم الاسلامي لحل مختلف مشكلاته، ذلك ان ما تفتقده احدى هذه الدول من عناصر القوة والتنمية يتواجد بوفرة لدى الاخرى. اكثر من ذلك فان هذا التنسيق وما يصاحبه من تكامل اقتصادي، هو الحل العملي لتحقيق الوحدة العربية والتضامن الاسلامي المنشودين، ولن يتحقق ذلك في اعتقادنا الا عن طريق مؤتمرات قمة اقتصادية، وليس على مستوى ادنى، ذلك ان الامكانيات متوافرة، والدراسات العلمية مستوفاة، والاجهزة والمنظمات العربية والاسلامية المتخصصة كثيرة، ولا ينقصنا سوى ارادة الحسم.

هوامش البحث

(١) سورة البقرة، الاية رقم ٣٠.

(٢) سورة هود، الاية رقم ٦١.

(٣) سورة الاسراء، الاية رقم ٧٢.

(٤) انظر كتابنا الاسلام والمشكلة الاقتصادية، طبعة ١٩٧٨، ص ٤٩ وما بعدها، لناشره مكتبة الانجلو المصرية.

(٥) اخرجه الطبراني في الاوسط، والسيوطي في الجامع الصغير.

(٦) اخرجه ابو داود والنسائي وابن ماجه.

(٧) سورة قريش، الاية رقم ٢-٤.

(٨) سورة طه، الاية رقم ٢٥، ٢٦.

(٩) سورة طه، الاية رقم ٣٣، ٣٤.

(١٠) سورة الماعون، الايات من ١ الى ٣.

(١١) انظر كتابنا ذاتية السياسة الاقتصادية الاسلامية واهمية الاقتصاد والاسلامي، طبعة ١٩٧٨م، ص ٥٤ وما بعدها، لناشره مكتبة الانجلو المصرية.

(١٢) صورة التوبة، الاية رقم ١٠٥.

(١٣) سورة المائدة، الاية رقم ١٥.

(١٤) سورة سبأ، الاية رقم ١٥.

(١٥) سورة النساء، الاية رقم ١١٤.

(١٦) انظر كتابنا الاسلام والمشكلة الاقتصادية، مرجع سابق، ص ٥٨.

(١٧) انظر المرجع السابق، ص ٧٥ وما بعدها.

(١٨) سورة التوبة، الاية ٣٤، ٣٥.

(١٩) الجامع الصغير للسيوطي.

(٢٠) سورة هود، الاية ١١٦.

(٢١) سورة الاسراء، الاية ٧٧.

(٢٢) سورة البقرة، الاية رقم ٣.

(٢٣) سورة هود، الاية رقم ٦١.

(٢٤) سورة الانشقاق، الاية رقم ٦.

(٢٥) سورة الاسراء، الاية رقم ٧٢.

(٢٦) اخرجه البخاري واحمد بن حنبل.

(٢٧) اخرجه البخاري ومسلم.

(٢٨) سورة الجاثية، الاية رقم ١٣.

(٢٩) سورة الجمعة، الاية رقم ١٠.

(٣٠) سورة الاعراف، الاية رقم ١٠.

(٣١) سورة التوبة، الاية رقم ١٠٥.

(٣٢) متفق عليه

(٣٣) سورة الشورى، الاية رقم ٢٦.

(٣٤) اخرجه الطبري في الاوسط.

(٣٥) مسند الامام زيد.

(٣٦) سورة المزمل، الاية رقم ٢٠.

(٣٧) الجامع الصغير للسيوطي.

(٣٨) اخرجه الحاكم في المستدرك.

(٣٩) اخرجه الحاكم في المستدرك.

(٤٠) انظر الدكتور سليمان الطماوي في كتابه عمر بن الخطاب واصول السياسة والادارة الحديثة، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٩، لناشره دار الفكر العربي القاهرة.

(٤١) سورة آل عمران، الاية رقم ١٥٩.

(٤٢) سورة الشوري، الاية رقم ٣٨.

(٤٣) سورة آل عمران، الاية رقم ١١٠.

(٤٤) سورة آل عمران، الاية رقم ١٠٣.

(٤٥) سورة الانفال، الاية رقم ٦٠.

(٤٦) سورة النحل، الاية رقم ٩٣.

(٤٧) سورة الكهف، الاية رقم ٣٠.

(٤٨) اخرجه البهيقى.

(٤٩) سورة الزمر، الاية رقم ٩.

(٥٠) السيوطي في الجامع الصغير.

(٥١) نفس المرجع.

(٥٢) نفس المرجع.

(٥٣) انظر الدكتور اسماعيل صبري عبدالله، نحو نظام اقتصادي عالمي جديد، لناشره الهيئة العامة المصرية للكتاب، طبعة ١٩٧٦، ص ٢٠٠ وما بعدها.

(٥٤) انظر الدكتور اسماعيل صبري عبدالله، ص٢٢٠ من كتابه المعنون (نحو نظام اقتصادي عالمي جديد)، مرجع سابق.

(٥٥) انظر الدكتور يوسف ابراهيم يوسف، ص ٥١٥ من رسالته للدكتوراه عن المنهج الاسلامي في تحقيق التنمية الاقتصادية، والتي شاركنا في الاشراف عليها ومناقشتها بكلية تجارة جامعة الازهر في شهر مارس ١٩٨٠.

(٥٦) انظر الدكتور علي بن طلال الجهني في بحث له بجريدة الشرق الاوسط في يونية سنة ١٩٨٠ بعنوان (التقنية بين الحقيقة والاوهام).

(٥٧) سورة الفرقان، الاية رقم ٦٧.

(٥٨) سورة الاسراء، الاية رقم ٢٧.

(٥٩) سورة النساء، الاية رقم ٥.

(٦٠) سورة البقره، الاية رقم ١٩٥.

(٦١) رواه البزار.

(٦٢) انظر عبقرية عمر، للاستاذ عباس محمود العقاد، طبعة دار المعارف ص ١١٧.

(٦٣) المرجع نفسه.

(٦٤) سورة الحج، الاية رقم ٤٥.

(٦٥) سورة الانفال، الاية رقم ٦٠.

(٦٦) سورة هود، الاية رقم ٦١.

(٦٧) انظر نهج البلاغة، للشريف الرضي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

(٦٨) انظر سيرة عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، المطبعة التجارية الكبرى بالقاهرة.

(٦٩) سورة المائدة، الاية رقم ٢.

(٧٠) سورة المنافقون، الاية رقم ٨.

(٧١) لقد انعقد في ٢٥ نوفمبر ١٩٨٠ بعمان مؤتمر القمة العربي الحادي عشر، والذي يعتبر بمثابة اول مؤتمر قمة عربي اقتصادي، بهدف الخروج بالدراسات والتوصيات الاقتصادية الى نطاق العمل والتنفيذ، وفي ظل الفكر السائد بان التنمية الاقتصادية والتكامل الاقتصادي هو السبيل الفعال لتحرير فلسطين، وان السياسة والاقتصاد وجهان لعملة واحدة. وكان معروضا على مؤتمر القمة المذكور خطة خمسة للاستثمار العربي المشترك ينفذ ما بين الاعوام ١٩٨١/١٩٨٥، وكلفتها الاجمالية ٦٢ بليون دولار (اثنان وستون الف مليون) بنسبة ١٠٪ من الاستثمار القطري الاجمالي المقدر للسنوات ١٩٨١/١٩٨٥، بحيث يخص مشروعات الاكتفاء الذاتي في مجال الغذاء ١٥ بليون دولار والصناعات الاساسية ١٠ بليون دولار والمشروعات الاولية في الانشاء ١٩ بليون دولار اخيرا ١٨ بليون دولار تخصص للابحاث العلمية وتصنيع التكنولوجيا الملائمة. وقد اعتمد فعلا المؤتمر خطة تنمية خمسية قومية مشتركة خصص لها ٥ بليون (خمسة آلاف مليون) دولار، قابلة للزيادة بحسب الاسراع في تنفيذ المشاريع العربية المشتركة، مع اقرار مبدأ تحييد العمل الاقتصادي العربي المشترك وابعاده عن الخلافات السياسية الطارئة بين الدول العربية.

وفي ٢٥ يناير ١٩٨١ انعقد مكة المكرمة والطائف مؤتمر القمة الاسلامي الثالث، والذي يعتبر بدوره بمثابة اول مؤتمر قمة اسلامي اقتصادي، وفي ظل الفكر السائد بان السوق الاسلامية المشتركة هي الهدف النهائي للتعاون الاقتصادي بين الدول الاعضاء في منطقة المؤتمر الاسلامي، وهو هدف اسلامي جليل يحتاج الى نفس طويل والاسراع في اقامة مشروعات اقتصادية مشتركة متنوعة. ولقد اعتمد المؤتمر لذلك بصفة مبدئية ٣ بليون دولار (ثلاثة آلاف مليون) عن طريق صندوق وبنك التنمية الاسلامي.

وإذا كان الشغل الشاغل للمؤتمرات المشار اليها هو قضايا التخلف والاراضي الاسلامية المحتلة في فلسطين والقدس وافغانستان، فان من اقوى الاسباب للتعجيل بحل هذه القضايا: هو تنمية القوى الاقتصادية والتنسيق بينها كقوة اقتصادية عالمية ضاغطة.

(٧٢) ان المنطقة العربية وحدها تزيد مساحتها على مساحة اوروبا كلها حيث تبلغ ٣ مليارات فدان، ولا تتجاوز المساحة المزروعة فيها ١٢٠ مليون فدان (نحو ٥٠ مليون هكتار)، اي بواقع فدان لكل مواطن اذا اعتبرنا عدد العرب حاليا نحو ١٢٠ مليون نسمة، مما يضطر الوطن العربي الى استيراد اكثر من ٥٠٪ من احتياجاته الغذائية من خارج المنطقة العربية وستزيد هذه النسبة بزيادة الكثافة السكانية.

في حين ان المساحة التي يمكن زراعتها نحو ٦٠٠ مليون فدان، خلاف نحو ٨٠٠ مليون فدان للمراعي والغابات في الوطن العربي يمكن الاستفادة منها، الامر الذي يمكن معه تحقيق الامن الغذائي ليس للامة العربية او الاسلامية فحسب وانما للعالم اجمع.

دراسة مقارنة عن

دور الادارة العامة في التنمية بين المذاهب الوضعية المعاصرة وبين الاسلام

الدكتور محمد قاسم القريوتي

كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية

الجامعة الاردنية

مقدمة: ماهية الادارة والادارة العامة

الحديث عن الادارة ودورها في التنمية من منظور اسلامي يتطلب منا ابتداء تحديد المصطلحات الأساسية وهي الادارة والادارة العامة والتنمية والمنظور الاسلامي، حتى نعرف كيف يمكن لهذه المفاهيم أن تنسجم وتتناغم مع بعضها. ولا شك أن دراسة هذا الموضوع أمر على قدر كبير من الأهمية لا سيما وأن الحديث عن الادارة ودورها الفاعل في الوقت الحاضر في مجال تحقيق التنمية المنشودة يجرى على أعلى المستويات السياسية، ويحظى كذلك بالدعم المطلوب ولو في المجال المعنوي فقط *.

والادارة بابسط معانيها تعني تنظيم وتنسيق الموارد المادية والمجهودات الفردية والجماعية لتحقيق أهداف محددة (المصلحة العامة) بأكبر كفاية وبوسائل انسانية وأفضل فعالية، وذلك على طريق ممارسة التخطيط العلمي في مجال وضع الأهداف وتنفيذها، وما يقتضيه ذلك من ممارسة عديد من الوظائف الأساسية. ويمكن لنا من هذا التعريف الشخصي الاجرائي أن نحدد السمات الاساسية للادارة العامة بما يلي:

---

* يكفي للتدليل على ذلك في الأردن أن نذكر تشكيل اللجنة الملكية للتطوير الاداري التي تشكلت بتاريخ ١٨ تموز ١٩٨٤.

١ - الصفة التنظيمية:

ويعني ذلك أن الادارة عمل منظم يقوم على أساس تنظيم وتقسيم وتجزئة العمل الى مهام فرعية يجري توزيعها على أكفأ الاشخاص من الذين تتوافر فيهم الخبرات والمهارات اللازمة لشغل هذه المهام، ومن ثم تحديد أنماط الاتصال بين هذه المستويات الادارية وشاغليها بما يضمن توزيع الصلاحيات والمسؤوليات، تحديد نطاق الاشراف المناسب لكل منها.

وهذا يعني أن لا يترك تنفيذ العمل الاداري للصدق ويكون عشوائيا وارتجاليا، لأن ذلك يعني التخبط وعدم القدرة على التعامل مع المستجدات بالشكل المناسب.

٢ - الصفة الجماعية:

فالادارة وكما نرى، وبحكم التعريف، تعني التعامل مع الأخرين وقيادتهم، ذلك أن ممارسة الاشراف والتوجيه على مجموعة من الناس تتولى تنفيذ العمل، هو من عناصر الادارة الرئيسية. ذلك لأن النشاط الاداري عمل يقتضي وجود الجماعات. والاداري يتعامل مع مجموعة أقلها شخصان. فالشخص الذي لا يتضمن عمله الاتصال بالآخرين لا يعد اداريا. والادارة كجهد انساني بدأت مع وجود الجماعات ومنذ الأزل بحكم الضرورة. ولا يمكن التأريخ لوجود الادارة ببداية تكوين المجتمعات البشرية والقول عكس ذلك أمر تعوزه الدقه والموضوعية.

٣ - الصفة الهدفية:

مهما وجد من جماعات، ومهما كان التنظيم المتبع، فان ذلك الوجود لا يكون نشاطا اداريا إلا اذا كان يصب في بوتقة واحدة الا وهي تحقيق هدف ما يجري تحديده مسبقا. فالتجمعات التي لا تعرف علة وجودها، ولا الهدف الذي تسعى لاجله لا تمارس في الحقيقة نشاطا اداريا بل هي قطعان سائبة او حشود لاهية ليس إلا. فالهدف هو الهيكل العظمي الذي يشد التنظيم الاداري ويبرر وجوده. والادارة العامة تهدف الى

تحقيق المصلحة العامة للمجتمع ولا تهدف للربح، فمصلحة الجماعة هي علة وجود علم الادارة ونشاط الادارة العامة.

٤ - الكفاية والفعالية:

حتى يستحق نشاط ما أن يسمى نشاطا اداريا، فلا بدّ أن يعنى بالوسائل قدر عنايته بالهدف. ذلك أن الاداري الناجح هو الذي يحقق الأهداف المحددة بأقل كلفة وأقصر وقت وأفضل نوعية. فعلى سبيل المثال يمكن لأي تجمع بشري أن يحقق الهدف اذا ما كانت الموارد المتوفرة له غير محدودة ولم يكن أمر الكلفة مهما. ولكن تكلفة هذا الانجاز تكون كبيرة وغير اقتصادية مما يعني سوء الادارة والتبذير. فلو كان عندنا جهازان اداريان يقومان بالعمل نفسه ويسعيان لتحقيق الهدف ذاته، ووجدنا أن الجهاز الأول يحتاج الى مليون دينار لتقديم خدمة معينة ونوعية مطلوبة بينما يحتاج الجهاز الثاني الى نصف المبلغ فقط لتحقيق الخدمة نفسها وبالنوعية المطلوبة، فهذا يعني أن الجهاز الثاني على مستوى اداري أفضل من الجهاز الاداري الأول.

٥ - الصفة الانسانية:

مما تقدم يتبين لنا أن الادارة هي الوعاء الذي تنصهر فيه الموارد المادية والبشرية على شكل مدخلات لتنتهي في النهاية على شكل مخرجات تتمثل بالسلع المنتجة أو الخدمات المقدمة. والعنصر البشري أيا كان موقعه في الجهاز الاداري عاملا أو مشرفا أو مديراً ليس في رأينا إلاّ وسيلة انتاج. فمهما حاولنا تخفيف أو تلطيف هذا الوصف الأّ أنه لا مندوحة من الاقرار بذلك. ويقتضي هذا منا كإداريين أن نحاول استخدام هذه العناصر البشرية بطريقة انسانية تحفظ لها كرامتها واحترامها لذاتها، وتقلل الاضرار بها والتناقض بين القيم التي تحملها ومقتضيات العمل الى الحد الادنى. فمن المهم جدا أن يكون مكان العمل وما ينتج فيه منسجما مع العامل وقيمه، ومكانا يرى فيه مجالا لتحقيق ذاته ورسالته في الحياة. ولكن لا يجد الانسان دوما العمل الذي يناسبه، ويناسب قيمه وطموحاته أو حتى أخلاقياته. وفي هذه الحالة يكون هدف الادارة هو

التقليل ما أمكن من هذا التعارض بين العمل ومقتضياته وبين الشخص العامل ورغباته وقيمه أى أن تتعامل الادارة مع العامل بأقصى درجات الانسانية آخذه العوامل النفسية والاجتماعية والقيمية وطبعا الجسمية بعين الاعتبار، والادارة التي لا تقيم لهذه الاعتبارات أهمية لا يمكن أن تكون ادارة ناجحة على المدى الطويل.

أما الادارة العامة فهي النشاط الاداري (بالمعنى السابق شرحه) الذي تقوم به الدولة لتحقيق المصلحة العامة للمجتمع من خلال تنفيذ السياسات والخطط الاقتصادية والاجتماعية وفق أسس علمية ابتداء من وضع الخطط ومرورا بتنظيم الأجهزة اللازمة للتنفيذ وانتهاء بعملية المتابعة والتقييم التي تنعكس مرة أخرى في صورة أهداف وخطط جديدة. والادارة العامة تتمثل بمختلف الأجهزة الادارية التي تتمول حكوميا سواء كانت وزارات أو مؤسسات عامة أو أية هيئات حكومية تحت مسميات أخرى.

أما المصلحة العامة فهي كلمة يقصد بها خير المجتمع بشكل عام أو مصلحة الجماعة، وليس مصالح فردية لفئات معينة. وطبعا تتحدد المصلحة العامة في أطر قانونية وتشريعية.

مفهوم التنمية:

يعتبر مصطلح التنمية من أكثر المصطلحات شعبية في الوقت الحاضر. بل ان أساسي تقسيم المعسكرين الاقتصاديين الرئيسيين في العالم هو أساس فلسفتهما في فهم التنمية ووسائل تحقيقها. فالتنمية بالمعنى التقليدي مفهوم اقتصادي يقصد به زيادة الأنتاج وزيادة الدخل القومي الاجمالي (GNP) والدخل الفردي من سنة الى أخرى. ولذا كان موضوع التنمية بالأساس موضوع الاقتصاديين الذين يفكرون في عوامل زيادة الانتاج ووسائل الحصول عليها سعيا وراء زيادة النمو الاقتصادي. [١] وقد تعددت النظريات في هذا الموضوع وتنوعت بحسب اجتهادات دعاتها فيما اعتبروه العنصر الرئيسي لاحداث التنمية وكيفية الحصول عليه. ولكن هذا المفهوم مفهوم جزئي ويعاني من عدة عيوب. [٢] . ذلك أن هدف مفهوم التنمية هو الانسان والانسان لا يعيش فقط

بزيادة الدخل فقط على أهميته بل ان الافراط في تحسين مستوى الحياة الاقتصادي دون النظر للجوانب الاجتماعية والسياسية والبيئية والجوانب الأخرى التي تهم الانسان سيكون له آثار ضارة على هذا الانسان. ولذلك نجد أن معظم الدول المتقدمة رأسمالية كانت أو ماركسية واشتراكية، وكذلك أغلب الدول النامية التي تقتفي أثر هاتين الفلسفتين تعاني من أحادية هذا المفهوم أو عدم شموليته مما انعكس على نوعية الحياة في تلك الدول سواء في المجال الاجتماعي أو السياسي أو البيئي الى غير ذلك.

ومن هنا يبدو الحديث عن دور الادارة العامة في التنمية من منظور اسلامي منطقيا، لأن ذلك يشكل بديلا لا شرقيا ولا غربيا بل اسلاميا انسانيا رغم ما قد نعانيه من صعوبة الاشارة الى بلد اسلامي واحد في عالم اليوم يطبق هذا المفهوم المتوازن في التنمية، لكن ذلك ليس عيبا في المفهوم ولكن عجزنا عن التطبيق. وقبل ان نتحدث عن دور الادارة العامة في التنمية من منظور اسلامي، سنشير بايجاز الى دور الادارة العامة في التنمية من المنظورين الغربي والشرقي آخذين بعين الاعتبار أن العرض سيركز على الادارة العامة وقدرتها على تحقيق المصلحة وبوسائل انسانية.

المنظور الاسلامي

أن مصطلح المنظور الاسلامي يقصد به في هذا البحث المبادىء الرئيسية التي حددها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتفسير الأئمة والمجتهدين لهذه النصوص. وهنا نحتاج الى الرجوع للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية على اعتبار أنها تمثل تصور الاسلام.

وقبل أن نعالج دور الادارة العامة في التنمية من هذا المنظور يحسن بنا أن نتطرق الى مثل هذا الدور في الأنظمة المقارنة الأخرى وهي النظم الليبرالية الرأسمالية والنظم الماركسية الاشتراكية، ومن ثم النظم الادارية في الدول الأخرى والتي تقع ضمن الفلسفة الرأسمالية أو الماركسية أو بينهما، وذلك حتى نستطيع تمييز دور الادارة العامة من منظور اسلامي.

دور الادارة العامة في الدول المتقدمة في التنمية

تتعدد الآراء والاجتهادات حول أي الدول يمكن أن تسمى متقدمة وكذلك تتعدد معايير التقدم.ودون أن ندخل في تفاصيل كثيرة لا يتسع لها متن هذا البحث نقول بأن معايير التقدم السائدة على كثرة المآخذ عليها معايير اقتصادية، وهي الدخل القومي الاجمالي (GNP) وقوة الدولة الصناعية وفي أحيان أخرى القوة العسكرية. ووفق هذا الفهم تصنف دول مختلفة الايديولوجيات، مثل الولايات المتحدة وكندا واوروبا الغربية، والاتحاد السوفياتي وبعض دول اوروبا الشرقية، واليابان، بأنها من تلك الدول.

أما عن دور الادارة في هذه الدول فلا يمكن التحدث عنه الا من خلال تقسيم رئيسي لهذه الدول على أساس ايديولوجي لأنها تنقسم بشكل رئيسي الى فلسفتين رئيسيتين هما: الدول الليبرالية الرأسمالية والدول الماركسية أو الاشتراكية.

دور الادارة العامة في الدول الرأسمالية

يعتبر المفكر الاقتصادي البريطاني آدم سميث منظر الفكر التنموي الغربي؛ اذ يعتبر كتابه الكلاسيكي البحث في أسباب (ثروة الأمم) والذي نشره سنة ١٧٧٦ وثيقة مهمة في هذا المجال. فقد كان سميث ممن عايشوا الثورة الصناعية وحاولوا وضع أسس ثابتة لاستمرارها [٣]. وقد كانت روح العصر ترى في التنمية تراكما في الثروة وجمعا لرأس المال ليس الا. فالتنمية بالنسبة لسميث والفترة التي عايشها، كانت تعني زيادة الانتاج الاقتصادي وجمع الثروة. ولم يكن هذا غريبا اذ أن المدرسة الاقتصادية التجارية الميركانتلية كانت ترى هي الاخرى أن التنمية تعني الموارد المعدنية من ذهب وفضة وبالتالي غنى الدولة وتراكم الثروة لديها [٤].

أما تفسير سميث لكيفية تراكم الثروة ورأس المال، فهي ببساطة اطلاق الدولة (الادارة) العنان للأفراد ليعملوا ما يشاءون لتحقيق هذا الهدف. اذ رأى أن واجب الادارة هو التدخل بأدنى الحدود لتسهيل مهمة الأفراد في التحرك في ممارسة النشاطات الاقتصادية عن طريق توفير الحماية لهم من العدوان الخارجي، وتوفير الأمن الداخلي،

والعدل أو توفير الجهاز القضائي للفصل بين الناس في المنازعات الداخلية. أما ممارستها للنشاطات الاقتصادية فكانت في رأيه أمرا غير موغوب فيه لأنه يعيق التنمية أو تراكم الثروة بما يمثله من تنافس غير متكافىء مع الأفراد. ولذا تلخصت فلسفة سميث في هذا المجال بشعار (دعه يعمل دعه يمر). ومن هنا، وبناء عليه، اصبحت الفلسفة الاقتصادية الرأسمالية منذ ذلك الوقت تعرف بفلسفة عدم التدخل أو الاقتصاد الحر Free Economy، وبدأ التطبيق لذلك المفهوم في بريطانيا بلد الثورة الصناعية التي جاء منها آدم سميث ومن ثم لباقي الشركاء في الولايات المتحدة ودول اوروبا الغربية ومن سار على دروبها.

أما ميكانيكية حدوث التنمية التلقائية دون تدخل الدولة أو تفسير حدوثها فيقوم على فلسفة قيمية مهدّ لها سميث عشرين عاما قبل اصدار كتابه (ثروة الأمم) في كتاب أصدره عن الأخلاق. اذ برر في كتابه الأول غرائز التنافس والأنانية والفهم واعتبرها غرائز أساسية لوجود المجتمع المتقدم. اذ اعتبر أن مسألة الأخلاق والتقيد بها كمؤشرات أو ضوابط لحركة الفرد معيق للتنمية. وعلى هذا الأساس رأى (سميث) أن الشعور بالأنانية وحب الذات وحب التفوق على الغير وحب المصلحة الخاصة هو الدافع لمزيد من العمل والانتاج، وأن هذه القيم قيم أساسية للنمو الاقتصادي ولا يجب الحد منها بل ان الحد منها سيكون في غير مصلحة الاقتصاد. وكأني به يرى أن الحديث عن المصلحة العامة والعدالة الاجتماعية والانتماء والتضحية قضايا معيقة للتنمية [٥].

من هنا نرى أن (آدم سميث) بمفهومه للتنمية ركز على البعدين الاقتصادي (زيادة الانتاج) والبعد السياسي (الديمقراطية وعدم التدخل) وأهمل البعد الاجتماعي المتمثل بالعدالة الاجتماعية، ولم ينتبه للبعد البيئي ولا للمنهج الشمولي في التنمية الذي يجب أن يأخذ العوامل البيئية والاجتماعية بعين الاعتبار. ولعل هناك عذرا لآدم سميث بعدم تركيزه على النواحي البيئية لأن التطور الصناعي ومخاطره لم تكن مرئية له كما هو الحال في عالم اليوم. ولذلك فان تحليلنا هذا لفكر (سميث) رغم ما يظهره من محدودية الفهم للتنمية وأبعادها الذي اظهره، الا أنه لا يقلل من نبوغ وبراعة هذا المفكر

الاقتصادي العالمي الذي رسم صورة للعالم الذي يريده، وحدد الطريق الذي يوصل اليه بوضوح. وهذا يعني أن آدم سميث كان يضع خارطة للعالم الرأسمالي وهو بهذا كأنه يقول لصانعي السياسات: اذا أردتم مجتمعا بهذه المواصفات فهذا هو السبيل اليه.

وحقيقة، فان مسلك الدول المتقدمة وما سارت عليه في سياساتها من اباحية في ممارسة النشاطات الفردية الاقتصادية على الأقل في فترات نموها الاولى، لشاهد على تمثلها بمبادىء استاذ الفلسفة الاقتصادية الرأسمالية. فليس هناك قيود أخلاقية على أهداف النشاطات والمشاريع الاقتصادية ووسائلها بل ان دفع الضرائب هو الشرط الرئيسي لاستمرار مثل تلك النشاطات أيا كانت. ولا يخفى على أحد أن الدول الرأسمالية وبعد فترة تردد طويلة لم تر بدا من التدخل لوقف هذا المسار الاباحي في التنمية، وذلك لأسباب عديدة منها تطور مفهوم التنمية نفسه، والنتائج النهائية التي ترتبت على زيادة النمو الاقتصادي. فقد أدرك العلماء والباحثون في تلك الدول أن التنمية الاقتصادية وحدها على أهميتها، لا تؤدي بالضرورة الى تحسين حياة الانسان الذي هو في النهاية هدف جهود التنمية بقدر ما هو وسيلتها. بل ثبت لتلك الدول انه بعد مستوى معين تصبح الزيادة في النمو الاقتصادي سلبية على حياة الانسان بما تسببه من مشاكل صحية وبيئية واجتماعية. فبناء المصانع وما يصاحبه من تلوث بيئي،والانحرافات الاجتماعية المترتبة على زيادة غنى قطاعات معينة دون غيرها، عوامل دعت تلك الدول الى التفكير بشكل شمولي. اذ أصبح ينظر للتنمية على أنها كل متكامل تشمل تحسين حياة الانسان اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وبيئيا. فبعد تحسن دخل الانسان والمجتمع، لا بد من النظر الى بقية القطاعات المختلفة من المجتمع مثل جهود التنمية، وليتم تعديل الاختلال الكبير بين قطاع وأخر حرصا على سلامة المجتمع وعدم حدوث الاضطرابات فيه، وكذلك تم التنبيه الى ضرورة الانتباه الى اعطاء المواطنين فرصا للتعبير عن أنفسهم سياسيا في كيفية ادارة الدولة وسير عملها. اذ أن الانسان وبعد اشباع حاجاته الاساسية لا بد وأن يهتم بفرص النمو والتطور الشخصي والتعبير السياسي، ولو كان ذلك على حساب دخل أو نمو اقتصادي أقل. وأخيرا

فعندما يصبح ثمن التوسع الصناعي أو الزيادة في الدخل الاقتصادي اضرارا بالبيئة فان خفض النمو لا زيادته يصبح الهدف الاستراتيجي.

ومن هنا أصبحنا نسمع الحديث في هذه الدول الصناعية الرأسمالية شعارات تنادي بضرورة تقييد النشاطات الفردية أو توجيهها وجهات معينة عن طريق سياسات الضرائب التصاعدية، وكذلك المناداة بدخول الدولة مجالات معينة لتقديم خدمات بشكل أكثر عدالة، أو لأن مثل تلك الخدمات غير مربحة للقطاع الخاص. وأخيرا وليس آخرا، رفعت شعارات صريحة تدعو لوقف النمو الاقتصادي Limits to Growth كما هو الحال فيما يسمى نادي روما Club of Rome وغيره من المنتديات الفكرية [٦]. ولعل أفضل اثبات لهذه التوجيهات الأساسية في تعديل النمو الرأسمالي أو الاقتصاد الحرّ في التنمية هو الاشارة الى أن قطاعات اقتصادية كبيرة قد تم تأميمها في موطن الرأسمالية بريطانيا بسبب واحد أو أكثر من الاسباب السالف ذكرها، وهو أمر حذت حذوه كثير من دول المعسكر الغربي.

وكذلك فقد جاءت المناداة الى وقف النمو السريع البالغ التعقيد والمتمثل في الشركات العملاقة متعددة الجنسيات من الدول الصناعية نفسها. ولعل قراءة في كتاب الأصغر وهو الاحسن Small is Beautiful للكاتب شوميكر E. F. Shmacher توضح لا انسانية التكنولوجيا البالغة التعقيد والحاجة الماسة للعودة للتكنولوجيا الوسيطة التي تخدم انسانية الانسان ولا تؤذي قدرة البيئة الطبيعية على الاحتمال Level of Tolerance [٧].

يتبين مما سلف، أن التوجه الجديد في النظر للتنمية هو اعتبارها كلاً متكاملاً تشمل النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية، رغم أن التطبيقات في الدول الصناعية ليست على المستوى المثالي المطلوب.

فباختصار، يرى الليبراليون الاقتصاديون أن دور الادارة العامة دور محايد، وأن هذا الوضع هو الوضع الطبيعي الذي تتحقق فيه مصلحة الفرد والجماعة، لأن مصلحة الجماعة ليست الا مجموعة المصالح الفردية فاذا غني الفرد غني المجتمع وتقدم.

وطبعا، وكما أشرنا سالفا، فالنتائج العملية لهذا التطبيق لم تكن على ما يرام اذ أن المشاكل الناجمة عن هذا التطبيق هي التي فتحت (لكارل ماركس) الباب ليطرح البديل مستغلا المظالم الاجتماعية التي تترتب على الرأسمالية، وهو ما سننتقل لبحثه في الجزء اللاحق من البحث.

أما عن كفاءة الادارة وانسانية وسائلها في الدول الرأسمالية، فان الأدبيات والمشاهدات الفعلية تبين الحقائق التالية (٨):

١ - تتحلى الأجهزة الادارية الحكومية في الدول الرأسمالية بمواصفات التنظيم الجيد الذي يسير وفق أسس علمية كما حددتها النظريات الرئيسية ونظرية ماكس فيبر سواء في مجال الخصائص الهيكلية البنوية أو الخصائص السلوكية. ويعد التنظيم سمة أساسية من سمات الادارة في هذه الدول، فتوزيع العمل، واختيار من يقوم به، وأنماط العلاقات السائدة، كلها تسير وفق أسس موضوعية محددة سلفا.

٢ - أما عن الصفة الجماعية، فالادارة في هذه الدول تتميز بالحجم الكبير الذي يحتاج لكوادر بشرية على درجة كبيرة من التخصص المهني والفني. ولعل الحديث عن الشركات متعددة الجنسيات يمثل الدرجة القصوى في حجم التنظيمات الادارية في تلك الدول.

٣ - أما عنصر العقلانية والتخطيط والموضوعية في اتخاذ القرارات، فلا شك أن الاجهزة الادارية لا تنشأ الا بعد دراسات جدوى اقتصادية جدية، وتستند الى أهداف واضحة المعالم ومحددة.

٤ - أما الاهتمام بالكفاية والفعالية فلا شك أن وعي المواطنين الضريبي في تلك الدول والعقلية الاقتصادية والتجارية، والحرية النسبية لوسائل الاعلام في نشر الأخبار والتحقيقات عن ممارسات الأجهزة الادارية الحكومية والخاصة، واتساع وضخامة حجم المشاريع، والتنافس الهائل بين الشركات على رضى المستهلك، ومسؤولية مديري الأجهزة الحكومية أمام الناخبين، كل ذلك أدى الى ادارة فعالة وكفؤة في تلك الدول.

٥ - أما ما يتعلق بالصفة الانسانية فهذا موضوع شائك وواسع، ولا أظن أن المجال يسمح للباحث بمناقشته بتفصيل كبير في هذا السياق، ولكن يمكن القول بأن التنظيم الجيد والتسارع في التكنولوجيا المستخدمة وزيادة حجم المصانع بعدد العاملين فيها، والاهتمام بعوامل الكلفة، كان لا بد، أن تنعكس على التعامل مع العامل كأداة للانتاج سلبيا، سواء بشكل مباشر عن طريق محاولة تقليل أجره الى أدنى حد ممكن (كما يرى كارل ماركس ونظرية فائض القيمة) أو بشكل غير مباشر عن طريق الافراط الزائد في تقسيم العمل الذي يقوم به بحيث يصبح مبرمجا بشكل دقيق لا يؤدي العامل فيه الا حركات محددة لا يرى فيها قيمة مهمة لعمله. اذ أن العامل على خط لانتاج السيارات مثلا وبسبب الاهتمام بعنصر الكفاية، اصبح دوره محدودا جدا بتثبيت برغي معين، أو الضرب بمطرقة عددا من المرات، او وضع ختم معين على عطاء معين ... الخ، وهو أمر بحد ذاته لا يعني للعامل شيئا اذ أن مساهمته وحده في انتاج السيارة لا تمثل أي شيء ملموس. فالمكننة الزائدة والتخصص الدقيق في الدول الصناعية أدى الى شعور العمال بنوع من الملل رغم أنهم قد يتقاضون أجورا مجزية [٩]. لذلك أصبح الحديث في تلك الدول عن التكنولوجيا النفسية والاجتماعية التي تقوم على الاستفادة من العلماء الاجتماعيين وعلماء الادارة في مجال اعادة تنظيم العمل لاغناء الوظيفة (Job Enrichment) وايجاد نوع من التحدي فيها يشعر، شاغلها بقيمة ما يؤديه من أعمال. وكذلك أصبحت النظرة لأماكن العمل كالنظرة الى القفص الذهبي الذي يحبس فيه الطير حيث توجد فيه الحاجات المادية ولكن لا وجود فيه للراحة النفسية والمادية [١٠].

دور الادارة العامة في التنمية من منظور ماركسي

يعتبر المفكر الاقتصادي كارل ماركس (Karl Marx) منظّر الفكر الماركسي وما يتفرع عنه. أما عن مفهوم التنمية لديه فهو لا يختلف عنه لدى (آدم سميث) اذ يرى ماركس أن التنمية تعني زيادة الانتاج وتراكم الثروة وزيادة رأس المال. وليس أدل على

ذلك الفهم من عنوان كتابة (رأس المال La Capital) وأما تفسيره لكيفية حدوث ذلك فهو ايضا لا يختلف بدرجة كبيرة عن تفسير سميث، اذ يرى أن التنافس بين الفئات المستغَلة والمستغِلة هو الذي يحرك دفة التنمية. فالمجتمع البشري في رأيه ليس الا سلسلة من الصراعات بين هذه الفئات على مر التاريخ، فالمجتمع الاقطاعي تطور بسبب استغلال فئة الملاك لعمال السخرة الذي يعملون مقابل ما يسد رمقهم فقط اذ أن فائض قيمة عملهم يذهب أرباحا لدى الاقطاعيين وهو أمر أدى في نهاية المطاف الى ظهور الرأسمالية التي تدور ميكانيكية عملها وسر عملها في تجميع الارباح والثروة على استحواذ نسبة كبيرة من فائض القيمة وتحويلها لحسابهم بدل العمال، وهو أمر يشكل حافزا لهم على استمرار الانتاج وزيادته والتوسع في المشاريع بدل اعطاء العمال نصيبهم العادل من الارباح المتحققة. ويرى ماركس أن المجتمع الرأسمالي سيسقط بسبب تغير وسائل الانتاج التي تؤثر بالضرورة على نظم المعتقدات والقيم ونمط التنظيمات الادارية بحيث لا تعود تعمل ومصالح طبقة العمال مما يؤدي بها الى الدخول في صراعات مع الطبقة البورجوازية، وسينتهي الصراع في هذه المرحلة برأيه لصالح طبقة العمال التي ستستولي على السلطة وعلى وسائل الانتاج وتبني قيما وأنماطا تنظيمية جديدة تتواءم مع الوضع الجديد. ذلك أن نظرية المادية التاريخية Historical Materialism التي جاء بها ماركس ترى أن الاوضاع الاجتماعية ليست الا أصداء وانعكاسات للحياة المادية وتطورها لتطوير نظم ووسائل الانتاج على وجه التحديد (١١). وذلك على عكس ما جاء به المفكر الالماني هيجل (Hegel) الذي أعطى دورا مهما وأساسيا لتطور الوعي والفكر في عملية تطور المجتمعات، حيث رأى أن الأفكار وتطورها هو الذي يؤدي الى تغير المجتمع وتطوره. حيث أن الفكرة Thesis تقود لفكرة مقابلة جديدة Antithesis ومن ثم تحصيل الحوار وتنبثق فكرة أخرى مشتركة Synthesis (١٢). فماركس على عكس هيجل يرى أن التطور الفكري متغير تابع للتركيبة الاقتصادية في المجتمع.

أما عن دور الادارة العامة في نظر ماركس فهي أداة غير حيادية بل هي دوما أداة Tool في يد الطبقة المسيطرة في المجتمع تسخرها لخدمة مصالحها، وهذا ما حصل زمن

الاقطاع وما حصل في المجتمع الرأسمالي وكذلك في المجتمع البروليتاري، اذ أنه ما دام هناك طبقات فالادارة هي في صف الطبقة المسيطرة أو الحاكمة (١٣).

ومن هذا الفهم يرى ماركس أن دور الدولة في المجتمعات الاشتراكية او العمالية التي يعتبرها خطوة على طريق الوصول للمجتمع الشيوعي هو تملك كافة وسائل الانتاج والتدخل (لادارة) وتوجيه كافة مجالات الاقتصاد Directed Economy وعدم السماح بالملكية الخاصة للمشروعات الا في ادنى الحدود. فالجميع في المجتمع الاشتراكي عمال متساوون يعطى كل منهم مجالا ليعمل قدر استطاعته، والادارة مسؤولة عن تأمين حاجاته الاساسية. والشعار الماركسي (كل يعطي حسب قدرته ويأخذ قدر حاجته) يفسر هذا الطرح ويبين أن زيادة الانتاج الاقتصادي وتأمين الكفاف للجميع هو الهدف الذي يتقدم عليه أي هدف آخر للادارة، وأن تحقيق هذا الهدف الاول قد يتطلب الحد من الحريات الاساسية السياسية كحق التعبير والاضراب وما الى ذلك. ويرى بعض ناقدي الفكر الماركسي أن وجود الانسان نفسه قد يصبح ثمنا لهذا الهدف كما حصل ابان الثورة الشيوعية وفي سنواتها الاولى من تنفيذ خطط التنمية حيث ضحت روسيا الحمراء بملايين البشر تحت شعار (التضحية الانية في سبيل تحقيق مستقبل آمن للأجيال القادمة) (١٤). وفي نهاية المرحلة في رأى ماركس هي تحقيق المساواة بين الجميع وانعدام الطبقات والوصول الى مرحلة المجتمع الشيوعي الذي لا ضرورة لوجود الادارة فيه حيث أن مبرر وجودها- وهو حماية الطبقة المسيطرة- يتلاشى وهذا هو الركن المهم في نظريته من زاوية دور الادارة (The Withering Away of the State) (١٥).

مما تقدم يمكن أن نستشف أن كارل ماركس قد اهتم ببعدين أساسيين من أبعاد التنمية هما البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي (ازالة الفوارق الطبقية) على حساب الابعاد السياسية والبيئية لعملية التنمية، فماركس لم يتنبه للبعد البيئي أو لم يشر اليه رغم ما وصفه من حالة بؤس وتعاسة يعيشها العمال في ظل الرأسمالية محاولا أن يعزوها لظاهرة الاستغلال من قبل أصحاب رؤوس الأموال. ويبين التحليل أن ما نتحدث عنه من فهم تكاملي وشمولي ومتوازن للتنمية غاب عن كتابات ماركس.

فالماركسية ينظر بعض الكتاب لم تفعل أكثر من ابدال ظلم الرأسمالية بظلم جديد. فالرأسمالية أخطأت في التضحية بالمساواة في سبيل الحرية. والماركسية أخطأت بالحرية في سبيل المساواة، مما يمثل دليلا على أنهما توأمان لأم واحدة وهي الحضارة الغربية المادية. حيث أن الماركسية أدت بمنطقها الى ايجاد فوارق من نوع جديد غير الذي حاولت القضاء عليه وهو الفوارق في توزيع السلطة بين من يملكون كل سلطة وبين من لا يملكون اي سلطة. ففي ظل النظم الماركسية يتربع القابضون على مقاليد السلطة السياسية وهي سلطة الحزب الواحد على زمام السلطة الاقتصادية والاجتماعية أيضا. كما أنه من الجدير بالقول أنه وبعد مضي ما يقارب على ستين عاما من الثورة الشيوعية، فان النسبة والاتجاه العام في زيادة حجم البيروقراطية الحكومية الروسية ومراكزها هي أكبر منها في أى دولة أخرى وهو وضع يخالف النبوءة الماركسية بتلاشي الدولة وزوالها في نهاية الأمر [١٦].

وفيما يتعلق بالسمات الأساسية للادارة العامة في الدول الماركسية والتي تمثلها روسيا فلا تكاد تختلف المواصفات الأربع الاولى للادارة فيها عن تلك التي ذكرناها عن الدول الرأسمالية.

١ - ذلك انها تسير وفق أسس تنظيمية جيدة ومخططة حيث أن علم الادارة ورواده من الكتاب حظي باهتمام الرواد الأوائل في روسيا مثل لينين الذي قرأ أفكار رائد حركة الادارة العلمية في الولايات المتحدة الامريكية (فردريك تايلور) دون الخوف من الوقوع في الأيديولوجيا السياسية له كمواطن في بلد رأسمالي. وبدل ذلك على أن الهدف للتنمية واحد، ولذا فلم يكن هناك مانع من استخدام الوسائل العلمية التي أدت لذلك في أي بلد كانت.

٢ - وكذلك فالصفة الجماعية للادارة هي أمر واقع في روسيا ببلورة شعار الجماهير المحبب والمتداول في تلك الدول. فالدولة تنظر للناس كمجموعات وليس كأفراد في عملية الاشراف عليهم وتوجيههم ابتداء من سني حياتهم الاولى وحتى أواخر حياتهم الاولى وحتى أواخر حياتهم.

٣ - والعقلانية في اتخاذ القرارات والموضوعية في اختيار وتوجيه الموظفين للأعمال التي يتقنونها وانشاء الأجهزة الحكومية وفق أسس علمية لا شخصية هي النمط السائد للادارة.

٤ - وفي ظل هذه المواصفات، لا بد للادارة في روسيا من الاهتمام بعنصر الكفاية أو تحقيق الهدف المحدد بأقصى كفاية ممكنة وبأقل نفقات ووقت ممكنين. حيث أن التنافس مع المعسكر الرأسمالي يملي على هذه الدول التركيز على حسن الادارة وتقليل النفقات لتكون قوية اقتصاديا وعسكريا في مواجهة الدول الأخرى.

أما عن انسانية الادارة في سعيها لتحقيق اهدافها، فهي في تقدير الباحث سلبية مثلها مثل الادارة الرأسمالية. ولعل واقع الدول الشيوعية وما تمارسه من سياسات التضييق على الحريات السياسية للعمال، وعدم وجود فرص بديلة أمامهم للعمل في مجالات أخرى في ظل احتكار الدولة لوسائل وأدوات الانتاج، وأنماط الاشراف السائدة، والضغوط المختلفة على العمال، ومنعهم من اللجوء للاضراب كوسيلة للحصول على حقوقهم والمستوى المعيشي المتدني، وندرة السلع والتقنين في الحصول على النادر منها وتعدد مصادر الرقابة على الموظفين، كلها مؤشرات على عدم مراعاة الانسانية في الادارة.

الادارة العامة ودورها في التنمية من منظور اسلامي

يتبادر لذهن الكثيرين ولأسباب مفهومة أن الحديث عن الدول الاسلامية وعن الادارة فيها سيعني الحديث عن الادارة الاسلامية. ولكن ذلك غير صحيح، فالدول الاسلامية (رغم التسمية) الا انها وللاسف لا تطبق الاسلام لا ادارة ولا سياسة ولا اقتصادا. ولذا فهي لا تختلف عن غيرها من الدول النامية ذات المذاهب الوضعية والدينية الأخرى. ولذا فان تحليلنا سيكون منصبا على مفهوم الادارة ودورها في التنمية من المنظور اسلامي كما جاء في كتاب الله وهو القرآن الكريم وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، واجتهادات الصحابة والائمة من المجتهدين، وهو نفس نسق التحليل

الذي سرنا عليه في استعراضنا لدور الادارة في الدول الرأسمالية والماركسية. وقبل أن نتناول مفهوم الادارة والتنمية من منظور اسلامي، لا بد من اشارة عابرة الى خصائص الادارة في الدول النامية على اختلاف ايديولوجياتها التي تعد الدول الاسلامية جزءا منها.

تفتقر الادارة في هذه الدول للتنظيم الجيد. اذ أن الأسس العلمية في تقسيم العمال وتعيين الموظفين وتحديد أنماط الاتصال والعلاقات التنظيمية غائبة، لوجود المحسوبية والواسطة والتدخل السياسي والانفصام بين القوانين والتطبيق. فالكوادر الادارية المؤهلة غير موجودة وان وجدت فهي ليست في موقع القيادة في هذه الدول. فالدول النامية بسبب سوء التخطيط التربوي فيها تخرج أعدادا من الجامعيين في التخصصات غير المطلوبة وهم يجدون طريقهم للخدمة المدنية في القطاع العام والخاص في مجالات لم يتأهلوا فيها. وكذلك فالجماعات وأعضاء الادارات المختلفة لا يعملون في جو اداري سليم حيث أن التعيينات لا تقوم على أسس العمل الرسمية الموضوعية بل على أسس القرابة والعصبية الشللية وهو أمر مربك للادارة [١٧].

وتفتقر الادارة في الدول النامية للكفاية والفعالية وذلك بسبب وجود الاتجاهات غير الانتاجية في الأجهزة البيروقراطية حيث تسيطر المصالح الخاصة على المصلحة العامة ويلعب الفساد الاداري والسياسي دورا سلبيا في هذا المجال. فالدولة أو الشركة تعتبر وكأنها مؤسسة رعاية اجتماعية هدفها خدمة غير الأكفاء والمحاسيب والأقارب ويؤدي غياب الرقابة الادارية والسياسية والجماهيرية الى عدم وجود مفهوم المسؤولية أمام المجتمع؛ اذ يصبح المواطن كالمتسول لا كصاحب حق أمام الجهة الحكومية، ويصبح خادما للأجهزة الادارية بدل أن يكون سيدها، كما هو الأمر في الدول المتقدمة. أما القوانين والتعليمات فليست الا مظاهر وطقوس للتباهي بها لا ترى طريقها للنور.

وفي مثل هذا الوضع يغيب عنصر الهدفية والعقلانية والموضوعية في انشاء المؤسسات والأجهزة. فالأجهزة يتم انشاؤها لخدمة أهداف خاصة. وأهداف التنظيمات الجديدة اذا كان لا بد من تحديدها يحصل بعد انشاء الأجهزة وتعيين الوظفين فيها.

حيث يتم لهم البحث عن مسميات وظيفية، وتجري عملية تسعير غير علمية لمؤهلات البعض منهم ممن يحملون مثل تلك المؤهلات والتي لا تمت في الغالب للأعمال التي توكل اليهم.

أما فيما يتعلق بالصفة الانسانية، ففي غياب التنظيم والتخطيط والهدفية تغيب النظرة الانسانية للموظف سواء كان عاملا في هذه الأجهزة أو مستفيدا منها. بل تصبح اللاإنسانية هي السمة الغالبة في العمل.

المشكلة الاقتصادية وأهمية الادارة وفق المنظور الاسلامي

يختلف الاسلام في رؤيته لماهية المشكلة الاقتصادية وتفسير أسبابها عن المذاهب الوضعية الرأسمالية والماركسية. فالفكر الرأسمالي يرى أن هناك عجزا في الموارد الطبيعية وعجزها عن تلبية الحاجات، أما الماركسية فترى أن المشكلة الاقتصادية هي مشكلة الفقر وهي مسألة نسبية تختلف بالزمان والمكان، ويزداد الشعور فيها باستمرار مع سهولة المواصلات وسرعة الاتصالات التي تساهم في ايصال المعلومات لأى مواطن في أي بقعه من الأرض بما لدى أي مواطن آخر في أقصى بقعة في العالم مما يولد شعورا بالحرمان النسبي Relative Deprivation وشعورا بالتفاوت في الثروة والدخول. فالمشكلة من وجهة نظر الاسلام هي مشكلة الانسان وهي مشكلة ادارية تتمثل بسوء الادارة والتنظيم وسوء التوزيع. ذلك أن الطبيعة خلقها الله وسخرها للانسان وانتاجها كفيل بكل من عليها. فسوء الحال ينتج بسبب كفران الانسان بالنعمة واهماله في العمل وعدم استغلال خيرات الطبيعة استغلالا جيدا [١٨].

ومن هذه الآيات قوله تعالى:

"الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار. وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار" سورة ابراهيم ٣٢ - ٣٤

"واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون".
سورة البقرة ٣٠

فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون.
سورة الجمعة ١٠

أما عناصر الانتاج في الاقتصاد الاسلامي فهي ثلاثة عناصر: (١٩)

١ - الطبيعة.
٢ - العمل المنظم.
٣ - رأس المال.

أولا: يتشكل عنصر الطبيعة بصفته العنصر الانتاجي الأول من التربية بصفتها مجالا للزراعة والاستثمار وكذلك ما يتوافر فيها من مواد أولية كالبترول والمواد المعدنية الأخرى والحديد، وغير ذلك، وكذلك المياه بما توفره من وسائل الحياه كالمياه للشرب والري والنقل والطاقة الكهربائية، ولا شك ان ما يعيش على الأرض من حيوان ونبات، وما يعيش في البحار والمياه هو من خيرات الطبيعة.

وتقرر العقيدة الاسلامية أن كل ما في الوجود هو ملك لله تعالى وأن ما لدى الانسان هو وديعة أودعها الله إياه ويشمل ذلك السلع الاقتصادية أو السلع الحرة كالماء والهواء. فالبشر هم خلفاء في الأرض وليسوا أصحاب المال الأصليين وعلى الانسان أن يقوم بمسؤوليات هذا الاستخلاف في المال بأمانة واستقامة.

والآيات القرآنية التي تدلل على ذلك كثيرة نذكر منها قوله تعالى:

"ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون".
سورة الانعام ٩٤

"ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل".
سورة الانعام ١٠٢

"وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم". سورة الانعام ١٦٥

"قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. قالوا أوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون".
سورة الأعراف ١٢٨ - ١٢٩

"والى ثمود اخاهم صالحا، قال:يا قوم أعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه، إن ربي قريب مجيب".
سورة هود ٦١

"له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى". سورة طه ٦

"امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم، وانفقوا لهم اجر كبير" سورة الحديد ٧

"وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون".
سورة المائدة ٨٨

ويتفرع من هذه الملكية الالهية للوجود ملكية خاصة وملكية عامة، حيث أن الاسلام لم يلغ الملكية الخاصة. اذ أن الفرد يملك الرغبة والانتفاع معا، ويكتسب حق التصرف فيها بيعا أو رهنا أو وصية أو تورثاً. ولكن هذه الملكية ليست ملكية أصلية وانما هي استخلاف وادارة حيث اذا تبين للدولة أن المالك لا يستغل الملكية بالشكل المناسب فلها أن تستردها وتعطيها لشخص أخر يستثمرها استثمارا حسنا، مع حفظ حق المالك الأول في التعويض. وهذا يعني أن الملكية الخاصة خاضعه لمتطلبات ومصلحة المجتمع الاسلامي.

وسائل الملكية الخاصة في الاسلام:

١ - الصيد: السمك اللالىء والاسفنج والطيور والحيوانات.

٢ - التنقيب عن المعادن واستخراجها، فالذهب والفضة التي يحصل عليها الفرد بكده وجهده التي فيها الخمس للزكاة. أما البترول والفحم فهي من ضرورات الجماعة كالماء والكلأ والنار التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم أن الناس فيها شركاء.

٣ - تصنيع المواد الخام.

٤ - احياء الأرض.

٥ - اقطاع السلطان بعض الأرض التي آلت الى بيت مال المسلمين من المشركين أو من لا وارث لهم أو من الأرض الموات.

٦ - الميراث.

٧ - العمل بأجر.

٨ - من أموال الزكاة.

٩ - التجارة.

١٠- الغزو.

يقول صلى الله عليه وسلم:

"ان الأرض لله تعالى جعلها وقفاً على عباده، فمن عطل أرضاً ثلاث سنين متوالية لغير ما علة أخذت من يده ودفعت الى غيره".

فالملكية العامة أيضا مباحة في الاسلام لخدمة مصلحة الجماعة.

القيود على الملكية (٢١).

تتقيد حرية المالك بالشروط الأتية: (٢٢)

١ - ضرورة الاستثمار حرصا على نماء ثروة المجتمع.

يقول الرسول (ص) ليس للمحتجز حق بعد ثلاث سنين.

٢ - أداء الزكاة.

٣ - الانفاق في سبيل الله.

٤ - عدم الإضرار بالغير.

يقول الله تعالى

"يا أيها الذين أمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم و لا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين". في سورة المائدة ٨٧

٥ - عدم الربا والغش والاحتكار.

٦ - عدم التقتير وعدم الاسراف.

يقول الله تعالى:

"ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا" سورة النساء ٥

"ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا" سورة الاسراء ٢٨

٧ - عدم استغلال المال لحيازة نفوذ سياسي.

٨ - عدم الخروج على فرائض الارث والوصاية.

فالدولة من وجهة نظر الاسلام تتدخل لتحديد الملكية وتنظيمها في حالات هي:

أ. نظام المواريث، ضمان التقيد بالنصوص القرآنية في توزيع المواريث ضمانا لعدم تجمع الثروة في يد فئات قليلة من الناس.

ب. للحجر على السفهاء ممن يمتلكون المال، لأن في تصرفاتهم خطراً على المجتمع كله.

يقول الحق:

"ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا". سورة النساء ٥

جـ. الحاجة لاعادة توزيع الثروات والغنائم.

يقول الحق:

"ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دُولة بين الاغنياء منكم وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب. للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون". سورة الحشر ٧، ٨

د. لتقاضي الزكاة.

هـ. لمنع الضرر الذي قد ينتج عن استخدام صاحب الملك للمال.

"ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون" سورة البقرة ١٨٨

ويظهر مفهوم التفويض في المال من خلال حث الحق عز وجل أصحاب المال على حسن التصرف بهذا المال.

"لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور"
آل عمران ١٨٥

"وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا" النساء ٢

"ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون". سورة الانعام ٩٤

"خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم". التوبة ١٠٢

"وفي أموالهم حق للسائل والمحروم" الذاريات ١٨

وتتوزع عناصر الطبيعة وفق الشريعة الاسلامية بين مصالح ثلاث وهي:

أ - مصلحة الفرد.

ب - مصلحة الجماعة.

جـ - مصلحة الدولة.

ويدعو الاسلام الى التوازن والعدالة والملاءمة بين المصالح الثلاث.

للمالك حق الانتفاع بملكه والتصرف به في حياته وبعد مماته، فالاسلام يحترم الملكية الخاصة ما دام يتوافر لكل فرد الكفاف في العيش، ولكن اذا لم يتوفر ذلك فلا تحترم الملكية الخاصة بل يضحى بالمصالح الفردية في سبيل تحقيق المصلحة العامة وهو تأمين الكافة، باعتبار ذلك حقا من حقوق الله يعلو كل الحقوق. ويحصل ذلك في أوقات استثنائية كأوقات المجاعات والنكبات والحروب والآفات.

"وكذلك جعلناكم أمة وسطا ..." سورة البقرة ١٤٣

فالملك كله لله الذي أعطى للفرد حقه وللجماعة حقها، وجعل الفرد للجماعة والجماعة للفرد. وتتزايد الحقوق المترتبة على ملكية الأفراد الى درجة تقارب نزعها كما هو الحال في سنوات الجفاف والقحط. فالله جلّ وعلا خالق الكون يدرك فطرة الخلق الذي أنشاه ومنها حب التملك وما لها من آثار حافزية لمزيد من الجهد والانتاج. ومن هذا الادراك الرباني قرر الله سبحانه وتعالى المواريث والهبة والوصية والبيع تأكيدا لحق الملكية الفردية. والأصل في هذه الملكية العارضة وغير الأصيلة أن تتناول حق الانتفاع وأن تكون فيما تضر ملكيته الفردية كالماء والمعادن.

والفرد في ملكيته الخاصة انما هو وكيل عن الجماعة التي هي مستخلفة في مال الله، اذا لم يحسن الفرد التصرف بالمال فالدولة هي وريث من ولا وارث له.

ثانيا: العمل المنظم: أكد الخالق عز وجل على مفهوم الانتظام والتنظيم كقاعدة جرى عليها ترتيبه لهذا الكون.

"وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون. والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون". وآيات اخرى كثيرة
سورة يس ٣٧ - ٤١

والعمل المنظم، هو العمل الواعي الهادف والموجه توجيها جيدا ليحقق الأهداف المحددة بكفاية وفعالية، وهذا هو ما نسميه الادارة. وحتى يكون العمل منظما فلا بد أن يقوم على تقسيم للعمل وتوزيعه وفق أسس علمية على من تتوافر فيهم الشروط الموضوعية لأدائه بشكل جيد. وذلك للاستفادة من مزايا التخصص المعروفة والمتمثلة بزيادة الانتاج وتحسين نوعيته. وقد حث الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم على العمل كما دللنا في الأيات والأحاديث السابق ذكرها وغيرها، وقد قرن الحق سبحانه وتعالى العمل بصفة الصلاح والتقى.

يقول تعالى:

"ان الذين أمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا. أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا".
الكهف ٣٠ -٣١

فأصل التنمية هو العمل. فالله لم يخلق الناس الا ليعبدوه، والعمل في نظر الاسلام عبادة. ويقول تبارك وتعالى "لقد خلقنا الانسان في كبد" البلد ٤
فالعمل هو أساس الثروة في الأرض.

ويقول جل وتعالى:

"والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا. النساء ١٢٣

"ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يده ومن يعمل مثال ذرة شرا يره".
الزلزالة ٦ . ٩

"فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون". الجمعة ٩

"وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا". سورة مريم ٢٤

"ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعملون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون".
النحل ٩٥ - ٩٦

"هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور" الملك ١٥

ويقول الرسول الكريم في مجال الحث على العمل:

"أطيب كسب عمل الرجل بيده" رواه أحمد في مسنده
"ان أطيب ما أكلتم ما كسبتم" أخرجه البغوى في مصابيح السنة.

ان الله تعالى يقول: يا عبدى حرك يدك أنزل عليك الرزق.

ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الحج ولا العمرة ..... يكفرها الهموم في طلب المعيشة. أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة.

وعن مسلم بن يسار أن رفقة من الأشعريين كانوا في سفر، فلما قدموا قالوا يا رسول الله، ليس أحد من بعد رسول الله أفضل من فلان ...... يصوم النهار فاذا نزلنا قام يصلي حتى نرتحل، قال: "من كان يمهن له، أو يكفيه، أو يعمل له؟ قالوا نحن، قال: كلكم أفضل منه". عيون الاخبار لابن قتيبة جزء (١) ص (٣٢٦).

"من كانت له أرض فليزرعها ...... أخرجه أبو داود وابن ماجه والبخاري ومسلم والنسائي ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة". عن أنس رضي الله عنه.

"ولأن يحمل الرجل حبلا فيحتطب به ثم يجيء فيضعه في السوق فيبيعه ثم يستغني فينفقه على نفسه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه".

ويروى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كلما مر برجل جالس في الشارع أخذه وساقه الى العمل وهو يقول "ان الله يكره الرجل الفارغ، لا عمل في الدنيا ولا عمل في الاخرة." سيرة عمرو بن الجوزي.

"لا يقعدنّ أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني، فقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة". المستطرف في كل فن مستظرف جزء ٢ ص. ٧.

ولا ادل من أهمية العمل في نظر الاسلام أن الرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتسبون فآدم عليه السلام زرع الحنطة وسقاها وحصدها ودرسها وطحنها وخبزها وأكلها. ونوح كان نجارا وابراهيم كان بناء، ودواد كان يصنع الدروع وسليمان كان يصنع المكائل من الخوص، وزكريا كان نجارا، ومحمد عليه الصلاة والسلام كان راعيا للغنم. وكان أبو بكر بزازا وكان عمر يعمل في الأديم وعثمان كان تاجرا.

أما عن أصول القيام بالعمل وأسس التنظيم من تعيين للعمال وغير ذلك. فقد حث الرسول الكريم على ضرورة تعيين من يتمتعون بصفات الجدارة والاستحقاق في الوظائف وعدم المحاباة والتأثر باعتبارات القرابة والنسب والحسب، فالأمانة والكفاءة هما شروط التعيين في الوظائف العامة [٢٣].

يقول صلى الله عليه وسلم: من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين.

ويقول صلى الله عليه وسلم أيضا." انها (الولاية) أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها".

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل يا رسول الله، وما اضاعتها ؟ قال: اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة".

وهذا توضيح لقول الحق جل وعلى:

"يا أيها الذين أمنوا لا تخونوا الله والرسول، وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم" (الانفال ٢٧ - ٢٨).

وروى مسلم قوله صلى الله عليه وسلم:

"ما من راع يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت، وهو غاش لها الا حرم الله عليه رائحة الجنة"

ويتحدد العمل وينفذ من المنظور الاسلامي وفق ثلاثة أسس [٢٤].

١ - تحديد مكان العمل وساعاته.
٢ - تعيين العمل الذي يختص به العامل.
٣ - تحديد العمل الأدنى بما يكفل له كفايته من المأكل والملبس والمسكن والتنقل.
٤ - تأمين مستقبل وشيخوخة العامل.

وكانت أجور العمال والولاة تتحدد حسب مستوى الاسعار وحسب نوع الوظيفة ومسؤوليتها والاعباء الاسرية، وقد حث الاسلام على اعطاء العمال أجورهم دون مماطلة أو تسويف لأن في ذلك راحة للعامل. قال صلى الله عليه وسلم: "اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقة".

ثالثاً: رأس المال

يقسم رأس المال وفق المنظور الاسلامي الى قسمين[٢٥]:

١ - رأس المال التجاري.

٢ - رأس المال الانتاجي.

ويتكون رأس المال التجاري من مجموع الأموال الاقتصادية التي تستخدم بقصد المبادلات سواء كانت عينية كالسلع، أم نقدية كالنقود، فالسلع التي تستخدم للمبادلات هي نوع من رأس المال التجاري لانها لا تستخدم للاستهلاك ولكنها توجه البيع بقصد الحصول على الربح.

أما النقود فهي التي تمول العمليات التجارية وذلك لشراء السلع لاعادة بيعها بقصد تحقيق الربح.

وينقسم رأس المال الانتاجي بدوره الى قسمين رئيسيين هما:

أ. رأس مال نقدي، وهو المبالغ التي تستخدم في تمويل العملية الانتاجية.

ب. ورأس مال عيني، وهو مجموعة الأموال المادية التي تستخدم في العملية الانتاجية فتؤدي الى زيادة انتاجية العمل باستثناء الأموال الحرة الموجودة في الطبيعة. وقد يكون رأس المال الانتاجي ثابتا كالمباني والآلات، أو متداولا كالمواد الأولية اللازمة للانتاج كالفحم والبترول وغيرها من المواد الاولية.

وكذلك، لا بد وأن تعتبر التكنولوجيا أحد بنود رأس المال وخاصة في الوقت الحاضر.

ادارة عناصر الانتاج

ان الحديث عن الادارة من المنظور الاسلامي يقتضي التعرض ولو بايجاز الى منهج تشغيل العناصر الانتاجية. وقد تم الحديث في الجزء السابق من البحث عن وسائل تملك العناصر الانتاجية وفق النهج الاسلامي، وهي في ذاتها وسائل ادارية. ولذلك

سيقتصر الحديث هنا عن المقومات الأساسية للعمل الاداري من وجهة نظر الاسلام. ويمكن تلخيصها بالشكل الآتي:

١ - تعتبر الوظيفة (عامة وخاصة) أمانة ومسؤولية توكل لأكفاء المتقدمين ويستحق صاحبها الأجر العادل عليها:

فكما أسلفنا فقد بين الله سبحانه وتعالى أن علة وجود الانسان على الأرض هي العبادة، "وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون" والمقصود بالعبادة هنا هي العمل بكل أنواعه سواء كان مجاله القطاع العام (الدولة) أو القطاع الخاص. فالاسلام يوجب النظر الى العمل المؤدى على أنه أمانة أوكلها الله اليه مما يوجب عليه أداء هذه الأمانة باخلاص ومسؤولية ودون غش أو تقاعس. وقد نهى الرسول الكريم عن الغش "من غشنا أو من غش ليس منا".

وفي مجال الادارة العامة حث الاسلام على توخي مبدأ الجدارة والاستحقاق في ملء الوظائف العامة وكذلك الأمانة على اعتبار أن اهمال جانب من هذه الجوانب سيؤدي الى الفساد الاداري والاضرار بالمصلحة العامة.

وكذلك أكد الاسلام وجوب وضع الأجور العادلة المستحقيها ودون تباطؤ ووفق أفضل وأحدث المعايير المعروفة في عالم اليوم كمباديء وصف وتصنيف الوظائف وتحديد الرواتب.

٢ - مبدأ التسلسل الاداري

لقد بين الاسلام أن الادارة عمل منظم يحتكم للعلم ولا يحتكم للارتجال، واكمالا للمبدأ الأول السابق شرحه فلا بد أن تختلف الرتب الوظيفية تبعا لاختلاف المهام والمسؤوليات الموكلة لشاغلي الوظائف والتي يعتمد حجمها بالضرورة على اختلاف قدرات ومهارات وكفاءة الأفراد. فالاسلام يعترف بالفروق الفردية وبالتالي عدم امكانية مساواة العامل النشيط بالعامل الكسول.

"وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما أتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم" الانعام ١٦٤

"قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون سورة البقرة ٢٥٢

"تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات... الخ".

"وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم" سورة الانعام ٨٢.

وانطلاقا من هذه القاعدة أوجب الاسلام ضرورة التزام المرؤوسين بأوامر رؤسائهم لاعتبارات يقتضيها اعتبارات حسن الادارة وطالما كان ذلك لا يخالف شرع الله.

"وأطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم". سورة النساء ٥٩

٣ - مبدأ ديموقراطية الادارة ومشاركة العاملين

أثبتت الداسات النفسية والاجتماعية حديثا، ما لمشاركة العاملين من أهمية في انجاح الادارة، حيث أن المشاركة تقوي مفهوم الالتزام من قبل المشاركين بالقرار، كما أنها تحسن في نوعية القرارات المتخذة؛ لأن رأى المجموعة يقدم بدائل أكثر من رأى الفرد ويتيح مجالا للتقويم والموازنة تبين تلك البدائل. وقد كان الخالق عز وجل العالم بكل شيء وللمسلمين الذين طبقوا شريعته السبق في تأكيد هذه القواعد، يقول الحق:

وشاورهم في الأمر.
وأمرهم شورى بينهم.
ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك.

ويأخذ الكثيرون على هذه القواعد أنها غير مفسرة ولا محددة اجرائيا لتكون قابلة للتطبيق، ويرى الباحث أن العيب ليس في النصوص حاشى لله بل في الاجتهاد

وعدم اهتمام الاداريين من علماء المسلمين بالمساعدة على استنباط القواعد المفسرة لهذه النصوص القرآنية التي تركت الأبواب مفتوحة لصياغة هذه المفاهيم وفقا لمقتضيات الظروف والأزمنة والمهام.

٤ - مبدأ السلام مع النفس للتأكيد على مشروعية الأهداف والوسائل

تتصارع النظريات الادارية الحديثة في محاولاتها للتوفيق بين المصلحة العامة او مصلحة التنظيم الذي يعمل فيه الموظف ومصالحه وقيمه الذاتية، ذلك لأن هناك تناقضا قيميا أو دينيا أو ذاتيا بين المصالح الذاتية ومصالح التنظيم في أغلب الأحيان. وأكثر ما تطمع اليه المنظمات المعاصرة أن تقلل التناقض الموجود بين هذين المجالين، رغم الادعاء بأن هناك امكانية لتحقيق ذات الانسان Self-realization في نفس الوقت الذي يحقق فيه مصالح التنظيم.

ولكن الموظف في الاسلام ينظر للعمل بأنه عبادة واجبة عليه، وأن اخلاصه للعمل وللتنظيم هو اخلاص لذاته وتحقيقه لها لأن التنظيم الذي يعمل فيه هو تنظيم اسلامي لا تعارض فيه لا مع الدين ولا القيم ولا الذات. ومن هنا تلعب الرقابة الذاتية الدور الأكبر في اخلاص العامل وبذله للجهد المطلوب منه. ولوجود عنصري الخير والشر في الانسان، فان هناك دورا للرقابة التنظيمية على العامل للتأكد من عدم خروجه على المسار الصحيح.

وينبثق ذلك كله من تأكيد العقيدة الاسلامية على مشروعية أهداف ووسائل الانتاج المختلفة. اذ لا مجال للعمل غير النظيف من وجهة نظر الاسلام، فالربحية ليست هدف العمل، بل سعادة الانسان موظفا كان أو صاحب عمل في ظل الالتزامات الاجتماعية المقررة عليه والتي تحمل في ثناياها مصالح للأخرين كنفقات الزكاة والصدقة وغير ذلك.

مفهوم التنمية من وجهة نظر الاسلام

كما أشرنا في الجزء الأول من هذا البحث، فان التصور المعاصر لمفهوم التنمية هو التنمية المتكاملة التي ترى في الانسان وسعادته هدفا استراتيجيا للجهود التنموية. ولذلك فمفهوم التنمية غير قابل للتجزئة، ويشتمل على كل ما يساهم في تحسين حياة الانسان من مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية.

وندرك ما للجانب الاقتصادي من أهمية من وجهة نظر الاسلام من قوله تعالى:

"لا يلاف فريش ايلا فهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" سورة قريش

"زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب"
آل عمران ١٣

"يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا وشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون"

الاعراف ٣٠-٣١

"المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواب وخيرأملا". الكهف ٤٥

أما الجانب الاجتماعي أو العدالة الاجتماعية ووجوب مراعاتها في التنمية المنشودة فقد كان الاسلام سباقا لتحذير الانسان من ظلم أخيه الانسان.

يقول الله تعالى: "ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون". النحل ٩٠

ويصعب سرد كافة الآيات القرآنية التي تحث على التضامن والتكافل الاجتماعي اذ أن هناك في القرآن الكريم (٢٦):

- ٧٣ مرة ذكر فيها الانفاق سرا وعلانية.
- ٩ مرات ذكرت فيها الصدقات.
- ٣٢ مرة جاء موضوع الزكاة.
- ٤ مرات للكفارات.
- ١٢ مرة القرض لوجه الله.
- ٢٣ آية عرضت لمستحقي أموال الصدقات والزكاة ووجوه الخير الأخرى.
- ١٦ آية لذوي القربى.
- ٨ آيات في الدعوة لتحرير الرقاب.

ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم:

"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

"المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه".

أما الجانب السياسي في التنمية، فقد ضمنه الاسلام بحثه على مبدأ الشورى في القيادة ومبدأ العلاقات الانسانية في التعامل.

وأمرهم شورى بينهم.

وشاورهم في الأمر.

ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك.

فالشورى أحد المبادىء الرئيسية في القيادة من وجهة نظر الاسلام. وقد جاء هذا المبدأ عاما مما يعني أنه يمكن للفقهاء الاجتهاد في تحديد الطريقة المناسبة التي تفسر هذا المبدأ. وبالتالي فليست البرلمانات أو الأجهزة التشريعية الأخرى القائمة في الدول غير الاسلامية حكرا عليها، بل يمكن أن تختلف طريقة التمثيل والتشاور أو تكون في أجهزة مماثلة.

أما عن التنمية والاهتمام بالجانب البيئي فنلاحظ اهتمام الاسلام بذلك من خلال التأكيد على التوازن في حياة الانسان المعيشية بحيث لا يبخل على نفسه في الاستهلاك ولا يبذر ويسرف كثيرا، لأن الدمار البيئي لا يأتي الا من الاستهلاك اللامتناهي الناتج بدوره من تكاثر المصانع أو استعمال المخصبات الصناعية للأراضي بشكل يزيد عن المعقول ويستنزف الثروات وما الى ذلك.

يقول الحق "ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا" الاسراء ٢٩

"يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين" الاعراف ٣١

"وما أرسلنا في قرية من نذير، الا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون" سورة سبأ ٣٤

"وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا" القصص ٥٨

"واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا". سورة الاسراء

فالاسلام هو دين التوسط والتوازن.

"وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" البقرة ١٤٢

مما سبق يتبين لنا من هذا الجهد المتواضع والذي لا يمكن اعتباره ولا بأى حال من الأحوال بحثا شاملا لمفهوم التنمية في الاسلام، ان الاسلام في نظرته للتنمية حدد معالمها المتكاملة من مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية.

ذلك لأن الانسان في نظر الاسلام هو الهدف، فكرامة الانسان وسعادته في الدنيا والأخرة هي الهدف الرباني.

يقول تعالى في سورة الأنبياء آية ١٠٧:
"وما أرسلناك الا رحمة للعالمين.".
"ولقد كرمنا بني آدم ...."

خلاصة واستنتاجات

لقد استعرضنا في هذا البحث المتواضع دور الادارة العامة في التنمية بين المذاهب الوضعية الرأسمالية منها والاشتراكية من ناحية، ودور الادارة العامة في الاسلام. وقد بيّن التحليل المستند للدراسات الاجتماعية والفكرية والتنموية أن المذاهب الوضعية جزئية ومحدودة في فهمها للتنمية، ولدور الادارة العامة في تحقيقها. فالفلسفة الرأسمالية في اباحتها للنشاط الاقتصادي وعدم وضعها أية ضوابط عليه تؤمن تحقيق المصلحه العامة وتصحيح المسارات الفردية في تجاوزاتها، وصلت الى تورم تنموي تمثل بتفاقم المشاكل الاجتماعية والبيئية الى درجة أصبحت معه الزيادة في الانتاج نقمة بدل ان تكون نعمة الى درجة دعت عديداً من المفكرين الاقتصاديين الى المناداة بمراجعة هذا النهج والتوقف عنه كما أشرنا في ثنايا البحث مما أدى الى تراجع الدول الرأسمالية اجمالا عن الأصول الفلسفية للاقتصاد الحر، وتدخلها في مجالات معينة لتصويب مسار التنمية فيها.

وكذلك فقد بين البحث أن الفلسفة الماركسية هي الأخرى بما دعت اليه من رفض للملكية الفردية وتملك الدولة لوسائل الانتاج وتدخلها في كافة المجالات، قد أدت الى قتل الحافز الفردي وبالتالي الى مرورها بأزمات في الانتاج الذي تعتبر زيادته مبرر وجودها وكذلك فالتنمية وفق هذه الفلسفة هي الأخرى مادية بحته تركز على الجوانب الاقتصادية والمادية على اعتبار أن المادة، ووسائل الانتاج، هي التي تحدد نوع حياة المجتمع الاجتماعية والسياسية والعقلية بوجه عام.

ويعيش العالم اليوم فشل هاتين التجربتين الغربية والشرقية وكل التجارب المقلدة لهما أو بينهما في تحقيق تنمية الانسان المتكاملة من كافة النواحي. اذ يعيش العالم صراع المادة، وضياع الانسان في هذا الصراع الذي يفترض أن يكون لصالحه.

من هنا يبرز البديل الاسلامي الذي يرى في الدولة لا حارسا محايدا ولا مالكا مسيطرا على كل شيء، بل شريكا منظما ومراقبا يتدخل في مجالات عدة من أجل مصلحة المجتمع ودون التضحية بمصلحة الفرد ولا ملكيته الخاصة. فالدولة (الادارة العامة) في الاسلام لها دور أساسي بينه هذا البحث اذا ما تمت ممارسته وفق الدستور الاسلامي المتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واجتهادات الأئمة المجتهدين. فهو لا بد دور ايجابي يساهم في تحقيق التنمية المتوازنة التي تقوم على ادراك للفطرة الانسانية التي فطر الله عليها مخلوقاته، وتشمل مختلف نواحي الحياة الانسانية اقتصادية واجتماعية وسياسية وبيئية.

ويجدر أن ننوه أن فقر معظم أو كل ما يسمى بالدول الاسلامية وتخلفها عن الدول في كلا المعسكرين الشرقي والغربي لا يعني فشل الفكر الاسلامي، معاذ الله. بل يعني أن هذه الدول لا تنتسب لهذا الفكر الا عنوانا، ولكنها ادارة واقتصادا وسياسة تنتسب الى فكر ليس هو في أى حال من الأحوال الاسلام.

وفي النهاية أسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث المتواضع لبنة في هذا الجهد الخير الذي ترعاه عليه هذه المؤسسة وأخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث

١- A. W. Lewis, **The Theory of Economic Growth** (London, Allen & Urwin, 1955), p. 9.

٢ - لمزيد من المعلومات انظر:

محمد قاسم القريوتي "واقع نظريات التنمية الغربية وامكانية تطبيقها في الدول النامية" **مجلة دراسات**، الجامعة الأردنية، مجلد ١١ عدد ٥ (تشرين الثاني ١٩٨٤)، ص ٦٥-٨٧.

٣ - انظر كتابه

Adam Smith, **The Wealth of Nations** with an introduction by Edwin R. A. Seligman (London: J, H. Dent and Sons Ltd., 1950.

٤ - المرجع السابق، ص ٣٧٥-٣٩٧.

٥ -

Adam Smith, **The Theory of Moral Sentiments** with biographical and Critical Memoir by Dygald Stewart (London: Bohp's Standard Library, 1846).

٦ - انظر تقارير نادي روما التي تمثل هذا التيار الفكري الجديد الذي يتبنى ايجاد نظام اقتصادي جديد. ومن الأمثلة على ذلك:

Jan Tinbergen, Antony J. Dolman, and Jan Van Ettinger, **Reshaping the International Order, A Report to the Club of Rome** (New York: E. P. Dutton, 1976), p. 9-114.

٧- E. F. Schumacner, **Small is Beautiful** (London:

E. F. Schumacher, **Good work** (London: verna Schumacher, 1979) p. 23-65.

٨ - انظر حول ذلك:

محمد قاسم القريوتي (مترجم) **الادارة العامة: منظور مقارن**، (عمان: المطبعة الاقتصادية، ١٩٨٣)، ص ١١٥-١١٧.

٩ - أنظر حول هذا الموضوع التقرير الذي قدم لوزير الصحة والتعليم والضمان الاجتماعي في الولايات المتحدة حول العمل في الولايات المتحدة.

Work in America: Report of a special Task force to the secretary of Health, Education and Welfare. Prepared under the auspices of the W. E. upjohn Institute for the Employment Research. Cambridge: Mass., the M. I. T. Press, 1975.

انظر

M. I. T. Press, 1973.

Robert M-ford" Job Enrichment: Lessons from At & T in Karl O. **Mangnusen Organizational Desics, Development and Behaviour:** A situalional View (Glenview, IIlinois, Scott, Roresman &Company 1977), pp. 182-197.

١١- جلال أحمد أمين، الماركسية: عرض وتحليل ونقد لمبادىء الماركسية الأساسية في الفلسفة والتاريخ والاقتصاد (القاهرة: مكتبة سيد عبد الله وهبة ١٩٧٠) ص ٥١-١٠٠.

W.F.H. Hegel, Lectures on the Philosophy of world History, Translated from the German edition of Johaunes Hoffmeister by H. B. Nisbet (Cambridge: University press, 1975).

١٣- جلال أحمد أمين، المرجع السابق، ص ٧٣-٧٦.

١٤- يرى الباحث أن الثورة البلشفية لم تحقق القوة الاقتصادية والعسكرية الا على حساب التضحية بملايين البشر ابان الحكم الستاليني عن طريق تسخيرهم للعمل وفي ظروف قاسية.

١٥- جلال أحمد أمين، المرجع السابق، ص ٧٣-٧٦.

١٦- أنظر حول الادارة في روسيا الشيوعية، محمد قاسم القريوتي (مترجم) الادارة **العامة: منظور** مقارن المرجع السابق، ص ١٥٤-١٦٣.

١٧- **انظر في هذا الموضوع:**: Fred W. Kiggs, Administration in Developing Countries: The Theory of Prismatic Society (Boston: Houghton Mifflin Company, 1964) p. 99-312.

١٨- محمد عبد المنعم الجمال، **موسوعة الاقتصاد الاسلامي ودراسات مقارنه** الطبعة الأولى (القاهرة وبيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ١٩٨٠) ص ٣١-٣٩.

١٩- **المرجع السابق**، ص ١٠١-١١٠.

٢٠- عبد السميع المصري، **مقومات الاقتصاد الاسلامي** (القاهرة: مكتبة وهبة ١٩٧٥) ص ٤٤-٤٦.

٢١- محاضرات الدكتور محمد عبد الله العربي في محمد عبد المنعم الجمال، **موسوعة الاقتصاد الاسلامي ودراسات مقارنة**، الطبعة الاولى (القاهرة وبيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني) ص. ١٩٩-٢١١.

٢٢- عبد السميع المصري، **المرجع نفسه**، ص ٥٤-٦٦.

٢٣- انظر في هذا المجال الشرح المتكامل لهذه المبادىء في: القطب محمد القطب طبلية، **نظام الادارة في الاسلام: دراسة مقارنة بالنظم المعاصرة**، الطبعة الاولى (القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٧٨)، ص ١٢٠-١٥٦.

٢٤- أبو الحسن علي الماوردي، **الاحكام السلطانية**، ١٩٦٦، ص٢٠٩. وكذلك، عبد الحي الكتاني، **التراتيب الادارية**، الجزء الأول، الرباط ١٣٤٦هـ. ص ١١٤-١٣٠.

٢٥- محمد عبد المنعم الجمال، **المرجع السابق**، ص١٣٣-١٣٥.

٢٦- محمد الطيب بسيس، "العدالة الاجتماعية في الاسلام"، **في الدين والمجتمع** دراسات ومحاضرات قدمت في ملتقى الندوة الاسلامية بالقيروان في ٢٥-٢٨ شباط ١٩٧٧، بأشراف وزارة الشؤون الثقافية في تونس (تونس: مطبعة الدار التونسية للنشر)، ص٢٤١-٢٤٢.

نظرة الاسلام للديون الخارجية وأثرها
على الدول النامية

الدكتور عبد عبدالحميد خرابشة

قسم الاقتصاد والاحصاء

الجامعة الاردنية

مقدمة

تصنف دول العالم في الوقت الحاضر الى دول نامية ودول صناعية متقدمة، احد مقاييس هذا التصنيف هو نصيب الفرد من الدخل القومي. والدول النامية تتميز بانخفاض معدل نصيب الفرد من الدخل القومي. وهذه الدول يتجاوز عدد سكانها نصف سكان الكرة الارضية، الا ان انتاجها من الناتج العالمي لا يتجاوز ١٦٪ من انتاج العالم، في الوقت التي تصل نسبة سكان الدول الناميه الغربية الى حوالى ١٥٪ من سكان العالم، الا انها تنتج اكثر من الانتاج العالمي.

وتعتبر الدول الاسلامية التي تتمتع باغلبية مسلمة بين سكانها وعددها ٤٣ دولة من مجموعة الدول النامية، وهذه الدول يقع منها ٢٠ دولة في جنوب وجنوب غربي آسيا ويبلغ عدد سكانها حوالى ٥١٩ مليون نسمة عام ١٩٨٣، وتمثل حوالي ثلثى سكان العالم الاسلامي ويقع منها في افريقيا ٢٣ دولة ويبلغ عدد سكانها حوالى ٢٩٠ مليون نسمة. وبذلك يبلغ عدد سكان الدول الاسلامية حوالى ٨٠٩ ملايين نسمه وذلك عام ١٩٨٣. (انظر الجدول المخصص لذلك في نهاية البحث). وقد قدرت نسبة سكان الدول الاسلامية بحوالى ٣٣.٧٪ من اجمالي سكان الدول النامية او ما يعادل ١٦.٥٪ من اجمال سكان العالم وذلك عام ١٩٧٦. كما تشكل مساحة الدول الاسلامية

حوالى ٤٤٪ من اجمال سكان العالم وذلك عام ١٩٧٦. كما تشكل مساحة لدول الاسلامية حوالى ٤٤٪ من اجمالي مساحة الدول النامية وتعادل حوالى ٢٢٪ من مساحة الكرة الارضية.

اما متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي للدول الاسلامية فيقدر بحوالى ٥٢٠ دولارا وذلك عام ١٩٧٥، بينما يقدر نصيب الفرد في الدول النامية بحوالى ٤٦٠ دولاراً لنفس العام، كما ان الناتج المحلي الاجمالي لجميع الدول الاسلامية لم يتجاوز ٤.٥٪ من الناتج المحلي الاجمالي للعالم ككل عام ١٩٧٥ في الوقت الذي يمثل سكان العالم الاسلامي حوالى سدس اجمالي سكان العالم.

بالاضافة الى ذلك، نلاحظ ان الدول النامية بما فيها الاسلامية تعاني من تراكم في ديونها الخارجية قصيرة الاجل وطويلة الاجل وصلت الى حوالى ٨١٠ مليار دولار عام ١٩٨٣. وان الكثير من هذه الدول لا تستطيع تسديد الاقساط والفوائد المترتبة عليها، مما يضطرها الى زيادة الاقتراض الخارجي حتى تستطيع دفع التزاماتها، وقد وصلت بعض الدول الى الاعلان صراحة عن عدم قدرتها على الدفع.

ولما للديون الخارجية على الدول النامية من اهمية كبيرة، فقد قمت بدراسة هذا الموضوع وقسمته الى خمسة اقسام؛ يتناول القسم الاول القروض من حيث معناها ونظرة الاسلام اليها. وقد شجع الاسلام القروض الحسنة ولكنه حرم القروض الربوية ويتناول القسم الثاني المضار العامة للاقتراض الخارجي. اما القسم الثالث فقد تعرض لاثر القروض الخارجية على التنمية الاقتصادية من خلال عدة مؤشرات اهمها: نقل الموارد من والى الدول النامية والقدرة على الاستيراد واثر الاقتراض على معدلات الادخار المحلية، والعجز في ميزان المدفوعات، ومعدلات التضخم. اما القسم الرابع فتعرض لتطور الديون الخرجية لاكثر من ثلاثين دولة اسلامية من ٧٨ - ١٩٨٣ واستخدم عدة مؤشرات منها: الديون الخارجية ونصيب الفرد منها، معدلات النمو للناتج المحلي الاجمالي والفردي والفوائد المدفوعة على الديون الخارجية، واجمالي خدمة الديون

الخارجية، ونسبة الفوائد على الدين الخارجي الى الناتج القومي الاجمالي، والى الصادرات، ونسبة الديون الخارجية الى الناتج القومي الاجمالي.

اما القسم الخامس فتعرض لاهم الاقتراحات التي طرحت كعلاج لمشكلة الديون الخارجية للدول النامية مع التركيز على الحل الاسلامي لهذه المشكلة.

اما القسم الاخير فيوضح خلاصة البحث والتوصيات.

اولا: القروض معناها ونظرة الاسلام اليها

القرض: قدر من المال يقتطعه احد الاشخاص وهو (المقرض) من ماله ليعطيه لشخص اخر وهو (المقترض)، شريطة ان يرد المقترض هذا القدر من المال عند قدرته عليه، وقد قال الحصاص في كتابه (احكام القرآن): "القرض عبارة عن دفع المال، وتاخير استرجاعه" وقد ندبت اليه الشريعة الاسلامية وحببته الى ابنائها واثابت عليه، قال عليه الصلاة والسلام "من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه" رواه مسلم وابو داود والترمذي.

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام "رايت ليلة اسري بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت: يا جبريل، ما بال القرض افضل من الصدقه؟ قال: لان السائل يسال وعنده، والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة.[١]

وبذهب جمهور الفقهاء الى انه لا ينبغي توقيت القرض باجل او بوقت محدد، لانه ليس من قبيل الديون المشروطة، وقد يكون القرض ثوبا او حيوانا او نباتا او اناء او كيلا، او مأكولا او غير ذلك، وفي ذلك تقول ام المؤمنين عائشة: قلت يا رسول الله، ان الجيران يستقرضون الخبز والخمير، ويردون ذلك زيادة ونقصانا، فقال: لا باس، انما ذلك من موافق الناس، لابراد به الفضل".[٢]

اما اذا كان القرض مالا، فانه لا يجوز للمقترض ان يرد غير ما اخذه بالفعل او مثله جريا على القاعدة الفقهية التي تقول: "كل قرض جر نفعا فهو ربا".

والنفع المقبوض هو النفع الذي يدخل في مجال الشرط، اما اذا لم يكن ثمة شرط او عرف شاذ بين الناس فلا مانع، وللمقترض ان يرد بخير مما اخذ، قال ابو رافع: استلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل (بكراً)،[٣] فجاءته ابل الصدقة فأمرني ان اقضي الرجل بكرا، فقلت: لم اجد في الابل الا جملا خيارا[٤] رباعيا[٥] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اعطه اياه، فان خيركم احسنكم قضاء "رواد البخاري ومسلم واحمد.[٦]

ان للقرض اثر كبير في انعاش الحياه الاقتصادية سواء تم بواسطة الافراد او بواسطة البنوك شريطة عدم الربا وهو ما يسمى (بالقرض الحسن)، وهذا القرض يعطى عادة لذوي الدخل المحدود او الفقراء، هذه الفئة تتميز بارتفاع الميل الحدي للاستهلاك، وهذه القروض تزيد من مشترياتهم من السلع والخدمات وتساعد في تنشيط التجارة والصناعة، وتحريك عجلة التنمية الاقتصادية، وزيادة التشغيل في الاقتصاد الوطني، وبالتالي زيادة دخول الناس، وزيادة رفاههم الاقتصادي.

وللقرض الحسن اثار اجتماعية تتمثل في التعاون والتراحم والتعاطف والمحبة بين فئات المجتمع المختلفة، وعدم لجوء المحتاج الى السرقة والاجرام، وبذلك ينحرف عن قيم المجتمع واخلاقه المستمدة من العقيدة الاسلامية السمحاء.

ان معظم القروض السائدة في وقتنا الحاضر قروض ربوية سواء داخل البلد او بين بلد واخر. وتاخذ القروض التي تتعامل بها البنوك الربوية صورا كثيرة، فقد تكون سلفة مالية يقدمها البنك لاغراض استهلاكية، ويحدد الفائدة التي يراها، وياخذ لنفسه الضمانات التي تكفل سداد القرض مع فائدته. وقد تكون قرضا ماليا يقدمه البنك لمشروع انتاجي، ويحدد الفائده التي يراها، دون التفات الى احتمال نجاح المشروع او فشله، وقد يكون القرض في صورة (فتح اعتماد) بمبلغ معين يضعه البنك تحت تصرف العميل، ويحدد البنك الفائدة على اساس المبالغ التي سحبها العميل بمقتضى تواريخها، وقد يكون القرض في صورة (سند) يتعهد فيه المدين لدائنه بمبلغ معين، ويستطيع الدائن ان يتقدم به الى البنك في اي وقت، وياخذ القيمة الحالية بعد خصم

الفائدة عن مدة الاجل، ويتولى البنك تحصيل قيمة السند من المدين عند حلول اجل استحقاقه.[٧]

ان كل هذه القروض الربوية سواء كانت استهلاكية ام انتاجية محرمة لقوله تعالى " واحل الله البيع وحرم الربا" ولقول الرسول عليه الصاة والسلام" كل قرض جر نفعا فهو ربا" وقد حرم الاسلام الربا في الكتاب والسنة والاجماع، وفي ذلك بقول النووي رحمه الله "اجمع المسلمون على تحريم الربا وانه من الكبائر وقيل انه كان محرما في جميع الشرائع."[٨] ذلك لان النظام الاقتصادي الربوي يؤدي الى تركز الجزء الاكبر من اموال المجتمع في ايدي نسبة قليلة من افراد المجتمع دولة بين الاغنياء وهذا بدوره يؤدي الى سيطرة راس المال اقتصاديا علي المجتمع، وهذه السيطرة تؤدي الى سيطرة هذه الفئة على القرارات الداخلية والخارجية وتشريعات المجتمع واسلوب تفكيره واخلاقياته، ويؤدي الى توجيه الموارد الاقتصادية نحو انتاج السلع الكمالية ذات الاسعار المرتفعة، لتعطي المزيد من الارباح، وبذلك يؤدي الى نقص انتاج السلع الاساسية ذات الاسعار المنخفضة نسبيا، وهذا يؤدي الى مزيد من الاستيراد والتبعية وعدم الاعتماد على النفس، والى المزيد من الدورات التجارية في الاقتصاد الوطني.

كما ان الاقتراض بالربا يؤدي الى زيادة تكاليف الانتاج وزيادة اسعار السلع المباعه في السوق لان سعر الفائدة، اى ثمن استخدام النقود، يضاف الى السعر النهائي وبذلك يتضرر المستهلك عند شرائه للسلع. اما اذا لم يتم شراء السلعة لارتفاع اثمانها فان الضرر سيلحق بالمجتمع على شكل ضياع في الموارد المستخدمه في انتاج هذه السلع او تخفيض الاسعار عن طريق ضغط التكاليف المتمثل بتخفيض اجور العمال او طردهم، وهذا يؤدي الى مشاكل اخرى تتمثل بالبطالة ونقص القوة الشرائية.

ان النظام الاقتصادي الذي يطبق في العالم الاسلامي في الوقت الحاضر قد تسرب اليه الربا سواء في مجال القروض الانتاجية او القروض الاستهلاكية بين الاشخاص بعضهم بعضا، او بين البنوك والاشخاص داخليا وخارجيا وذلك نتيجة انهيار دولة

الخلافة الاسلامية وتمزيق الدولة الاسلامية الى اقاليم صغيرة ثم السيطرة عليها من قبل الدول الاستعمارية الغربية، وتم استخدام هذه المناطق المستعمرة كمناطق نفوذ عسكري وسياسي واقتصادي، ولم تخرج هذه الدول الاستعمارية الا بعد تاسيس العديد من المؤسسات التبشيرية في كل اقليم من الاقاليم الاسلامية التي كانت تظهر بالمظهر الانساني، كالمستشفيات ومساعدة الفقراء وفتح المدارس ولكن كان لها اهداف لا تخفى على كل عاقل، منها سلخ هذه المجتمعات عن عاداتها وتقاليدها واعرافها المستمدة من الدين الاسلامي، وتبني الفكر الغربي والحضارة الغربية كنمط حياة، واظهار هذه الحضارة باطر جذابة من خلال اساليب مختلفة منها التقدم العلمي والفني والتقني والانتاج الكبير للسلع المتنوعة، وعرضها باساليب مختلفة والدعاية والاعلام وغير ذلك.

كل ذلك ادى بالاقاليم الاسلامية (الدول الاسلامية حاليا) الى تبني الافكار الغربية وتطبيقها، ومنها التعامل بالربا اخذا وعطاء، رغم تعارضها مع اصول الدين الحنيف. وقد قامت الدول الغربية بتبني اسلوب المساعدات النقدية والعينية "كطعم" للدول النامية ومنها الدول الاسلامية وتبع ذلك او في الوقت ذاته، منح القروض وبشروط سهلة ولاجال طويلة وبفوائد منخفضة مما عود الدول النامية على مصدر ايراد خارجي سهل وميسر واصبح متخذو القرار في هذه الدول يعتبرون هذا، المصدر الاساسي في تكوين راس المال وتحريك فعاليات الاقتصاد الوطني وتحقيق التنمية والتقدم الاقتصادي، رغم ان هذا التمويل المقدم من الدول المتقدمة والهيئات الدولية لا يساعد الدول النامية على تطوير اقتصادياتها وتنمية خبراتها وقدراتها الذاتية في الاجل الطويل، فهذا التمويل يتصف بعدم الانتظام وعدم قدرته على حل مشاكل التخلف في هذه الدول لان معظم التمويل الخارجي ذو طابع خدمي واستهلاكي يهدف في الاصل الى زيادة الانتاجية واستقرار اسعار المبلغ في الدول المتقدمة المانحة للمساعدات للدول النامية وزيادة توظيف القوة العاملة الخاصة بالدول المتقدمة لدى الدول النامية، كما ان الدول المتقدمة تقرن مساعداتها وقروضها بشروط سياسية او اقتصادية او عسكرية في معظم الاحيان.[٩]

وان بعض الشروط المتعلقة بهذه القروض قد يجعل اثرها في التنمية الاقتصادية في الدول النامية محدودا للغاية حيث الجزء الاكبر من هذه القروض ينفق على دراسات وخبراء وسلع من الدول المستقدمة للقروض، بالاضافة الى نقص الكفاءات وسوء استخدام هذه القروض في الدول النامية نفسها، مما يجعل مساهمة هذه القروض في دفع عجلة التنمية محدودا، ومردود هذه القروض اقل بكثير من الفوائد المدفوعه عليها.

وقد وصلت العديد من الدول النامية التي تراكمت عليها الديون الخارجية شفى حفرة الافلاس. وهذه الدول كما ورد في تقرير صندوق النقد والبنك الدوليين عام ١٩٨٤ هي ما يلي: (١٠)

الدول	ديونها بالمليار دولار
المكسيك	٩٠
البرازيل	٨٨
الارجنتين	٤٥
كوريا الجنوبية	٣٩
فنزويلا	٣٠
اندونيسيا	٣١
الفليبين	٢٥

كما ان التقرير قد ذكر حوالى ٢٠ دولة مدينة بمبالغ كبيرة في افريقيا وحدها وهي:[١١]

اسم الدولة	المديونية بالمليار دولار
نيجيريا	١٨,٠
الجزائر	١٣,٠
المغرب	١٢,٠
السودان	٨,٠
ساحل العاج	٧,٥
زائير	٤,٠
تونس	٣,٧
كينيا	٣,١
زامبيا	٣,٠
الكاميرون	٢,٦
مدغشقر	٢,٠
تنزانيا	١,٨
غانا	١,٥
الكنغو	١,٥
موريتانيا	١,٣
غينيا	١,٢
الصومال	١,٢
السنغال	١,١
اثيوبيا	١,١

ونتيجة لضخامة الديون الخارجية وضخامة فوائدها، اعلن عدد من هذه الدول عدم قدرتها على الدفع ليس فقط دفع الفوائد بل ودفع الاقساط المستحقة من اصل القرض. ومن امثلة ذلك دولة بوليفيا حيث توقفت في يونيو عام ١٩٨٤ عن دفع الفوائد المستحقة على قروضها للبنوك الامريكية، كما ان البرازيل وبعض الدول في امريكيا اللاتينية وافريقيا، قد طالبت اما باعادة جدولة هذه الديون او زيادة هذه الديون بشروط اكثر سهولة.

وعندما نستعرض دول العالم لا نجد دولة واحدة منها قد سلمت من ويلات الربا وصدق الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حيث قال "سيأتي على الناس زمان ياكلون الربا ومن لم ياكله منهم اصابه غباره "او كما قال. ويلاحظ ان افريقيا قد بلغ نسبة خدمة الديون حسب تقرير البنك الدولي الى حوالى ٣٥٪ من قيمة صادراتها.(١٢)

ويهمنا معرفة مديونية البلدان النامية غير المنتجة للنفط. والجدول التالي يوضح الديون قصيرة الاجل والطويلة الاجل وخدمة الديون من عام ١٩٧٣ - ١٩٨٢ (١٣)

البلدان النامية غير المنتجة للنفط: الديون الطويلة الاجل والقصيرة الاجل وخدمة الديون ١٩٧٣-١٩٨٢ [١]

(القيم بمليارات الدولارات الاميركية، النسب المئوية)

	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
مجموع الدين القائم	١٣٠.١	١٦٠.٨	١٩٠.٨	٢٢٨.٠	٢٧٨.٥	٢٣٦.٣	٣٩٦.٩	٤٧٤.٠	٥٥٥.٠	٦١٢.٤	٧٢٥.٧	٨١٠.٠
الدين القصير الاجل	١٨.٤	٢٢.٧	٢٧.٣	٣٣.٢	٤٢.٥	٤٩.٧	٥٨.٨	٨٥.٥	١٠٢.٢	١١٢.٧	١٣٠.٥	
الدين الطويل الاجل	١١١.٨	١٣٨.١	١٦٣.٥	١٩٤.٩	٢٣٥.٩	٢٨٦.٦	٣٣٨.١	٣٨٨.٥	٤٥٢.٨	٤٩٩.٦	٥٩٥.٢	
نسبة الدين الخارجي الى نسبة صادرات السلع والخدمات [٢]	١١٥.٤	١٠٤.٦	١٢٢.٤	١٢٥.٥	١٢٦.٤	١٣٠.٢	١١٩.٢	١١٢.٩	١٢٤.٩	١٤٣.٣	١٥٥.٤	
نسبة الدين الخارجي الى الناتج المحلي الاجمالي [٣]	٢٢.٤	٢١.٨	٢٣.٨	٢٥.٧	٢٧.٤	٢٨.٥	٢٧.٥	٢٧.٦	٣١.٠	٣٤.٧	٤٢.١	
قيمة مدفوعات خدمة الدين	١٧.٩	٢٢.١	٢٥.١	٢٧.٨	٣٤.٧	٥٠.٣	٦٥.٠	٧٦.٢	٩٤.٧	١٠٧.١		
مدفوعات الفائدة	٦.٩	٩.٣	١٠.٥	١٠.٩	١٣.٦	١٩.٤	٢٨.٠	٤٠.٤	٥٥.٠	٥٩.٢		
استهلاك الدين. [٣]	١١.١	١٢.٨	١٤.٦	١٦.٨	٢١.١	٣٠.٩	٣٦.٩	٣٥.٨	٣٩.٧	٤٧.٩		
نسبة خدمة الدين [٤]	١٥.٩	١٤.٤	١٦.١	١٥.٣	١٥.٤	١٩.٠	١٩.٠	١٧.٦	٢٠.٤	٢٣.٩	٢٦.٨	
نسبة مدفوعات الفائدة	٦.١	٦.١	٦.٧	٦.٠	٦.٠	٧.٣	٨.٢	٩.٣	١١.٩	١٣.٢		
نسبة مدفوعات استهلاك الدين	٩.٨	٨.٣	٩.٤	٩.٣	٩.٤	١١.٧	١٠.٨	٨.٣	٨.٦	١٠.٧		

المصدر: آفاق الاقتصاد العالمي، ١٩٨٣

(١) بالنسبة لتصنيف البلدان في المجموعات الواردة هنا، انظر مقدمة الملحق في "آفاق الاقتصاد العالمي، ١٩٨٣" - ومع ابتعاد جمهورية الصين الشعبية بالنسبة للسنوات السابقة على ١٩٧٧.

(٢) نسبة الدين عند نهاية العام الى الصادرات او الناتج المحلي الاجمالي في العام المذكور.

(٣) بالنسبة للديون طويلة الاجل وحدها، وتعكس التقديرات عن الفترة حتى ١٩٨١ مدفوعات الاستهلاك الحقيقية، اما تقديرات ١٩٨٢ فتعكس المدفوعات المخططة بعد تعديلها لمراعاة طاقات اعادة الجدولة في عام ١٩٨٢.

(٤) المدفوعات (الفائدة او الاستهلاك او كلاهما) كنسبة مئوية من صادرات السلع والخدمات.

ويلاحظ ان هذه الديون حررت اكثرها بالدولار الامريكي مما جعلها عرضة لارتفاع سعره ولارتفاع فائدته مما جعل هذه الديون وخدمتها عبئا كبيرا على الدول النامية تجاوزت قيمة خدمتها ١٠٠ مليار دولار عام ١٩٨٣. كما ان تحرير هذه الديون بالدولار جعل مديونية امريكا كبيرة جدا. فقد بلغت في اخر عام ١٩٨٤ ما مجموعه ٥٩٩٤ مليار دولار اى اكثر من سبعة اضعاف مجموع ديون العالم النامي مجتمعه، وهي تستعمل هذه الاموال لتمويل انفاقها العام خصوصا انفاقها على برامج غزو الفضاء.

ثانيا: المضار العامة للاقتراض الخارجي

اصبح العديد من دول العالم النامي فريسة الحلقة المفرغة للتنمية الطويلة الامد والاستدانة الكثيفة التي لاخلاص منها الا بالاعتماد على النفس، والبناء الذاتي التدريجي، الذي يعتمد على الموارد الذاتية والخبرات والمهارات المحلية المكتسبة، والانضباط في الاستهلاك، وتكوين راس المال بشقيه المادي والانساني، واستخدام نسب المزج المناسبة بعناصر الانتاج، والتكامل الاقتصادي بين الدول النامية وحرية انتقال عناصر الانتاج بيسر وسهولة وذلك لدفع عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية للامام وتحقيق الرفاه والسعادة لشعوب هذه الدول.

ان القروض الخارجية تؤدي الى تنمية اقتصادية واجتماعية نازفة لما يترتب على هذ القروض من اضرار عديده تلحق بالدول النامية واهم هذه الاضرار:

١. ان الاقتراض الخارجي يؤدي الي تثبيط الجهود الرامية الى تعبئة الادخارات المحلية بالشكل الامثل، هذه حال غالبية الدول النامية، ويصاحب هذه الظاهرة استحداث طبقات في المجتمع وزيادة استهلاك السلع الكمالية التفاخرية. كما ان الاستيراد المكثف لراس المال الخارجي سواء كان على شكل مساعدات او قروض يؤدي الى تصدع الاقتصاد التقليدي والى خلق قطاعات بعضها متطور يتمشى

مع نمو راس المال ويرتبط بالاقتصاد الخارجي، وبعضها الاخر تقليدي متاخر يكون تاثرها محدودا للغاية وبطيئا في كثير من الاحيان بالقطاعات المتقدمة. كما ان انتشار الربا يؤدي الى شل القدرة على التمويل الذاتي لدى صغار المنتجين الساعين لتحسين انتاجيتهم، بينما تتوجه رؤوس الاموال الربوية نحو الاستهلاكات الكمالية او الاكتناز او التوظيف في الخارج، واذا وظفت محليا فانها توجد في اغلب الاحيان لانتاج المواد الاولية المعدة للتصدير.[١٤]

كما ان توفر وسائل المدفوعات الخارجية المتاتية من الاقتراض يؤدي الى استيراد المبلغ الانتاجية، وهذا يؤدي الى تقييد اكتساب المهارات التكنولوجية، ويؤدي الى تثبيط تام لبروز قدرات محلية في المجال الهندسي، وبصورة خاصة، في قطاع السلع الانتاجية وقطاع انشاء الوحدات الانتاجية، كما ان استيراد التكنولوجيا يؤدي الى انقاص قدرة المجتمع على الاكتساب الحقيقي للتكنولوجيا القائم على "التعليم بالممارسة (Learning - by doing)، ويؤدي كذلك الى التبعية التكنولوجية، وينحصر المجال الهندسي المحلي على بناء السكن، والمعالجات التكميلية الفرعية للانشاءات الصناعية المعقدة التي تظل السيطرة على تصميمها وسير عملها بيد مكاتب الدراسات الاجنبية.[١٥]

٢- ان الاقتراض الخارجي يؤدي الى تكاليف اضافية تتمثل في نقل التكنولوجيا المغلقة، حيث تدفع البلدان النامية، اسعارا باهظة للتكنولوجيا مقارنة مع اسعارها في بلد المنشأ. كما ان الاقتراض الخارجي يؤدي الى تجميد الجهود الرامية الى توزيع افصل للمداخيل، ويؤدي الى تثبيط الادخار لدى طبقات واسعه من السكان الذين يثابرون على شراء السلع اما لضرورة هذه السلع او حبا في الظهور في المجتمع بمظهر لائق او للسببين معا، وذلك نظرا لتقدم نمو التحضر المطرد الذي يفرض مجاراة نمط حياة الدول المصنعة وطرق استهلاكها، كما ان تراكم الديون الخارجية وزيادة عبء خدماتها، خاصة اذا تجاوزت خدماتها ٢٠ الى ٢٥ بالمئة من مجموع الايرادات بالعملة الصعبة الناجمة عن تصدير السلع

والخدمات، يؤدي الى شل القدرة على التحكم بالاستثمارات الوطنية. كما ان التبعية التكنولوجية تولد حاجة دائمة لموارد خارجية، تامينا للحفاظ على انتاجية المؤسسات (قطع غيار، معونات فنية، تبديل سريع للتجهيزات الصناعية). (١٦)

٣- كما ان الاستدانة الخارجية تعتبر مصدرا من مصادر التحويل المعاكس للموارد، المتمثل باعادة الفوائد الى موطنها الاصلية وزيادة تكاليف الديون الجديدة على الدول النامية نتيجة الشروط القاسية التي تفرضها الدول الصناعية بالاضافة الى النزيف المعاكس المتمثل في:

- هجرة ارباح الشركات المتعددة الجنسيات الناتجة عن استثماراتها في الدول النامية، الى الوطن الام.
- المدفوعات لقاء ايرادات الاختراعات ورخص استعمالها.
- المدفوعات لقاء الخدمات على شكل خبرات تقنية، واستشارات هندسية، وتامين وشحن.
- الاعباء الناتجة عن تضخيم الاسعار من قبل الجهات المصدرة، عند تصديرها للسلع.
- الخسائر النامية عن حجرة الكوادر او التقنيين نحو البلاد الغنية والتي تسمى (Brain - drain)

كما ان هناك بعض القروض التي تمنح في ظل شروط اهمها: شراء السلع الانتاجية والخبرات الفنية من الجهة مانحة القروض، وهذا النوع يؤدي الى حد كبير الى امكانية زيادة الاسعار، مما يزيد عبء ديون الدولة النامية. كما ان البنك الدولي للانشاء والتعمير يحمل الدول المدينة كافة مخاطر تقلب اسعار الصرف فترتفع بذلك نسبة الفائدة الفعلية على ديون هذه الدول لدى البنك المذكور، عدة نقاط مئوية نسبة الى الفائده الاسمية. (١٧)

كما انه يلاحظ ان استدانة الدول النامية قد اصبح مصدرا اضافيا لعدم استقرار النظام النقدي الدولي، خاصة اذا توقفت هذه الدول المدينة عن التسديد، فان نظام المدفوعات الدولية بمجموعة يمكن ان ينهار نظرا لضخامة ديون هذه الدول، حيث يتركز القسم الاكبر من القروض الممنوحة للدول الاكثر استدانة في يد مجموعة قليلة من البنوك الدولية.

كما ان الاستدانة قد اصبحت مصدرا اضافيا للتبعية في الدول النامية، فالبلدان الدائنة تسعى جهدها لمراقبة الانشطة الاقتصادية للبلدان المدينة وذلك من خلال منظماتها القومية للتسليف وبواسطة المنظمات الدولية، وقد جرى مؤخرا تعزيز هذه المراقبة بانشاء نظام افضل لتبادل المعلومات والتنسيق بين البنوك الدولية من جهة وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعميير من جهة اخرى. كما ان هذه البنوك لا تمنح بعض الدول العاجزة عن تسديد قروضها مثل (زائير، وتركيا، وبيرو، السودان المكسيك، نيجيريا ... الخ). الا بعد ان تقبل هذه البلدان بالبرنامج التصحيحي الذي يفرضه صندوق النقد الدولي. وفي بعض الاحيان تفرض شروطا قاسية حتى على الدول القادرة على التسديد، ويؤدي تطبيق هذه الشروط الى الحد من حرية الحكومات في سعيها الى تغيير سياستها الاقتصادية الداخلية. وبزيادة الاستدانة تتضاعف الشروط الغربية في اتفاقيات القروض وتتضاءل قدرة البلد المدين على تغيير سياسته في الحد من التبعية الخارجية. وقد وصل الامر الي جعل مؤسسات التمويل الدوليه في مركز الحكم في القضايا الاجتماعية والسياسية في دول العالم.[١٨]

ان استعراض احصاءات الديون الخارجية توضح ان الديون السنوية تزداد بمعدلات متسارعه اعتبارا من عام ١٩٧٠، فقد كان المعدل السنوي للزيادة في الفترة ١٩٦٧/١٩٧١، ١٣.٣ بالمئة وهي نفس النسبة للفترة ١٩٦١-١٩٦٩. هذه النسبة ارتفعت الى ٢٠.٣ بالمئة في الفترة ١٩٧٠ - ١٩٧٦. كما ان الفوائد قد ارتفعت نسبة تزايدها السنوية في المتوسط الى ٢٤.٢ بالمئة عن الفترة ١٩٦٩-١٩٧٥ وهذه النسبة

تزيد عن نسبة الديون نفسها. ويعود ذلك الى ان القروض المبرمة في سوق رؤوس الاموال الدولية تكون عادة قصيرة الاجل، وبفوائد تعادل فوائد السوق. يضاف اليها علاوة مبنية على تقدير المخاطر تتراوح بين ٥ .٧٪ بالمئة الى ٥ .٢ بالمئة، بحسب البلد ومكانته المالية الدولية.[١٩]

وقد تبين من استعراض المعطيات الاحصائية ان حوالى ربع الديون الخارجية للدول المقترضه الرئيسية هي على شكل قرض قصيرة الاجل قدرت باكثر من ١٣٠ مليار دولار اواخر ١٩٨٢، في حين قدرت مجموع القروض الخارجية لهذه الدول، القصيرة الاجل والطويلة الاجل بحوالى ٧٢٦ مليار دولار. واستخدمت القروض القصيرة الاجل لتغطية العجز في ميزان مدفوعات الدول النامية، وتمويل عمليات استيراد الصناعات الاحلالية. ان ظاهرة الزياده الكبيرة في القروض قصيرة الاجل، تبين ضعفا اساسيا في اقتصاديات الدول النامية بشكل عام، وعجزاً في موازين مدفوعاتها ناتجا عن الاستيراد الواسع للسلع الراسمالية لاقامة الصناعات، او البنية التحتية لدرجات ضرورية.[٢٠]

وقد زادت هذه الديون في الاعوام التي تلت عام ١٩٨١، حيث دخل العالم فترة الركود الاقتصادي. ويلاحظ ذلك من مقارنة معدلات زيادة الدين الخارجي في سنتي ١٩٨١، ١٩٨٢ بمعدل الزيادة (النقص) في الصادرات والتحويلات. وكانت نيجيريا اكثر الدول النامية تاثرا بهذه المشكلة اذ زادت قروضها خلال عام ١٩٨١-١٩٨٢ بنسبة ٤٢٪ بينما نقصت صادراتها بنسبة ٦ .٢٦٪ خلال الفترة ذاتها. وزادت مديونية ساحل العاج ٧ .٢٤٪ بينما نقصت صادراتها بنحو ٥ .١٣٪. وزادت مديونية ماليزيا ٤ .٤٥٪ مقابل نقص ٤٪ في صادراتها والتحويلات المرسلة اليها.[٢١]
والجدول التالي يوضح نسب الزيادة في الدين الخارجي والصادرات من السلع والخدمات لدى ٢١ دولة نامية مقترضة.

نمو مجموع الدين الخارجي بالمقارنة مع الصادرات لدى ٢١ دولة نامية مقترضة (نسبة مئوية في السنة)

البلـــــد	نسبة الزيادة في الدين الخارجي		نسبة الزيادة في في الصادرات		الزيادة او النقص في الصادرات
	٧٦-١٩٨٠	٨١-٨٢	٧٦-٨٢	٧٦-٨٠	٨٠-٨٢
امريكا اللاتينية					
الارجنتين	٢٨.١	١٩.٤	٢٥.٦	٢٥.٦	-٧.٥
البرازيل	٢٤.٤	١٤.٣	٢١.٤	١٨.٧	١.٥
التشيلي	١٦.٢	٢٤.٠	١٨.٤	٢٨.٠	-٤.٥
كولومبيا	١٥.١	١٢.١	١٤.٢	٢١.٨	-٧.٠
الاكوادور	٤٥.٢	١٨.٤	٣٧.٠	٢١.١	-٥.٦
المكسيك	٢١.٩	٢٦.٩	٢٣.٣	٣٠.٨	١١.١
البيرو	٨.٠	٩.٠	٨.٣	٢٢.٩	-٧.٦
فنزويلا	٤٠.٩	١٢.٩	٣٢.٢	١٧.١	-٤.٦
آسيا					
اندونيسيا	١٣.٣	١٢.٣	١٣.٠	٢٥.٩	-٤.٠
كوريا	٢٧.٠	١٦.٦	٢٤.٩	٣٠.٦	١٢.١
ماليزيا	٢٠.٤	٤٥.٤	٢٧.١	٢٧.١	-٤.٠
الفلبين	٢٦.٣	٣٠.١	٢٧.٤	٢٩.٦	٠.١
تايوان	١٩.٤	٧.٤	١٥.٨	٢٩.١	٦.٥
تايلندا	٤٠.٧	١٦.٢	٣٣.٢	٢٣.٢	٣.٩
الشرق الاوسط وافريقيا					
الجزائر	٢٧.٠	-٣.٢	١٧.٥	٢٣.٢	-٢.٤
اسرائيل	١٦.٨	١١.٨	١٥.٨	١٨.٧	-٠.٣
شاطىء العاج	٣٩.٤	٢٤.٧	٣٥.٠	٢٠.٠	-١٣.٥
المغرب	٣٣.٢	١٨.٢	٢٨.٧	١١.٣	-٦.٤
نيجيريا	٣٢.٩	٤٢.٦	٣٥.٦	٢٤.٥	٢٦.٦
تركيا	٣٢.٥	٧.٩	٢٥.٠	١٢.١	٢٧.١

المصدر: World Financial Markets, Morgan Guaranty Turst Company of New York, Jan. 1983.

ويمكن توضيح تزايد التبعية الاقتصادية للخارج من خلال ثلاث مؤشرات رئيسية هي:

١- ارتفاع نسبة الديون الخارجية الى الناتج المحلي.

فقد ازدادت الديون الخارجية لمجموعة الدول النامية الى اجمالي الناتج المحلي المتحقق فيها، وقد وصلت هذه النسبة في بعض الدول الي حد تجاوزت فيه اجمالي الناتج المحلي فيها. والمثل الواضح على ذلك (جويانا)، حيث بلغت فيها هذه النسبة ١٢٤.١٪ وذلك عام ١٩٧٠. وهناك مجموعة اخرى من الدول تجاوزت فيها جملة الديون المستحقة نصف اجمالي ناتجها المحلي الاجمالي. مثل جابون، واندونيسيا، وليبيريا، ومالاواى، ويوضح الجدول التالي نسبة اجمالي الديون الخارجية القائمة الى اجمالي الناتج المحلي في عام ١٩٧٠ في عدد من الدول النامية. [٢٢]

الدولة	٪	الدول	٪
دول مصدره للبترول		دول ذات دخل متوسط	
اكوادور	٢٠.٢	جمهورية تنزانيا المتحدة	٥٤.٤
جابون	٣٤.٤	ليبيريا	٤٢.٢
اندونيسيا	٣٥.١	المغرب	٢٥.٤
ايران	٢٦.٩	بارا جواى	١٩.٦
العراق	٧.٢	سوريا	١٤.١
نيجيريا	١١.٧	جويانا	١٢٤.١
فنزويلا	٧.٨	الفلبين	١٢.٦
دول ذات دخل مرتفع:		دول ذات دخل منخفض:	
الارجنتين	٩.٥	افغانستان	٤٥.٦
شيلي	٣١.٨	الصومال	٥٣.٧
كوستاريكا	٢٣.٠	تشاد	١٨.٣
اسرائيل	٣٧.٩	اثيوبيا	١٥.٧
المكسيك	١١.٢	الهند	١٧.٤
تونس	٦٢.٥	كينيا	٢٩.٥
اوراجواى	١٣.٣	مالاواى	٤٧.٩
نيكوراجوا	٢٦.١	الباكستان	٢٤.٧
		السودان	١٩.٢
		مالي	٥٨.٧

ان ارتفاع نسب الديون الخارجية الى اجمالي الناتج المحلي لهذه الدول يوضح مقدار اعتماد هذه الدول على التحويل الخارجي في تنفيذ مشروعات التنمية وفي علاج بعض المشاكل الاقتصادية الملحة التي تواجهها، مثل تمويل المستوردات من السلع الغذائية وقطع الغيار، وغير ذلك. وفي ظل هذه المديونية المتزايدة، فان الدول النامية تصبح مجبرة على تحويل اجزاء كبيرة من ناتجها القومي للدول والهيئات والمنظمات الدائنة وفاء لالتزاماتها الخارجية.

٢ - زيادة التعامل التجاري مع مناطق ودول معينة:

تؤثر القروض الخارجية تاثيرا واضحا في هيكل التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية للدول المدينة، وذلك من خلال تاثير هذه القروض على شكل زيادة في المستوردات من السلع والخدمات من البلد الدائن، وكذلك زيادة صادرات البلد المدين الى البلد الدائن عندما تبدأ عملية سداد الفوائد واقساط القروض، خاصة اذا كانت شروط القرض تنص على امكانية سداد اعباء القرض عن طريق تسديد السلع اوالخدمات الى الدول الدائنة.(٢٣)

ان تحليل التجارة للدول النامية يوضح خللا في توزيعها الجغرافي. ان ٧٥٪ من تجارة الدول النامية يتم مع الدول الغربية الصناعية، وان ٥٪ مع الدول الاشتراكية، وحوالى ٢٠٪ فقط فيما بين الدول الناميه نفسها. وهذا الخلل في توزيع التجارة الخارجية يعكس التبعية الاقتصادية التي ساهمت القروض مساهمة فعالهة في تكوينها. ويوضح الجدول التالي درجة تركز اتجاه الصادرات لبعض الدول النامية الى دول السوق الاوروبية المشتركة، والى دول مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة (الموميكون) في عام ١٩٦٨.(٢٤)

الدول مرتبه تنازليا

الدول المصدرة	نسبة الصادرات الى دول السوق الاوروبية المشتركة ٪ من اجمالي الصادرات	الدول المصدرة	نسبة الصادرات الى دول الكوميكون ٪ من اجمالي الصادرات
المارتنيك	٩٣.٤	كوريا	٦٢.٠
ريوانيون	٩٠.١	مصر	٥٤.٢
توجو	٨٢.٦	افغانستان	٣٨.٩
جواداوبا	٨٠.٣	يوغوسلافيا	٣٤.٤
تشاد	٧٦.٩	تونس	١٩.٠
الجزائر	٧٦.٣	سوريا	١٨.٦
السنغال	٧٥.٦	الهند	١٨.٢
النيجر	٧٤.٩	السودان	١٣.٧
الكونغو الشعبية	٧٢.٠	اليمن +	١٣.٧
زائير	٧١.١	المغرب	١٠.٢
الكاميرون	٧٠.٥	قبرص	١٠.١
داهومي	٦٩.٩	جويانا	٩.٤
موريتانيا	٦٥.٣	ماليزيا الغربية	٧.٧
ليبيا	٦٤.٨	سيلان	٧.٦
ساحل العاج	٦٤.٦	جزر القمر	٦.٧
رواندا	٦٢.١	البرازيل	٦.٥
فيتنام الجنوبية	٦١.٥	غانا	٦.٥
ليبيريا	٥٩.٤	السلفادور	٥.٧
العراق	٥٩.٣	لبنان	٥.٥

تابع للجدول السابق

المغرب	٥٧.٤	الجزائر	٥.١
جابون	٥٢.٣	الباكستان	٤.٧
تونس	٤٦.٣	نيجيريا	٤.٦
جمهورية افريقيا الوسطى	٤٦.٠	اوراجواى	٤.٥
مدغشقر	٤٢.٦	سنغافورة	٤.١
الارجنتين	٣٦.٨	الارجنتين	٣.٧
نيجيريا	٣٦.٣	الكاميرون	٣.٢
السودان	٣٦.٠	ايران	٣.١
السعودية	٣٤.٧	كولومبيا	٣.٠
قبرص	٣٣.٢	اثيوبيا	٢.٨
الصومال	٣٢.٢	بورما	٢.٧
زامبيا	٣٢.٠	بيرو	٢.٤
شيلي	٣١.٩	الكونغو الشعبية	٢.٠
هندوراس	٢٨.٦	اكوادور	١.٩
اسرائيل	٢٧.٥	مالى	١.٨
بيرو	٢٦.٩		

+ الارقام عن عام ١٩٦٩

٣ - الخضوع لتوجيهات المنظمات الدولية:

ان تزايد حدة المديونية الخارجية في عدد من الدول النامية قد اعطى الفرصة للدول الدائنة والمؤسسات المالية الدولية الحق في ان تتدخل في شؤون الدول الناميةا وأن تمس سيادتها، وتهدد استقلالها الاقتصادي وتفرض الشروط التي تراها مناسبة من وجهة نظر الدائن ـ لايجاد حالة الاستقراء والتوازن المطلوبة لضمان تسديد هذه الديون.

ومن الشروط التي يفرضها خبراء صندوق النقد الدولي على الدول ذات المديونية الكبيرة ما يلي:

١ - الغاء الرقابة والقيود علي التجارة الخارجية للبلد المدين.

٢ - الغاء القيود التي تفرضها الدولة لتثبت سعر عملتها وترك العملة لتحديد سعر صرفها في ظل ديناميكية السوق.

٣ - وضع الترتيبات الحاصل بالسياسة النقدية والمالية للدولة حتى يمكن السيطرة على الاجور والاسعار.

٤ - الغاء الدعم الحكومي للمشروعات العامة التي تحقق خسائر نتيجة تحديد سعر منخفض يحقق شيئا من العداله الاجتماعية.

٥ - الالتزام ببيانات معينة لموازنة الميزانية العامه للدولة، مثل تقليل الانفاق العام وتجنب سياسة التمويل بالعجز. [٢٥]

ولا تختلف هذه الشروط عن شروط البنك الدولي حينما تلجأ اليه الدول النامية ذات المديونيه الكبيره.

ثالثا: اثر الديون الخارجية على التنمية الاقتصادية

يمكن دراسة اثر الديون الخارجية على التنمية الاقتصادية في الدول النامية من خلال دراسة مجموع من المؤشرات هي ما يلي:

١ - اثر تزايد اعباء خدمة الديون الخارجية على فاعلية نقل الموارد الحقيقية للدول النامية. ويمكن القول، ان هناك تدفقات flows متداخلة للموارد، من والى الدول النامية، فالدول النامية تحصل على موارد اجنبية، سواء كانت على شكل قروض او مساعدات، او من صادراتها من السلع والخدمات، ويترتب على هذه الدول التزامات سنوية هي خدمة الديون الخارجية، ولكي نعرف الاثر الصافي لحركة الموارد الاجنبية، فلا بد من مقارنة اعباء خدمة الديون الخارجية التي تدفعها الدول النامية الى المؤسسات والى الدول الدائنة، مع الموارد الاجنبية الجديدة التي توافق هذه المؤسسة والدول على منحها للدول النامية.

ولتوضيح الفكرة نفترض المثال المبسط التالي: نفترض ان بلدا ما سوف يقترض سنويا ١٠٠٠ دولار. بمعنى ان الدين الخارجي للدولة يتزايد سنويا بهذا القدر، ونفترض ايضا ان سعر الفائدة ٥٪ سنويا وان مدة القرض ١٥ سنة، واستخدم قانون الفائدة المركبة لتقدير خدمة الديون الخارجية لهذه الدولة (اى مقدار الفائدة +اقساط استهلاك الدين) ومقارنة ذلك بـ (١٠٠٠) دولار وهو التدفق الى البلد من القروض الخارجية، فاننا نلاحظ انه بعد فترة وجيزه يصبح عبء الدين اكبر من التدفقات من العملات الاجنبية الى البلد.

والجدول الافتراضي التالي يوضح هذه الفكرة.[٢٦]

نموذج مفترض حول العلاقة بين اجمالي وصافي الاقتراض الخارجي وتطور مدفوعات خدمة الدين الخارجي بافتراض ان الدولة تقترض سنويا ١٠٠٠ دولار

(شروط القرض : ٥٪ فائدة سنوية، مدة القرض ١٥ سنه)

السنه	حجم الاقتراض الاجمالي السنوي	حجم الدين الخارجي القائم	مدفوعات استهلاك الديون	مدفوعات الفائدة	صافي الاقتراض بعد خصم مدفوعات	صافي تحويل الموارد بعد مدفوعات الفائدة واستهلاك الدين
الخامسة	١,٠٠٠.٠	٤,٣٣٣.٠	٢٦٦.٨	٢١٦.٠	٧٣٣.٢	٥١٧.٢
العاشرة	١,٠٠٠.٠	٦,٩٩٨.٥	٦٠٠.٣	٣٩٥.٩	٣٩٩.٧	٣.٨
الخامسة عشرة	١,٠٠٠.٠	٧,٩٩٦.٥	٩٣٣.٨	٤٧٥.٨	٦٦.٢	-٤٠٩.٦
العشرين	١,٠٠٠.٠	٧,٩٩٤.٠	١,٠٠٠.٥	٤٧٩.٧	-٠.٥	-٤٨٠.٢
الخامسة والعشرين	١,٠٠٠.٠	٧,٩٩١.٥	١,٠٠٠.٥	٤٧٩.٥	-٠.٥	-٤٨٠.٠
الثلاثين	١,٠٠٠.٠	٧,٩٨٩.٠	١,٠٠٠.٥	٤٧٩.٥	-٠.٥	-٤٧٩.٩
الاربعين	١,٠٠٠.٠	٧,٩٨٤.٠	١,٠٠٠.٥	٤٧٩.٥	-٠.٥	-٤٧٩.٦
الخمسين	١,٠٠٠.٠	٧,٩٧٩.٠	١,٠٠٠.٥	٤٧٩.٥	-٠.٥	٤٧٩.٣٠
الستين		٤,٩٧٤.٥	١,٠٠٠.٥	٧,٤٧٩.٥	-.٥	-٤٧٩.٠

المصدر: نفس المرجع السابق ص (   ).

ويلاحظ من هذا الجدول، انه ابتداء من السنة الخامسة عشرة سوف يصبح مجموع اقساط استهلاك الديون الخارجة لهذه الدولة ٧ . ٩٣٢ دولار، وان مبالغ الفائدة المدفوعة عن الديون المتراكمة في السنوات السابقة سوف تصبح ٨ . ٤٧٥ دولاراً في هذه السنة. وبذلك تكون خدمة الدين الخارجي لتلك السنة = ١٤٠٩.٦ دولاراً، وهذا يزيد عن المبلغ الذي تحصل عليه الدولة من الخارج ومقداره ١٠٠ دولار.

وهذا يوضح لنا فكرة الانتقال العكسي للموارد من الدولة المدينة الى الدولة الدائنة لها، ويزداد الوضع سوءا مع الزمن. ومن هذا المثال المبسط يمكن توضيح ان الديون الخارجية اذا تركت دون ضوابط، فانها بعد فترة من الزمن سوف تصبح ضعيفة الاثر على الاقتصاد الوطني ان لم يكن اثرها سلبيا.

ويدلل على ذلك ما توصل اليه بعض الكتاب، من انه خلال الفترة ٦٥-١٩٦٧ امتص مقدار ما خصص لخدمة الديون الحكومية ٧٣٪ من حجم القروض والمساعدات الممنوحة لافريقيا، ٥٢٪ في شرق اسيا و ٤٠٪ في جنوب اسيا والشرق الادنى، و ٨٧٪ في امريكا اللاتينية.[٢٧]

اما فاعلية القروض ومعونات التنمية المقدمة الى الدول النامية فيمكن توضيحها من خلال الجدول التالي:

تدفقات الموارد الاجنبيه ومدفوعات خدمة الديون الخارجية العامة في الدول النامية

خلال الفترة (١٩٦٥ - ١٩٧٣) [٢٨]

(بالمليار دولار)

متوسط الاستخدام	٦٥-٦٩	١٩٧٢	١٩٧٣
قروض	٧.٤٧٢	١٥.١٨٨	٢٠.١٦٥
منح وشبه منح	٢.٩٧٦	٣.٦١٧	٣.٥٧٥
(١) الجملة	١٠.٤٤٨	١٨.٨٠٥	٢٣.٧٤٠
مدفوعات خدمة الدين			
استهلاك القروض	٣.٠٠٧	٥.٨٧٦	٧.٦٨٥
فوائد	١.١٢٥	٢.٥٢٣	٢.٣١٧
(٢) الجملة	٤.١٣٢	٨.٣٨٩	١١.٠٠٢
(٣) صافي التحويلات =(٢) - (١)	٦.٣١٦	١٠.٤١٦	١٢.٧٣٨
نسبة (٢) الى (١)٪	٣٩.٥	٤٤.٦	٤٦.٣
نسبة (٣) الى (١)٪	٦٠.٥	٥٥.٤	٥٣.٧

ويلاحظ من هذا الجدول ان المتوسط السنوي لجملة ما دفعته الدول الناميه لخدمة ديونها الخارجية قد بلغ ٤.١٣٢ مليار دولار خلال الفترة ٦٥-١٩٦٩، في حين ان متوسط ما تدفعه من قروض خارجية ومنح وشبه منح الى هذه الدول قد وصل الى ١٠.٤٤٨ مليون دولار خلال هذه الفترة. وهذا يعني ان مدفوعات خدمة الدين الخارجي قد وصلت الى حوالى ٣٩.٥٪ من متوسط اجمالي القروض والمنح وشبه المنح. وقد ارتفعت هذه الى ٤٤.٦٪ عام ١٩٧٢، ثم ارتفعت كذلك عام ١٩٧٣ لتصل الى ٤٤.٦٪.

اما اذا قارنا صافي تحويلات الموارد الى اجمالي تدفق الموارد الاجنبية التي انسابت الى الدول النامية، فان هذه النسبة ترتفع الى ٦٠.٥٪ خلال الفترة ٦٥-١٩٦٩. وتنخفض الى ٥٣.٧٪ في عام ١٩٧٣.[٢٩]

اما العنصر الاخر الذي يؤثر على نقل الموارد الحقيقية للدول النامية فهو تصدير ارباح الاستثمارات الاجنبية الخاصة للخارج. ان هذه الاستثمارات تعتمد في انسيابها للدول النامية على معدلات الربح والمناخ العام للاستثمارات الاجنبية السائدة في المجتمع. وتشير كثير من الدراسات الى ان ارباح هذه الاستثمارات عالية جدا في الدول النامية، وبشكل خاص الاستثمارات المتصلة بعمليات استخراج وانتاج المواد المتجمعة (كالبترول والمعادن). وفي الدراسة التي نشرتها منظمة التجاره والتنمية التابعة للامم المتحده (نيسان، ١٩٧٢)، نجد ان الارباح التي حصلت عليها الاستثمارات الاجنبية الخاصة في ٨٠ دوله نامية قد قفزت من ٣.٥ مليار دولار عام ١٩٦٥ الى حوالى ٥.٣ مليار عام ١٩٦٩.

كما هو الحال في الجدول التالي: [٣٠]

الارباح التي استنزفتها الاستثمارات الاجنبية الخاصة من المناطق المختلفة خلال الفترة ما بين ٦٥-١٩٦٩ (٣١)

(مليون دولار)

المناطق	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
١ - افريقيا (+)	٥٠٥	٦٦٥	٦١٤	٨٧٠	٨٧٠
٢ - اسيا (++)	٢٦٨	٢٤٨	٢٩٩	٢٨٤	٣٦٠
٣ - الشرق الاوسط (+++)	١٢٣٤	١٤٦٥	١٥٢٥	١٧٩٧	١٩٦٠
٤ - امريكا اللاتينية (×)	١٤٤٢	١٦٥٩	١٧٨٤	١٩٨٤	٢٠٩٠
٥ - اجمالي (١+٢+٣+٤)	٣٤٤٩	٤٠٤٧	٤٢٢٢	٤٩٣٥	٥٢٨٠
٦ - الاجمال بما فيه جنوب اوروبا (+×)	٣٤٨٩	٤٠٩٥	٤٢٨٦	٥٠٠٦	٥٣٨٠
٧ - الدول المصدرة للبترول	٣٣٢٦	٢٦٤١	٢٦٧٠	٣٢١٣	٣٣٥٠
٨ - الدول غير المصدرة للبترول	١١٦٣	١٤٥٤	١٦١٦	١٧٩٢	٢٠٣٠

+ تشمل: مصر، اثيوبيا، غانا، ساحل العاج، كينيا، ليبيا، مللاوى، مالي، مرويشيوس، المغرب، نيجيريا، سراليون، الصومال، السودان، تنزانيا المتحدة، توجو، تونس، اوغنده، زائير، زامبيا.

++ تشمل: بورما، سيلان، الهند، اندونيسيا، كوريا الجنوبية، ماليزيا، باكستان، الفلبين، سنغافورة، تايلاند، جمهورية فيتنام الجنوبية.

+++ تشمل: قبرص، ايران، العراق، اسرائيل، الاردن، العربية السعودية، سوريا.

× تشمل: الارجنتين، بوليفيا، البرازيل، شيلي، كولومبيا، كوستاريكا، الدمنيكان، اكوادور، السلفادور، جواتيمالا، جوايانا، هايتي، هندوراس، جامايكا، المكسيك، نيكاراجوا، بنما، بارجواى، بيرو، سورنيام، ترنداد وتوباجو، اوراجواى، فنزويلا.

+× تشمل: اليونان مالطا، اسبانيا، تركيا، يوغسلافيا.

من الجدول السابق نلاحظ ان متوسط معدل الزيادة السنوي لنزوح الارباح للخارج بالنسبة لهذه الدول خلال هذه الفترة حوالى ٥ . ١٠٪. وتمثل الارباح المتحققة في الدول البترولية حوالى ٦٧٪ من مجموع الرباح الكلية.

ويلاحظ ان اعلى نسب الارباح تتحقق في دول امريكا اللاتينية حيث وصلت الارباح المتحققة فيها الى ٤٠٪ من جملة الارباح التي استنزفت من الدول النامية، يليها في ذلك منطقة الشرق الاوسط ٣٦٪، ثم يليها الدول الاسيوية والافريقية.

ولا يخفى ان هذه الارباح الضخمة التي تحققها الاستثمارات الاجنبية الخاصة تستنزف قدرا كبيرا من الموارد الوطنية والمتاحة، وتؤثر سلبيا على النمو الاقتصادي في الدول النامية. كما ان تزايد هذه الارباح وتحويلها للخارج يشكل خطرا حقيقيا على مستقبل التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي لشعوب هذه الدول.

وقد ساعد على تزايد هذه الارباح المحولة للخارج قوانين تشجع الاستثمار الاجنبي وما منحته من اعفاءات ضريبية وضمانات خاصة، واشتراط كثير من الشركات الاجنبية ضرورة استعادة راسمالها خلال فترة لا تزيد عن ٣-٥ سنوات. ويوضح الجدول التالي ثقل عبء تصدير الرباح للخارج من ٨٠ دوله نامية خلال الفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٩.

نسبة ما استنزفته تحويلات الارباح للخارج من حصيلة الصادرات من السلع والخدمات في المناطق المختلفة خلال الفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٩*

المناطق	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
اجمالي جميع المناطق	٨.٨	٩.٤	٩.٥	١٠.١	٩.٦
افريقيا	٧.٨	٩.٢	٨.٥	١٠.٥	٨.٩
اسيا	٢.٨	٢.٤	٢.٧	٢.٣	٢.٧
الشرق الاوسط	٢٥.٩	٢٧.٠	٢٦.٥	٢٦.٩	٢٦.٨
امريكا اللاتينية	١٠.٩	١١.٧	١٢.٤	١٢.٨	١٢.٢
جنوب اوروبا	٠.٧	٠.٨	١.٠	١.٠	١.٢
الدول المصدرة للبترول	٢٧.٢	٢٨.٩	٢٧.٨	٢٩.٣	٢٧.٧
الدول غير المصدرة للبترول	٣.٨	٤.٨	٤.٥	٤.٦	٤.٦

+ انظر الدول التي تشملها هذه المناطق في هامش الجدول السابق

المصدر: نفس المرجع السابق ص ٣٦٨

ويوضح الجدول السابق ان عبء تصدير الارباح Profits out flow ratio بالنسبة لجميع الدول النامية قد ازداد من ٨.٨ عام ١٩٦٥ الى ٩.٦٪ عام ١٩٦٩. كما ان

الدول التي تتحمل اكبر عبء هي الدول المنتجة للنفط حيث تصل هذه النسبة الى ٢٨٪ من اجمالي حصيلة الصادرات من السلع والخدمات. كما ان هذا الجدول يوضح اتجاها واضحا لزيادة عبء تصدير الارباح الى الخارج.[٣٢]

وخلاصة القول ان الدول النامية هي التي تساعد الدول الراسمالية المتقدمة، وان الموارد الحقيقية انما تنتقل فعلا، عبر الزمن، من الدول النامية الى الدول المتقدمة الراسمالية. وليس العكس. وهذا دون شك سوف يؤدي الى نتائج وخيمة تهدد التنمية الاقتصادية والاجتماعية لشعوب الدول النامية.

ويوضح ذلك الجدول التالي للحركة الصافية لانتقال الموارد الاجنبية الخاصة في عدد من الدول النامية في عام ١٩٧٠ - ١٩٧١ [٣٣]

الحركة الصافية لانتقال الموارد الاجنبية الخاصة في عدد من الدول المختلفة في عام ١٩٧٠-١٩٧١

الدولــــة	(بملايين وحدات حقوق السحب الخاصة)			
	صافي الاستثمارات الاجنبية الخاصة والقروض من المؤسسات الخاصة		الدخول التي حصلت عليها الاستثمارات والموارد الاجنبية الخاصة	
	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٠	١٩٧١
الارجنتين	٧٤	٦٦	١٧١-	٢١٠-
بوليفيا	٢٠	٢٩	٢٦-	٢٦-
البرازيل	٢٤٣	٧٦١	٤٠٢-	٤٦٥-
بورما	-	-	٧-	٩-
كولومبيا	١٣٣	١٠٤	١٩٩-	١٩٨-
كوستاريكا	٤٣	٣٨	١٥-	٢٠-
اليمن الديمقراطيه	-	-	٢٩-	٩-

تابع للجدول السابق

جمهورية الدومنيكان	٧٩	٧٧	٢٧-	٣٠-
اكوادور	٩٦	١٦٩	٣٤-	٣٦-
السلفادور	٢	٤	١٢-	١٣-
اثيوبيا	٩	٨	١٤-	١٦-
غانا	٢١	٢٧	٤٣-	٤٥-
جواتيمالا	٤٣	٤٠	٣٧-	٤٢-
هايتي	-	٢-	-	٤-
هندوراس	٢١	٨	٢٥-	٢٤-
الهند	٢٣-	٣٥-	٣٦٢-	٣٥٠-
ايران	٤٠	٩٩	٩.٥٠.	١،٣٢٤-
اسرائيل	٩٧	٣١١	١٨٣	٢٣١
جامايكا	١٦٥	١٩٨	١١٤-	١١٧
الاردن	٢-	١-	٢-	٣-
كينيا	٥٩	٩٢	٨٠-	٨٩-
ماليزيا	٥٣	٥٥	١٤٩-	١٦٠-
موريشيوس	١	٦	٢-	٣-
المكسيك	٤٥٣	٦٢٤	٧٥٥-	٨٣٠-
المغرب	٢٠	٢٣	٥٦	٦١-
نيكاراجوا	٣٢	٢٥	٣٣-	٢٣-
نيجيريا	١٢-	٣٥٦	١٦٦-	٤٦٥-
الباكستان	٢٠٥	١٥٢	١٢٠-	٧٦-
بنمــــا	٣٩	٢٥	٤٠-	٥٥-
باراجواى	١٢	١٥	١٠-	١١-
بيـــرو	٧٨-	٥	١٥١-	١١٥-
الفلبين	١٤٠	٣٧-	١٤٠-	١١٢-
جمهورية كوريا الجنوبية	٣٢٦	٢٨٥	٧٥-	١١٩-

تابع للجدول السابق

"فيتنام الجنوبية"	-١	٢	-٢	-١٩
السعودية	١٠٤	-١٢٤	-٨٩٥	-١،٤٢٣
سيراليون	١٥	٨	-١١	-١٠
سنغافورة	١١٩	١٢٧	-١٧	-٢٧
الصومال	٤	٣	-١	-١
سيرلانكا	-	-١	-٣٦	-٢٥
السودان	-	-١	-٢٦	-٢٥
تايلاند	٩٤	٦٣	-٦٠	-٦٧
ترنداد وتوباجو	٧٥	٨٠	-٨٢	-٦٧
تونس	٢٩	٥١	-٢٩	٢٤٠
اوغندا	-٣٥	-٦	-١٨	-٢٤
تنزانيا المتحدة	١٠	١٦	-١٤	-١٢
اورجواى	٢٣	٢٠	-٣٢	-٢٢
فنزويلا	-٣٩	-١٠	-٦٠٣	-٧٤٠
ساموا الغربية	١	٢	-	-
الاجمالي ١-٤٨	٣،٨١٠	٣،٧٠٤	-٦،١٩٧	-٧،٧٧٧
الدول المصدرة للبترول	١٦٨	٤٩٢	-٢،٦٥١	-٤،٠٢٩
دول اخرى	٢،٦٤٢	٢،٢٠٨	-٣،٥٤٦	-٣،٤٨

المصدر: د. رمزي زكي، مرجع سابق، ٣٧٢ - ٣٧٣

٢ - اضعاف القدره على الاستيراد

تعتمد طاقة الاقتصاد الوطني على الاستيراد، على مجموعة من المتغيرات والعوامل يمكن وضعها في المعادله التالية:

$$Ci = \frac{(Xe + F) - D + P}{Pi}$$

حيث

Ci	=	طاقة الاقتصاد الوطني على الاستيراد
Xe	=	حصيلة الصادرات من السلع والخدمات
F	=	مقدار انسياب رؤوس الاموال الاجنبية
D	=	مبالغ خدمة الديون الخارجية
P	=	تحويلات ارباح ودخول وعوائد الاستثمارات الاجنبية الخاصة المباشرة.
Pi	=	سعر الوحدة من المستوردات

ومن هذه المعادلة المبسطة، نلاحظ ان طاقة الاقتصاد الوطني على الاستيراد تزداد بزيادة حصيلة الصادرات، وتدفق رؤوس الاموال الاجنبية الى الدول، ونقص مبالغ خدمة الديون الخارجية، ونقص ارباح وعوائد الاستثمارات الاجنبية، وانخفاض اسعار المستوردات.

وتواجه الدول النامية تقنيات كبيرة في حصيلة صادراتها، وتزايداً في عبء الديون الخارجية، وتحويلات متزايدة لارباح الاستثمارات الاجنبية وتزايد اسعار المستوردات للدول النامية، كل ذلك يؤدي الى اضعاف قدرة هذه الدول على الاستيراد. [٣٤]

٣ - اثر تزايد الديون الخارجية على معدل الادخار المحلي

ظهر العديد من الدراسات التي قامت بتوضيح اثر الديون الخارجية علي معدل الادخار المحلي، وساقتصر الحديث هنا على جانب واحد فقط وهو راس المال الاجنبي على معدل الادخار الحكومي.

حاول انيسور رحمان Anisur Rahman في احدى دراساته ان يثبت ان تدفق رؤوس الاموال الاجنبية قد أدى الى استرخاء في الادخار الحكومي. ولاثبات ذلك قام بدراسة علاقة الارتباط القائمة بين الميل المتوسط للادخار APS لواحد وثلاثين دولة وبين التدفق الصافي لراس المال الاجنبي F منسوبا الى اجمالي الناتج المحلي طبقا للصيغة التالية:

$$\frac{S}{yg} = \alpha_0 + \alpha_1 \frac{F}{yg}$$

وقد تبين من الدراسة ان a_i = -٢,٥ اعتبار ان t = ٢,٦ فقد توصل الى ان راس المال الاجنبي قد ادى الى اضعاف الادخار الحكومي.

وقد حاول الاقتصادي جيوبتا K. L. Gupta ان يختبر ما توصل اليه رحمان، فاخد خمسين دولة نامية واختبر النتائج التي حصل عليها، وتبين له ان معامل انحدار الدالة = ٠٣. ، ولكنه غير معنوي. وتوصل الي عدم وجود علاقة بين معدل الادخار المحلي ومعدل التدفق الصافي لراس المال الاجنبي منسوبا الى اجمالي الناتج المحلي.(٣٥)

اما الاقتصادي لنداو L. Landau فقد درس نفس العلاقة السابقة في دول امريكا اللاتينية، وتوصل الى ان راس المال الاجنبي قد ساهم في تخفيض معدلات الادخار المحلية في كثير من دول امريكا اللاتينية.(٣٦)

٤ – تزايد العجز في ميزان المدفوعات:

تعاني مجموعة الدول النامية منذ فترة طويلة، من وجود عجز مزمن في موازين مدفوعاتها، وبالرغم من وجود عدة عوامل مسؤولة عن هذا العجز، الا ان احد هذه العوامل وتفاقم المديونية الخارجية، وتزايد اعباء هذه الديون.

ان استمرار هذه الظاهرة سيؤثر عكسيا على التنمية الاقتصادية والاجتماعية في

الامد الطويل لهذه الدول، باعتبار ان هذا العجز يشكل نزيفا مستمرا في امكانات الدول النامية وقدراتها المادية مما يؤدي الى عجز هذه الدول عن تحقيق معدلات النمو المنشود، والى استمرار زيادة الفجوة في النمو الاقتصادي بين الدول النامية والدول الصناعية وإلى زيادة معاناة هذه الدول من حيث العمالة وانتاج السلع والخدمات والاعتماد على النفس وتحقيق الرفاه لشعوبها.

٥ - ارتفاع معدل التضخم:

تعتبر زيادة معدلات التضخم في الدول النامية من اهم النتائج التي تمخضت عن تزايد الديون الخارجية واعبائها؛ فالقروض الخارجية اذا انفقت على الاستثمارات المحلية لا تعطي انتاجا سريعا وتؤدي الى زيادة القوة الشرائية وبالتالي الى ارتفاع معدلات الاسعار خاصة اذا كان جهاز الانتاج يتميز بعدم المرونة. كما تزداد حدة التضخم اذا كانت الاستثمارات موجهة الى انشاء البنية التحتية كالطرق والموانىء والمطارات والسكك الحديدية.... الخ.

وتبدأ حدة الضغوط التضخيمية الناشئة عن الاستثمار في الانحسار عندما تبدأ المشروعات الجديدة بعرض منتجاتها في السوق، الا ان ضرورة زيادة التصدير لمواجهة اعباء الديون الخارجية تودى الى نقص عرض السلع والخدمات، مما يؤدي الى استمرار التضخم في هذه الدول. كما ان ارتفاع معدل التضخم في الدول النامية سوف يؤدي الى اضعاف قدرة هذه الدول على مواجهة اعباء ديونها الخارجية، كما انه يوجد لها صعوبات اقتصادية واجتماعية وسياسية غير مرغوبة.

رابعا: ديون الدول الاسلامية الخارجية:

من الاستعراض السريع لجداول الديون الخارجية للدول الاسلامية نلاحظ:

أ- ان مجموع الديون الخارجية لاربعة وثلاثين دولة اسلامية هي ١٤٤١٨٦.٦ مليون دولار وذلك عام ١٩٨٣ في الوقت الذي كانت ٨١٧٣٨.٣ مليون دولار عام ١٩٧٨.

ب- ان الديون الخارجية تتزايد باستمرار مع الزمن لجميع الدول الاسلامية قيد الدراسة، كما ان نصيب الفرد من هذه الديون يتزايد لدى جميع الدول الاسلامية باستثناء الجزائر وتشاد، وهذا يدل على ان الديون الخارجية تتزايد بسرعة اكبر من زيادة عدد السكان، وبذلك يزداد نصيب الفرد من هذه الديون.

جـ- ان اكبر الدول الاسلامية مديونية. مرتبة ترتيبا تنازليا- هي على التوالي اندونيسيا، مصر، وتركيا، نيجيريا، وماليزيا، باكستان، المغرب، وتبلغ مديونية هذه الدول عام ١٩٨٣ على التوالي، ٢١٧٦٨.٨، ١٥٥٣٠، ١٥٣٩٦، ١٢٩١٥.٦، ١١٧٥٧.٢، ١٠٦٦٥.٢، ٩٤٦٥.٦، ٩٤٤٥٣.٣ مليون دولار.

د- كما ان اعلى الدول في معدلات نصيب الفرد من الديون الخارجية عام ١٩٨٣ هي: عُمان، وماليزيا، وموريتانيا، والجابون، والجزائر، والاردن، واليمن الجنوبية، وساحل العاج، حيث تمثل مديونية الفرد مرتبة ترتيبا تنازليا على النحو التالي: ٩٩٥.٦، ٧١٧.٧، ١٥٧.٩، ٦٤٥، ٦٣٠، ٥٩٧، ٨٥٤.٦، ٥١٢.٨ دولار على التوالي كما هو موضحا بالجدول التالي:

هنا جدول

الديون الخارجية ونصيب الفرد منها في ٣٣ دولة اسلامية

الدولة	الديون الخارجية (بالمليون دولار)						نصيب الفرد من الديون الخارجية بالدولار					
	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣
بنجلادش	٢٧٦٦.٦	٢٨٤٤.٥	٣٥٢١.٢	٣٨٥١.٩	٤٢٩٤.٩	٤١٨٤.٥	٣٢.٦	٣٢.٨	٣٩.٧	٤٢.٦	٤٦.٤	٤٤.٢
اندونيسيا	١٣١٥٣.٤	١٣٢٧٧.٨	١٤٩٧١.٤	١٥٩٥٠.٤	١٨٦١٧.٩	٢١٧٦٨.٨	٩٠.٧	٨٩.٧	٩٩.٢	١٠٣.٧	١١٨.٨	١٣٦.٥
الاردن	٨٤١.١	١٠٤٨.٢	١٢٦٥.٠	١٤٧٩.٢	١٦٨٥.٣	١٩٤٠.١	٣٠٣.٦	٣٦٩.١	٤٣٣.٢	٤٨٩.٨	٥٣٨.٤	٥٩٧.٠
لبنان	٤٧.٧	٩٣.٣	١٨٤.٥	٢٣٢.٠	١٩٨.٧	١٨١.٦	١٧.٥	٣٤.٦	٦٩.١	٨٧.٥	٧٥.٣	٦٨.٨
ماليزيا	٢٥١٩.٦	٢٨٩٨.٣	٣٨٧٧.٣	٥٦٠٦.٩	٨٠٧٠.٦	١٠٦٦٥.٢	١٩٥.٢	٢١٣.٩	٢٧٩.٥	٣٨٤.٩	٥٥٥.٤	٧١٧.٧
مالديف	٣.٩	٦.٨	٢٤.٨	٣٦.٩	٤٢.١	٤٦.٥	٢٦.٠	٤٥.٣	١٦٥.٣	٢٣٠.٦	٢٦٣.١	٢٧٣.٥
عمان	٥٥٤.١	٦٠٣.١	٤٥٠.٥	٥٤٣.١	٧٢٩.٧	١١٢٥.٠	٦٢٩.٧	٦٤٨.٥	٤٥٩.٧	٥٢٧.٣	٦٧٥.٦	٩٩٥.٦
باكستان	٧٥٨٣.٠	٧٩٩٩.١	٨٧٨٠.٠	٨٨١٢.٠	٩١٦٤.٢	٩٤٦٥.٦	٩٧.٩	١٠٠.٣	١٠٦.٩	١٠٤.٢	١٠٥.٢	١٠٥.٥
سوريا	١٩٧٨.٨	٢٢٨٦.١	٢٤٠٥.٦	٢٥١٢.٣	٢٦١٦.١	٢٦٦٠.٨	٢٣٧.٦	٢٦٤.٣	٢٦٧.٩	٢٦٩.٨	٢٨١.٣	٢٧٦.٩
تركيا	٦٤٦٧.٤	١١١١٣.٠	١٥٢٢٨.٠	١٥٥١٨.٨	١٥٩٢٩.٥	١٥٣٩٦.٣	١٥١.٧	٢٥٥.٣	٣٣٩.٠	٣٤٢.٠	٣٤٤.٠	٣٢٥.٦
اليمن الشمالي	٤٦٩.٨	٤٨٩.٠	٨٩٩.٧	١١١٦.٧	١٣١١.٩	١٥٧٣.٩	٨٤.٠	٨٥.٨	١٥٤.٦	١٨٧.٧	٢١٥.٤	٢٥٣.٦
اليمن الجنوبي	٣٣٠.٠	٤٠٣.٢	٤٩٩.٣	٧٦٥.٥	٩٩٤.٦	١٢٦٢.٨	١٧٨.٤	٢١١.١	٢٥٣.٥	٣٧٧.١	٤٧٥.٩	٥٨٤.٦
الجزائر	١٣٤٢٦.٨	١٦١٢٧.٥	٦٣٣٤.٠	١٥٣٥٩.١	١٣٨٩٧.٥	١٢٩١٥.٦	٧٦١.٦	٨٩١.٠	٨٧٤.٩	٧٩٧.٩	٦٩٩.٨	٦٣٠.٠
تشاد	١٩٣.٣	٢١٥.٣	٢٠٢.١	١٧٦.٠	١٣٩.٦	١٣٨.٩	٤٤.٩	٤٩.٢	٤٥.١	٣٨.٤	٢٩.٨	٢٦.٩
مصر	٩٩٤٢.٩	١١٤٦١.٥	١٢٧٨٥.٥	١٤٢٧١.٢	١٥٤٦٨.٠	١٥٥٣٠.٨	٢٤٩.٧	٢٧٩.٧	٣٠٢.٣	٣٢٨.٣	٣٤٦.٣	١٣٨.٣
الجابون	١١٣٣٥.٤	١٥٥٥.٨	١٣٥٥.٦	١٠٤٢.٥	٨٦٩.٦	٧٢٨.٩	١٢٨٤.٠	١٤٦٧.٧	١٢٦٦.٩	٩٥٦.٤	٧٨٣.٤	٦٤٥.٠
غينيا	٩٢٠.٦	٩٨٧.٧	١٠١٩.٧	١٢٤٨.٩	١٢٣١.١	١٢١٥.٥	١٩٩.١	٢٠٩.٣	٢١١.١	٢٥٢.٨	٢٤٣.٣	٢٣٤.٧
غينيا بياو	٤٥.١	٥٩.٨	١٠٣.١	١١٠.٦	١٢٦.٥	١٣٨.٢	٦٠.٩	٧٦.٧	١٢٧.٣	١٣٣.٣	١٤٨.٨	١٦٠.٧
ساحل العاج	٢٨٤٣.٢	٣٧٠٦.٩	٤٢٨٨.٣	٤٣٧٠.٦	٤٨٨١.٠	٤٧٦٩.١	٣٧٣.٦	٣٤١.٨	٥١٩.٨	٥١١.٢	٥٥٠.٩	٥١٢.٨
مالي	٥٠٨.٩	٥١٠.٨	٦٦٧.٣	٧٢٨.٧	٨٠٤.٩	٨٨٠.٨	٧٦.٦	٧٥.٠	٩٥.٦	١٠١.٨	١٠٩.٧	١١٧.٠

هنا تابع الجدول

تابع للجدول السابق

الدولة	الديون الخارجية (بالمليون دولار)						نصيب الفرد من الديون الخارجية بالدولار					
	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣
موريتانيا	٥٩٣.٠	٦٣٠.٩	٧٣١.١	٨٤٧.٩	١٠٢٩.٣	١١٧١.١	٣٨٥.١	٣٩٦.٨	٤٤٨.٥	٥٠٤.٧	٥٩٥.٠	٦٥٧.٩
النيجر	١٩٧.٢	٢٦٢.٨	٣٩٨.٨	٦٠٤.٧	٦٠٠.٧	٦٢٩.٢	٣٩.٥	٥٠.٨	٧٥.١	١١٠.٨	١٠٧.١	١١٠.٢
نيجيريا	٢٣٤٧.٧	٣٢٦٧.٦	٤٢٧٥.٧	٥٨٩٨.٧	٨٤٨٨.١	١١٧٥٧.٢	٣١.٢	٤٢.٠	٥٣.١	٧٠.٨	٩٨.٥	١٣٣.١
السنغال	٦٠٧.٧	٦٩١.١	٨٩٥.٢	٩٦٤.٩	١١٣٠.٤	١٤٩٦.٢	١١٢.٥	١٢٤.٥	١٥٧.١	١٦٤.٤	١٨٧.٢	٢٣٦.٧
الصومال	٥٢٥.٤	٥٩٧.١	٧١٤.١	٩٧٢.١	١٠٧٨.٥	١١٤٩.١	١٣١.٧	١٣٨.٢	١٥٤.٩	١٩٩.٦	٢١١.٩	٢١٨.٠
السودان	٢٣٣٠.٠	٣٢٩٣.٤	٣٨٨٩.٥	٤٦٠١.٩	٥٢١٨.٤	٥٦٦٤.٥	١٣٢.٧	١٨١.٧	٢٠٨.٢	٢٣٩.٢	٢٦٣.٦	٢٧٨.٢
تونس	٢٤٥٦.٣	٣٠٢٣.٦	٣٢٢٩.٢	٣٢٨١.٧	٣٤٧١.٦	٣٤٢٧.١	٤٠٤.٢	٤٨٦.١	٥٠٥.٤	٤٩٩.٥	٥١٥.٨	٤٩٧.٤
الكميرون	١١٣٥.٦	١٦٣٦.٣	١٩٩٦.٥	١٩٩٠.٣	١٨٩٥.٤	١٨٨٢.٩	١٣٩.٥	١٩٥.٩	٢٣٤.٩	٢٢٨.٢	٢١٢.٥	٢٠٥.٦
فولتا العليا	١٨٥.٧	٢٥٧.٦	٢٩٩.٨	٣٠٧.١	٣٤٧.٠	٣٩٨.٤	٣١.٣	٤٢.٦	٤٥.١	٤٩.١	٥٤.٦	٦٠.٣
افريقيا الوسطى	١٦٠.٠	١٠٨.٨	١٤٧.٥	١٩١.٧	٢١٢.٣	٢١٥.٠	٤٧.٧	٤٧.٧	٦٣.٣	٨١.٩	٨٨.٥	٨٧.٨
جيبوتي	٢١.٠	٢٠.٥	٢٥.٨	١٩.٩	٤٠.١	٣٩.٢	٧٧.٨	٧٠.٧	٨٣.٢	٦٢.٣	١١٧.٩	١١٨.٨
جزر القمر	١٥٥.٧	٢٢٩.٧	٢٩٧.٣	٢٣١.٤	٣٦٥.٥	٣٣٢.٥	١٧٣.٠	٢٥٢.٤	٣١٩.٧	٣٥٢.٦	٣٨٤.٧	٣٤٦.٤
المغرب	٥١٤٤.٤	٦٢٠٣.٨	٧١٠٨.٧	٧٨٩٣.٣	٩٠٥٣.٧	٩٤٤٥.٣	٢٧٢.٠	٣١٨.٦	٣٥٤.٥	٣٨٦.٦	٤٢٣.٣	٤٢٧.٢
المجموع	٨١٧٣٨.٣	٩٧٩١٠.٩	١١٢٨٧٢.٠	١٢١٦٨٨.٩	١١٧٢٠٤.٧	١٤٤١٨٦.٦						

كما ان الدول الاسلامية تعاني من تدني معدلات النمو للناتج المحلي الاجمالي الحقيقي، واذا قارنا معدلات الزيادة في الديون الخارجية كما وردت في الجدول السابق مع معدلات النمو للدول الاسلامية، نجد ان جزءا كبيرا من هذا النمو في الناتج المحلي يجب ان يوجه لمواجهة هذه الزيادة في الديون الخارجية. وتزداد المشكلة تعقيدا عندما تكون معدلات النمو سالبة. ونلاحظ ان هناك ٢٠ دولة من اصل ٣٦ دولة اسلامية قد حققت معدلات نمو الناتج المحلي الاجمالي الحقيقي في سنة او اكثر من السنوات قيد الدراسه ١٩٧٧ - ١٩٨١ كما ان معدلات النمو للناتج المحلي الحقيقي للفرد كانت متدنية، وقد حققت ٢٤ دولة من الدول الاسلامية معدلات نمو سالبة في سنة او اكثر من السنوات قيد الدراسة.

والجدول التالي يوضح معدلات النمو للناتج الإجمالي الحقيقي والناتج المحلي الحقيقي الفردي.

هنا جدول

معدلات النمو للناتج الاجمالي الحقيقي والناتج المحلي الحقيقي الفردي

	معدلات النمو للناتج المحلي الاجمالي الحقيقي Real GDP Growth Rates						معدلات النمو للناتج المحلي الفردي الحقيقي Per Capita Real GDP Growth Rates				
الدولة	٧٦-٧٧	٧٧-٧٨	٧٨-٧٩	٧٩-٨٠	٨٠-٨١	٨١-٨٢	٧٦-٧٧	٧٧-٧٨	٧٨-٧٩	٧٩-٨٠	٨٠-٨١
افغانستان	٥.٠-	٧.٣	٢.٥-	٣.٤-	-		٧.٥	٤.٥	٥.١-	٦.٠	-
بنجلادش	٧.٨	٦.٨	٤.٦-	٦.٥	٣.٤		٥.٣	٤.٤	٦.٧-	٤.١	١.١
اندونيسيا	٨.٨	٦.٩-	٥.٣	٩.٦	٧.٦		٦.٢	٤.٥	٢.٩	٧.٢	٥.٢
ايران	٢.١	٣.٨-	٦.٤-	-	-		٥.٠-	٦.٧-	٩.٣-	-	-
العراق	٧.٤	٨.٠	١٤.٠	-	-		٣.٨	٤.٣	١٠.١	-	-
الاردن	٥.٠	٥.٠	٥.٩	٧.١	٦.١		١.٦	١.٦	٢.٤	٣.٦	٢.٦
ماليزيا	٧.٨	٦.٧	٩.٣	٨.٠	٦.٥		٥.٠	٣.٩	٦.٥	٥.٣	٣.٨
باكستان	٧.٩	٣.٩	٨.٤	٥.٨	٦.٧		٤.٥	٠.٦	٥.٠	٢.٤	٣.٣
السعودية	١٥.١	٥.٥	٨.٨	-	-		١١.٦	٢.٤	٥.٥	-	-
سوريا	٢.٥-	٨.٧	٥.٣	٩.٧	٣.٥		٥.٦-	٥.٣	٢.٠	٦.٢-	٠.٢
تركيا	٤.٣	٢.٨	٠.٩-	٠.٨-	٤.١		١.٨	٠.٣	٣.٣-	٣.٢-	١.٦
اليمن الشمالية	٥.١	٨.٣	٦.٥	٥.٧	-		٢.٨	٥.٨	٤.٠	٣.٢	-
اليمن الجنوبية	٤.٠	٣.٣	٤.٠	٣.٩	-		١.٣	٠.٥	١.٢	١.٠	-
الجزائر	١٠.٩	٥.٨	٧.٢	٦.٥	٤.٥		٧.٢	٢.٣	٣.٦	٢.٩	٠.٩
تشاد	٢.٤	٣.٧-	٤.٨-	٧.٤-	٧.٣-		٠.٠	٥.٩-	٧.١-	٩.٦-	٩.٥-
مصر	٨.٥	٨.٩	٨.٨	٨.٨	٦.١		٥.٧	٦.٠	٦.٠	٦.١	٣.٥

هنا تابع الجدول

تابع للجدول السابق

الدولة	معدلات النمو للناتج المحلي الاجمالي الحقيقي Real GDP Growth Rates						معدلات النمو للناتج المحلي الفردي الحقيقي Per Capita Real GDP Growth Rates				
	٧٦-٧٧	٧٧-٧٨	٧٨-٧٩	٧٩-٨٠	٨٠-٨١	٨١-٨٢	٧٦-٧٧	٧٧-٧٨	٧٨-٧٩	٧٩-٨٠	٨٠-٨١
الجابون	-١٤,٤	-١٣,٧	-٣,٥	٥,٢	٣,٧		-١٥,٤	-١٤,٧	-٤,٦	٣,٨	٢,٤
غينيا	-٢,٩	٥,٦	٠,٠	٥,٦	٣,٣		-٥,٣	٢,٩	-٢,٥	٢,٩	٠,٧
غينيا بياو	-٤,٦	٤,٥	٢,٣	-٤,٣	٢,٨		٦,٢	٢,٦	٠,٤	-٦,٠	٠,٩
ساحل العاج	٤,٧	٩,٩	٥,٣	٣,٤	١,٤		١,٠	٦,٣	١,٩	٠,١	-١,٨
ليبيا	٨,١	١,٧	٦,٩	٥,٠	١,٨		٣,٨	-٢,٤	٢,٦	٠,٩	-٢,١
مالي	-٠,٤	٥,٨	٤,٠	-٢,٠	٤,٤		-٢,٠	٢,٩	١,٢	-٤,٧	١,٥
موريتانيا	-٣,٤	-٥,٦	٣,٢	٣,٩	٣,٩		-٦,٠	-٨,٢	٠,٤	١,٠	٠,٩
المغرب	٥,٩	٢,٤	٤,٠	٢,٣	١,٢		٢,٦	-٠,٩	٠,٧	-١,٠	-٢,١
النيجر	٦,٥	١٠,٠	٤,٩	٥,١	١,٤		٣,٥	٦,٨	١,٩	٢,٠	-١,٦
نيجيريا	٨,٥	١١,٠	١٢,٦	٦,٣	-٥,٦		٥,١	٧,٥	٨,٥	٢,٧	-٨,٤
السنغال	٠,٧	-١٣,٢	٧,٥	-٥,٦	٥,٨		-١,٩	-١٥,٣	٤,٨	-٨,٠	٣,١
الصومال	٢,٩	٢,٧	٤,٦	-٠,٦	١,٠		٠,٠	-٠,١	١,٦	-٣,٥	-١,٩
السودان	٢١,٦	-٢٠,٤	٣,٠	٣,٢	٤,٥		١٨,٣	-٢٢,٥	٠,٢	٠,٤	١,٦
تونس	٤,١	٨,٩	٥,٨	٦,٨	٦,٥		١,٦	٦,١	٣,١	٤,٠	٣,٩
الكمرون	٤,٩	٥,٥	٦,٠	٣,٢	٥,٦		٢,٥	٣,٢	٣,٥	٠,٨	٣,١
فولتا العليا	-٣,٤	٣,٠	٥,٢	٢,٠	٧,٠		-٥,٨	٠,٤	٢,٤	-٠,٧	٤,٢
اوغندا	١,٦	-٤,٠	-٢,٠	-٢,٠	٠,٤		-١,٤	-٦,٩	-٥,٠	-٥,٠	-٢,٧
افريقيا الوسطى	٧,٤	٠,٥	-١,٦	-٢,٩	-٥,٣		٥,١	-١,٧	-٣,٨	-٥,٢	-٧,٥
جيبوتي	-١٢,١	-٥,٩	٣,٤	٢,٥	٤,٤		-١٤,٤	-٧,٦	٠,٧	٠,٩	١,٨
جزر القمر	٥,٥	٣,٤	٦,٣	-٥,٩	٨,٢		٣,٤	١,٥	٤,٢	-٧,٧	٦,٢

ان الفوائد التي تدفعها الدول الاسلامية عاليه جدا حيث بلغت هذه الفوائد على ديون ٣٣ دولة اسلامية حوالى ٧٨٤٨ مليون دولار عام ١٩٨٣ بينما كانت حوالى ٢٩٧٩ مليون دولار عام ١٩٧٨

كما ان مجموع مبالغ خدمة الدين الخارجي قد بلغت ٥ . ٢٠٥٢ مليون دولار عام ١٩٨٣ بينما كانت ٨٨٩٩ مليون دولار عام ١٩٧٨

من الاستعراض السريع للفوائد التي تدفعها بعض هذه الدول نلاحظ ان اكثر هذه الدول دفعا للفوائد عام ١٩٨٣ مرتبة ترتيبا تنازليا هي اندونيسيا، والجزائر، وتركيا، ونيجيريا، وماليزيا حيث كانت المبالغ التي دفعتها عام ١٩٨٣ هي ٤ . ١٢٧٥، ٨ . ١١٩٤، ٤ . ١١١٩، ١ . ٩٧٤، ٤ . ٦٦٨ مليون دولار.

اما عبء هذه الديون (الفوائد + الاقساط المستحقة) فان اكثر الدول الاسلامية تحملا لعبء الديون والتي تتجاوز هذا العبء المليار دولار فهي: الجزائر، اندونيسيا، ومصر، وتركيا، ونيجيريا والمغرب. ويبلغ عبء ديون هذه الدول كما يلي: ١ . ٤٩٤٥، ٩ . ٢٥٥٤، ٩ . ٢٤٦٥، ٤ . ٢٣٤٤، ٥ . ٢٠٤٠ و ١ . ١١٢٠ مليار دولار على التوالي.

الجدول التالي يوضح الفوائد التي تدفعها ٣٣ دولة اسلامية وخدمة ديونها خلال الفترة ١٩٧٨ - ٨٣

الفوائد المدفوعة على الديون الخارجية واجمالي خدمة الدين الخارجي للدول الاسلامية (بالمليون دولار)

الدولة	الفوائد المدفوعه على الديون الخارجية (بالمليون دولار)						اجمالي خدمة الدين الخارجي (بالمليون دولار)					
	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣
بنجلادش	٤١.٦	٤١.٤	٣٥.٧	٤٦.٥	٤٨.٢	٦٣.٣	٩٤.٢	٨٤.٠	٧٥.٥	٩٧.٥	١١١.٢	١٤٣.٠
اندونيسيا	٥١٣.٨	٧٧٠.٩	٨٢٣.١	٩٩٤.٤	١١٤٥.٢	١٢٧٥.٤	٢٠٦٢.١	٢٠٩٩.٦	١٧٥٨.٥	٢٠٧٣.٨	٢٢٥٠.٩	٢٥٥٤.٩
الاردن	٢٤.٤	٣٩.٥	٥٧.٧	٦٦.٣	٦٠.٨	٨٨.٠	٥٧.٨	٩٦.٠	١٣٣.٥	٢٠١.٣	١٩٢.٨	٢١٢.٧
لبنان	١.٦	٣.١	٥.٠	١٢.٠	١٧.٨	١٥.٢	٧.٥	٩.٠	١١.٩	٤٨.٨	٥٨.٧	٤٩.٩
ماليزيا	١٤٤.٥	١٧٦.٩	٢٤٨.٧	٣٤٨.٥	٥٣٧.١	٦٦٨.٧	٨٤٢.٤	٥٥٥.٩	٢٧٦.٢	٤٩٣.٧	٣٩٣.٧	٩٥٤.٣
مالديف	٠.٠	٠.١	٠.٣	٠.٥	٠.٨	١.٦	٠.٠	٠.١	٠.٣	٠.٧	١.٦	٤.٣
عمان	٢٠.٢	٢٣.٣	٤٠.٢	٣٤.٤	٣٣.٦	٥٢.٥	١٤٠.٧	٢٠٨.٨	١٩٧.٠	١٢٠.٣	١١٧.٧	١٤٣.١
باكستان	١٧٩.٢	٢١٣.٢	٢٤٧.١	١٩٨.٨	٢١٢.٨	٢٧٥.٦	٣٨٣.٦	٥١١.٢	٥٩٢.٤	٥٣٣.٣	٥٣٧.٤	٨٣١.٢
سوريا	٨٣.١	٩٧.٨	١٠٢.٢	٩٧.٧	٩١.٦	١٠٢.٠	٢٥٨.٠	٣٥٠.٣	٣٧٣.٥	٣٦٢.٣	٣٧٢.٧	٣٩٦.٤
تركيا	١٦٦.٥	٢٢٧.٣	٦١٢.٩	٧٩١.٥	٩١٧.٦	١١١٩.٤	٤٣٣.٩	٦٢٩.٩	١٠١٩.٣	١٣١٥.٠	١٧٥٣.٣	٢٣٤٤.٤
اليمن الشمالي	٣.٨	٤.٥	٥.٥	٩.٩	١٠.٤	١٣.٢	١٠.٠	١٢.٥	٢١.٤	٦٣.٣	٥٤.٩	٤٢.١
اليمن الجنوبي	١.٠	٢.٣	٦.٦	٥.٣	٨.٤	١٤.٢	١.٨	٦.٧	١٣.٩	٣٧.٤	٣٥.٤	٤٥.٧
الجزائر	٥٩٤.٢	١٢٣٤.٣	١٣٩٥.٦	١٣٠٩.٤	١٣٦٨.٢	١١٩٤.٨	١٤٨٨.٥	٢٧٩١.٦	٣٨٤٩.٠	٣٨١٧.٦	٤٢٦١.٠	٤٩٤٥.١
تشاد	٠.٧	٠.٢	٠.١	٠.٠	٠.٣	٠.٢	٣.٩	٤.٩	٢.٤	٣.٢	٠.٢	٠.٦
مصر	٣٨٨.٧	٢٤١.٣	٣٠٦.٢	٥١٦.٥	٣٩٠.٨	٥١١.٢	١٢١٤.٧	١٠٥٣.٧	١٤١١.٤	١٩٠٤.٣	١٨٧٧.٨	٢٤٦٥.٩
الجابون	٧١.٨	١٠١.٧	١٢٣.١	٩٠.٦	٩٧.٠	٥.٨	٢٧٣.٧	٢٣٣.٣	٤٠٨.٨	٣١٧.٧	٢٨٨.٠	٢٠٩.٠
غينيا	١٦.٣	٢٤.٣	٢٣.٠	٢١.١	٢٤.٧	٢١.٧	٦٥.٣	٩٠.٠	٩٤.٩	٨٢.٦	٧٩.٣	٦٩.٨
غينيا بيساو	٠.٢	٠.٩	٠.٨	١.٠	٠.٩	٠.٢	١.٠	٢.١	٢.٩	٢.٣	٣.٠	١.٨
ساحل العاج	١٧٥.٧	٢٣٢.٢	٣٠٢.٢	٢٣٣.٣	٤٧٢.٠	٤٢٠.٦	٣٩٧.٩	٥٩٨.٢	٨٢٣.٢	٧٥٤.٩	٩٦١.٠	٨٠٦.٥

تابع للجدول السابق

الدولة	الفوائد المدفوعه على الديون الخارجية (بالمليون دولار)						اجمالي خدمة الدين الخارجي (بالمليون دولار)					
	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣
مالي	٣.٠	٣.١	٣.٣	٣.٥	٥.٥	٦.٤	٩.٠	٨.٩	٨.٦	٩.٤	٨.١	١٢.١
موريتانيا	٩.٦	١٥.٤	١٢.٨	١٨.٣	٢٣.٩	٢٢.٦	٢٦.٢	٨٦.٠	٣٠.٠	٥٤.٠	٣٩.٧	٣٦.٧
المغرب	٢٥٢.٩	٤١١.٦	٦١٣.٩	٦٣٤.٤	٥٨١.٥	٥٠٩.٦	٥٤٨.٥	٨٠٠.٨	١١٩٣.٠	١٢٩٥.٩	١٣٣٤.٠	١١٢٠.١
النيجر	٣.٨	٦.٨	١٦.١	٣٣.٨	٤٤.٥	٣٦.٢	٩.٣	١٣.١	٣٨.٩	٦٣.١	١١١.١	٧٢.٦
نيجيريا	٤٩.٥	١٨٠.٣	٤٤٥.٢	٥٤٢.٤	٧٧٠.١	٩٧٤.١	١٠٤.١	٢٣٧.٨	٥٤٧.١	٩٠٥.٠	١٤٢٧.٦	٢٠٤٠.٥
السنغال	٣٠.١	٤٣.٠	٥٤.٨	٤٠.٧	٣٠.٤	٣٠.٩	٩٦.١	١١٧.٦	١٧٢.٢	٨٦.١	٣٩.٦	٤٧.٥
الصومال	١.٣	١.٠	١.٩	٣.٦	١٠.٣	٩.٥	٤.٧	٤.١	٨.٩	٤٧.٠	٢٠.٤	٢٢.١
السودان	٤٧.٨	٤١.٦	٤٥.٢	٨٢.٧	١٩.٦	٧٠.٩	١٠١.٤	٧٢.٦	٩٥.٧	١٤٢.١	١١٨.٦	١٤٤.٤
تونس	٩٩.٠	١٦٢.٧	٢١٦.١	٢٠٥.٠	١٩٥.٨	١٩٤.٦	٢١٥.٤	٣١٥.٩	٤٣١.٠	٥١٧.٥	٤٨٥.٥	٥٩٨.١
الكمرون	٤٢.٤	٦١.٣	١٠٢.٥	١١٤.٩	١٢١.٠	١٠٦.٦	١٠٣.٧	١٣٢.٦	١٨٢.٢	٢٠٠.١	٢٦٤.٠	٢١٨.٦
فولتا العليا	٢.٦	٤.٥	٦.٣	٦.٢	٧.٦	٧.٤	٧.٢	٩.٢	١٧.٠	١٤.٧	١٦.٨	١٤.٠
افريقيا الوسطى	١.٤	٠.٤	٠.٥	١.٢	٢.٥	٦.٧	٣.٩	٠.٧	١.٦	٣.٥	٤.٧	١٧.٤
جيبوتي	٠.٨	٠.٩	٠.٩	١.٦	١.٠	١.١	١.٧	٠.١	٣.١	٣.٧	٣.٤	٤.٠
جزر القمر	٧.٦	١٣.٣	١٩.٨	٣٢.٩	٣٣.٥	٢٧.٤	١٠.٨	١٩.٧	٣٤.٥	٤٨.٩	٦٢.٤	٨٣.٧
المجموع	٢٩٧٩.١	٤٣٨٠.١	٥٨٧٥.٢	٥٧٠٦.٤	٦٣٦٧.٧	٧٨٤٧.٦	٨٨٩٩.٠	١٠٦٢٨.٩	١٣٨٢٢.٨	١٥٦٢١.٠	١٧٣٨٦.٥	٢٠٢٥٢.٥

اما نسبة الفوائد المدفوعة الى الناتج القومي الاجمالي، فانها تختلف بين الدول الاسلامية باختلاف القروض، واختلاف معدلات الفائدة على هذه القروض، واختلاف مدة القرض. وتختلف كذلك باختلاف الناتج القومي الاجمالي، وقد تصل النسبة الى ٩ .٦٪ كما هو الحال في ساحل العاج عام ١٩٨٣.

اما فيما يتعلق بنسبة الفوائد الى الصادرات فانها تصل الى ٤ .١٧٪ في المغرب، و ١٦٪ في ساحل العاج، ٥ .١٤٪ في تركيا، وذلك عام ١٩٨٣.

اما خدمة الدين الخارجي الى الناتج القومي الاجمالي فتصل الى ٢ .١٣٪ بالنسبة الى ساحل العاج ٧ .١٠٪ بالنسبة الى الجزائر وذلك عام ١٩٨٣.

اما نسبة خدمة الدين الخارجي الى الصادرات فانها تصل الى ٢ .٣٨٪ بالنسبة الى المغرب، و٣ .٣٦٪ الى الجزائر، و ٣٤٪ الى مصر و ٦ .٣٠٪ الى ساحل العاج، و ١ .٢٩٪ الى تركيا وذلك في عام ١٩٨٣.

والجدول التالي يوضح نسبة الفوائد على الدين الخارجي الى اجمالي الناتج القومي الاجمالي والصادرات، ونسبة خدمة الدين الخارجي الى الناتج القومي الاجمالي والصادرات الى ٢٢ دولة اسلامية.

نسبة الفوائد على الدين الخارجي الى GNP و الى الصادرات و نسبة خدمة الدين الخارجي الى GNP و الى الصادرات في ٢٢ دولة اسلامية

الدولة	نسبة الفوائد على الدين الخارجي %												نسبة خدمة الدين الخارجي %											
	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣
بنجلاديش	٠,٥	٠,٤	٠,٣	٠,٤	٠,٥	٠,٦	٦,١	٤,٩	٣,٣	٤,٥	٤,٧	٦,٥	١,١	٠,٩	٠,٧	٠,٩	١,١	١,٣	١٣,٨	٩,٨	٧,٠	٩,٤	١٠,٩	١٤,٧
اندونيسيا	١,٠	١,٦	٠,٢	١,٢	١,٣	١,٧	٤,٥	٥,٠	٣,٧	٤,٠	٥,٤	٦,٢	٤,٢	٤,٣	٢,٥	٢,٥	٢,٦	٣,٤	١٨,٢	١٣,٥	٧,٩	٨,٣	١٠,٦	١٢,٨
الاردن	١,١	١,٥	١,٧	١,٨	١,٥	٢,١	٢,٦	٣,٢	٣,٤	٣,٢	٢,٩	٤,٧	٢,٧	٣,٧	٤,٠	٥,٥	٤,٩	٥,٠	٦,٣	٧,٩	٧,٨	٩,٦	٩,٣	١١,٣
ماليزيا	٠,٩	٠,٩	١,١	١,٥	٢,١	٢,٤	١,٧	١,٤	١,٧	٢,٥	٣,٨	٤,٠	٥,٤	٢,٨	١,٦	٢,١	٣,١	٣,٥	١٠,٠	٤,٥	٢,٥	٣,٦	٥,٦	٥,٨
مالديف	٠,٢	٠,٢	٠,٦	٠,٧	–	–	٠,٣	٠,٢	٠,٤	٠,٦	١,٠	٢,١	٠,٢	٠,٢	٠,٦	١,٠	–	–	٠,٣	٠,٤	٠,٤	٠,٩	١,٩	٥,٥
عمان	٠,٩	٠,٨	٠,٧	٠,٥	٠,٥	٠,٨	٠,٣	١,٠	١,١	٠,٧	٠,٧	١,٢	٦,٣	٧,٠	٣,٦	١,٨	١,٧	٢,١	٨,٧	٩,١	٥,٢	٢,٤	٢,٤	٣,٢
باكستان	١,٠	١,٠	١,٠	٠,٧	٠,٧	٠,٩	٩,٧	٨,٤	٧,٥	٥,٧	٦,٥	٧,٢	٢,١	٢,٤	٢,٣	١,٨	١,٨	٢,٧	٢٠,٩	٢٠,٢	١٧,٩	١٥,٤	١٦,٤	٢١,٩
سوريا	١,٠	١,٠	٠,٨	٠,٦	٠,٥	٠,٥	٥,٩	٤,٦	٤,٠	٣,٥	٣,٥	٣,٨	٣,١	٣,٥	٢,٨	٢,١	٢,٠	٢,٠	١٨,٢	١٦,٥	١٤,٥	١٢,٨	١٤,٤	١٤,٦
تركيا	٠,٢	٠,٣	١,١	١,٣	١,٧	٢,٣	٥,٨	٧,٥	١٦,٩	١٣,١	١١,٦	١٤,٥	٠,٨	٠,٩	١,٧	٢,٢	٣,٣	٤,٧	١٥,١	٢٠,٩	٢٧,٨	٢٢,٣	٢٢,٢	٢٩,١
اليمن الشمالي	٠,٢	٠,٢	٠,٢	٠,٣	٠,٣	٠,٣	٢,٠	١,٦	١,٦	٢,٧	٣,١	٤,٣	٠,٥	٠,٥	٠,٧	١,٩	١,٥	١,٠	٥,٤	٤,٤	٦,١	١٧,٤	١٦,٢	١٢,٩
اليمن الجنوبي	٠,٢	٠,٣	٠,٨	٠,٦	٠,٩	١,٣	١,٠	٢,٠	٣,٧	٢,٨	٤,٤	٧,٨	٠,٣	٠,٩	١,٧	٤,١	٣,٧	٤,٣	١,٨	٥,٧	٧,٧	١٩,٧	١٨,٤	٢٥,١
الجزائر	٢,٤	٤,٠	٣,٥	٣,٢	٣,٣	٢,٦	٨,٨	١٢,٢	٩,٦	٨,٧	٩,٥	٨,٨	٥,٩	٩,٢	٩,٨	٩,٣	١٠,١	١٠,٧	٢٢,١	٢٧,٦	٢٦,٥	٢٥,٣	٢٩,٦	٢٦,٣
تشاد	٠,١	–	–	–	١،	–	٠,٦	٠,٢	٠,١	–	٠,٣	٠,٢	٠,٦	٠,٩	٠,٥	٠,٨	٠,١	–	٣,٣	٥,٣	٣,٤	٣,٦	٠,٤	٠,٦
مصر	١,٤	١,٢	١,٢	١,٨	١,١	١,٢	١٠,٦	٥,٥	٤,٧	٧,٤	٥,٤	٧,٠	٤,١	٥,٤	٥,١	٦,٥	٥,٤	٦,٠	٢٣,٢	٢٤,٠	٢١,٧	٢٧,٥	٢٦,٠	٢٤,٠
الجابون	٣,٤	٣,٨	٢,٦	٣,٠	٣,٤	١,٩	٤,٨	٥,٠	٥,١	٣,٦	٤,١	٢,٣	١٣,١	١٢,٥	١١,٨	١٠,٤	١٠,١	٧,٨	٨,٥	١٦,٤	١٦,٨	١٢,٦	١٢,٣	٩,٤
غينيا	١,٢	١,٦	١,٤	١,٤	٢,٢	١,٢	–	–	–	–	–	–	٤,٦	٥,٠	٥,٨	٥,١	٧,٠	٤,٠	–	–	–	–	–	–
غينيابيساو	٠,١	٠,٥	٠,٥	٠,٥	٠,٥	٠,١	–	–	–	–	–	–	٠,٦	١,٢	١,٩	١,٣	١,٥	٠,٨	–	–	–	–	–	–
ساحل العاج	٢,٣	٢,٦	٣,٠	٣,١	٧,٠	٦,٩	٥,٧	٧,١	٨,٣	٨,٠	١٥,٩	١٦,٠	٥,٢	٦,٧	٨,٢	١٠,٠	١٤,٢	١٣,٢	١٢,٩	١٨,٢	٢٢,٦	٢٦,١	٣٢,٥	٣٠,٦
مالي	٠,٢	٠,١	٠,١	٠,٢	٠,٣	٠,٣	٢,٣	١,٦	١,٢	١,٧	١,٩	٣,٠	٥,٠	٤,٠	٣,٠	٣,٠	٤,٠	٦,٠	٦,٨	٤,٦	٣,٦	٤,٧	٤,٣	٦,١
موريتانيا	٣,٠	٢,٨	٢,١	٢,٥	٣,٤	٣,٣	٦,٢	٧,٨	٤,٨	٥,٤	٧,١	٦,١	٥,٤	١٢,٢	٤,٨	٧,٥	٥,٦	٥,٤	١٦,٩	٣٣,٢	١١,١	١٥,٩	١١,٨	١٠,٠
المغرب	١,٩	٢,٥	٢,٤	٤,٢	٣,٩	٣,٨	١١,٧	١٢,٢	١٨,٨	٢٠,٠	١٩,٧	١٧,٤	٤,٠	٤,٩	٦,٦	٨,٤	٨,٩	٨,٣	٢٥,٣	٢٩,٥	٣٦,٥	٤١,١	٤٥,٣	٣٨,٢
النجر	٠,٣	٠,٤	٠,٩	٢,٠	٣,٠	٢,٨	١,٢	–	–	–	–	–	٠,٨	٠,٨	٣,٣	٣,٨	٧,٤	٥,٦	٢,٨	–	–	–	–	–
نيجيريا	٠,١	٠,٣	٠,٥	٠,٧	١,١	١,٤	٠,٤	١,٠	١,٦	٢,٨	٥,٦	٨,٩	٠,٢	٠,٤	٠,٧	١,٣	٢,٠	٣,٠	٠,٩	١,٣	٢,٠	٤,٥	١٠,٣	١٨,٦
السنغال	١,٤	١,٦	١,٩	١,٧	١,٢	١,٣	٤,٤	–	–	–	–	–	٤,٥	٤,٤	٦,٠	٣,٧	١,٦	١,٩	١٤,٠	–	–	–	–	–
الصومال	٠,١	٠,١	٠,١	٠,٢	٠,٩	١,١	٠,٨	٠,٦	٠,٩	١,٤	٤,٠	٥,٦	٠,٤	٠,٣	٠,٦	٣,٥	١,٧	٢,٥	٣,١	٢,٧	٤,٣	١٨,٤	٧,٩	١٣,١
السودان	٠,٦	٠,٦	٠,٦	٠,٩	٠,٢	١,٠	٦,٥	٥,٨	٤,٤	٦,٥	٢,١	٨,٧	١,٣	١,٠	١,٢	١,٥	١,٦	٣,١	١٣,٧	١٠,١	١,٣	١١,٢	١٢,٩	١٧,٨
تونس	١,٧	٢,٢	٢,٥	٢,٤	٢,٤	٢,٤	٥,٩	٦,٢	٧,٢	٦,٢	٦,٤	٧,٣	٣,٦	٤,٤	٤,٩	٦,١	٥,٩	٧,٤	١٢,٩	١٢,١	١٤,٤	١٥,٧	١٧,٠	٢٢,٣
الكمرون	١,٠	١,١	١,٦	١,٨	١,٩	١,٧	٣,٢	٣,٥	٤,٩	٦,٣	٦,٧	٦,٨	٢,٥	٢,٥	٢,٨	٣,٣	٤,١	٣,٤	٧,٩	٧,٧	٨,٧	١٠,٩	١٤,٧	١٣,٩
فوليتا العليا	٠,٢	٠,٤	٠,٥	٠,٥	٠,٧	٠,٧	١,٩	٢,٥	٢,٨	–	–	–	٠,٧	٠,٧	١,٣	١,٣	١,٥	١,٣	٥,٣	٥,١	٧,٥	–	–	–
افريقيا الوسطى	٠,٢	٠,١	٠,١	٠,٢	٠,٤	١,٠	٠,٩	٠,٢	٠,٢	٠,٧	١,٦	٤,٤	٠,٦	٠,١	٠,٢	٠,٥	٠,٧	٢,٧	٢,٧	٠,٤	٠,٨	٢,٠	٣,٠	١١,٢
جيبوتي	٠,٣	٠,٣	٠,٣	٠,٥	٠,٣	–	–	–	–	–	–	–	٠,٨	٠,٨	١,٠	١,١	١,٠	–	–	–	–	–	–	–
جزر القمر	٠,٧	١,١	١,٨	٢,٩	٣,٢	٢,٤	١,٧	٢,٦	٣,٤	٦,٦	٦,٦	٥,٤	١,١	١,٦	٣,١	٣,١	٥,٩	٧,٣	٢,٤	٣,٩	٦,٠	٩,٨	١٢,٢	١٦,٤

اما ما يتعلق بدرجة تبعية الدول الاسلامية للدول الصناعية، فانه يمكن استخدام مقياس نسبة الديون الخارجية الى الناتج القومي الاجمالي، وكلما زادت هذه النسبة زادت درجة التبعية. ونلاحظ ان هذه النسبة تصل الى ١٧١.٤٪ بالنسبة الى موريتانيا والى ١١٨.٥ بالنسبة الى اليمن الجنوبية، وذلك عام ١٩٨٣. وهذا يعني ان الديون الخارجية تتجاوز الناتج القومي الاجمالي لهذه الدول. وتصل بالنسبة الى بعض الدول الى ٧٧.٩٪، ٦٩.٢٪ في كل من ساحل العاج وغينيا بيساو على التوالي:

والجدول التالي يبين بالتفصيل نسبة الديون الخارجية الى الناتج القومي الاجمالي، ونسبة هذه الديون الى الصادرات بالنسبة الى ٣٢ دولة اسلامية.

هنا جول غير مطبوع في الاصل ص(٣٨)

نسبة الديون الخارجية الى GNP والصادرات في ٣٢ دولة اسلامية

الدولة	نسبة الديون الخارجية الى GNP ٪						نسبة الديون الخارجية الى الصادرات ٪					
	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣
بنجلاديش	٣١ر٦	٣٠ر٢	٣٠ر٥	٣٤ر٣	٤٢ر١	٣٩ر١	٤٠٤ر٠	٣٣٣ر٧	٣٢٥ر٦	٣٧٠ر٢	٤٢٢ر٤	٤٣١ر٤
اندونيسيا	٢٦ر٦	٢٧ر١	٢١ر٦	١٩ر٣	٢١ر٤	٢٩ر٠	١١٦ر٣	٨٥ر٥	٦٧ر٤	٦٤ر٠	٨٧ر٦	١٠٩ر٢
الاردن	٣٩ر٦	٤٠ر٨	٣٨ر١	٤٠ر٢	٤٢ر٩	٤٥ر٨	٩١ر٤	٨٥ر٩	٧٤ر٢	٧٠ر٥	٨١ر٦	١٠٣ر٣
ماليزيا	١٦ر١	١٤ر٧	١٦ر٨	٢٣ر٨	٣٢ر٠	٣٨ر٧	٣٠ر٠	٢٣ر٣	٢ ر١	٤٠ر٤	٥٦ر٥	٦٤ر٤
ماليديف	١٥ر٩	١٧ر٧	٥٠ر٨	٥٥ر٧	—	—	٣٠ر٣	١٥ر٢	٣٦ر٣	٤٩ر٣	٥١ر٤	٦٠ر٧
عمان	٢٤ر٧	٢٠ر١	٨ر١	٨ر١	١٠ر٥	١٦ر١	٣٤ر٤	٢٦ر٤	١١ر٨	١١ر٠	١٥ر٢	٢٥ر٣
باكستان	٤٠ر٨	٣٧ر٩	٣٤ر٤	٢٩ر٠	٣١ر٤	٣١ر٠	٤١٢ر٣	٣١٦ر٠	٢٦٥ر٩	٢٥٣ر٩	٢٨٠ر٥	٢٤٨ر٩
سوريا	٢٣ر٤	٢٢ر٦	١٨ر١	١٤ر٧	١٤ر٣	١٢ر٦	١٤٠ر٤	١٠٨ر٠	٩٣ر٧	٨٩ر٠	١٠١ر٤	٩٨ر٢
تركيا	١٢ر٢	١٥ر٧	٢٦ر١	٢٦ر٣	٢٩ر٧	٣٠ر٧	٢٢٥ر٤	٣٦٩ر٠	٤١٤ر٦	٢٦٣ر٦	٢٠١ر٣	١٩١ر٠
اليمن الشمالي	٢٢ر٣	١٨ر٧	٢٨ر٩	٣٤ر٢	٣٦ر١	٣٩ر٢	٢٥٤ر١	١٧١ر٢	٢٥٥ر٨	٢٠٦ر٩	٣٨٧ر١	٥١٧ر٧
اليمن الجنوبي	٥٣ر١	٥٤ر٦	٦١ر٦	٨٤ر٣	١٠٤ر٩	١١٨ر٥	٣٢٧ر٤	٣٤٢ر٢	٢٧٧ر٨	٤٠٣ر٠	٥١٨ر١	٦٩٤ر٥
الجزائر	٥٣ر٥	٥٢ر٩	٤١ر٤	٣٧ر٦	٣٢ر١	٢٨ر٠	١٩٩ر٤	١٥٩ر٥	١١٢ر٦	١٠١ر٩	٩٦ر٦	٩٤ر٩
تشاد	٢٩ر١	٣٨ر٦	٤٠ر٣	٤٤ر٥	٤٣ر٥	—	١٦١ر٧	٢٣١ر٧	٢٧٣ر٤	٢٠١ر٢	٢٢٥ر٤	١٢٠ر٧
مصر	٣٦ر٢	٥٨ر٧	٤٩ر٢	٤٨ر٥	٤٤ر٢	٣٧ر٧	٢٧١ر٨	٢٦١ر٥	١٩٦ر٢	٢٠٥ر٧	٢١٤ر٢	٢١٣ر٨
الجابون	٦٣ر٩	٥٨ر٤	٣٩ر٢	٣٤ر١	٣٠ر٥	٢٧ر٢	٩٠ر٠	٧٦ر٦	٥٥ر٧	٤١ر٢	٣٧ر٠	٣٢ر٩
غينيا	٦٥ر١	٦٦ر٣	٦٢ر٥	٧٧ر٦	١٠٩ر١	٦٩ر٢	-	-	-	-	-	-
غينيا بيساو	٣٠ر٢	٣٥ر١	٦٦ر٧	٦٢ر٥	٧٧ر٦	١٠٩ر١	٦٩ر٢	-	-	-	-	-
ساحل العاج	٣٧ر٥	٤١ر٢	٤٢ر٨	٥٨ر٢	٧٢ر٢	٧٧ر٩	٩٢ر١	١١٢ر٦	١١٧ر٨	١٥١ر٠	١٦٤ر٩	١٨١ر٠
مالي	٢٦ر٨	٢٠ر٧	٢٥ر٠	٣٢ر٦	٣٨ر٩	٤٤ر٧	٣٨٧ر١	٢٦٧ر٠	٢٥٤ر١	٣٦٣ر٧	٤٢٣ر١	٤٢١ر٩
موريتانيا	١٢٢ر٢	١١٦ر٥	١١٧ر٦	١١٧ر٧	١٤٥ر٧	١٧١ر٤	٣٨١ر٠	٣١٧ر٥	٧١ر١	٢٥٠ر٤	٣٠٥ر٦	٣١٨ر٠
المغرب	٣٧ر٧	٣٨ر١	٣٩ر٠	٥٣ر٠	٦٠ر٢	٧٠ر٤	٢٣٧ر٦	٢٢٨ر٨	٢١٧ر٣	٢٥٨ر٩	٣٠٧ر٥	٣٢٢ر٢
النيجر	١٦ر١	١٧ر٠	٢٢ر١	٣٦ر٧	٤٠ر٠	٤٨ر٦	٦٠ر٠	-	-	-	-	-
نيجيريا	٤ر٤	٤ر٩	٥ر١	٧ر٨	١٢ر١	١٧ر٢	٢٠ر٤	١٨ر١	١٥ر٤	٣٠ر٠	٦١ر٥	١٠٧ر٠
السنغال	٢٨ر٧	٢٩ر٩	٣١ر٣	٤٠ر٩	٤٥ر٨	٦١ر٢	٨٨ر٥	-	-	—	-	-
الصومال	٤٣ر٩	٤٤ر٢	٤٧ر١	٥٢ر٤	٨٩ر٥	١٢٧ر٥	٣٤٦ر٠	٣٨٩ر٧	٣٤٩ر٣	٣٨٠ر٦	٤٢١ر١	٦٨٠ر٤
تونس	٤١ر٢	٤١ر٨	٣٧ر٠	٣٨ر٩	٤٢ر٢	٤٢ر٤	١٤٧ر١	١١٦ر١	١٠٧ر٨	٩٩ر٥	١٢١ر٥	١٢٧ر٧
الكمرون	٢٧ر٤	٣٠ر٨	٣٠ر٧	٣١ر٤	٢٩ر٤	٢٩ر٤	٨٦ر١	٩٥ر٢	٩٥ر٢	١٠٨ر٣	١٠٥ر٢	١١٩ر٧
فولتا العليا	١٧ر٦	٢٠ر٤	٢٢ر٣	٢٤ر٥	٣٠ر٣	٣٧ر٦	١٣٦ر١	١٤٢ر٠	١٣٣ر١	-	-	-
افريقيا الوسطى	١٧ر٥	١٥ر٣	١٨ر٥	٢٧ر٤	٣١ر٩	٣٣ر١	٧٢ر٢	٦٨ر١	٧ ٨	١٠٨ر١	١٣٤ر٤	١٤٠ر٣
جيبوتي	٥ر٩	٧ر٩	٨ر٣	٥ر٨	١٢ر٣	-	-	-	-	-	-	-
جزر القمر	١٥ر٣	١٩ر١	٢٦ر٥	٢٩ر٥	٢٤ر٦	٢٩ر٠	٣٥ر٠	٤٥ر٣	٥١ر٤	٦٦ر١	٧١ر٧	٦٥ر٣
السودان	٣٠ر٧	٤٣ر٩	٤٧ر٦	٤٧ر٧	٦٩ر٩	٨١ر٤	٣١٤ر٩	٤٥٦ر٨	٣٧٧ر٥	٣٦٣ر٨	٥٦٨ر٢	٦٩٨ر٨

خامسا: معالجة مشكلة الديون الخارجية:

لقد كتب الكثير من ذوي الاختصاص عن مشكلة الديون وكيف يمكن معالجتها، الا ان معظم هذه الدول تحاول معالجة النتائج دون ان تعالج هذه المشكلة من جذورها، وساحاول في هذا الجزء التعرض لوجهات النظر المختلفة التي تضع حلولا لهذه المشكلة.

ان الديون الدول النامية الضخمة والصعوبات التي تواجها لسداد هذه الديون من اكثر المشاكل الحاحا في مجال الموارد المالية الدولية، باعتبار ان افلاس عدد من هذه الدول المدينة سيؤدي الي موجة كبير من الذعر لدى مؤسسات المال الدولية، والى افلاس عدد كبير منها. وهذا دون شك سيؤدي الى انهيار النظام المالي الدولي، والى اضطربات اقتصادية وسياسية قد تؤدي الي عواقب وخيمة لا تقل عن تلك التي تحدث في فترة الكساد الكبير التي بدأت عام ١٩٢٩.

ادت هذه المخاوف الى ظهور العديد من الاجراءات الوقائية لتقليل احتمالات حدوث هذه النتائج. ومن الاقتراحات التي برزت منها لعلاج مشكلة الديون هي:

- توسيع صلاحيات الدور الاشرافي والمقدرة التسليفية لمجموعة المؤسسات الموجودة.
- ضرورة اعادة جدولة الديون وتخفيض اسعار الفائدة على الديون الكبيرة للدول النامية.
- ضرورة اقناع البنوك المركزية في الدولة الصناعية الكبرى بان تاخذ على عاتقها جزءا من ديون الدول النامية المستحقة الدفع للبنوك التجارية التي تقع داخل منطقة اختصاصها.
- قيام الدول الصناعية بدفع جزء من ديون الدول النامية. (٣٧)
- ضرورة التخلص من هذه الديون وذلك اما بتسديدها او شطبها. ولكن المشكلة هنا ان الدول المدينة لا تستطيع التسديد، وبالتالي لا بد من شطب هذه الديون او اعادة جدولتها لمدة طويلة من الزمن. واعادة جدولة هذه الديون ليست الا حركات مسرحية للابقاء على التشكيلات القانونية. والمسالة المطروحة فعلا هي محاولة

ايجاد طريقة مناسبة لتصنيف الخسارة التي تلحق بالمؤسسات المقرضة، وذلك اما عن طريق اعتبارها خسارة محققة وتوزيعها على عدد من السنوات، او تخفيض قيمة هذه الخسائر عن طريق التضخم رغم اضراره الاقتصادية. (٣٨)

- كما تقدمت ٢٤ دولة من الدول النامية بعدة اقتراحات للخروج من الازمة الاقتصادية العالمية، والتخفيف من حدة المأساة التي تعاني منها الدول النامية اهمها:

تحرير التجارة الدولية، والتخفيف من النفقات الهائلة على التسلح، وتحويل الوفورات الناتجة عن ذلك الى مساهمة الدول النامية مباشرة او عن طريق هيئة التنمية الدولية المختصة بمنح القروض الميسرة للدول النامية الاكثر فقرا. وقد عارضت الدول الصناعية الاقتراح باستثناء ازالة الحواجز الجمركية وتحرير التجارة. كما طالبت هذه المجموعة بضرورة دعم صندوق النقد الدولي وذلك لتحقيق الاستقرار في نظام النقد الدولي. (٣٩)

- كما يرى الخبراء المال العرب ضرورة اتباع الاساليب التالية للخروج من ازمة الديون العربية:

١ - الاعتماد على المساعدات اكثر من القروض.

٢ - الاعتماد على النفس وموارد البلاد اكثر من المساعدات الخارجية واختصار الكماليات في المشاريع واستغلال الموارد الطبيعية غير المستغلة، وتشجيع الاستثمارات الاجنبية داخل البلاد.

٣ - تنشيط حوافز الادخار وتشجيع التمويل الداخلي.

٤ - اعادة جدولة الديون بطريقة علمية وواقعية ورؤيا مستقبلية، حتى لا يتحمل الجيل القدم اعباء اسراف الجيل الحالي. (٤٠)

- كما يرى آخرون ضرورة توافر الاجراءات المطلوبة لزيادة: موارد الدول النامية من العملات الاجنبية، وخلق الاطار الدولي اللائم للتخفيف من اعباء الديون الخارجية. وذلك من خلال زيادة الصادرات من المنتجات الاولية والمصنعة، والتي

تنتجها الدول النامية، وزيادة الموارد المالية المقدمة للدول النامية في صورة قروض او مساعدات. (٤١)

هذه مجموعة من الاقتراحات التي عرضت امكانية الخروج من تراكم الديون على الدول النامية، ولكن ما هي وجهة نظر الاسلام في حل مشكلة التمويل محليا وكذلك معالجته للديون الخارجية.

الحقيقة، كما تحدثنا سابقا، أن التمويل المقدم من الدول الصناعية والهيئات الدولية لا يساعد الدول النامية على تطوير اقتصادياتها وتنمية خبراتها وقدراتها الذاتية في الاجل الطويل، اذ ان هذا التمويل يتصف عامة بعدم الانتظام والمحدودية وبشروط تلحق الضرر بالدول المدينة.

لذلك لا بد من الاعتماد على النفس من خلال المقدرة الاقتصادية للمجتمع والافادة من الموارد المتاحة وحسن استغلالها، وزيادة التكوين الراسمالي من خلال عدة طرق منها:

ترشيد الانفاق الاستهلاكي وخاصة الكماليات- وعدم الاسراف او التقتير في استهلاك السلع والخدمات الضرورية وشبه الضرورية. وعدم انتاج الخبائث من السلع والخدمات الضارة بالجسم او العقل او التي تؤدي الى تبديد الموارد بدون منفعة، ولا بد من توجيه المدخرات لقنوات الاستثمار وذلك من خلال منع الاكتناز، والغاء الفائدة على راس المال وتقديم نظام المشاركة في الربح بدلا من الفائدة كعائد على راس المال، وتوجيه الموارد تبعا لخطط مرسومة تتناسب واولايات التنمية، وتوفر الضمانات الكافية للمستثمرين، والحد من تقلبات الاسعار. ويترتب على الدولة ان تدعم الاستثمار الخاص من خلال تقديم الحوافز والاعانات والقروض الميسرة (بدون فائدة)، وتخفيض الضرائب على الانتاج والدخل لتشجيع الادخار والاستثمار، وتشجيع المبادرات الفردية والمحافظة على الملكية الخاصة، والقيام بمشروعات راس المال الاجتماعي، وتحقيق السلام والعدل والاجتماعي، واقرار الامن او النظام، وتوفير الكفاءات والمهارات المختلفة من خلال

سياسات التعليم والتدريب التي تباشرها الدولة، مع ضرورة التركيز على الجوانب الخلقية من صلاح وامانة وتقوى والتمسك بالدين الاسلامي الحنيف وتطبيقه في جميع مناحي الحياة. (٤٢)

لذلك فان مصادر تمويل المشروعات الاقتصادية الداخلية في الفكر الاسلامي يمكن عرض اهمها كما يلي:

١ - التمويل الفردي الذاتي.
٢ - التمويل عن طريق المشاركة بين راس المال والعمل (نظام المضاربة).
٣ - التمويل عن طريق الائتمان (نظام شركات الوجوه) (٤٣).
٤ - التمويل عن طريق المصارف الاسلامية في اطار نظم المضاربة والمشاركة والمساهمة.
٥ - التمويل عن طريق بيت المال من فائض تحصيلة الزكاة وغيرها من الموارد المالية الاخرى.
٦ - التمويل عن طريق الارباح غير الموزعة.

اما بالنسبة للقروض والتسهيلات الائتمانية الخارجية التي تتم على اساس ربوي فانها محرمة ولا يجوز قبولها، لذا يتعين شراء الالات والمعدات والسلع الاخرى الضرورية لعمليات التنمية الاقتصادية للدول الاسلامية بالاجل، وللاجل في هذا حصة في زيادة الثمن، وبذلك لا تدخل الدول الاسلامية في عمليات ربوية محرمة. (٤٤)

اما فوائد الديون الخارجية القائمة على الدول الاسلامية في الوقت الحاضر، فلا بد من التعاون بين هذه الدول والدول النامية غير الاسلامية لالغائها كليا، واعادة جدولة الديون ودفعها للدول الدائنة. والغاء الفوائد يأتي بسبب ما استفادته الدول الصناعية من استخدام اسواق الدول النامية لترويج سلعها، وحصولها على المواد الخام والامتيازات الاخرى التي حصلت عليها من دول العالم النامية سواء كانت اقتصادية او سياسية او عسكرية.

عدد السكان في الدول الاسلامية ١٩٧٧ - ١٩٨٣

(بالمليون نسمة)

الدولة	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣
افغانستان	١٢,٤	١٩,٧٢	١٥,٥٥	٢٥,٩٥	١٦,٣٦	١٦,٧٩	١٧,٢٢
البحرين	٠,٣	٠,٣٢	٠,٣٣	٠,٣٥	٠,٣٦	٠,٣٧	٠,٤٠
بنجلادش	٨٢,٧١	٨٤,٨٦	٨٦,٦٤	٨٨,٦٨	٩٠,٤٦	٩٢,٥٩	٩٤,٦٥
اندونيسيا	١٤١,١٩	١٤٤,٩٧	١٤٨,٠	١٥٠,٩٦	١٥٣,٨٥	١٥٦,٦٧	١٥٩,٤٣
العراق	١٢,٠٣	١٢,٤١	١٢,٨٢	١٣,٢٤	١٣,٦٧	١٤,١١	١٤,٦٥
الاردن	٢,٧١	٢,٧٧	٢,٨٤	٢,٩٢	٣,٠٢	٣,١٣	٣,٢٥
الكويت	١,١٤	١,٢١	١,٢٩	١,٢٧	١,٤٧	١,٥٧	١,٦٧
لبنان	٢,٧٦	٢,٧٣	٢,٧	٢,٦٧	٢,٦٥	٢,٦٤	٢,٦٤
ماليزيا	١٢,٦	١٢,٩١	١٣,٥٥	١٣,٨٧	١٤,٢	١٤,٥٣	١٤,٨٦
مالديف	٠,١٤	٠,١٥	٠,١٥	٠,١٥	٠,١٦	٠,١٦	٠,١٧
عمان	٠,٨٤	٠,٨٨	٠,٩٣	٠,٩٨	١,٠٣	١,٠٨	١,١٣
باكستان	٧٥,٢	٧٧,٤٥	٧٩,٧٦	٨٢,١٤	٨٤,٦	٨٧,١٣	٨٩,٧٣
قطر	٠,٢	٠,٢٢	٠,٢٤	٠,٢٥	٠,٢٦	٠,٢٧	٠,٢٨
السعودية	٨,٠١	٨,٤٢	٨,٨٢	٩,٢٣	٩,٦٣	١٠,٠	١٠,٤٢
سوريا	٨,٠٢	٨,٣٣	٨,٦٥	٨,٩٨	٩,٣١	٩,٣	٩,٦١
تركيا	٤١,٧٧	٤٢,٦٤	٤٣,٥٣	٤٤,٩٢	٤٥,٣٧	٤٦,٣١	٤٧,٢٨
الامارات العربية	٠,٦٩	٠,٧٩	٠,٨٩	٠,٩٨	١,٠٦	١,١٣	١,٢١
اليمن الشمالي	٥,٤٨	٥,٥٩	٥,٧	٥,٨٢	٥,٩٥	٦,٠٩	٦,٢٣
اليمن الجنوبي	١,٨	١,٨٥	١,٩١	١,٩٧	٢,٠٣	٢,٠٩	٢,١٦
الجزائر	١٧,٠٦	١٧,٦٣	١٨,١	١٨,٦٧	١٩,٢٥	١٩,٨٦	٢٠,٥
تشاد	٤,٢١	٤,٣١	٤,٣٨	٤,٤٨	٤,٥٨	٤,٦٨	٤,٧٩
مصر	٣٨,٧٩	٣٩,٨٢	٤٠,٩٨	٤٢,٢٩	٤٣,٤٧	٤٤,٦٧	٤٥,٩٢
الجابون	١,٠٣	١,٠٤	١,٠٦	١,٠٧	١,٠٩	١,١١	١,١٣
غينيا	٤,٥٢	٤,٦٢	٤,٧٢	٤,٨٣	٤,٩٤	٥,٠٦	٥,١٨
غينيا بيساو	٠,٧	٠,٧٤	٠,٧٨	٠,٨١	٠,٨٣	٠,٨٥	٠,٨٦

تابع للجدول السابق

الدولة	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣
ساحل العاج	٧.٣٤	٧.٦١	٧.٩٢	٨.٢٥	٨.٥٥	٨.٨٦	٩.٣
ليبيا	٢.٦٣	٢.٧٤	٢.٨٦	٢.٩٧	٣.١	٣.٢٢	٣.٣٦
مالي	٦.٤٨	٦.٦٤	٦.٨١	٦.٩٨	٧.١٦	٧.٣٤	٧.٥٣
موريتانيا	١.٥	١.٥٤	١.٥٩	١.٦٣	١.٦٨	١.٧٣	١.٧٨
المغرب	١٨.٣٦	١٨.٩١	١٩.٤٧	٢٠.٠٥	٢٠.٦٥	٢١.٣٩	٢٢.١١
النيجر	٤.٨٦	٤.٩٩	٥.١٧	٥.٣١	٥.٤٦	٥.٦١	٥.٧١
نيجيريا	٧٢.٥٨	٧٥.١٨	٧٧.٨٤	٨٠.٥٦	٨٣.٣١	٨٦.١٣	٨٩.٠٢
السنغال	٥.٢٥	٥.٤	٥.٥٥	٥.٧	٥.٨٧	٦.٠٤	٦.٣٢
الصومال	٣.٦٥	٣.٩٩	٤.٣٢	٤.٦١	٤.٨٧	٥.٠٩	٥.٢٧
السودان	١٦.٩٥	١٧.٥٦	١٨.١٣	١٨.٦٨	١٩.٢٤	١٩.٨	٢٠.٣٦
تونس	٥.٩٣	٦.٠٨	٦.٢٢	٦.٣٩	٦.٥٧	٦.٧٣	٦.٨٩
الكمرون	٧.٩٥	٨.١٤	٨.٣٥	٨.٥	٨.٧٢	٨.٩٢	٩.١٦
فولتا العليا	٥.٨٤	٥.٩٤	٦.٠٤	٦.٦٥	٦.٢٥	٦.٣٦	٦.٦١
اوغندا	١٢.٣٥	١٢.٧٨	١٣.٢٢	١٣.١٨	١٣.٦٤	١٤.١٢	١٤.٦٣
افريقيا الوسطى	٢.١٧	٢.٢٢	٢.٢٨	٢.٣٣	٢.٣٤	٢.٤	٢.٤٥
جيبوتي	٠.٢٥	٠.٢٧	٠.٢٩	٠.٣١	٠.٣٢	٠.٣٤	٠.٣٣
جزر القمر	٠.٨٨	٠.٩	٠.٩١	٠.٩٣	٠.٩٤	٠.٩٥	٠.٩٦
ايران	٣٤.٦٩	٣٦.١١	٣٧.٢	٣٨.٣٥	٣٩.٥٤	٤٠.٧٨	٤٢.٠٧

هوامش البحث

(١) د.محمد الصادق عفيفي، المجتمع الاسلامي وفلسفة المالية الاقتصادية، مكتبة الخانجي بالقاهره ١٩٨٠ - ص ٣٤٠.

(٢) نفس المراجع السابقه ص ٣٤٠.

(٣) البكر: الثنى من الابل، اى الفتية، تشكل الباء بالفتحة.

(٤) الخيار: المختار الطيب.

(٥) الرباعي: الذي استكمل ست سنوات، ودخل في السابعة.

(٦) د. محمد الصادق العفيفي، مرجع سابق ص ٣٤١.

(٧) نفس المرجع السابق ص ٣٤٤.

(٨) الدكتور عمر الاشقر "الربا هادم الاخلاق ومدمر المجتمعات" مجلة الاقتصاد والاسلامي، بنك دبي الاسلامي عدد ٢٨ ربيع الاول ١٤٠٤ هـ ديسمبر ١٩٨٣م ص ٢٣.

(٩) د. محمد عبد المنعم عفر، "اسس التنمية الاقتصادية في الاسلام: تكوين رأس المال" مجلة الاقتصاد الاسلامي، بنك دبي الاسلامي، عدد ٢٢ رمضان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ ص ٣٩.

(١٠) محمد عبد الحليم زغير "الفوائد (الربا) ودورها في افلاس الشعوب " مجلة الاقتصاد الاسلامي، بنك دبي الاسلامي، عدد ٤٤، رجب ١٤٠٥، ابريل ١٩٨٥ ص ٣.

(١١) نفس المرجع السابق ص ٤.

(١٢) احمد عثمان خميس، جريدة الاتحاد الظبيانية ١٩٨٥/٣/٥.

(١٣) "البنك الدولي للانشاء والتعمير - اسعار الفائدة والعالم النامي"، مجلة التمويل والتنمية، ديسمبر ١٩٨٣.

(١٤) جورج خرم، التبعية الاقتصادية لاستدانة العالم الثالث، بيروت، ١٩٨٢ ص ٢٢.

(١٥) نفس المرجع السابق ص ٢٤.

(١٦) نفس المرجع السابق ص ٢٦ - ٢٩.

(١٧) نفس المرجع السابق ص ٣١ - ٣٤.

(١٨) نفس المرجع السابع ص ٣٦ - ٣٧، ص ٩٦.

(١٩) نفس المرجع السابق ص ١٠٠.

(٢٠) "واقع واحتمالات ازمة الديون"، مجلة الاقتصاد والاعمال، عدد ٥٢ ايلول/ديسمبر ١٩٨٣ ص ٣٦.

(٢١) نفس المرجع السابق ص ٣٧.

(٢٢) د. رمزي زكي "ازمة الديون الخارجية، رؤية من العالم الثالث"، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٨، ص ٤٠٠.

(٢٣) نفس المرجع السابق ص ٤٠١.

(٢٤) نفس المرجع السابق ٤٠٣، ٤٠٤.

(٢٥) نفس المرجع السابق، ص ٤٠٥.

(٢٦) الدكتوررمزي زكي، ازمة الديون الخارجية، رؤية من العالم الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص ٢٦٢.

(٢٧) د. سمير امين، التطور اللامتكافىء، دراسة في التشكيلات الاجتماعية للرأس مالية المحيطية، ترجمة برهان غليون، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٤ ص ١٩٣.

(٢٨) د. رمزي زكي، مرجع سابق، ص ٣٦٥.

(٢٩) د. رمزي زكي، مرجع سابق، ص ٣٦٥.

(٣٠) نفس المرجع السابق ص ٣٦٦.

(٣١) نفس المرجع السابق، ص ٣٦٦.

(٣٢) من الضروري هنا نوضح ان هذا الجدول انما يعبر فقط عن التحويلات الرسمية المسجلة في موازين المدفوعات. اما التحويلات الاخرى الفعلية التي تحصل عليها الاستثمارات الاجنبية الخاصة، مثل حق تحويل جانب من اجور ومرتبات الاجانب العاملين في الدولة المضيفة ورسوم ايرادات الاختراع والعلامات التجارية، وغير ذلك من التحويلات، فلا ياخذها هذا المؤشر بعين الاعتبار.

(٣٣) نفس المرجع السابق، ص ٢٦٩.

(٣٤) نفس المرجع السابق، ص ٣٧٢، ٣٧٣.

(٣٥) نفس المرجع السابق، ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٣٦) د. اندرو بريمر، عضو مجلس الاحتياطي الفدرالي السابق المحددة، "الاقطار النامية وعبء الديون" **الاقتصاد العربي**، عدد ٨٢، تشرين اول ١٩٨٤، ص ٢٦.

(٣٧) حكمت النشاشيبي، في انتظار صدمة الديون النامية "**الاقتصاد والاعمال**، كانون اول ١٩٨٤ ص ٥٦.

(٣٨) نسيم صليبا، "**اجتماعات البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي**، عقدت وسط الخوف وانتهت بمزيد من القلق".

(٣٩) جوليا جابر "العرب بين النفط والمال او الديون المتراكمة" **الاداري**، ايار (مايو)، ١٩٨٤. ص ٢٣

(٤٠) د. رمزي زكي، مرجع سابق، ص ٤٧٨ - ٤٧٩.

(٤١) د. محمد عبد المنعم عفر "اسس التنمية الاقتصادية في الاسلام، تكوين راس المال" **الاقتصاد الاسلامي**، بنك الاسلامي، عدد ٢٢، سنة ١٩٨٣م ص ٣٩ -٤١.

(٤٢) نفس المرجع السابق، ص ٤٢.

(٤٣) مثال ذلك ان يقدم صاحب بضاعة بضاعته لشخص اخر قادر على توزيعها ويعود لصاحب البضاعة ثمن بضاعته بغض النظر عن الربح او الخسارة، وبذلك يكون صاحب قد قدم الائتمان للموزع.

(٤٤) الدكتور حسين شحاته، المصادر البديلة للتمويل في الاسلام، **الاقتصاد الاسلامي**، بنك دبي الاسلامي عدد ٤٤ ابريل ١٩٨٦ صفحة ٨ - ٩.

التخطيط ودوره في التنمية
الاقتصادية في الاسلام

الاستاذ الدكتور حسن عبدالقادر صالح
قسم الجغرافيا -الجامعة الاردنية

مقدمة

التخطيط هو العلم الذي يقوم على وضع الدراسات لاحتياجات الامة على مدى متفاوت من الزمن. وتنبثق عن هذه الدراسات خطة تنمية اقتصادية واجتماعية تخضع للعمل والتنفيذ والتمويل والمتابعة، والتقييم والتعديل عند الاقتضاء. وتعاني عملية التخطيط الوضعي في الدول النامية من مشكلات متعددة أهمها محاكاة الدول المتقدمة التي تسير على النظام الرأسمالي أو النظام الاشتراكي، والتي تختلف في ظروفها عن الظروف التي تمر فيها الدول النامية. ومن جهة ثانية، فان التخطيط يبتعد عن الواقع ويرقى بطموحه الى حد بعيد تعجز الدول النامية معه من تنفيذه لفقرها ونقص الامكانات المتاحة لديها. كما أن التخطيط الوضعي يعتمد اساسا على الناحية المادية ويغفل الناحية الروحية، ويهتم بالتنمية الاقتصادية أكثر من اهتمامه بالتنمية الاجتماعية. لكل ذلك جاء التخطيط الوضعي مخيبا للآمال، وتطلع الانسان الى البديل فلم يجد سوى التخطيط الاسلامي منقذا له من تخبطاته وحيرته .

ويهدف هذا البحث الى عرض المشكلة الاقتصادية التي تتمثل في التخلف الاقتصادي للدول الاسلامية في العالم المعاصر. كما يهدف الى معالجة دور التخطيط في التنمية من منظور اسلامي. وتشير الدلائل الى أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية هي

السبيل الوحيد لحل المشكلة الاقتصادية، وان هذه التنمية تخفق في تحقيق اهدافها نتيجة لاعتمادها على التخطيط الوضعي، لذا فان التخطيط الاسلامي يقع عليه عبء وضع الخطط التنموية الناجحة. من هذا المنطلق، جاء هذا البحث ليضع استراتيجية اسلامية لتخطيط التنمية الاقتصادية مستفيدا من التعاليم الاسلامية الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، بالاضافة الى استفادته من العناصر الايجابية في التخطيط الوضعي التي لا تتعارض مع العقيدة الاسلامية.

وانتهز هذه الفرصة لاعبر عن شكري للقائمين على جمعية الدراسات والبحوث الاسلامية في عمان، حيث اتيحت لي الفرصة لالقاء هذا البحث في مؤتمر الاسلام والتنمية الذي تشرف الجمعية على عقده. وآمل ان ينتفع من هذا البحث طلبة العلم في تخصصات متنوعة كالاقتصاد والفقه الاسلامي والجغرافيا والاجتماع. وأطمع أن يغفر الله لي قصوري في هذه المحاولة من الاجتهاد، فالكمال له وحده " وقل رب زدني علما".

المشكلة الاقتصادية والتنمية الاقتصادية

يتفق علماء الاقتصاد على أن المشكلة الاقتصادية تحدث بشكل عام عندما تعجز الموارد المختلفة عن اشباع جميع حاجات المواطنين في المجتمع. وقد شغلت المشكلة الاقتصادية بوجه عام ومشكلة الفقر بوجه خاص- في الوقت الحاضر- اذهان المفكرين على مختلف مذاهبهم وعقائدهم [(١)] فالمشكلة الاقتصادية في نظر الرأسماليين تنجم عن قلة الموارد الطبيعية وعجزها عن تلبية الحاجات، والتي يعبر عنها بمشكلة الندرة. والمشكلة في نظر الشيوعيين ترجع الى عدم بلوغ التطور غايته مما ادى الى حدوث تناقض بين قوى الانتاج[(٢)]. ويرى الاسلام في المشكلة الاقتصادية ظاهرة تحدث في الناس بما يكون منهم من ظلم وكفران في هذه الارض. أما الظلم هنا فيتجسد في سوء التوزيع، واما كفران الناس لنعم الله فيتمثل في سوء استغلالهم لموارد الارض [(٣)].

ويستفاد هذا التصور الاسلامي للمشكلة الاقتصادية من قوله تعالى بعد ذكر نعمه على عباده في قوله " وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار"

(ابراهيم ٣٢-٣٤)، وفي قوله ايضا "كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى" (العلق ٦-٧)، وفي قوله ايضا "لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد" (ابراهيم٧).

التخلف الاقتصادي والتبعية. يعاني العالم الاسلامي منذ ان ضعف وتفكك وخضع للسيطرة الاستعمارية حتى الوقت الحاضر، من المشكلة الاقتصادية التي تتفرع عنها مشكلات كثيرة مثل التخلف الاقتصادي والتبعية والفقر والجهل والمرض وسوء التغذية والجوع وغيرها.

ولم يتعرض العالم الاسلامي أثناء عصر الاستعمار الى نهب ثرواته واخضاعه لسيطرة المستعمرين فحسب، بل أنه تعرض لغزو فكري وثقافي أدى الى تجريده من تراثه، والى اضعاف قيمه وثقافته تدريجيا، لتحل محلها قيم وثقافات أجنبية. وظلت دول العالم الاسلامي منذ عصر التحرير وحتى الوقت الحاضر تنظر الى واقعها الاقتصادي بمنظار غيرها، وأخذت تتعامل مع هذا الواقع باسلوب تقليد الآخرين ومحاكاتهم. وكانت النتيجة، اخفاق هذه الدول في تحقيق أهدافها الرامية الى تقدمها الاقتصادي، وهي لا ولا تستطيع الخروج من مأزقها ما دامت متخلفة وتابعة للآخرين، حيث تعاني حاليا من ضعف مستوى التنمية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية بصفة عامة.

ومن ابرز مؤشرات التخلف الذي يعاني منه العالم الاسلامي ما يأتي:

١- انخفاض مستوى الانتاجية، وبالتالي انخفاض الدخل الفردي، وانتشار الفقر وسوء التغذية والجوع.

٢- شيوع الملكيات الاقطاعية الكبيرة والملكيات المفتتة الصغيرة. وبينما نجد في الملكية الكبيرة اراض غير مستغلة استغلالا كاملا، نجد في حالات الملكية الصغيرة اراض مجهدة، وفي كلتا الحالتين تتعرض خصوبة التربة الى التناقص، وتصبح الكفاية الاستثمارية للارض ضعيفة [٤] .

٣- اعتماد غالبية السكان، الذين تزداد اعدادهم بمعدلات نمو كبيرة نسبيا، على الزراعة والرعي، وهو قطاع انتاجي يمارس بأساليب بدائية وتقليدية، ويعجز عن تقديم فرص العمل والاستخدام لمن هم في سن العمل من أبناء الريف. وتؤدي البطالة باشكالها الحقيقية والموسمية والمقنعة الى انتشار الفقر وتدني مستويات المعيشة . ويرتفع ضغط السكان على الموارد الزراعية، كما يرتفع مؤشر الاعالة الى درجة تجعل العاملين من ذوي النشاط الاقتصادي يتحملون عبئا كبيرا في اعالة ذويهم.

٤- وجود فجوة حضارية بين المناطق الريفية والحضرية تمثلت في اختلاف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية والصحية بين سكان كل منها. وينتج عن ذلك كله نزوح ابناء الريف من ديارهم للاستقرار في المدن، حيث تتوافر فرص عمل أكثر، بالاضافة الى توافر المرافق والخدمات العامة.

٥- اعتماد الدول الاسلامية بشكل رئيسي على تصدير بعض المواد الاولية أو نوع واحد من السلع الزراعية، في الوقت الذي تستورد فيه جميع السلع الاستثمارية ومعظم السلع الاستهلاكية. ويعدّ هذا الارتباط الشديد بالاسواق الخارجية من أهم العوامل التي تسبب حدوث المشكلات الاقتصادية والتبعية التجارية للخارج.

وتعد التبعية التجارية جزءا من التبعية الاقتصادية للخارج. واذا اعتمدت الدولة على الاستيراد لسد حاجاتها، وبخاصة استيراد المنتجات الصناعية، فانها ستضطر الى توجيه سياستها الخارجية بحيث تلتزم بعلاقات طبيعية او حميمة مع الدول التي تزودها بما تحتاج اليه من سلع. واذا ازدادت قيمة مستورداتها عن قيم صادراتها بصورة متنامية فانها تتعرض الى عجز في ميزانها التجاري. واذا تفاقم هذا العجز وصاحبه ارتفاع في اسعار المستوردات فان ذلك يؤدي الى ارتفاع أسعار السلع في الاسواق المحلية، والى ارتفاع تكاليف المعيشة، وتضطر الدولة الى مضاعفة انفاقها على دعم أسعار السلع الاساسية، والى الاستدانة من الخارج لمواجهة العجز في ميزان مدفوعاتها. وتقع في

النهاية فريسة للتضخم المالي الذي تعجز عن كبح جماحه اذا لم تعالج وضعها الاقتصادي بسرعة.

ويمكن أن نقيس مؤشر مديونية الدول الاسلامية للخارج على النحو التالي:

$$\text{عبء خدمة الديون} = \frac{\text{اقساط الديون + الفوائد}}{\text{قيمة الصادرات}}$$

وينتج هذا العبء عن الخلل في هيكلية انتاج الدولة وصادراتها. واذا لم تستطع صادرات الدولة الاسلامية أن تنمو بمعدلات أسرع من معدلات نمو عبء ديونها الخارجية، فان هذه الدولة ستعجز عن سداد ديونها، وستضطر في النهاية الى الطلب من الدول الدائنة بان تعيد جدولة الديون، مع أن الاعادة لن تحل مشكلة تفاقم الديون [٥].

العجز في الاكتفاء الذاتي

تنشأ المشكلات الاقتصادية من جراء تعدد الحاجات وندرة الموارد. وهذه المشكلات يشترك فيها الاقتصاد الحديث والاقتصاد الاسلامي، مع فارق يظهر بينهما في الاختيار. فالاقتصاد الحديث أقيم على القواعد الاجتماعية الرأسمالية التي تتحكم فيها نزوات الافراد، بينما أقيم الاقتصاد الاسلامي على القيم الاسلامية.

ويعتقد علماء الاقتصاد الحديث بان الموارد التي وهبها الله للبشر تعجز عن تلبية حاجاتهم. غير ان علماء الاقتصاد الاسلامي يعتقدون بان العجز في الاكتفاء الذاتي من الموارد المستغلة ما هو الا ابتلاء من الله ليتبين مدى صبر البشر وتحملهم للفاقة. ولا يعني هذا أن الله قد تخلى عن مخلوقاته بحرمانه لهم من الموارد، بل على العكس من ذلك، نجده قد وضع في الارض اقواتها وفقا لقواعد رياضية محددة، وتبعا لاسس وخصائص وارتباطات علمية ثابتة. وهيأ للانسان الفرصة للبحث والتنقيب عن الموارد، حتى اذا ما اكتشفها أسرع في استخدام العلم والتكنولوجيا للاستفادة منها.

ويشكل العجز في الاكتفاء الذاتي من السلع الضرورية عنصرا اساسيا من عناصر المشكلة الاقتصادية في الوقت الحاضر [٦] . ويعد انحراف الانسان واهماله وعجزه عن استغلال الموارد الطبيعية الاستغلال الامثل، من بين الاسباب التي تكمن وراء المشكلة الغذائية. فقد ظلم الانسان اخاه الانسان بالتعدي على حقوقه، وقد كفر الانسان بنعمة الله، وطغى وتجبر وأعرض عن شكر الله وحمده على نعمه.

اما ظلم الانسان فانه يتمثل في سوء التوزيع الذي كان تارة مبنيا على اساس فردي خالص- كما في النظام الرأسمالي الذي جنى على مصلحة الجماعة وحقها- وتارة اخرى كان هذا التوزيع مبنياً على اساس جماعي كما في النظام الشيوعي الماركسي الذي قضى على مصلحة الفرد وكيانه، وناقض فطرته وطبيعته. وأما كفران الانسان فانه يتمثل في اهماله وتقصيره نحو الانتاج بجحده بنعم الله. واما طغيانه فانه يظهر في التعالي على خلق الله واستغلاله بابتزاز اموالهم دون حق ولا بذل عمل جاد كطلب الربح بالانتظار عن طريق الربا. واستغلال ظروف الضعفاء كاليتامى والنساء، أو أكل الاموال بلا سبب مشروع، الأمر الذي يقلل من جهد القوى العاملة مما يؤدي الى ضآلة الانتاج، وبالتالي يؤدي الى سوء التوزيع. واما عدم شكر النعم فانه يظهر حين التقصير في جنب الله وجحد فضله فيما لا يستطيع العقل حصره ولا التوصل الى مكنون سره [٧] .

وحيث أن النظام الاسلامي يلتزم بمبدأ الانتاج من أجل الناس، فانه يعتبر الكسل والاهمال نوعا من الظلم والعدوان لانه يحرم الناس من تلبية حاجاتهم. كما انه يعتبر المشكلة الاقتصادية نتيجة لكسل البشر واهمالهم لاستخراج الخيرات التي خلقها الله، والانتفاع بها اكثر مما هي مشكلة الندرة النسبية للموارد مقارنة مع حاجات البشر.

مفهوم كل من النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية

يميز الاقتصاد الوضعي بين مفهوم كل من النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية. فالنمو الاقتصادي هو أحد مؤشرات التنمية الاقتصادية لانه يشير الى زيادة كمية في

الانتاج او في الدخل. اما التنمية الاقتصادية فهي عملية زيادة النمو التي تجري وفق سياسات موضوعة، وموجهة بغرض رفع مستوى المعيشة وتحسين مستوى الرفاه الاجتماعي. وتستهدف التنمية اطلاق القوى الانتاجية في الدولة خلال فترة محددة لكي تحقق زيادة كبيرة في الدخل، وذلك من خلال تغييرات مناسبة في الهيكل الانتاجي والاطار التنظيمي [٨].

اهتم علماء الاقتصاد الاسلامي بقضية التنمية الاقتصادية منذ القديم، حيث تم بحثها ضمن موضوع اكثر شمولا وهو عمارة الارض. وينظر الاسلام الى التنمية الاقتصادية على انها فريضة وعبادة [٩]. وبلغ حرص الاسلام على التنمية الاقتصادية ان قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "اذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع الا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها فله بذلك اجر (اخرجه البخاري واحمد). واعتبر الاسلام السعي الى الرزق وخدمة المجتمع وتنميته أفضل أنواع العبادة. والتنمية الاقتصادية في الاسلام هي مسؤولية القطاعين العام والخاص، لذا فانه عبأ جميع المواطنين لها بحيث تكون مرتبطة بفكرة الجهاد، وحثهم على التعاون فيما بينهم لضمان نجاح التنمية في تحقيق اهدافها.

صنع الاسلام اطاراً للتنمية يجمع بين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية من خلال تعاليمه وحوافزه وقواعده في العمل والانتاج والملكية وتوزيع الثروة. ويقوم النسق الاسلامي للتنمية على استمرارية عملية التنمية الاقتصادية، والجمع بينها وبين التنمية الاجتماعية حتى يمكن توفير متطلبات المواطنين المعيشية والدفاعية بما يناسب كل عصر، ويتفق مع مفهوم الاسلام للرفاه الاقتصادي والعدالة الاجتماعية. واذا كان مقياس الرفاهية الاقتصادية في الاسلام هو وفرة الانتاج، وسهولة الحصول عليه، وهو توفير الأمن والطمأنينة للفرد والمجتمع، فان مقياس العدالة الاجتماعية هو عدالة توزيع الدخل بين افراد المجتمع، وهو ضمان توفير الحد الادنى اللائق من مستوى المعيشة لكافة افراد المجتمع [١٠]. ويتحدد مستوى المعيشة المكفولة بمقاييس العصر الذي يعيش فيه المسلمون. لذا لم يحدد بقيم ومقادير بل حدد باحتياجات اقتصادية

واجتماعية قوامها المأكل والمشرب والملبس، والمسكن، وادوات الاتصال والانتقال، وتكوين الاسرة، والتعلم، ومواجهة الاحداث والكوارث والاصابات والوفاة، والرعاية الصحية، وتوفير الأمن والطمأنينة(١١).:

تقع مسؤولية توجيه المسيرة التنموية على عاتق الدولة الاسلامية لاسباب ثلاثة هي(١٢):

١ - ان الدولة الاسلامية مطالبة بضمان حد ادنى للمعيشة لرعاياها. لذا، فان التنمية الاقتصادية ضرورية لهذا الضمان.

٢ - تقتضي مهمة حمل راية الدعوة للاسلام ان تخصص الدولة الاسلامية جزءا من مواردها الخاضعة للتنمية للانفاق على هذا الهدف.

٣ - تساهم التنمية في بناء اقتصاد اسلامي قوي يمكن المجتمع الاسلامي من اتخاذ الموقف العقائدي الذي يفرضه الاسلام في القضايا الدولية دون ان يكون معرضا لضغوط اقتصادية من الخارج.

الاستراتيجية الاسلامية لتخطيط التنمية الاقتصادية

الحاجة الى تخطيط تنموي من منظور اسلامي

التخطيط هو العلم الذي يقوم على وضع الدراسات لاحتياجات الامة على مدى متفاوت من الزمن. وتنبثق عن هذه الدراسات خطة تنمية اقتصادية واجتماعية تخضع للعمل والتنفيذ والتمويل والمتابعة والتقييم والتعديل عند الاقتضاء. وللاحصاء اهمية كبرى في تخطيط التنمية الاقتصادية، ذلك لان الانتقال مما هو كائن الى ما يجب ان يكون، لا يمكن ان يتم بشكل جيد الا على اسس احصائية سليمة(١٣).

يركز المخططون للتنمية الاقتصادية في الاقتصاد الوضعي على المفهوم المادي للمستهلك الرشيد الذي يحاول اشباع حاجاته الاشباع الامثل، وللمنتج الرشيد الذي

يحاول تحقيق اكبر ربح ممكن، دون ان يؤخذ في الاعتبار تركيب الحاجات التي يمكن ان يتصورها المستهلك، ودون مناقشة الوسائل المختلفة التي قد يلجأ اليها المنتج لتضخيم ارباحه. ويترتب على مثل هذا السلوك الاقتصادي تحقيق مصالح فئة من المجتمع على حساب المجتمع كله [١٤] . ومن جهة ثانية فان المخططين في الاقتصاد الوضعي لا يأخذون في الاعتبار الظواهر السلبية المصاحبة لعملية التنمية. هذه الظواهر تنعكس آثارها على المجتمع فيما يعرف بالمشكلات الاجتماعية الجديدة، كتفكك بناء الاسرة والانحراف في سلوك الافراد المؤدي الى ارتكاب الجريمة. وتجدر الاشارة الى ان السلوك الانحرافي يمكن ان يحدث على مستويين: اولهما الانحراف او التفكك الحادث على مستوى الشخصية، وثانيهما الانحراف او التفكك الذي يحدث على مستوى المجتمع. وكلا المظهرين من مظاهر الانحراف يهدد أمن المجتمع واستقراره [١٥] .

وانطلاقا من الجوانب السلبية التي يعاني منها تخطيط التنمية في الاقتصاد الوضعي، تصبح الحاجة ماسة الى تبني تخطيط تنموي جديد قائم علي اساس اسلامي. ان النصوص الاقتصادية التي جاءت في القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ليست قيودا على حرية الانسان، وانما هي مجموعة من القواعد التي تساعد الانسان على اتخاذ القرارات المثلى المؤدية الى تحقيق رفاهيته ورفاهة المجتمع في مجموعه. ويستطيع المخطط للتنمية في الاقتصاد الاسلامي ان يتقيد بالقواعد والمبادىء التي على اساسها يمكن تحديد حاجات الانسان وفقا للاطار الديني العام.

ومن الضروري ان يعمل المخططون في الاقتصاد الاسلامي على توجيه التنمية في اتجاهاتها المقررة حسب المبادىء الاسلامية في الاقتصاد، والمستلزمات الاقتصادية العلمية في التنمية، وذلك قبل ان تتعمق جذور احد النظامين الرأسمالي والاشتراكي في صناعة التنمية الاقتصادية في البلاد الاسلامية التي لم تتكامل فيها التنمية بعد. ان الخط الاقتصادي الاسلامي يسير بين طرفي الحرية الفردية والتدخل التام، بطريقة مرنة تكفل الحركة الاقتصادية والمبادرة الفردية والمصلحة الاجتماعية والهدف الاخلاقي [١٦]

ويجب ان تسير التنمية بموجب تخطيط يستند الى المفاهيم الاسلامية في البناء الاقتصادي عموما، مع مراعاة المرحلة الاقتصادية التي تمر فيها الدولة الاسلامية، ومقتضيات القوانين الاقتصادية في الحياة. وستكون النتيجة تقديم نموذج جديد للتنمية الاقتصادية تقترن فيه التنمية الاقتصادية بالاهداف الاخلاقية، وترتبط فيه الحرية الفردية بالعدالة الاجتماعية، وتتوازى فيه المنفعة الفردية بالمصلحة العامة.

ولا بد من القول هنا، بان الاسلام اكد على اهمية التخطيط وضرورته للمسيرة التنموية. وقد سبق النظامين الرأسمالي والاشتراكي في تطبيق التخطيط الذي يوجه مسيرة التنمية في الطريق السليم. واذا قصرت الدولة الاسلامية عن اتباع التخطيط الذي يعمل على سد حاجات المجتمع في الحاضر وتدبير الامر للمستقبل، فانها تكون آثمة لابتعادها عن المنهج الالهي في عملية البناء الاقتصادي.

غير ان التخطيط في الاقتصاد الاسلامي ينبغي ان يضع في اعتباره ضرورة تحقيق التكامل الاقتصادي للامة الاسلامية. فالتكامل الاقتصادي يساعد على حل مشكلة ضيق السوق، كما انه يساعد على ادخال الفن الانتاجي المتطور. زيادة على ذلك فانه يسد النقص في بعض العناصر كالعمال والخبرات الفنية، ويوفر نفقات التنمية ذاتها عن طريق الاستغناء عن مشروعات كثيرة ومتكررة لا تتمتع بمزايا حقيقية. (١٧)

عناصر مختارة في الاستراتيجية الاسلامية للتخطيط:

تشتمل الاستراتيجية الاسلامية لتخطيط التنمية الاقتصادية على عناصر متعددة ومتنوعة تشكل في مجموعها اساسا اسلاميا لعملية التخطيط. ولكي ينجح التخطيط في اقامة مجتمع اسلامي يحيى حياة طيبة، ويجمع بين رغد العيش واطمئنان النفس، فان من الضروري ان يأخذ بعين الاعتبار عناصر مهمة كوجود الموارد الطبيعية المناسبة، ووجود الجهد البشري الفعال الذي يتعامل مع تلك الموارد، ويحيلها الى منتجات نافعة، ووجود القيم التي تضمن بصفة مستمرة تفاعل الجهد البشري مع

الموارد، ومن ثم دوام عملية الاشباع المتزايد للحاجات [١٨] . واذا خلا المجتمع من القيم الصالحة التي تضمن دوام التلاحم، ونمو الانتاج وعدالة توزيعه، فان المخططين لا بد ان يحرصوا على توفير هذه القيم الصالحة، والا فان ضخامة الانتاج الاقتصادي لن تستمر طويلا. والقرآن حافل بالامثلة التي تعبر عن ذلك اصدق تعبير، اذ قال تعالى "وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بانعم الله، فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون" (النحل ١١٢).

ان التصور الاسلامي لاستراتيجية التخطيط التنموي تصور ينطوي على عناصر جوهرية اهمها:

١ - تقييم الموارد الطبيعية والاقتصادية وتنميتها.

٢ - تقييم الموارد البشرية وتنميتها.

٣ - تمويل العملية التنموية وتطبيق الاولويات في تنفيذ المشروعات الانمائية.

٤ - شمولية الخطة التنموية وتكاملها.

٥ - عدالة التوزيع بين الاقاليم التنموية.

٦ - المحافظة على البيئة.

تقييم الموارد الطبيعية والاقتصادية وتنميتها:

تعد الموارد الطبيعية والاقتصادية من نعم الله على الانسان، حيث تشتمل على التربة والمياه والغابات والمراعي والمعادن والمحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية والمنتجات الصناعية....... الخ. ومن الطبيعي ان يلفت الله انظارنا الى ما حولنا من موارد للاستفادة منها في حياتنا تأكيدا لاستخلاف الانسان في الارض. وهناك آيات توضح هذا المعنى بقوله تعالى "هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها" (هود ٦١)، وقوله "قل انظروا ماذا في السموات والارض" (يونس ١٠١)، وقوله "الله الذي سخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (الجاثية ١٢ - ١٣) وقوله "الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من

الثمرات رزقا لكم، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سألتموه، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها، ان الانسان لظلوم كفار" (ابراهيم ٣٢ - ٣٤). وقوله "وهو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب، ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع، والزيتون والنخيل والاعناب، ومن كل الثمرات، ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون" (النحل ١٠ - ١١).وقوله "الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض" (الزمر ٢١). وقوله "وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره" (يس ٣٤). وقوله "وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه، ولتبتغوا من فضله، ولعلكم تشكرون" (النحل ١٤). وقوله "او لم يروا أنّا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون" (يس ٧١ - ٧٢). وقوله "الم تر ان الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها، وغرابيب سود" (فاطر ٢٧).

تشير جميع الآيات سالفة الذكر الى تسخير الكون كله للناس من ارض وسموات ومياه ونبات وحيوان. ولقد ربطت بين التسخير والدعوة الى التفكير والبحث والاطلاع. وهي في هذا ترشد الناس الى ان يستخدموا الاسلوب العلمي في المشاهدة والملاحظة والتجربة، والبحث عن الظواهر المختلفة واستنباط القوانين الطبيعية.

شاءت الحكمة الالهية ان توجد الموارد في اماكن متعددة ومتنوعة وبكميات متفاوتة ونوعيات مختلفة. وقد انعم الله على الانسان بالعقل والعلم ليفكر ويتدبر اموره، ويبتكر الوسائل المعينة له على البحث عن الموارد، واكتشافها ليتمكن من استغلالها والاستفادة منها في حياته. ويعتمد التخطيط في الاسلام على حصر الموارد الطبيعية والاقتصادية وتقييمها تمهيدا لوضع الخطط الرامية لتطوير هذه الموارد وتنميتها. وتقوم مبادىء التخطيط على اساس التعاون بين افراد المجتمع في دعم اقتصادياته وفقا للظروف التي يمر فيها المجتمع. يقول تعالى "وتعاونوا على البر

والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان" (المائدة ٢). ومن الضروري تجنيد كافة الطاقات، ومشاركة اكبر عدد ممكن من ذوي الرأي والمشورة في العملية التخطيطية. ولا بد ايضا من توفير الحوافز اللازمة لتسيير النشاط الاقتصادي. يقول تعالى "انا لا نضيع اجر من احسن عملا" (الكهف ٣٠). ويعني هذا وجوب مكافأة كل عمل يتم تنفيذه ضمانا لاستمرار مشاركة العاملين في الجهود التخطيطية والانتاجية.

ويحدد الاسلام اولويات تحقيق اهداف التخطيط بتقديم الضروريات على شبه الضروريات التي تتقدم بدورها على الكماليات. ويتولى المخططون في الاسلام اختيار افضل السبل وأيسرها لتحقيق اهداف الخطة من حيث السهولة وقلة التكاليف وسرعة الانجاز. ويقول تعالى "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" (البقرة ١٨٥). ويقول "يريد الله ان يخفف عنكم" (النساء ٢٨). وبذلك فان التخطيط الاقتصادي في الاسلام يؤدي الى ترشيد استخدام الموارد المتاحة، والوصول منها الى اقصى انتاج باقل تكاليف.

ومن المسائل الفقهية التي يجب ان يأخذها المخططون بعين الاعتبار ما ياتي:

١ - يمنع الاسلام تجميد المصادر الطبيعية التي يستغلها الافراد، ويعتبر تجميدها مؤديا الى فقدان حق الملكية.

٢ - للدولة الحق في الاشراف على النشاط الاقتصادي في الانتاج والتوزيع. ولها الحق ايضا في اعادة توزيع الموارد على اوجه الاستعمال في اوقات الحاجة من اجل زيادة الانتاجية والكفاءة.

٣ - تنتزع الدولة الارض من صاحبها اذا عطلها وامتنع عن استثمارها. وتقرر الدولة عند ذلك الطريقة التي يتم بها استغلال الارض او توزيعها للاستغلال.

٤ - يمكن منح الاراضي المملوكة ملكية عامة الى الافراد، شريطة ان لا يمنح احد اكثر من طاقته الفردية على الاستغلال.

٥ - كل اساليب الكسب دون عمل ودون مساهمة في الدورة الانتاجية التوزيعية للسلع والخدمات محرمة [١٩].

٦ - الفائدة محرمة لانها عبارة عن دخل مضمون لافراد ليس لهم مساهمة في النشاط الانتاجي.

٧ - تحريم المنتجات التي تتعارض مع القيم الاخلاقية الاسلامية، كذلك تحريم كل انواع النشاط الصناعي والعلاقات الاقتصادية التي لا تليق بالمستوى الانساني المكرم، او التي تجعل الانسان موضعا للظلم او الامتهان.

٨ - التأكيد على الجانب الاجتماعي للانتاج، وابراز الصبغة الاجتماعية للعلاقة الانتاجية ؛ فالنظام الاقتصادي الاسلامي يلتزم بمبدأ الانتاج من اجل الناس.

٩ - تتطلب العقيدة الاقتصادية الاسلامية تحديد منهج معين للانتاج والتوزيع والاستهلاك مبني على الغايات الاساسية للنظام الاقتصادي الاسلامي.

١٠- الوصول في استعمال الموارد الاقتصادية الى حده الاقصى. وهذا ما يسمى عادة بهدف التنمية او الاستخدام الكامل على الامد الطويل. وحيث ان الموارد الطبيعية هبة من الله، فان الاهمال أو التقصير في استخدامها يمثل نوعا من عدم الشكر له، فضلا عن كونه نوعا من العصيان.

١١- يتمسك الاسلام بقاعدة الحلال والحرام، وهي قاعدة تمتد الى جميع الانشطة الاقتصادية. فالحلال هو الاستغلال السليم للموارد، والحرام هو كل سلوك ينطوي على تبديد او اسراف في الموارد، او توظيفها في غير ما احله الله [٢٠].

١٢- يحث الاسلام على مواصلة العمل الانتاجي الدائب، ليتسنى تحقيق فائض يسمح باعادة الانتاج من خلال الاهتمام بتخزين الفائض. ويؤكد على ضرورة عدم الاسراف في الاستهلاك، وعدم تبديد الفائض [٢١]. يقول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام وهو يفسر رؤيا الملك، ويرشد الى خطته في مواجهة السنوات السبع العجاف المتوقعة "وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات. يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون، قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين. وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمّة انا انبئكم بتأويله فأرسلون، يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى

الناس لعلهم يعلمون، قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يَعصِرون" (يوسف ٤٣ - ٤٩).

تقييم الموارد البشرية وتنميتها

الانسان عنصر اساسي من عناصر التخطيط للتنمية الاقتصادية، اذ انه يعد اغلى رأسمال يمكن الاستفادة منه في عملية التنمية. وقد كرم الله الانسان وفضله على كثير من مخلوقاته، ومنحه العقل، وعلمه ما لم يعلم، وحمله الامانة فقبلها، واستخلفه في الارض. يقول الله تعالى "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" (الاسراء ٧٠). والتخطيط لا بد ان يستند على تقييم الموارد البشرية بغرض تنميتها، وبالتالي ضمان مساهمتها في عملية التنمية الاقتصادية ومواكبتها لها. وحيث ان الانسان هو هدف التنمية وصانعها، فان التخطيط يجب ان يستند على دراسة دقيقة للسكان، من حيث معرفة خصائصهم الديموغرافية التي تتضمن تطور نمو السكان وتوزعهم وتركيبهم النوعي والعمري والمهني والاجتماعي والتعليمي. وفي ضوء هذه المعرفة للسكان من حيث الكم والكيف يمكن ان تقوم خطط التنمية لتحقيق المستويات المعيشية الافضل للمواطنين كافة.

يحرص الاسلام على تطبيق العدالة الاجتماعية من حيث وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ومن حيث توفير مستلزمات الحياة الضرورية للمواطنين كافة بغض النظر عن مستوياتهم المادية. وتسعى الدولة الاسلامية لتوفير فرص العمل لكل القادرين عليه من اجل تقليص نسبة البطالة، وخفض مؤشر الاعالة، وازالة الفقر، وتجنبا لتعطيل الطاقة البشرية. وفي الوقت الذي يبيح الاسلام فيه للانسان ان يتمتع بالطيبات فانه لا يرضى بالزهد الاعجمي من الاعتزال والتقشف [٢٢]، فالله يقول "ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم" (الحديد ٢٧). كما لا يرضى الاسلام للانسان الانكباب على الشهوات،

فالله يقول "ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين" (الاسراء ٢٧).

يقع المخططون احيانا في خطأ كبير عندما يغفلون الموارد البشرية في خطط التنمية. فهم يظنون ان الانفاق على التعليم والتدريب والتثقيف لا يؤتي ثماره بسرعة، واذا تم ذلك فانه يكون على حساب الانفاق على القطاعات الانتاجية. غير ان الاسلام يحث على استثمار الموارد البشرية من خلال التعليم والتدريب الوظيفي، اذ يؤدي الاستثمار الانساني في التعليم والمهارة والمعرفة الى تحسين نوعية القوة العاملة وزيادة امكانية التقدم الفني واستخدام وسائله الحديثة في الانتاج. وينعكس ذلك بصورة ايجابية على زيادة مردود المشروعات الاقتصادية التي يديرها العمال والخبراء والمديرون.

ان التحدي الذي يواجه مخططي التنمية هو ان يبتكروا نظاما للتعليم يستطيع التوسع في محو الامية على النطاق العام، ويوفر التعليم اللازم بحيث يكون متاحا للجميع. ويقول تعالى: "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (الزمر ٩).

وقد حرص الاسلام على توجيه القوى العاملة نحو الجهود الانتاجية المفيدة والنافعة للفرد والمجتمع. وهذا يتطلب الافادة من عنصر العمل ورفع كفاءته وزيادة مهارته. يقول تعالى "وقل رب زدني علما" (طه ١١٤)، ويقول ايضا "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" (التوبة ١٠٥)، ويقول ايضا "كل نفس بما كسبت رهينة" (المدثر ٣٨). ويدفع الاسلام المخططين الى الافادة من كل مجالات التقدم العلمي التي تم الوصول اليها في كل من الماضي والحاضر. وتتدرج هذه الافادة تحت قاعدة عامة هي الافادة من هذه الخبرات فيما يتفق مع الاطار العام للنظام الاسلامي المتكامل. ويمكن الافادة من خبرات الامم السابقة حيث يقول تعالى: "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب" (يوسف ١١١)، ويقول "يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم" (النساء ٢٦). كما يمكن الافادة ايضا من خبرات المجتمعات المعاصرة ومكتسباتها، حيث يقول تعالى "فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون" (النحل ٤٣) [٢٣].

ان الهدف الاساسي للاستثمار البشري في الاقتصاد الاسلامي هو تكوين الانسان وتنميته بكامل قواه وعناصره. ويقتضي ذلك ان تتجه الاستثمارات لاقامة دور العلم والمساجد ومراكز الثقافة الاسلامية، وجمعيات البحوث والدراسات، ومعاهد التدريب، والجمعيات الخيرية، والمراكز الصحية. ولا يستهدف الاستثمار اشباع ما يعرف بالحاجات المادية للانسان فحسب، وانما يستهدف بشكل اساسي اشباع الحاجات الروحية له ايضا. واذا استطعنا ان نخطط لتربية جيل من المؤمنين بالله، فاننا ننجح بعدئذ في التخطيط لتنمية القطاعات الانتاجية التي يشارك هذا الجيل فيها.

ويحرص الاسلام على توفير نوعية جيدة من القوى العاملة لا تكون مدربة فحسب، بل تكون مرتبطة بالله ايضا. ومن بين المبادىء التي يعتمد عليها التخطيط في الاسلام توفير الرقابة والمتابعة باشكالهما المختلفة. ويقول الله تعالى "ولتسألن عما كنتم تعملون" (النحل ٩٣). ويحدد لنا ذلك صورا من الرقابة اولاها رقابة الله للعبد ومحاسبته على ما قدمت يداه، وثانيتها رقابة القيادة ممثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في قيادة الدولة. وهناك نظام الحسبة الذي يكفل مراقبة النشاط الاقتصادي لافراد المجتمع والذي تقيمه الدولة لهذا الغرض. ويقول الله تعالى "يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون" (الحشر ١٨). وتؤدي هذه الرقابة باطرافها المتعددة والمتكاملة الى ترشيد الاعمال وتقويمها، وعلاج التقصير فيها بصفة مستمرة.

تمويل العملية التنموية وتطبيق الاولويات في تنفيد المشروعات الانمائية

قبل ان نتطرق الى كيفية تمويل العملية التنموية في الاسلام يستحسن ان نؤكد هنا بان المال هو مال الله، وان البشر مستخلفون فيه. فامتلاك الفرد او الدولة للمال في الاسلام ليس امتلاكا بالمعنى المطلق، وانما هو وديعة او وظيفة شرعية او هو ملكية

مجازية، اذ المالك الحقيقي لكل الاموال هو الله، وانه سبحانه سيحاسب المكتسب للمال او الحائز المتصرف فيه بقوله "لتسألن يومئذ عن النعيم" (التكاثر ٨). ومن هنا ندرك لماذا نهى الاسلام عن اكتناز المال وحبسه عن الانتاج، ولماذا نهى عن صرف المال بغير حق في ترف او سفه، ولماذا ربط الاسلام بين الايمان والانفاق في سبيل الله.

وحيث ان الاسلام لا يسمح بالثروة والغنى الا بعد ضمان "حد الكفاية" لكل فرد من افراد المجتمع، اي المستوى اللائق للمعيشة بحسب ظروف الزمان والمكان، فان الحكمة من ذلك هو استثمار اموال الاغنياء في مشروعات تنموية تعود على المجتمع بالخير والنفع (٢٤). وتعمل الدولة الاسلامية بكل طاقاتها على تعبئة المدخرات الاختيارية لافراد المجتمع، وتوجيهها الى المنافذ الاستثمارية المناسبة بالطرق الاختيارية. ويمكن ان تقوم المصارف الاسلامية بدور مهم في مجال تعبئة المدخرات الاختيارية للافراد. وقد تشعر الحكومة الاسلامية بضرورة التدخل لتحقيق بناء راس المال عن طريق انشاء مصرف مركزي اسلامي، وكذلك اقامة صناديق الاستثمار بغرض توجيه الاستثمارات المالية نحو المشروعات التي يحجم القطاع الخاص عن الدخول فيها (٢٥).

ولا بد ان يقع تمويل مشروعات خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دائرة الحلال، وان يتحاشى دائرة الحرام التي تتمثل في الربا. ولا شك ان حكمة تحريم الفائدة على القروض التي تؤخذ لاغراض استهلاكية حكمة جلية. ذلك ان مثل هذه القروض انما يحصل عليها عادة اناس ذوو موارد ضئيلة لسد احتياجات شخصية ملحة، اذ قلما يتوفر لديهم اي سند من المدخرات التي يمكن بها مواجهة مثل هذه المتطلبات. ومن ثم فان تحريم الفائدة في هذا النوع من القروض يقوم اساسا على اعتبارات انسانية. اما الحكمة الرئيسية لتحريم الفائدة في القروض الممنوحة لاغراض انتاجية فانها تشتق من فكرة العدالة بين الانسان واخيه الانسان، وهي الفكرة التي تعد حجر الزاوية في الفلسفة الاسلامية عن الحياة الاجتماعية (٢٦).

ويبيح الاسلام زيادة الايرادات المالية عن طريق الضرائب التي تفرض على الارصدة والمدخرات التي تعود للاغنياء [٢٧]. غير ان الزكاة تشكل احد المصادر الرئيسية التي يمكن ان تستفيد منها الدولة الاسلامية في تمويل خطة التنمية. وليس في مقدور الدولة الاسلامية ان تنفق الزكاة كما تشاء، وانما بالطريقة التي حددها القرآن حيث يقول الله تعالى "انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ....الخ".

وفيما يتعلق باولوية الاستثمارات، فان الاسلام يحث المخططين للتوجه نحو مشروعات البنية التحتية التي تعد ضرورية لاقامة المشروعات الانتاجية. وتقع مسؤولية تنفيذ هذه المشروعات الكبيرة وذات النفع العام كمشروعات الطرق والمياه والكهرباء والمدارس والجامعات والمستشفيات ... الخ على عاتق القطاع العام، ويجب على الحكومة الاسلامية ان تقدم الحوافز التشجيعية للقطاع الخاص باقامة بعض المرافق والخدمات العامة. وفي الوقت نفسه، على الحكومة الاسلامية ان تخطط لاقامة المشروعات الانتاجية التي تعمل على اشباع الحاجات الاستهلاكية الضرورية، مثال: الاستثمار في الزراعة لتنمية الانتاج من المحاصيل الغذائية والثروة الحيوانية، والاستثمار في الصناعة لتنمية الانتاج من الصناعات الغذائية والاقمشة الشعبية والاحذية وبناء المساكن الشعبية. ومن الطبيعي ان تنشط الاستثمارات في قطاع التجارة والخدمات نتيجة لازدهار قطاعي الزراعة والصناعة. ومن الضروري ان يتمسك المخططون بالقيم الاسلامية، وان يسود مناخ اقتصادي اجتماعي صالح، وان تسود العدالة في توزيع الدخل، وان يؤخذ الحلال ويترك الحرام [٢٨].

ولا بد ان يتم التنسيق بين القطاعين العام والخاص في عملية اولوية اختيار المشروعات بحيث يتسنى الجمع بين مصالح الافراد ومصلحة المجتمع في آن واحد. ومن الطبيعي ان يأخذ المخططون بعين الاعتبار امكانية تعاون الدول الاسلامية فيما بينها من حيث اقامة المشروعات الاقتصادية المشتركة، او تبادل الخبرات الفنية والمساعدات المالية، او انتقال الايدي العاملة او الاستفادة من الاسواق الاسلامية في ترويج المنتجات ما بين دولة اسلامية اخرى.

شمولية الخطة التنموية وتكاملها

على الرغم من اللجوء الى الاولويات في اختيار المشروعات الواردة في خطة التنمية لاسباب تتعلق بصعوبة تمويل المشروعات، الا ان الخطة التنموية في الاسلام يجب ان تكون شاملة لمختلف المشروعات الممثلة للقطاعات الاقتصادية والاجتماعية كافة، وذلك في اطار من التكامل الذي يعود بالنفع العام على الدولة الاسلامية. ولا يقصد بالاولويات ان يفضل المخطط المسلم تنمية قطاع ما، كقطاع الزراعة مثلا، على قطاع آخر كقطاع الصناعة مثلا، ولكن المقصود بها هو اولوية اختيار المشروعات ضمن القطاع الواحد، مع التأكيد على ضرورة ان يكون لجميع القطاعات نصيب من التنمية في الخطة، وهذا يدعو الى ان تتميز الخطة التنموية بالشمول والتكامل معا.

وقد نهى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عن التركيز على الزراعة في نشاطنا الاقتصادي وترك القطاعات الاخرى، وهي دعوة الى التوازن بين قطاعات الاقتصاد، والى ايجاد تنمية شاملة ومتكاملة، فقال صلى الله عليه وسلم حين رأى سكة وشيئا من آلة الحرث " لا يدخل هذا بيت قوم الا ادخله الذل" (صحيح البخاري).

وعلى سبيل المثال، ترد بعض الآيات القرآنية التي تجمع بين موارد متعددة في آن واحد مما يشير الى اهمية عملية التنمية الشاملة لقطاعات متنوعة ومتكاملة. فالموارد المائية تذكر في الآية نفسها مع الموارد الزراعية كدليل على اهمية التكامل بين الموارد اثناء تنميتها. ويدعونا القرآن الى البحث في اسباب اختلاف خصوبة الارض واختلاف نوعية الزروع والمنتجات للافادة منها في تحقيق الاحتياجات الغذائية المختلفة ورغبات المستهلكين، فيقول تعالى "وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لأيات لقوم يعقلون" (الرعد ٤).

وقد شملت الدعوة ايضا الى جانب الانتاج النباتي كلا من الثروة الحيوانية والثروة المائية فقال تعالى "والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون" (النحل ٥)، وقال تعالى" وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا" (النحل ١٤). وفي مجال

الصناعة ارشدنا القرآن اثناء التخطيط الى تنمية صناعات نافعة كالصناعات الغذائية، والملبوسات والاثاث، والصناعات العسكرية، وبناء السفن، ووسائل الانتقال، واقامة المباني والسدود. فيقول تعالى "والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم، ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين. والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون" (النحل ٨٠ - ٨١)، وقال ايضا" واصنع الفلك باعيننا ووحينا" (هود ٣٧). وقد اهتم الاسلام بقطاعي التجارة والخدمات ايضا، واوضح انها من اعمال الرسل لمنفعتها للقائم بها وللمجتمع، فيقول تعالى" وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق" (الفرقان ٢٠) [٢٩].

عدالة التوزيع بين الاقاليم التنموية

يمكن الحكم على سلامة اهداف التخطيط الاسلامي بمعيار المنفعة العامة ورعاية الاقاليم المتخلفة التي تحتاج الى تنمية. وانطلاقا من الروح الاسلامية فان التخطيط في الاسلام يجب ان يسعى للجمع بين مطالب النمو الاقتصادي والعدالة الاجتماعية من خلال سياسة عدالة توزيع مشروعات التنمية بين الاقاليم. وهذه السياسة من شأنها ان تحقق عدالة توزيع الدخل بين افراد المجتمع المقيمين في الاقاليم المتعددة داخل الدولة الاسلامية. وتتطلب العقيدة الاقتصادية الاسلامية تحديد منهج معين للانتاج والتوزيع والاستهلاك، بحيث تضمن حصول الاقاليم المختلفة على نصيبها العادل من النتائج الايجابية للتنمية [٣٠].

واذا القينا نظرة على توزيع الاستثمارات في خطط التنمية التي تنفذ حاليا في الدول الاسلامية يلفت انتباهنا ذلك التركز الشديد للاستثمارات في اقليم العاصمة على حساب الاقاليم الاخرى التي تحتاج الى مزيد من التطوير والتنمية. ويسعى التخطيط في الاسلام الى تضييق الفجوة الحضارية بين اقليم العاصمة في الدولة الاسلامية

والاقاليم الاخرى من خلال اعادة النظر في توزيع الاستثمارات بحيث تحصل الاقاليم على نصيبها العادل من مشروعات التنمية بما يتناسب مع وضع كل اقليم.

ويحرص المخططون في الاسلام على تنمية الاقاليم في ضوء السياسة الاسلامية لتنمية الدولة عامة، وفي اطار التنسيق والتكامل بين هذه الاقاليم. ويقول عمر بن الخطاب" لو ان شاة عثرت على شاطىء الفرات لسئل عنها عمر يوم القيامة"، وهذا القول يؤكد لنا مدى عناية التخطيط في الاسلام بكافة اقاليم الدولة الاسلامية، وهو ما يعرف في العصر الحديث بالتنمية الاقليمية. ويقول الله تعالى "واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل" (النساء ٥٨)، وينطبق هذا القول على الاقاليم داخل الدولة الاسلامية من حيث حق كل اقليم على ولي الأمر ان يحصل على نصيبه من التطوير والتنمية.

المحافظة على البيئة

ارتبطت النظافة بالايمان. لذا، فان الاسلام يحرص على وجود بيئة صالحة وغير ملوثة. وفي خضم الحياة المادية المعاصرة اساء الانسان من خلال نشاطاته التنموية للبيئة المحيطة به، فاستنزف الموارد، ونشر التلوث في الارض والماء والهواء وراح يخل بالتوازن البيئي، الامر الذي ينذر بتدمير البيئة، بل بتدمير الانسان نفسه.

وقد حرص التخطيط للتنمية الاقتصادية في الاسلام على ان تكون المحافظة على الموارد البيئية مصاحبة للعملية التنموية. فالتعاليم الاسلامية تحث على حسن استغلال الموارد، وعلى تنمية الانسان اخلاقيا وفكريا وحضاريا، حتى لا يسيء الى الاجيال القادمة باستنزافه الموارد وتلويثها. يقول الله "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس" (الروم ٤١). ويقول ايضا "والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما" (الفرقان ٦٧)، ويقول ايضا "ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون" (الشعراء ١٥١ - ١٥٢)، ويقول ايضا "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين" (الاعراف ٢١).

وفي قواعد الدين والسنة اوامر كثيرة تدعو الى حفظ الصحة، وهي امور يجب على المخططين في الاسلام مراعاتها. ومما لا شك فيه ان العقل السليم في الجسم السليم، وان الامراض اذا انتشرت في المجتمع اصبح ضعيفا غير قادر على العمل. لذا فان التخطيط للتنمية الصحية من شأنه ان يتفاعل مع التخطيط للتنمية الاقتصادية. ولا بد من الاهتمام بتنفيذ مشروعات الطب الوقائي والعلاجي في آن واحد لضمان بيئة سليمة تترعرع فيها التنمية الاقتصادية، ويزداد نشاط الانسان في عمليات الانتاج.

الخلاصة

تطبق معظم الدول الاسلامية تخطيطا وضعيا في بناء خططها التنموية في الوقت الحاضر. وقد برهنت التجربة على قصور هذا التخطيط الوضعي عن ضمان تحقيق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لاهدافها. ويعود السبب في ذلك الى سيطرة العقلية المادية واغفال الناحية الروحية اثناء عمليتي التخطيط والتنفيذ للخطط التنموية. ويقع كل من القطاع العام والقطاع الخاص في اخطاء جسيمة عندما تتركز استثماراتهم، التي توجهها المصالح الذاتية لتحقيق الارباح الطائلة، في اقاليم العواصم عادة على حساب الاقاليم الاخرى في الدولة، كما تتركز ايضا في المناطق الحضرية على حساب المناطق الريفية. ومن جهة ثانية، فان بعض القطاعات تستأثر من المخصصات المالية بنصيب الاسد على حساب بعض القطاعات الانتاجية الاخرى. وينتج عن هذه الاوضاع مزيد من التخلف الاقتصادي، وتكريس للفقر والجهل والمرض، وازدياد التبعية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية للخارج.

وقد آن الاوان لاتباع استراتيجية جديدة تقوم على اساس تخطيط اسلامي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. هذا التخطيط الواقعي الذي يستند على النظام الاسلامي في عناصره، من شأنه ان يضمن نجاح الخطط التنموية في تحقيق اهدافها. وهو تخطيط يعتمد على منهج الله الذي يهدف الى استخلاف الانسان في الارض لعمارتها، واستغلال مواردها، كما يهدف الى تحقيق الرفاه الاجتماعي والاقتصادي

للمجتمع، ليتفرغ الى العبادة والجهاد لاعلاء كلمة الله. ويستلهم هذا التخطيط اصوله من الفقه الاسلامي الذي يجمع بين مصلحة الفرد والجماعة، والذي يعتمد على تعاونهم على البر والتقوى، وتفانيهم في العمل لدنياهم وآخرتهم. وبالاضافة الى العدالة الاجتماعية القائمة على عدالة الانتاج والتوزيع والاستهلاك على مستوى القطاعات والاقاليم والسكان، فان التخطيط الاسلامي يستهدف تنمية كل ما هو حلال، وتحاشي كل ما هو حرام. كما انه يحفظ للاجيال القادمة حقوقها بعدم اللجوء الى استنزاف الموارد وتلويث البيئة. وهو تخطيط واقعي يعتمد على التقييم الذاتي من خلال ايمان المخططين والمنفذين بمراقبة الله لهم في اعمالهم.

الهوامش

١ - يمكن الرجوع الى الدراسات التالية على سبيل المثال:

أ - عبد العزيز فهمي هيكل، مدخل الى الاقتصاد الاسلامي. بيروت (١٩٨٣)، ص ٤١-٨٠.

ب - محمد ابراهيم منصور، محاولة لتفسير الواقع الاقتصادي في العالم الثالث على ضوء مفاهيم الاقتصاد الاسلامي. ندوة الاقتصاد الاسلامي، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد (١٩٨٣)، ص ٣٧ - ٧١.

جـ - محبوب الحق، ستار الفقر، خيارات امام العالم الثالث. ترجمة احمد فؤاد بلبع، القاهرة (١٩٧٧)، ص ٦٣ - ٦٤.

د - بيير جاليه، نهب العالم الثالث. ترجمة هيثم الايوبي وذوقان قرقوط. القاهرة (١٩٦٩)، ص١١.

هـ - ايف لاكوست، العالم الثالث او جغرافية التخلف، ترجمة الدكتور عبد الرحمن حميدة. بيروت (١٩٧٩)، ص ٩٥.

و - انطونيوس كرم، اقتصاديات التخلف والتنمية. الكويت (١٩٨٠).

ز - يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الانسان، بيروت (١٩٦٦)، ص ١٦٨.

ح - محمود الخالدي، مفهوم الاقتصاد في الاسلام، عمان (١٩٨٤)، ص ٣٤.

٢ - احمد النجدي زهو، اسس الاقتصاد في الاسلام. القاهرة (١٩٨٢)، ص ١٩ - ٢٠.

٣ - أ - محمد باقر الصدر، اقتصادنا. بيروت (١٩٦٩)، ص ٣٠٨.

ب - محمود سالم شحادة، التنمية الاقتصادية بين الاسلام والمناهج الاخرى.بحث القي في ندوة الاقتصاد الاسلامي المنعقدة في المركز الثقافي بالجامعة الاردنية خلال الفترة ٢١ - ١٩٨٣/٣/٢٤، ص ٤.

٤ - احمد محمد عبد العزيز النجار، بنوك بلا فوائد، استراتيجية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدول الاسلامية. القاهرة (١٩٧٢)، ص ٩ - ١٣.

٥ - ينطبق هذا الوضع على الدول النامية عامة. انظر الكتاب التالي :حسن عبد القادر صالح، مدخل الى جغرافية الصناعة. عمان (١٩٨٥)، ص ٢٠٣ - ٢٠٦.

٦ - حسن عبد القادر صالح، السياسة السكانية والامن الغذائي في العالم الاسلامي. بحوث ودراسات مع اطلالة القرن الخامس عشر الهجري. منشورات جمعية الدراسات والبحوث الاسلامية. عمان (١٩٨٢)، ص ١٥٣ - ٢٠٨.

٧ - احمد النجدي زهو، مرجع سابق، ص ١٩ - ٢١.

٨ - عبد الرحمن يسري احمد، التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاسلام، الاسكندرية (١٩٨١)، ص ٥ - ١٤.

٩ - محمد شوقي الفنجري، المذهب الاقتصادي في الاسلام. من كتاب الاقتصاد الاسلامي، منشورات المركز العالمي لابحاث الاقتصاد الاسلامي بجامعة الملك عبد العزيز، جدة (١٩٨٠)، ص ٩٢.

١٠- صلاح الدين المنجد، المجتمع الاسلامي في ظل العدالة، بيروت (١٩٧٦)، ص ١٥ - ٢١.

١١- محمد عبد المنعم عفر، النظام الاقتصادي الاسلامي، جدة (١٩٧٩)، ص ٥٩.

١٢- محمد منذر قحف، الاقتصاد الاسلامي: دراسة تحليلية للفعالية الاقتصادية في مجتمع يتبنى النظام الاقتصادي الاسلامي. الكويت (١٩٨١)، ص ٢١٨ - ٢٢٣.

١٣ - محمود محمد بابللي، الاقتصاد في ضوء الشريعة الاسلامية. بيروت (١٩٨٠)، ص ٢٦.

١٤- عبد العزيز فهمي هيكل، مرجع سابق، ص ٢٣ - ٢٤.

١٥- محمد عيسى برهوم، المشكلات المصاحبة للتنمية وعلاقتها بالاجرام.

بحث قدم الى المؤتمر العربي حول التنمية والدفاع الاجتماعي، الدوحة ٢٥ - ١٩٧٢/٣/٣٠، ص ١ - ٢.

١٦- محمد المبارك، تدخل الدولة الاقتصادي في الاسلام. من كتاب الاقتصاد الاسلامي، مرجع سابق، جدة (١٩٨٠)، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

١٧- محمد احمد صقر، الاقتصاد الاسلامي مفاهيم ومرتكزات. القاهرة (١٩٧٨)، ص ٩٢- ٩٦.

١٨- شوقي احمد دنيا، تمويل التنمية في الاقتصاد الاسلامي، دراسة مقارن، بيروت (١٩٨٤)، ص٣٤.

١٩ - محمد سعيد البوطي، سياسة الاقتصاد في الاسلام، ندوة الاقتصاد الاسلامي، مرجع سابق، بغداد (١٩٨٣)، ص ٢ - ١٩.

٢٠- عبد العزيز الخياط، الاسهم والسندات. ندوة الاقتصاد الاسلامي، مرجع سابق، بغداد (١٩٨٣)، ص ١٩٣ - ٢١٨.

٢١- عبد الهادي علي النجار، المنظور الاسلامي للتخطيط الاقتصادي، ندوة الاقتصاد الاسلامي، مرجع سابق، بغداد (١٩٨٣)، ص ٧٣ - ٩٧.

٢٢- عبد العزيز الخياط، التنمية والرفاه من منظور اسلامي، بحث القي في ندوة الاقتصاد الاسلامي المنعقدة في المركز الثقافي الاسلامي بالجامعة الاردنية خلال الفترة ٢١ - ١٩٨٣/٣/٢٤، ص ١٢ - ١٣.

٢٣ - محمد عبد المنعم عفر، مرجع سابق، ص ٣٥ - ٤٥.

٢٤ - أ - محمد شوقي الفنجري، الاسلام وعدالة التوزيع، ندوة الاقتصاد الاسلامي، مرجع سابق، بغداد (١٩٨٣) ص ٣٣١ - ٣٧٢.

ب - ابراهيم بشير الطويل، معالجة الاسلام لمشكلات الاقتصاد، بيروت (١٩٧٦)، ص ١٦٠ -١٦٣.

٢٥ - معبد علي الجارحي، نحو نظام نقدي ومالي اسلامي: الهيكل والتطبيق، المركز العالمي لابحاث الاقتصاد الاسلامي بجامعة الملك عبد العزيز، جدة (١٩٨١)، ص ٦٢ - ٦٣.

٢٦ - مجلس الفكر الاسلامي في الباكستان، تقرير عن الغاء الفائدة من الاقتصاد. ترجمة عبد العليم منسي، المركز العالمي لابحاث الاقتصاد الاسلامي بجامعة الملك عبد العزيز، جدة (١٩٨٤)، ص ٢٣.

٢٧ - أ - غريب محمد سيد احمد، الاقتصاد الاسلامي: دراسة في علم الاجتماع الاقتصادي. الاسكندرية (١٩٨١)، ص ١٨١ - ١٨٥.

ب - منصور التركي، الاقتصاد الاسلامي بين النظرية والتطبيق، ص ٢٦٥ - ٢٦٨.

٢٨ - عبد الرحمن يسري احمد محمد، الاولويات الاساسية في المنهج الاسلامي للتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي، المركز العالمي لابحاث الاقتصاد الاسلامي. جدة (١٩٨٢)، ص ٩ - ٣٤.

٢٩- محمد عبد المنعم عفر، مرجع سابق، ص ٤٠ - ٤٤.

٣٠- M. N., Siddiqi, The Economic Enterprise Islam, pp. 84 - 85.

انتاجية المسلم اساس للتنمية

الدكتور جمال عبــــده
عميد كلية الاقتصاد والعلوم الادارية
بالجامعة الاسلامية بغزه

يمكن القول ان التنمية زيادة كمية وكيفية للشيء المراد تنميته، وتنمية المجتمع الشاملة انما هي على هذه الشاكلة.

الزيادة المذكورة تحتاج الى عمل حتى تتم، ولا مناص من ان تستخدم كل الموارد في هذا العمل ان اريد له النجاح المطلوب.

والموارد نوعان: بشرية، وغير بشرية. وكل منهما له جانبان، الكم والكيف.

لذا، فالتنمية، انما هي احداث تطور في المجتمع بعامة، تقوم بها الموارد البشرية المعتمدة على الكم والكيف، وتستخدم هذه الموارد البشرية في تحقيق اهدافها موارد غير بشرية لها كم وكيف ايضا.

ونحن المسلمين نعلم ان الغاية الاساسية من وجود الانسان على الارض انما هي عبادة الله، وكل ما يعمله المورد البشري المسلم في احداث عملية التنمية انما هو عبادة، اذا اريد بها وجه الله تعالى.

وفي حقيقة الامر فان كل اعمال المسلم تصب في بركة التنمية، الا وهي اعمار الأرض التي ذكرها الله تعالى في اكثر من آية قرآنية كريمة.

والتنمية عمل، لا بد له من ادارة تخطط له قبل التنفيذ، وتتابع التنفيذ، وما بعد التنفيذ. فاذا كانت الموارد البشرية هي التي ستقوم بعملية التنمية، فان التخطيط والمتابعة ضروريان بالنسبة لعملها. لكل ذلك، كان لا بد من محاولة لتطبيق فكرة التخطيط والمتابعة على عمل المسلم في حياته.

أما خطة عمل المسلم فقد وضعت في المنهج الاسلامي التي بينها الله تعالى ورسوله الكريم ووضحها ورتبها أئمة المسلمين من الفقهاء المجتهدين.

وأما المتابعة فقد أوكل أمرها في الحياة الدنيا الى الحاكم المسلم والى الفرد المسلم نفسه، علما بأن الله والمؤمنين سيراقبون عمله "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" (١)، ويقول تعالى: "بل الانسان على نفسه بصيرة" (٢)

اذن فعلى المسلم ان يتابع اعماله ليقومها، وكيف لا يكون ذلك والله تعالى يقول: "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا، وان كانت حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين" (٣) كيف لا يحاسب المسلم نفسه وينتظره هذا الحساب الدقيق من الله تعالى. لذا، ينصحنا رسول الله بقوله: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت..." (٤)، والكيس هو العاقل، ودان تعني حاسب.

والانسان اذا عبد الله دخل الجنة والا دخل النار "والعاقل من حاول دخول الجنة"، وأعقل منه من حاول أن يدخل اعلى درجات الجنة اذ هي درجات" ولكل درجات مما عملوا" (٥).

واذن، فعلى المسلم ان يكون خبيرا في شؤون القياس والوزن لاعماله، وعليه ان يعظم حسناته حتى يضمن دخول افضل درجة في الجنة الا وهي الفردوس الاعلى، وهي درجة المقربين.

كم من المسلمين يفقه في أمور متابعة اعماله، وله خبرة في مجال المقاييس والموازين، ويعمل فعلا على المتابعة والتقويم؟!.

كيف يستطيع المسلم أن يتاكد او يضع احتمالا كبيرا في ان ما يقوم به من عمل يحقق له دخول الجنة عن طريق اكتساب اكبر كمية من الحسنات في هذه الدنيا، وهو يمارس عملية عمران الارض، او عملية تنميتها التي هي فرع العبادة المطلوبة من المسلمين؟.

جاء نفر الى رسول الله وقالوا له: "يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول اموالهم. قال: او ليس الله قد جعل لكم ما تصدّقون به. ان بكل تسبيحة صدقة، وامر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع احدكم صدقة، قالوا يا رسول الله ايأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجرا" (٦)، واهل الدثور: الاغنياء.

انها الحيرة عند اصحاب رسول الله من ان اختلاف العطاءات من الله قد يستتبعها تفاوت في دخول الجنة، ولا زالت الحيرة عند كثير من الناس، فكيف نخلصهم من هذه الحيرة؟! ماذا يفعلون اذا كبر وهلل وحمد الاغنياء؟!

ان الرد الطبيعي هو ما قاله الرسول الكريم في الحديث ذاته وفي حديث آخر "سبق درهم مئة الف درهم، قالوا: وكيف؟ قال: كان لرجل درهمان تصدق باحدهما، وانطلق رجل الى عرض ماله فاخذ منه مائة الف درهم فتصدق بها" (٧) كيف ذلك يا رسول الله ان يكون انفاق رجل درهما افضل من انفاق آخر مائة الف درهم؟ كيف نفسر ذلك؟! بل ومتى يكون الدرهم بمليون او باكثر من ذلك او باقل؟!

ان في هذا البحث جوابا لكل هذه التساؤلات.

مشكلة البحث وفروضه

يمكن تلخيص المشكلة على مستويين:

أولاً: المستوى العلمي

لقد مضى زمن طويل على وجود المسلمين منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمفروض ان فقهاء المسلمين قد قاموا بتطوير الموازين الدقيقة التي يمكن للفرد ان يزن بها اعماله حتى يطمئن على مستقبله في الآخرة.

وعند استقراء الباحث لهذه الكتابات وجد بأنها تخلو من موازين كهذه. وهذا في حقيقته نقص او فراغ لا مناص من ان يقوم من يملأه، خاصة اذا علمنا ان علوم الرياضيات والاحصاء قد تقدمت كثيرا، وأن اساليب التقويم (أو التقييم) الادارية قد تطورت كثيرا.

ثانيا: المستوى العملي

لا يمكن ان يتحول القلق عند كثير من الناس، لا يمكن ان يتحول الى اطمئنان الا عندما يزول الغموض الذي يحمل في طياته خطرا كان سببا لهذا القلق.

ليس هناك من خطر حقيقي اكبر واضخم من خطر النار او من خطر عدم الحصول على درجة عالية في الجنة.

ان النعم التي انعم الله بها علينا كثيرة، واختلافها يضع في نفوس الناس خوفا من ان يتفاوت الدخول للجنة او النار بسبب هذا الاختلاف في النعم التي قد تمكن زيدا من ان يفعل افعالا حسنة بكمية كبيرة،وبنوعية افضل، ولكنها قد لا تمكن عمراً من ذلك، فتفوت عليه الفرصة في دخول الجنة وبأحسن درجة من النار وباكبر درجة.

فمن يقوم بازالة هذا القلق ووضع الامور في نصابها؟! انه لا بد من حصول ذلك.

أما فروض البحث فانها تتمثل في فرض واحد هو:

* هناك امكانية لوضع ميزان يزن المسلم به اعماله عند متابعته لها، ويمكن الاعتماد في ذلك على مقاييس الاداء في علم الادارة.

هدف البحث

يهدف هذا البحث الى وضع ميزان لاعمال المسلم في الحياة الدنيا يمكنه من تقويم هذه الاعمال للاطمئنان على مستقبله في الاخرة.

اهمية البحث

تنبع اهمية البحث من الاهداف التي يمكن ان تتحقق اذا تم الاخذ بهدف هذا البحث ان تحقق وهو وضع ميزان لتقويم اعمال المسلم في حياته الدنيا، وهذه الاهداف تتمثل في الامور التالية:

١ - التسهيل على المسلم في متابعة اعماله وتقويمها مما يذهب عنه القلق ويوضح له الطريق الذي يمكن ان يوصله الى الجنة، او الى درجة محددة في الجنة على وجه الخصوص.

٢ - ان التسهيل على المسلم في تقويم اعماله يساعده في تجويد اعماله التي هي الاساس في احداث عملية التنمية في المجتمع الاسلامي.

٣ - ان تجويد فرد من المسلمين لاعماله تحفز غيره على تجويد اعماله هو الاخر، مما يجعل التجويد في الاعمال سمة من سمات المجتمع المسلم، وبذا تكون التنمية الشاملة سمة هذا المجتمع.

صعوبات البحث

تتمثل صعوبات البحث في أمرين أساسيين:

١ - عدم وجود كتابات في هذا المجال قديما او حديثا.

٢ - ضيق وقت اعداده بسبب تأخر الوقت الذي دعيت فيه للمشاركة في مؤتمر الاسلام والتنمية الذي سيقدم هذا البحث له، اذ لم ابلغ الا في اواسط هذا الشهر ايلول لعام ١٩٨٥م.

منهج البحث وخطته

اعتمد الباحث في اعداد هذا البحث على المنهج المنطقي القائم على الاستنباط، اذ سيقوم الباحث باستنباط الميزان انطلاقا من فهم بعض الاساليب الادارية وبما يتناسب مع الضوابط الاسلامية.

أما خطة البحث فانما تعتمد على الجانب المكتبي التطبيقي.

اطار البحث

لقد جاء هذا البحث مشتملا على ثلاثة فصول:

اما الفصل الاول: فيتعلق بمفهوم التنمية علميا واسلاميا، والذي تكمن فيه اهمية البحث اصلا.

واما الفصل الثاني: فيدور حول الانتاجية من ناحية مفهوم انتاجية عنصر من عناصر الانتاج، ومن ثم كفاءة هذا العنصر الانتاجية، او لكل العناصر مجتمعة.

واما الفصل الثالث: فقد جاء ليعالج عملية وضع ميزان لاعمال المسلم، بمناقشة مفهوم انتاجية المسلم، ومفهوم الكفاءة الانتاجية للمسلم.

وبعد ان انتهى الباحث من مدخل البحث فانه ينتقل الى الفصل الاول المتعلق بالتنمية.

المبحث الاول

مفهوم التنمية علميا

يقوم الباحث في هذا المبحث بتوضيح مفهوم التنمية من الناحية العلمية، وليس المقصود من ذلك هو استعراض آراء الكتاب في ذلك، ومناقشتها وتقويمها، والانتهاء منها الى مفهوم يمثل اضافة الى خلاصة هذه الاراء، انما سيكون عرضا لاشمل هذه التعاريف واكثرها تعبيرا عن معناها الواسع.

فالتنمية في حقيقتها الزيادة في الشيء الذي تتم تنميته من الناحية الكمية والنوعية.

ولكن هذه التنمية انما تحدث بصفة ارادية لا تلقائية والا كانت نموا لا تنمية.[٨]

ولا يختلف هذا المعنى في قليل او كثير عن المعنى اللغوي لهذه الكلمة.

وبعد ان انتهى الباحث من تحديد مفهوم التنمية علميا في هذا المبحث الاول من هذا الفصل فانه ينتقل الى المبحث الثاني لتحديد معناها اسلاميا.

المبحث الثاني
مفهوم التنمية اسلاميا

ان تحديد معنى التنمية من الوجهة الاسلامية يعطي ثقة اكبر في هدف البحث المتعلق بأثر تحسين انتاجية المسلم على التنمية الشاملة في المجتمع.

لقد استقرأ الباحث مفهوم التنمية في القرآن الكريم فوجد لها احد عشر مرادفا هي: التزكية، والتنبيت (الانبات)، والتربية، والتكثير (التكاثر)، والتثمير، والتنشئة، والنشور (الانشار)، والنشوز (الانشاز)، والبناء، والزيادة، والبركة (التبريك) [١]، وكلها بمعنى الزيادة الكمية والكيفية او واحدة منهما على الاقل.

وبذلك، فان المعنى الذي الذي حدده الباحث من الناحية العلمية هو نفس المعنى الذي توصل له الباحث من الناحية الاسلامية. ولكن لا بد من التفريق في هذا المجال بين نوعين من التنمية: التنمية الخاطئة والتنمية الصحيحة.

فالتنمية الخاطئة هي التي لا تستطيع بعد ان تعمل على زيادة الكمية او النوعية ان تضمن استمرارها مستقبلا.

اما التنمية الصحيحة فهي التي تحقق اكبر قدر من الضمان في استمراريتها مستقبلا بعد ان تتحقق.

ولا اظن ان تنمية تستند في خلفيتها الى العون من الله، ميسر كل انواع التنمية، الا يضمن لها البقاء في المستقبل. ولذا يقول تعالى: "ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" [١٠]، ويقول تعالى: "وتلك

القرى أهلكناهم لما ظلموا"[11]، ويقول: "وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون".[12]

ان تجويد الاعمال بسبب تقويم المسلم لاعماله سبب، بعد توفيق الله، في استمرار التنمية وبمعدلات مرتفعة، طالما عمل على متابعة أعماله وتقويمها بعد وزنها.

وبعد ان انتهى الباحث من تحديد مفهوم التنمية اسلاميا في هذا المبحث من الفصل الاول فانه ينتقل الى خاتمة هذا الفصل.

خاتمة الفصل الاول

حدد الباحث في هذا الفصل مفهوم التنمية من الناحية العلمية والاسلامية، وقد كان ذلك في مبحثين اثنين.

وقد انتهى الباحث الى أن مفهوم التنمية هو الزيادة في الشيء الذي تتم تنميته من ناحية الكمية والكيفية ويكون ذلك كله بطريقة ارادية. وذلك في مبحثي الفصل.

وبعد ان انتهى الباحث من تحديد مفهوم التنمية في هذا الفصل الاول فانه ينتقل الى الفصل الثاني لتحديد مفهوم الانتاجية.

الفصل الثاني
الانتاجية

مقدمة

قام الباحث في الفصل الاول بتحديد معنى التنمية، التي تشكل حافزا في سبيل تحديد الموازين التي يقوّم المسلم اعماله في الدنيا بناء عليها، والتي ستدفعه لتجويد اعماله في الحياة الدنيا لدخول الجنة في الاخرة. اذ ان التجويد في الاعمال سيعمل على زيادة في انتاج المجتمع المادي والمعنوي كمية وكيفية.

وقد جاء هذا الفصل لتحديد هذا الموازين، في المبحثين التاليين:

واما في المبحث الاول فسوف يحدد الباحث مفهوم الانتاجية على اختلاف مفاهيمها ومعانيها.

اما في المبحث الثاني فسوف يحدد الباحث مفهوم الكفاءة الانتاجية.

المبحث الاول
مفهوم الانتاجية

يقوم الباحث في هذا المبحث بتحديد مفهوم الانتاجية، والتي تتمثل في الميزان الذي تقوّم به المنشآت الاقتصادية أعمالها للتأكد من مقدار تحقق الاهداف التي قامت المنشأة من اجلها.

ولتوضيح فكرة الانتاجية فسوف يناقش الباحث في هذا المبحث النقاط التالية:

١ - معنى الانتاجية.

٢ - الانتاجية النوعية.

٣ - الانتاجية المثلى.

وفيما يلي توضيح لكل واحدة من هذا النقاط:

١ - معنى الانتاجية:

يمكن القول ان الانتاجية مقياس لمعرفة مدى نجاح الوحدة الاقتصادية في تشغيل عناصر الانتاج التي تحت تصرفها، من اجل تحويلها الى منتجات جاهزة، ويعبر عنها رياضيا بالنسبة التالية:

المخرجات/ المدخلات

والمخرجات هي الناتج الذي تنتجه الوحدة او المنشأة، كمصنع ينتج صابونا، وقد يعبر عنها عينيا او نقديا، كمية او قيمة.

وأما المدخلات فهي الموارد المستخدمة في الانتاج، بشرية كانت او غير بشرية، كالمواد والالات والعمال وغيرها من عناصر التكاليف.

فاذا قلنا ان مخرجات المصنع من الصابون ١٠٠٠ دينار في الشهر والمدخلات كانت بقيمة ٨٠٠ دينار، فتكون انتاجية الدينار الواحد

$$\frac{\text{١٠٠٠}}{\text{٨٠٠}} = \text{١.٢٥ دينار أي ان العائد على رأس المال} = \frac{\text{٠.٢٥}}{\text{١}} = \text{٢٥٪ أي ان كل دينار يربح ربع دينار}$$

ولتوضيح فائدة معيار الانتاجية في التقويم يمكن ضرب المثال التالي: اذا كان رأس المال الذي يعمل به المصنع (أ) ١٢٥,٠٠٠ دينار ورأس المال الذي يعمل به المصنع (ب) ٧٠,٠٠٠ دينار، وجاءت نهاية العام ليحاسب كل مصنع على أعماله، فوجد ان المصنع الاول قد حقق ربحا مقداره ١٥,٠٠٠ دينار، واما المصنع الثاني فكان ربحه ١٠,٠٠٠ دينار.

ان المعرفة الاولية لمقادير الارباح للمصنعين توحي بأن المصنع الاول افضل او اكفأ من الثاني، ولكن الذي يقرر ذلك هو المعيار السابق وكما يلي:

$$\text{انتاجية الاول} = \frac{\text{١٢٥٠٠٠} + \text{١٥٠٠٠}}{\text{١٢٥٠٠٠}} = \frac{\text{١٤٠}}{\text{١٢٥}} = \text{١.١٢}$$

$$\text{انتاجية الثاني} = \frac{\text{٧٠٠٠٠} + \text{١٠٠٠٠}}{\text{٧٠٠٠٠}} = \frac{\text{٨٠}}{\text{٧٠}} = \text{١.١٤}$$

اذن فالقياس بمقياس الانتاجية اوصل الباحث الى ان انتاجية الثاني اعلى، على الرغم من ان قيمة ارباح الاول اكثر من قيمة ارباح الثاني، وبذلك فالمصنع الثاني افضل في عمله من الاول.

٢ - الانتاجية النوعية:

قيل في النقطة السابقة ان الانتاجية مقياس يعكس درجة نجاح الوحدة الاقتصادية في تشغيل عناصر الانتاج التي تحت تصرفها من اجل تحويلها الى سلع جاهزة، أي انها تركز على كل عوامل الانتاج.

الا ان الانتاجية النوعية تركز على عنصر واحد من عناصر الانتاج وذلك لتحديد مدى النجاح في تشغيل هذا العنصر فقط، او مدى اسهام هذا العنصر في نجاح التشغيل من عدمه.

فمثلا لو كان العنصر الذي سيتم التركيز عليه هو عنصر العمل فاذا كان في المصنع (أ) ١٠٠٠ عامل وانتاجه ٥٠٠٠ دينار وفي المصنع (ب) ٥٠٠ عامل وانتاجة ٣٠٠٠ دينار، فان المصنع (ب) افضل في تشغيل عنصر العمل من المصنع (أ) وكما يلي:

انتاجية عنصر العمل في المصنع(أ) = $\frac{٥٠٠٠}{١٠٠٠}$ = ٥ دينار

انتاجية عنصر العمل في المصنع(ب) = $\frac{٣٠٠٠}{٥٠٠}$ = ٦ دنانير للعامل

٣ - الانتاجية المثلى:

ويظهر من اسمها، انها مثلى. وبذلك فهي تعبر عن افضل اوضاع الوحدة الاقتصادية في تشغيل مواردها الانتاجية، ويعبر عنها بالنسبة التالية:

$$\frac{\text{المخرجات المثلى}}{\text{المدخلات المحددة}} \quad \text{او} \quad \frac{\text{المخرجات المحددة}}{\text{المدخلات المثلى}}$$

أي انها الوصول الى الانتاج الامثل في ضوء عناصر انتاج محددة، أو استخدام

عناصر الانتاج المثلى في الوصول الى منتجات محددة.

فاذا طلب منا كمصنع لانتاج الصابون انتاج ١٠٠٠ وحدة فانتاجيتنا المثلى تتحدد عن طريق العمل على ادخال اقل عدد من عناصر الانتاج لانتاج ١٠٠٠ وحدة دون اخلال بنوعية هذه الوحدات.

واذا حددت لنا قيم عناصر الانتاج التي يمكن لنا استغلالها ويمكن للسوق ان يستوعب اى كمية من الانتاج، فانتاجيتنا المثلى، تتحدد عن طريق انتاج اكبر كمية من الوحدات على هذه العناصر الانتاجية المحددة سلفا دون اخلال بنوعية هذه الوحدات.

وتحسين الانتاجية يكون عن طرق ثلاث:

أ - زيادة المخرجات مع ثبات المدخلات.

ب - زيادة المخرجات مع انخفاض المدخلات.

ج - ثبات المخرجات مع انخفاض المدخلات.

أى بمعنى خفض التكاليف او زيادة الايرادات او الاثنين معا.

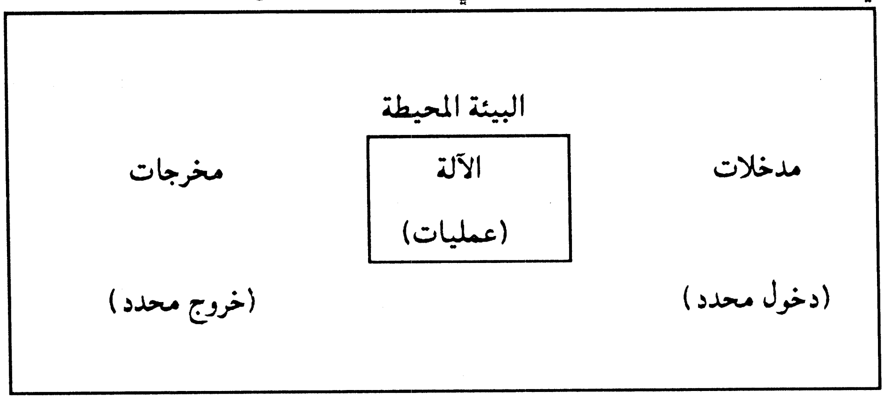
ويلاحظ بان الانتاجية المثلى تركز على الكم والكيف معا،فلا فائدة من انتاج كبير لصابون غير مرغوب من الناس، وكذلك لا فائدة من صابون مرغوب لم ينتج منه عدد كاف للبيع، أى أن معيار الانتاجية يعكس امرين هامين هما:

- درجة تشغيل المنشأة لمواردها.
- حسن او سوء استغلال هذه الموارد.

أى أن الانتاجية سوف تتأثر بمدى استغلال المنشأة لكل مواردها وبنوعية الاستغلال او صحته. أى ان هناك استغلالا كاملا، واستغلالا صحيحا، ومنهما يكون الانتاج الامثل.

وقد يسأل سائل في هذا المجال السؤال التالي:

اذا افترضنا وجود آلة انتاجية، لها مدخلات ومخرجات كما يظهر من الشكل التالي [١٣]، ومثلها كمثل أي عنصر انتاجي لها مواصفات، من بينها



الشكل رقم (١)
مدخلات ومخرجات آلة انتاجية

قدرة محددة على الادخال وقدرة محددة على الاخراج، وهناك بيئة محيطة تؤثر وتتأثر بهذه الآلة.

واذا افترضنا ان المطلوب من الآلة ان تخرج مخرجات معينة حتى تبلغ حد الرضا بانتاجها، وان الآلة مهيأة بصناعتها ان تستقبل من المدخلات التي تزيد عن الحاجة للانتاج المطلوب، وبامكانها ان تخرج مخرجات اكثر من المطلوبة. فما هو الانتاج الامثل؟!

والجواب: ان ادخل للالة على الاقل ما يكفي لما هو مطلوب منها انتاجه. وأما ما أدخله الى الالة بعد ذلك فانه يعتمد على ظروف البيئة المحيطة، فهل يمكن ان تستوعب هذا الانتاج ام لا؟ لذا فانه من الخطأ تبذير هذه الموارد (المدخلات) دون تحقيق فائدة عظمى عليها.

غير انه لا يجوز لي بداية ان ادخل مدخلات بطريقة جزافية او دون فائدة لان غيري قد يحتاج لها لانتاج منتجات ضرورية.

ولكني اذا رضيت ادخال مدخلات زائدة للالة في حدود استقبالها، فانني مطالب باخراج مخرجات مثلى على هذه المدخلات الزائدة، اذ انني في الاصل متضامن مع كل المجتمع في ان لنا موارد محددة، ومطلوب لهذا المجتمع ومن هذا المجتمع مخرجات محددة وبطريقة مثلى.

ومن الضرورة الاشارة الى ان هناك انتاجية مثلى لكل عنصر من عناصر الانتاج.

هذا وبعد ان انتهى الباحث من تحديد مفهوم الانتاجية، في هذا المبحث الاول من الفصل الثاني فانه ينتقل الى المبحث الثاني المتعلق بمفهوم الكفاءة الانتاجية.

المبحث الثاني

مفهوم الكفاءة الانتاجية

قام الباحث في المبحث الاول من هذا الفصل بتحديد مفهوم الانتاجية الذي قيل عنه انه مقياس لمعرفة مدى نجاح الوحدة الاقتصادية في تشغيل عناصر الانتاج او الموارد الانتاجية. ولكن السؤال المهم، هل يمكن عن طريق معيار الانتاجية تحديد مقدار النجاح في التشغيل؟.

ان كل ما يقوله المعيار هو ان الدينار من عناصر الانتاج يعطي دينارين، او العامل ينتج خمس وحدات صابون في الساعة، أو ان الماكينة تنتج مائة وحدة في اليوم، وهكذا.

وليس لهذا المعيار ان يقول وبدقة كم تفوق انتاجية المصنع (أ) المصنع (ب) او كم انجز المصنع مما كان متوقعا منه في ضوء الانتاجية المثلى، أى انها تجيب على سؤال، كم أنتج؟ فقط.

ان الكفاءة الانتاجية هي التي تقول ذلك، وتجيب على سؤال: ما هي كفاءتي في الانتاج بالنسبة لانتاج غيري او لما يجب علي ان انتجه، أى بالنسبة للانتاجية المعيارية أو المثلى.

والكفاءة الانتاجية هي نسبة الانتاجية الفعلية الى الانتاجية المثلى او المعيارية على النحو التالي:

$$\frac{\text{المخرجات الفعلية}}{\text{المدخلات}} + \frac{\text{المخرجات المثلى(المعيارية)}}{\text{المدخلات}} = \frac{\text{المخرجات الفعلية}}{\text{المخرجات المثلى}}$$

أي انها نسبة ما هو كائن لما يجب ان يكون.

وكما ان الانتاجية، تركز على الكم والكيف، كذلك الكفاءة الانتاجية تركز على الكم والكيف.

اذ لا بد لنا من ان نتحقق من الانتاج الكامل عن طريق قياس الانتاج الفعلي الى ما كان ينبغي ان يكون عليه الانتاج فيما لو استغلت جميع الموارد كاملة، ويعبر عن ذلك

بالكفاءة الانتاجية (التشغيلية) الكاملة وتساوي $\frac{\text{الانتاج الفعلي}}{\text{الانتاج الكامل}}$

وكذلك لا بد لنا من ان نتحقق من الانتاج الصحيح عن طريق قياس الانتاج الفعلي الى ما كان ينبغي ان يكون عليه الانتاج فيما لو استغلت جميع الموارد استغلالا صحيحا،

ويعبر عن ذلك بالكفاءة الانتاجية (التشغيلية) الصحيحة وتساوي $\frac{\text{الانتاج الفعلي}}{\text{الانتاج الصحيح}}$

وكذلك، فكما ان هناك انتاجية لكل عنصر من عناصر الانتاج، كذلك هناك كفاءة انتاجية لكل عنصر من عناصر الانتاج، وتركز على الكم والكيف، وعلى التشغيل الكامل والصحيح.

وبعد ان انتهى الباحث من تحديد مفهوم الكفاءة الانتاجية في هذا المبحث الثاني من الفصل الثاني، فانه ينتقل الى خاتمة الفصل.

خاتمة الفصل الثاني

ناقش الباحث في هذا الفصل مفهوم الانتاجية، والكفاءة الانتاجية، في مبحثين اثنين، والتي تعبر عن الميزان الذي يتم بناء عليه تقييم اعمال منشأة او وحدة اقتصادية.

أما في المبحث الاول الذي حدد فيه الباحث مفهوم الانتاجية وانتهى منه الى انه يتمثل في نسبة المخرجات الى المدخلات، والتي يعبر عنها كما او كيفا، وتركز على الاستغلال الكامل للموارد، وعلى الاستغلال الصحيح. وان هناك انتاجية فعلية واخرى مثالية معيارية، وانها كما تختص بالوحدة او المنشأة الاقتصادية، فانها تختص بكل عنصر من عناصر الانتاج.

أما في المبحث الثاني فقد حدد فيه الباحث مفهوم الكفاءة الانتاجية، وانتهى منه الى ان الكفاءة تتمثل في نسبة الانتاجية الفعلية الى الانتاجية المثلى، وانها تتناول كل ما تم تناوله في مجال الانتاجية، اي انها يعبر عنها كما وكيفا، وتركز على الاستغلال الكامل والصحيح، وانها تختص بالمنشأة كاملة وبعناصر الانتاج متفرقة.

وبعد ان انتهى الباحث من تحديد مفهوم الانتاجية والكفاءة الانتاجية في هذا الفصل الثاني، فانه ينتقل الى الفصل الثالث والاخير والذي يختص بانتاجية المسلم وكفاءته الانتاجية.

الفصل الثالث

انتاجية المسلم

مقدمة

يركز الباحث في هذا الفصل على كيفية استخدام المسلم لميزان الانتاجية، لتقويم اعماله بناء عليه، حتى يعلم ما اذا كان استثماره لموارده بالمستوى المثالي أ م لا.

لقد امتن الله على كل فرد من بني آدم بنعم كثيرة أو قليلة، فهل قام كل واحد منا باستخدام هذه النعم الاستخدام الامثل (الكامل الصحيح) بالطريقة التي قد تمكنه من دخول الجنة أو الحصول على درجة محددة فيها اذا تغمده الله برحمته.

لذا، فقد جاء هذا الفصل محتويا على مبحثين اثنين:

أما في الاول فسوف يحدد الباحث مفهوم انتاجية المسلم مع التركيز على قضيتين اساسيتين هما: تحديد مدخلات الانسان، ومخرجاته، لتسهيل تحديد انتاجية الفرد المسلم.

واما في الثاني فسوف يحدد الباحث مفهوم الكفاءة الانتاجية للمسلم، وسوف يركز على الانتاجية المثلى للمسلم، ودرجات الناس في الحياة الآخرة.

المبحث الاول

مفهوم انتاجية المسلم

يحاول الباحث في هذا المبحث تطبيق فكرة مقياس الانتاجية على عملية تقويم اعمال المسلم في الحياة الدنيا، وأى تطبيق لأي علم على مجال من المجالات سينتج حتما قضايا تحتاج الى معالجة خاصة، وهذا ما واجه الباحث وهو يحاول تطبيق فكرة الانتاجية.

فلا بد من توضيح فكرة المدخلات والمخرجات الخاصة بالفرد وما يتعلق بهما من قضايا خاصة، قبل ان يشكل منهما ميزانا لوزن اعمال الفرد المسلم به، والتي يمكن تصويرها على شكل مدخل النظم وكما يلي:

مدخلات	الانسان عمليات البيئة المحيطة	مخرجات
(الغذاء الجسمي)		(أنماط السلوك)

شكل رقم (٢)

نظام العمليات الانتاجية في الانسان

لذا فسيقوم الباحث بمناقشة هذه النقاط التالية:

أولا: المدخلات.

ثانيا: المخرجات.

ثالثا: انتاجية المسلم الفعلية.

وفيما يلي تفصيل بسيط لكل منها:

أولا : المدخلات

يقصد بالمدخلات هنا الأغذية الجسمية المخلوقة في الارض والصالحة لتغذية الانسان، والتي تتكون بسببها الطاقة المخزنة في جسم الانسان ليتمكن من أداء أعماله بها.

وهذه الاغذية منها ما يبني ومنها ما يقي، ومنها ما يعالج، ومنها ما هو طاقة.

والاغذية، كما هو معروف، بعد ان تهضم يتمثلها الجسم لتقوم بعمليات البناء والوقاية، والعلاج، ثم يتحول الجزء الباقي الى طاقة (سعرات حرارية) مخزنة في الكبد والعضلات، وهذه هي التي تيسر للانسان القيام بكل نشاطاته الارادية وغير الارادية، فكأن مدخلات الانسان او موارده الانتاجية المقصودة في هذا البحث هي عناصر الغذاء المحولة الى طاقة (سعرات حرارية). (١٤)

ولتوضيح مدخلات الانسان فانه يحسن بالباحث مناقشة النقاط التالية:
أ - المدير او الموجة لهذه السعرات الحرارية.
ب - أنواع السعرات الحرارية ومصادرها.
ج - القيمة النوعية للسعرات الحرارية.
د - العوامل المحددة لدخول الطاقة (عن طريق الاغذية)
وفيما يلي توضيح لكل منها:

أ - المدير أو الموجه لهذه السعرات الحرارية:

ان المدير المحدد لعملية اكتساب الطاقة انما هو العقل.

ب - أنواع السعرات الحرارية ومصادرها،

السعرات الحرارية واحدة في نوعها، مختلفة في مصدرها فانواع الاكل تنتج كميات مختلفة من السعرات الحرارية.

جـ - القيمة النوعية للسعرات الحرارية،

تختلف قيمة واهمية السعر الحراري تبعا لمجموعة من العوامل والتي تتلخص في كلمة واحدة هي القوة، وعواملها هي:

- **الوقت** : تختلف القيمة النوعية للسعرات الحرارية تبعا لاختلاف الازمنة، وتبعا لطول او قصر الوقت المسموح فيه بالتصرف، وفي هذا المجال سيتم تثبيت مدة الوقت المؤثرة في قيمة السعرات الحرارية عن طريق نسبة السعر الحراري او استخراج قيمته في زمن معين كالساعة، او اليوم. هذا اضافة الى ان عمر الانسان هو من الامور الخارجة عن العادة ولا تدخل ضمن ارادة الانسان. وبذلك فان قيمة السعر الحراري ستختلف تبعا لنوعية الوقت. فالجمعة ورمضان مثلا تختلف عن غيرها في اهمية ما يبذل فيها من سعرات او جهد، الا انه من جهة اخرى، فان للعمر تأثيرا على مقدار النعم وعلى كمية الاعمار.

- **الجسم:** وهو الذي خلقه الله من خلايا وانسجة واعضاء، ووهبه للانسان ليكون الاداة التي بها يستطيع ان يسلك ويمارس اعماله. والاغذية التي يدخلها الانسان لجسمه يذهب قسم منها لبناء او ترميم هذا الجسم. والاجسام منها القوى ومنها الضعيف وبذلك فانها تؤثر على اهمية السعر الحراري؛ فكلما زادت قوة الجسم زادت القيمة النوعية لسعراته الحرارية.

- **السلطة والملكية:** والسلطة هي حق اتخاذ القرارات في الفعل او عدمه، او حق التصرف بالموارد المتاحة للانسان، فكلما كان للانسان سلطة على مخلوقات الله من جماد ونبات، وحيوان وانسان، زادت القيمة النوعية لسعراته الحرارية.

والملكية هي امتلاك انواع واعداد من المخلوقات المذكورة، ومن ملكها كان له حق التصرف بها ، ولكن الاختلاف عن السلطة السابقة انها سلطة دائمة ما لم يتخل الانسان عنها بارادته، او بما يسبب ذلك كالسفه والتبذير. واما السلطة السابقة فانما هي مؤقتة قد فُوض الشخص اياها من قبل أناس آخرين، ويمكن لهم ان يستردوها منه، او ربما تخلى عنها بارادته او بافعاله كالتعسف.

ويمكن التعبير بالسلطة عن الملكية ايضا.

- **العلم**: كلما زادت معلومات الانسان زادت القيمة النوعية لسعرات الانسان الحرارية.

وقد عبر رسول الله عن هذه القوة او مجموعة القوى المؤلفة من الوقت والجسم والسلطة (منها الملكية) والعلم في حديثه اذ يقول "لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم ابلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه، وماذا عمل فيما علم". (١٥)

د - العوامل المحددة لدخول الطاقة (القيود المفروضة عليها)

تتمثل العوامل التي تحدد دخول الطاقة او تعمل عليها قيدا بالوراثة والبيئة. فالله تعالى رسم حدودا لقدرات الانسان عن طريق الصفات الوراثية التي اودعها في الجينات الموجودة على كروسومات خلايا جسمه، فليس لانسان ان ياكل ما شاء من انواع وكميات الاكل في وحدة الزمن الواحدة.

كذلك فالبيئة تؤثر على امكانية اكتساب الطاقة، فليس بمقدور كل انسان ان يمتلك الانواع والكميات التي يحتاجها او يرغب فيها من الاغذية.

وبذلك، فالقيود قد تؤثر على امكانية الاستفادة من الاغذية وتحويلها الى طاقة صالحة للاحتراق من اجل ان يؤدي بها سلوكا (عملا) معينا، وتحدد ايضا امكانية الحصول على الغذاء بداية.

ثانيا: المخرجات

يقصد بالمخرجات هنا انماط السلوك التي يصدرها الانسان بسبب احتراق السعرات الحرارية التي اكتسبها، او هي كل اعمال الانسان (الفعل والقول).

ويمكن التعبير عنها بانها منتجات الانسان، مقابل مدخلاته التي هي الاغذية.

ولتوضيح المخرجات يقوم الباحث بمناقشة النقاط التالية حولها وهي:

أ - المدير او الموجه لاحراق الطاقة.

ب - انماط السلوك ومصادره.

ج - القيمة النوعية للاعمال او انماط السلوك.

د - العوامل المحددة لاحداث انماط السلوك.

وفيما يلي توضيح لكل منها:

أ - المدير او الموجة لاحراق الطاقة.:

المدير الذي يقرر احراق الطاقة في الاعمال الارادية ويتخير انماط السلوك التي يمارسها، انما هو العقل.

ب - انماط السلوك ومصادره:

تختلف انماط السلوك التي يصدرها الانسان، او بمعنى آخر اعمال الانسان. فهي الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام كما بينت ذلك كتب الفقه الاسلامي، ويمكن اختصار هذه الى ثلاثة، عمل لك، وعمل عليك، وآخر محايد.

واما مصادر السلوك، فهي وحدات الطاقة او السعرات الحرارية المخزونة في الجسم.

ج - القيمة النوعية للاعمال او انماط السلوك:

تختلف القيمة النوعية للاعمال او انماط السلوك حسب انواع او انماط السلوك نفسها، فالذي لك عليه حسنات هو الواجب والمندوب، والذي عليك عليه سيئات هو المكروه والحرام، واما المحايد وهو المباح، فليس فيه حسنات أو سيئات.

بل ان نفس النوع الواحد من الاعمال يختلف في قيمته حسب درجة الاجادة فيه بناءً على المواصفات المحددة مسبقا من الله تعالى، او حسب درجة السوء فيه والمحددة مواصفاته مسبقا من الله تعالى ايضا.

د - العوامل المحددة لاحداث انماط السلوك (القيود المفروضة):

وتتمثل هذه العوامل في الوراثة والبيئة، فامكانية حرق الطاقة واحداث انماط السلوك تختلف من فرد لفرد حسب المواصفات التي حددت لفرد دون آخر من الله تعالى عن طريق الوراثة. وكذلك فالبيئة عن طريق العادات والتقاليد والامكانات المتاحة فيها تؤثر على امكانية حرق الطاقة واحداث انماط السلوك، فليس لاى فرد ان يعمل ما يشاء فهناك حدود في قدراته وامكاناته المتاحة له.

ثالثا: انتاجية المسلم الفعلية

ان الانتاجية كما نعلم هي المخرجات،

$$\frac{\text{المخرجات}}{\text{المدخلات}}$$

وبعد ان تم توضيح المخرجات والمدخلات الخاصة بالانسان، فيمكنه القول ان:

$$\frac{\text{مخرجات الانسان}}{\text{مدخلات الانسان}} = \frac{\text{الطاقة المحترقة}}{\text{الطاقة المكتسبة}} = \frac{\text{السلوك (كمية وقيمة)}}{\text{الطاقة (كمية وقيمة)}}$$

وقد يسأل سائل، اي طاقة هي المقصودة؟ هل هي الطاقة التي اكتسبت اليوم لتصرف في اليوم نفسه؟ او هي التي ستصرف غداً أو بعد غد؟ وهل الطاقة هي التي احترقت لتولد سلوكا ام انها الطاقة المكتسبة والقابلة للاحتراق وانتاج السلوك سواء احترقت ام بقيت في دور التخزين؟

وكذلك السلوك هل هو الناتج عن الطاقة الحالية أم الماضية؟ وهل هو الذي احترقت من أجله الطاقة، أم او انه السلوك الذي بذل خلال هذا اليوم سواء احترقت من أجله هذه الطاقة او بعضها؟

للخروج من هذه التساؤلات فان الباحث يرى ما يلي:

- يفترض ان الطاقة المكتسبة اليوم ستحرق لانتاج سلوك هذا اليوم.
- ويفترض ان الطاقة تشتمل الطاقة كلها المكتسبة في هذا اليوم اذا كانت قابلة للاحتراق سواء احرقت ام لا، اي سواء احرقت او خزنت، لان الانسان محاسب عليها لماذا اكتسبها فالرسول الكريم يقول "...... بحسب ابن آدم أكلات يُقِمْنَ صلبه .... [١٦]" والاصل ان اكتساب الطاقة هو بقصد احراقها في عبادة الله لا تخزينها على شكل شحوم قد تضر بالانسان، او احراقها دون فائدة، فكل ذلك تبذير للطاقة، وهذا هو الفرق بين من يأكل ليستمتع ومن يأكل ليتقوى على عبادة الله.

وعلى ذلك فانتاجية المسلم هي $\frac{\text{السلوك في اليوم كميته وقيمته}}{\text{الطاقة المكتسبة في اليوم كمية وقيمة}}$

فمن الناحية الكلية هي $\frac{\text{عدد انماط السلوك}}{\text{عدد السعرات الحرارية المكتسبة}}$

وحتى تصبح بالقيمة ، فلا بد من ترجيحها بأوزانها

فتصبح الانتاجية: $\frac{\text{السلوك} \times \text{قيمته}}{\text{السعرات المكتسبة} \times \text{قيمتها}}$

وبالطبع فان السلوك كما علمنا ثلاثة انماط هي:

لك (كل عمل يعبد فيه الله)، وله حدود دنيا من العمل يثاب الانسان على عملها بالحسنات تبعا لدرجة الاجادة فيها، ويعاقب ان نقص عن ذلك، وما زاد عن الحدود الدنيا، فهو مرغوب فيه ويثاب عليه تبعا لدرجة الاجادة فيه ايضا.

عليك (كل عمل يعصى فيه الله): وهذا اجره بالسالب اي بالسيئات تبعا لدرجة السوء فيه، والامتناع عن أدائه عبادة عليها حسنات.

محايد (كل الاعمال المباحة)، وأجر هذه صفر.

وأما قيمة السلوك فهي الحسنات- والسيئات كما ذكر -حسب درجة الاجادة والاساءة وكما حددت من الله ورسوله في القرآن الكريم والسنه الصحيحة.

اما السعرات الحرارية فهي مفردات الطاقة.

وأما قيمتها: فهي مقدار الغطاء الذي عند الانسان من القوى المختلفة والمحددة سابقا وهي نوعية الوقت، وقوة الجسم، وقوة السلطة (منها الملكية)، وقوة العلم.

ولا ادل على ان الحساب عند الله او حسابنا لانفسنا في الحياة أمر نسبي وليس بمطلق هو قول الله تعالى "ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن، واسألوا الله من فضله، ان الله كان بكل شيء عليما" (١٧).

أي ان الانسان سيحاسب على طاقته التي اكتسبها في ظل الوراثة والبيئة (القيود المفروضة على اكتساب الطاقة وحرقتها) وقد ضرب الله مثالا على اختلاف

العطاء للرجل والانثى اذ انهم مختلفا الخصائص، فكأن الله يقول لنا لا فائدة من تمنى ان يكون واحد منكما محل الآخر، فالحساب نسبي وليس بمطلق. فليست العبرة بالكم او الكيف من العطاءات، بل بما قدم من أعمال على هذه العطاءات المختلفة. أى ان العبرة بانتاجية الانسان.

وكذلك يقول الله تعالى: "لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت". (١٨)

فالانسان مكلف على قدر سعته اي طاقته المكتسبة في ظل قيود الوراثة والبيئة، وسوف يجازى بالحسنات على افعاله التي يرضى عنها الله ويجازى بالسيئات على افعاله التي لا ترضي الله.

وهناك في هذا المجال تساؤل اخير، وهو: ما موقف الانسان اذا اقدم على تقليل الطاقة التي يكتسبها حتى ينجو من المحاسبة على طاقة كثيرة، خاصة اذا كان بمقدوره في ظل البيئة والوراثة ان يكتسب طاقة أكبر؟

الاجابة تتمثل في أن على الانسان ان يسعى دائما للحصول على اكبر كمية من القوة فالله تعالى يقول: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" (١٩)، ويقول رسول الله: "المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ...." (٢٠).

وبذلك، فاكتساب الطاقة باكبر قدر ممكن، والارتقاء بأوزانها النسبية من الوقت والجسم والسلطة والملكية، انما هو من افعال العبادة لله والمطلوبة من المسلم، بافتراض ان هناك حاجة الى هذه الطاقة وللقوى المرجحة لها.

فلا يجوز للمسلم التقاعس عن اكتساب الطاقة وتحسين قيمتها، وتكثير الاعمال التي يعبد بها الله، ان كانت هناك منفعة للمجتمع من هذه الاعمال وباشتراط عدم التبذير.

المبحث الثاني

مفهوم الكفاءة الانتاجية للمسلم

لقد ذكر الباحث سابقا ان الانتاجية تجيب على سؤال يتعلق بكمية المنتجات في وحدة الزمن او قيمتها او على قيمة انتاج وحدة الانفاق عندي او وحدة مدخلاتي، او على سلوكي الناتج عن سعراتي الحرارية.

ولكنها لا تجيب على فاعليتي في الانتاج، او في العمل، وان الذي يجيب على ذلك هو الكفاءة.

وقد انتهى الباحث في المبحث السابق الى ان انتاجية المسلم في الحياة الدنيا او الناس عامة هي:

$$\frac{\text{انماط سلوكه} \times \text{قيمتها}}{\text{طاقته} \times \text{قيمتها}}$$

وحتى نستخرج مقدار فاعليته في عمله، لا بد من استخراج كفاءته الانتاجية، وحتى يتم ذلك. فلا بد من تحديد الانتاجية المثلى للانسان حتى تنسب اليها انتاجيته الفعلية، ونحدد درجته في الكفاءة، وما يقابلها من درجات الانسان في الحياة الاخرة.

لذا فسوف يناقش الباحث في هذا المبحث النقاط التالية:

أولا: الانتاجية المثالية للمسلم.

ثانيا: الكفاءة الانتاجية للمسلم.

ثالثا: درجات الناس في الحياة الاخرة.

وفيما يلي تفصيل بسيط لكل منها:

اولا: الانتاجية المثالية للمسلم:

وتتمثل الانتاجية المثلى في الاعمال الناتجة عن استغلال جميع الطاقة بشكل كامل وصحيح. وهي من جهة اخرى، الحالة التي تكون عندها تكلفة الاعمال من الطاقة المحترقة اقل ما يمكن، والايراد عليها من الحسنات اكبر ما يمكن.

ولان الانسان مطالب باكتساب الطاقة اذا كانت لها حاجة، لذا فالانتاجية المثلى في ضوء ذلك هي: العمل على اكتساب اكبر قدر من الطاقة مقدرة بأوزانها، والعمل على احراقها بشكل كامل وصحيح بحيث تكون تكلفة العمل او السلوك اقل ما يمكن، والايراد عليها اكبر ما يمكن.

وبالطبع، فان تكلفة الاعمال هي السعرات الحرارية المحترقة لانجازها مرجحة بالاوزان النوعية، والايراد هو عدد الحسنات التي تترتب على نوعية الاعمال.

اما الانتاج الكامل، فهو استغلال جميع السعرات الحرارية دون العمل على تخزينها وتعطيلها عن انتاج الاعمال، مع الأخذ في الاعتبار ضرورة العمل على اكتساب اكبر قدر من الطاقة ان كانت لها حاجة.

اما الانتاج الصحيح فهو استغلال السعرات الحرارية في انتاج الاعمال التي ترضي الله حسب اهميتها كما هو محدد لها من الله، او محاولة منع انواع السلوك التي تغضب الله والمحددة كذلك من الله، كل ذلك باقل تكلفة من الطاقة وفي اقصر وقت مع المحاولة لتقليل الطاقة المحترقة من اجل الاعمال المباحة التي لا فائدة ولا ضرر منها، مع الاخذ في الاعتبار ضرورة العمل على اكتساب اكبر قدر من الطاقة ان كانت لها حاجة.

فالانتاجية المثلى هي: $\frac{\text{المخرجات المثلى}}{\text{المدخلات}} = \frac{\text{السلوك المثالي} \times \text{قيمته}}{\text{الطاقة المكتسبة} \times \text{قيمتها}}$

او هي: $\frac{\text{المخرجات}}{\text{المدخلات المثلى}} = \frac{\text{السلوك} \times \text{قيمته}}{\text{الطاقة المكتسبة المثلى} \times \text{قيمتها}}$

فاذا حددت المدخلات كانت المخرجات مثلى واذا حددت المخرجات كانت المدخلات مثلى.

ثانياً: الكفاءة الانتاجية للمسلم

تتمثل الكفاءة الانتاجية في نسبة بين الانتاجية الفعلية والانتاجية المثلى وبذلك فهي:

$$\frac{\text{المخرجات الفعلية}}{\text{المدخلات}} = \frac{\text{المخرجات المثالية}}{\text{المدخلات}}$$

$$= \frac{\text{المخرجات الفعلية}}{\text{المخرجات المثلى}} = \frac{\text{انماط السلوك الفعلية} \times \text{قيمتها}}{\text{انماط السلوك المثالي} \times \text{قيمتها}}$$

اى انها نسبة بين قيمة السلوك الفعلي وبين ما يجب ان تكون عليه قيمة السلوك. وفي هذا المجال لا بد من ايراد الملاحظات التالية:

١ - ان هناك قدرا ادنى من مخزون الطاقة في الجسم يحتاج الجسم اليه لتسيير اعماله الذاتية التي لا سيطرة للانسان عليها، وهذه تختلف من جسم لاخر تبعا للقيود الوراثية والبيئية، وهذا الحد من الطاقة المحترقة، لا مسؤولية على الانسان بسببه لانه غير مخير في حرقه.

٢ - ان الانسان مسؤول عن كل ما من شأنه ان يزيد الطاقة، سواء بعمليات وقائية او علاجية او استثمارية، او بالتخفيف من القيود التي تحد من اكتساب الطاقة او احراقها.

٣ - بمنطق الاسلام الذي يفترض ان المسلم تاجر، وبمنطق علماء الاقتصاد، فان علينا ان نعظم الايراد وان نقلل التكلفة، وذلك عن طريق اكتساب اكبر قدر من الحسنات بمستوى معين من السعرات الحرارية.

أو عن طريق الحصول على مستوى معين من الحسنات بأقل ما يمكن من التكلفة (السعرات الحرارية × قيمتها)، وذلك كله يتم عندما تكون الانتاجية الحدية (الحسنات المكتسبة من وراء وحدة واحدة من العمل) تساوي التكلفة الحدية (وهي السعرات الحرارية المحروقة من اجل هذه الوحدة من العمل). عندها يكون الانسان في حالة توازن، ويتحقق هذا بتحقق معادلتين:-

أ- $\dfrac{\text{الانتاجية الحدية للعمل (آ)}}{\text{قيمة سعراته الحرارية}} = \dfrac{\text{الانتاجية الحدية للعمل (ب)}}{\text{قيمة سعراته الحرارية}}$

ب- التكلفة = كمية العمل (أ) × قيمة سعراته الحرارية + كمية العمل (ب) × سعراته الحرارية، [٢١] .....

٤ - ان يتم استخدام الطاقة في عمل يمكنه الحصول من ورائه على ايرادات اكبر من تكلفة الفرصة (وهي الايرادات المضحى بها في سبيل استخدام الطاقة في عمل ما دون آخر)، حتى يكون استغلالنا للسعر الحراري اكفأ ما يمكن.

وبذلك نحصل على اكبر كمية من الايرادات (الحسنات) من وراء السعر الحراري المحروق في عمل معين، فتكون الايرادات الممكن الحصول عليها من وراء عمل آخر أقل من هذا العمل (البديل الذي تم الاقدام عليه).

ثالثاً: درجات الناس في الآخرة:

وبما انه يمكن القول ان الكفاءة الانتاجية = $\dfrac{\text{قيمة السلوك الفعلي}}{\text{قيمة السلوك المثالي}}$

فانه يمكن القول ان الناس سيُعطون درجاتٍ بناءً على تقويمهم بموجب ميزان الكفاءة الانتاجية، فالله تعالى يقول ذلك في اكثر من آية: "انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا" [٢٢]، ويقول: "ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون" [٢٣]، ويقول: "ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون" [٢٤]

أما الدرجات، فقد قسم الله الناس الى ثلاث درجات او اصناف رئيسية هي المذكورة في الآية الكريمة "(وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة، واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة، والسابقون السابقون أولئك المقربون") (٢٥).

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى انواعا محددة من الأعمال التي على المسلم فعلها، واخرى عليه تجنبها، فمن بلغ حد الكفاءة الانتاجية في ذلك كان من اصحاب الميمنة، وهم اصحاب الدرجة الثانية في الجنة.

ومن زاد على ذلك بان استغل طاقته في اعمال تعود عليه بالحسنات، ولم يبذرها بعد بلوغه الحد السابق لاصحاب الميمنة، فانه يبلغ المرتبة الاولى في الجنة وهم السابقون (المقربون).

واما من كفر ولم يعمل هذا او ذلك فهو من اصحاب المشئمة اي النار بغض النظر عن اعماله حسنة او سيئة حيث قال تعالى:" وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا" (٢٦).

قد يقول قائل: ان الله يدخل من يشاء الجنة، ويدخل من يشاء النار، دون نظر للاعمال او الحساب او الانتاجية. وقد يقول آخر، ان معيار الانتاجية اذا طبق على الكافر دخل الجنة. وقد يقول آخر، ان المسلم حسب معيار الانتاجية لا يدخل الجنة، تساؤلات كثيرة. ولكني ارد على هؤلاء الاخوة بوضع الاسس والمبادئ التالية:

١ - ان الله عادل في حسابه ولا يظلم الناس شيئا، واذا كان كذلك فلا شك بأن الحساب سيكون دقيقا، وسيكون بناء على معايير دقيقة يحاسب فيها على كل الاعمال صغيرها وكبيرها، اذ يقول تعالى "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين" (٢٧). ويقول "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" (٢٨).

٢ - لا يمكن لله ان ينصب ميزانا لاحد ويترك آخر دون ان ينصب له ميزانا، فالتحيز عند الله غير وارد اذ يقول تعالى: "ليس بأمانيكم ولا اماني اهل الكتاب من

يعمل سوءا يجز به، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا، ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا" (٢٩). وبذلك فليس هناك محاباة لأحد من الناس، فالناس امام الميزان سواء.

٣ - أن العمل أساس كل شيء في الحساب، ولذا يقرن الله العمل بالايمان، فدائما يقول تعالى: "الذين آمنوا وعملوا الصالحات" (٣٠)، ولذا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال يا معشر قريش (او كلمة نحوها) اشتروا انفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا، يا عباس ... يا صفية ... يا فاطمة سليني ما شئت من مالي لا اغني عنك من الله شيئا" (٣١)، ويقول رسول الله"... ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه" (٣٢).

٤ - اذا أدخل الله الناس الجنة دون حساب او النار دون حساب فلماذا يعمل العاملون، بل لماذا يسلم الناس، وان اسلموا فلماذا يقدمون على اعمال يحرمون بها أنفسهم من اغتنام الملذات. انه لتعيس ذلك الذي يصدق ان الله، دونما سبب سيدخله الجنة، ولا يقوم باغتنام كل الفرص التي تساعده في تحقيق بعض الشهوات.

واذا كان كذلك فهل تكون الحياة الا فوضى!؟ عندها يستوى المسلم الطائع بالعاصي، والمسلم بالكافر. وحاشا ان يكون ذلك، لذا يطمئننا الله بقوله: "أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون" (٣٣).

فان كان ذلك، فلا اظن الناس سيكونون على غير نفسية صاحب الجنة الموصوف في القرآن الذي قال الله على لسانه "قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا، وما اظن الساعة قائمة، ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا" (٣٤). وبذلك يظن الغني في الدنيا ان الله قد اكرمه وسيكرمه على شاكلتها في الاخرة حتى لو كان ظالما كصاحب الجنة المذكور، أى حتى لو كانت اعماله غير صحيحة. ان ذلك غير معقول ابدا، فالحياة لا تستوي مع هذا الافتراض.

٥ - ان الكافر حسب معيار الانتاجية المقترح لا يمكن له ان يدخل الجنة، لان انتاجيته صفر وسالبة، اذ ان مخرجاته وهي اعماله او انماط سلوكه مرجحة بقيم سالبة او بقيمة صفر، اذ ان الكافر مهما عمل من عمل فليس له عليه من اجر مهما كان ظاهر العمل خيرا، كما يفعل المبشرون النصارى هذه الايام من تقديم العون والمساعدة الى بعض الناس.

وبذلك عندما تضرب اعماله او انماط سلوكه بقيمة مقدارها (صفر) لانه لا حسنات له على عمله الخير، او تضرب بسيئات بسبب اعماله السيئة فستبقى المخرجات اما صفر او سالبة والمدخلات كبيرة لذلك فانتاجيته صفر او سالبة. وهذه لا تؤهله دخول الجنة، وان كانت قد تؤهله الى بلوغ درجة مخففة في النار، اذ النار حسب معيار الانتاجية ستكون دركات (درجات النار)، وهذا ما يصدقه قول الله تعالى عندما يصف بعض الكفار انهم ائمة في الكفر وليسوا بكافرين عاديين "فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون" (٣٥).

٦ - ان الانسان بعمله وحده لا يبلغ اذا قيم بميزان الانتاجية حد الانتاجية المثلى، لانه مهما عمل فلن يرجح عمله، وان كان خيرا، بأى نعمة انعمها الله عليه. وعلى هذا يصدق قول الرسول عليه الصلاة والسلام "سددوا وقاربوا وابشروا، فانه لا يدخل احدا الجنة عمله، قالوا ولا انت يا رسول الله، قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بمغفرة ورحمة" (٣٦). أى أن الانسان لن يبلغ الانتاجية المثلى، ابدا، لذا فان العمل وحده غير كاف لدخول لجنة فلا بد من رحمة الله.

٧ - ان رحمة الله عندما تصيب احدا فانها لا تصيبه جزافا بل لا بد من أساس، لانها بغير اساس لن تحفز احدا على تحسين عمله بما يرضي الله (بالطريقة الواردة في القرآن والسنة الصحيحة)، هذا اضافة الى ما ذكرته في النقاط السابقة.

لذا يقول تعالى: "ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول، النبي الامي ....(٣٧)

ويقول تعالى: "واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون"(٣٨)، كما يقول تعالى: "ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها، وادعوه خوفا وطمعا، ان رحمة الله قريب من المحسنين"(٣٩).

وعليه فانني اتصور ان الرحمة تكون كالانجاح الجماعي لطلاب في مدرسة او جامعة تقدموا للامتحان فرسبوا جميعا فقررت ادارة المدرسة ان تجعل نسبة النجاح ١٠٪ مثلا، فلكي تكون عادلة لا بد لها ان تقوم بتحقيق هذه النسبة من اعلى الدرجات، فينجح اصحاب الدرجات التي تكون اقرب الى معدل النجاح منها الى الصفر، أي انه اذا كانت علامة النجاح ٥٠٪ فمن حصل على علامة ٤٩٪ عنده فرصة للرحمة اكثر من الانسان الذي حصل على ٤٨٪، وهذا فرصته في الرحمة اكثر من الانسان الذي حصل على نسبة ٤٧٪ وهكذا. وبذلك يطمئن من عمل الصالحات اكثر من الذين لم يعملوا او كان عملهم اقل لان فرصة الرحمة بالنسبة لهم اكبر وبهذا يتحفز الناس اكثر لعمل الصالحات فلعل رحمة الله تصيبهم.

٨ - ان العمل بغير نية صحيحة مخلصة لله لا يؤهل اعمال الانسان للحصول على قيمة حسنات على أعمالهم، بل قد يأخذون سيئات، لذا فانتاجية من نيته غير صحيحة او غير مخلصة لله انما هي منخفضة مهما كان ظاهر عمله خيرا.

٩ - ان هناك اناسا قد يتوبون بعد عمر من المعصية فاذا قبلت توبتهم فمهما قل عمرهم او كبر بعد التوبة وكانت اعمالهم فيه خالصة لله ولو كان عمرهم لحظات فان انتاجيتهم ستكون عالية مما يؤهلهم لدخول الجنة وبنسبة عالية جداء وهذا ما يفسر الحالات التي وصفت في الاسلام بأن صاحبها قد يدخل الجنة ولم يعمل في الاسلام عملا او لم يعمل عملا كثيرا، اذ ان انتاجيتهم عالية لانهم لم يدخروا جهدا في عمرهم القصير لعمل الصالحات التي يرضى عنها الله.

فان كانوا كافرين جب اسلامُهم اعمالهم السيئة قبل الاسلام وان كانوا عصاة ظالمين وتابوا فقد يبدل الله سيئاتهم حسنات كما قال: "الا من تاب وآمن عمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما"(٤٠).

فلا غرابة ان يدخل الناس الجنة في اواخر حياتهم بسبب توبتهم الصادقة ان كانوا مسلمين عاصين، او بسبب ايمانهم واسلامهم ان كانوا كافرين. ويتفق ذلك مع معيار الانتاجية اتفاقا تاما، فقد كانت قيمة مخرجاتهم في عمرهم الايماني القصير مرتفعة نسبيا الى مدخلاتهم.

١٠ - ان الاصل في مدخلات الانسان ليس الغذاء والسعرات الحرارية انما الاصل هو في قيمة هذه السعرات (وهي في الحقيقة جزء من مدخلات الانسان) وهي الوقت والجسم والسلطة والملكية والعلم وهي نعم الله على الانسان التي عليه ان يستثمرها في الطاعة باكبر ما يمكن. وبذلك فالقضية ليست قضية اكل، انما هو طاقة تيسر للانسان اجراء الحركة، والاهمية لقيمة هذه الطاقة او السعرات من القوى او النعم التي انعم الله بها على الانسان.

١١ - هذه الانتاجية هي التي قد تكون الموازين التي اذا ثقلت كان خيرا واذا خفت كان شرا" فمن ثقلت موازينة فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية" (٤١).

١٢ - او ليس صحيحا ان المسلم يعيش في حياته بين الخوف والرجاء، ان هذا ما يقوله معيار الانتاجية ويحققه، خوف من المحاسبة على كل ذرة عمل، وعلى كل نعمة انعم الله بها على الناس، من أين حصل عليها وفيم انفقها، وهل عمل على قدر النعمة. ورجاء في رحمة الله التي لا تصيب من عباد الله الا العاملين المخلصين الذين يستثمرون عطاء الله في وجهه الصحيح ولا يدخرون في ذلك جهدا أى طاقة او سعرات حرارية تعينهم على العمل، حتى ولو لم يستطيعوا تحصيل انتاجية مثلى.

١٣ - واخيرا، يمكن ان يصعب، كما ذكر في هامش المبحث الثاني من الفصل الثالث، تقنين وحدات القياس، الا ان تطوير المقياس في المستقبل قد يوصل الى ذلك، ولكن الامر الهام ان الله لا يعجزه سرعة حساب ولا دقته، ولا تقنين وحدات القياس.

وبعد ان انتهى الباحث من تحديد مفهوم الانتاجية والكفاءة الانتاجية للمسلم في هذا الفصل الثالث فانه ينتقل الى خاتمة الفصل.

خاتمة الفصل الثالث

ناقش الباحث في هذا الفصل عملية استخدام المسلم لميزان الانتاجية والكفاءة الانتاجية لتقويم اعماله في الدنيا حتى يهتدي الى الاقدام على الاعمال التي توصله الى الجنة، او الى درجة محددة في الجنة اذا تغمده الله برحمته.

وقد جاء الفصل مشتملا على ثلاثة مباحث.

اما في المبحث الأول الخاص بمفهوم انتاجية المسلم فقد انتهى الباحث الى انه يمكن تطبيق معيار او ميزان الانتاجية على حياة المسلم من اجل تقويم اعماله بموجبه وان انتاجية المسلم تساوي،

$$\frac{\text{قيمة أنماط سلوكه}}{\text{قيمة سعراته الحرارية المكتسبة}}$$

والقيمة الخاصة بالسلوك هي الحسنات والسيئات، اما قيمة السعرات فهي القوة تحيط بالمسلم من وقت، وجسم، وسلطة، وعلم.

وأما في المبحث الثاني الخاص بمفهوم الكفاءة الانتاجية للمسلم فان الباحث قد انتهى الى ان هناك انتاجية مثالية (كاملة وصحيحة) للمسلم، يمكن ان يضعها نصب عينيه ليحققها، فان نسب انتاجيته الفعلية لها، عرف كفاءته الانتاجية وعرف مقدار نفسه.

ولذا فان عليه ان يعمل على اكتساب اكبر قدر من الطاقة، وان يقوم باستثمارها كاملة وبطريقة صحيحة أى بمعنى احداث الاعمال التي ترضي الله وحسب اهميتها

واولوياتها كما هي محددة من الله، ومنع الاعمال التي تغضب الله والتي حددت منه كذلك، على ان يكون ذلك بأقل التكاليف مع تقليل الأعمال المباحة في حياته الى ادنى حد ممكن.

أى انه اكتساب اكبر قدر من الحسنات بأقل التكاليف من السعرات الحرارية.

واما في المبحث الثالث الخاص بدرجات الناس في الاخرة فقد انتهى الباحث الى ان تطبيق معيار الكفاءة الانتاجية على الناس يمكن من تصنيفهم الى ثلاث فئات؛ درجة أولى في الجنة (السابقون)، ودرجة ثانية في الجنة (اصحاب الميمنة)، ودرجة ثالثة في النار (اصحاب المشأمة).

وبعد ان انتهى الباحث من خاتمة الفصل الثالث فانه ينتقل بعد ذلك الى النتائج والتوصيات.

النتائج

لقد انتهى الباحث من بحثه الى اثبات صحة الفرض الذي قال به في بداية البحث اذ قد توصل الباحث الى وضع ميزان يزن المسلم به اعماله عند متابعته لها وتقويمها، وقد تم الاعتماد في وضعه على مقاييس الاداء في علم الادارة، وقد كان ذلك من خلال فصول البحث التي كانت نتائجها كما يلي:

١ - انتهى الباحث في الفصل الاول الى ان التنمية هي زيادة كمية وكيفية للشيء الذي تتم تنميته وهو في هذه الحالة عموم المجتمع، سواء من الناحية العلمية او الاسلامية. وبذا فان وضع ميزان يقوم الفرد المسلم به اعماله يساعده على تجويد اعماله، وتجويد اعماله هو السبيل الوحيد لتحقيق التنمية الشاملة في المجتمع الا وهي عمران الارض التي هي جزء من العبادة.

٢ - انتهى الباحث في الفصل الثاني الي تحديد ميزان يمكن به تقويم اعمال المنشأة يقوم على الانتاج النسبي لا المطلق وهذا هو الذي يحقق العدل في التقويم.

والميزان هو نسبة الانتاجية الفعلية للمنشأة الاقتصادية الى الانتاجية المثالية التي عليها الاجتهاد لبلوغها والذي يعبر عنه بالمعادله التالية:

$$\text{الكفاءة الانتاجية} = \frac{\text{الانتاجية الفعلية}}{\text{الانتاجية المثالى}}$$

$$= \frac{\text{المخرجات الفعلية}}{\text{المدخلات}} + \frac{\text{المخرجات المثالية}}{\text{المدخلات}} = \frac{\text{المخرجات الفعلية}}{\text{المخرجات المثالية}}$$

٣ - انتهى الباحث في الفصل الثالث الى تطبيق الميزان (الكفاءة الانتاجية) الذي تقوم به المنشآت على تقويم الانسان المسلم والذي يعبر عنه بالمعادلة التالية:

$$\text{كفاءة المسلم الانتاجية} = \frac{\text{انتاجيته الفعلية}}{\text{انتاجيته المثلى}}$$

$$= \frac{\text{قيمة السلوك الفعلي}}{\text{قيمة السعرات الحرارية المكتسبة}} + \frac{\text{قيمة السلوك المثالي}}{\text{قيمة السعرات الحرارية المكتسبة}} + \frac{\text{فيمة السلوك الفعلي}}{\text{قيمة السلوك المثالي}}$$

وبذلك فعند تطبيق الميزان على الناس يمكنه تصنيفهم الى ثلاث فئات: السابقون (أصحاب الدرجة الاولى) في الجنة، واصحاب الميمنة (اصحاب الدرجة الثانية) في الجنة، واصحاب المشأمة (أصحاب الدرجة الثالثة) في النار.

التوصيات

انطلاقا من النتائج التي توصل لها الباحث فانه يوصي بما يلي:

١ - ان يقوم المسلمون بتعميم ميزان الكفاءة الانتاجية على حياتهم على ان يبدأ به اصحاب القدوة منهم، وان يرتقوا بالمسلم حتى يتمكن من استخدام هذا الميزان.

٢ - لا يأس عند من كانت نعم الله عليهم قليلة، ولا غرور عند من كانت نعم الله عليهم كثيرة، فالعبرة ليست بالكم او الكيف من النعم انما مردود هذه النعم من الحسنات فالعملية نسبيه لا مطلقة.

هوامش البحث

(١) القرآن الكريم، سورة التوبة ٩، آية ١٠٥.

(٢) القرآن الكريم، سورة القيامة ٧٥، آية ١٤.

(٣) القرآن الكريم، سورة الانبياء ٢١، آية ٤٧.

(٤) سنن الترمذي، الجزء الرابع، استنبول: دار الدعوة، ١٩٨١، ص ٦٣٨.

(٥) القرآن الكريم، سورة الانعام ٦، آية ١٣٢.

(٦) صحيح مسلم، المجلد الاول، استنبول: دار الدعوة، ١٩٨١م، ص ٦٩٧ - ٦٩٨.

(٧) سنن النسائي، الجزء الخامس، استنبول: دار الدعوة، ١٩٨١م، ص ٥٩.

(٨) للتوسع في مفهوم التنمية يمكن الرجوع الى: د. جمال محمد احمد عبده، دور المنهج الاسلامي في تنمية الموارد البشرية (عمان - بيروت: دار الفرقان ومؤسسة الرسالة، (١٩٨٤م)، ص ٣٩-٤٣.

(٩) للتوسع في ذلك يمكن الرجوع الى: المرجع السابق، ص ٢١٧ - ٢٢٣.

(١٠) القرآن الكريم، سورة الانفال، آية ٥٣.

(١١) القرآن الكريم، سورة الكهف، آية ٥٩.

(١٢) القرآن الكريم، سورة النحل ، آية ١١٢.

(١٣) وضع الباحث هذا الشكل على هيئة مدخل النظم الذي ينظر الى الامور بمنظار شمولي يحدد عناصر الموضوع ويدرس تفاعلها معا، وعناصره هي المدخلات والمخرجات والعمليات والبيئة المحيطة.

(١٤) هناك مدخلات اخرى او موارد انتاجية اخرى هي المدخلات العقلية والمدخلات النفسية. الا ان الباحث شاء ان يناقش هذه المدخلات من باب الاوزان النوعية للسعرات الحرارية عند الانسان اى التي تعطيه القوة والأهمية لسعره الحراري.

(١٥) سنن الترمذي، الجزء الرابع (استنبول: دار الدعوة، ١٩٨١م)، ص٦١٢.

(١٦) سنن الترمذي، الجزء الرابع، (استنبول: دار الدعوة، ١٩٨١م)، ص ٥٩٠.

(١٧) القرآن الكريم، سورة النساء، آية ٣٢.

(١٨) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية ٣٢.

(١٩) القرآن الكريم، سورة الانفال، آية ٦٠.

(٢٠) صحيح مسلم، المجلد الثالث، الجزء الثالث (استنبول: دار الدعوة، ١٩٨١م)، ص ٢٠٥٢.

(٢١) ان وحدات الايراد والتكلفة في الامور الاقتصادية هي وحدة النقد، ولكن في هذا المجال فان الايراد حسنات والتكلفة سعرات حرارية، والخسائر سيئات، لذا فلا بد من ايجاد وحدة قياس تمكننا من معرفة كم من الحسنات تقابل سعرا حراريا معينا، وكم وحدة من السيئات تساوي وحدة من الحسنات.

(٢٢) القرآن الكريم، سورة الاسراء - ١٧ الاية ٢١.

(٢٣) القرا الكريم، سورة الانعام - ١٦ الاية ١٣٢.

(٢٤) القرآن الكريم، سورة الاحقاف - ٤٦ الاية ١٩.

(٢٥) القرآن الكريم، سورة الواقعة - ٥٦ الايات ٧ - ١٠.

(٢٦) القرآن الكريم، سورة الفرقان - ٢٥، الاية ٢٣.

(٢٧) القرآن الكريم، سورة الانبياء - ٢١، آية ٤٧.

(٢٨) القرآن الكريم، سورة الزلزلة- ٩٩، آية ٧، ٨.

(٢٩) القرآن الكريم، سورة النساء - ٤، آية ١٢٣ - ١٢٤.

(٣٠) القرآن الكريم، سورة البقرة -٢، الاية ٢٥. وآيات كثيرة جدا.

(٣١) صحيح البخاري، المجلد الاول، الجزء الثالث (استنبول: دار الدعوة، ١٩٨١م)، ص ١٩٠ -١٩١.

(٣٢) صحيح مسلم، المجلد الثالث، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٧٤.

(٣٣) القرآن الكريم، سورة الجاثية - ٤٥، آية ٢١.

(٣٤) القرآن الكريم، سورة الكهف - ١٨، آية ٣٦.

(٣٥) القرآن الكريم، سورة التوبة - ٩، آية ١٢.

(٣٦) صحيح البخاري، المجلد الثالث، الجزء السابع، مرجع سابق ذكره، ص ١٨٢.

(٣٧) القرآن الكريم، سورة الاعراف - ٧، الايتان ١٥٦ - ١٥٧.

(٣٨) القرآن الكريم، سورة آل عمران - ٣، آية ١٣٢

(٣٩) القرآن الكريم، سورة الاعراف - ٧، آية ٥٦.

(٤٠) القرآن الكريم، سورة الفرقان، ٢٥، آية ٧٠.

(٤١) القرآن الكريم، سورة القارعة - ١٠١، الايات ٦ - ٩.

مراجع البحث

٢١ - القرآن الكريم.

٢٢ - جمال محمد احمد عبده، دور المنهج الاسلامي في تنمية الموارد البشرية. عمان وبيروت: دار الفرقان ومؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م.

٢٣ - سنن الترمذي، استنبول: دار الدعوة، ١٩٨١م.

٢٤ - سنن النسائي، استنبول: دار الدعوة، ١٩٨١م.

٢٥ - صحيح مسلم، استنبول: دار الدعوة، ١٩٨١م.

٢٦ - مراجع ادارية، واقتصادية، واسلامية لم ترد في داخل البحث.



الجدوى التطبيقية لمناهج التعاون الانمائي بين الاقطار الاسلامية

الدكتور فؤاد بسيسو

الخبير الاقتصادي

في الامم المتحدة

استهدف هذا البحث استكشاف ملامح ومواصفات منهاج التعاون الانمائي بين الاقطار الاسلامية، الذي يستند الى وينطلق من قاعدة تؤمن القابلية العملية للتطبيق الناجح، كما استهدف هذا البحث تحديد المفاهيم والاعتبارات والعوامل الاسلامية اللازم تأمينها لضمان انطلاق فعال للمنهاج المقترح صوب اهداف التعاون الانمائي في الاقطار الاسلامية.

انطلق البحث في وصوله الى غايته من التعرف على الارضية الفكرية التي انبثقت عنها مناهج التعاون الانمائي المختلفة، ثم استشهد في سياق تحليله بنتائج التجارب التطبيقية للتعاون الانمائي العربي بشكل خاص، كما احتكم الى دروس ونتائج التعاون الانمائي في الاقطار النامية.

وقد لوحظ انه ومنذ فترة الخمسينات، والنقاش العلمي يدور حول جدوى تطبيق مختلف اشكال التعاون الاقتصادي والانمائي ودرجاته بين الدول، وذلك بالاستناد الى الاسس النظرية والفكرية لهذا التعاون، علما باننا قمنا بتصنيف مناهج هذا التعاون،

ولاغراضنا التحليلية، الى منهاجين رئيسيين: الاول يتضمن ذلك المنهاج الموجة وفق قاعدة التكامل الشامل المستند الى اعتبارات التجارة الخارجية.

(Trade-Oriented Comprehensive Integration)

وهو المنهاج الذي يحتوي ضمن اطاره على العديد من مراحل التعاون بدءا بمنطقة التجارة الحرة، ومرورا بالاتحادات الجمركية فالاسواق المشتركة، كتلك التي اقيمت في مجموعة دول السوق الاوروبية المشتركة وبين اقطار امريكا اللاتينية، وفي اطار جامعة الدول العربية، وينتهي ذلك المنهاج بتحقيق الوحدة الاقتصادية.

والمنهاج الثاني يتضمن ذلك الشكل من اشكال التعاون الموجة توجيها انمائيا جزئيا (Development - Oriented Selectively Partial Approach) وتغطي ترتيباته منتجات محددة او بعض المشاريع الانمائية او على اساس قطاعي، وهذا الشكل عرف في التطبيق ضمن التجربة المعاصره للدول النامية.

أ - بين المنهاج التجاري والتنموي-دروس التجربة العربية:

يظهر اي عرض شامل لمسيرة التعاون الانمائي العربي تحقق عدة اشكال للتعاون، حيث تحركت المسيرة وفق قاعدة واسعة، شملت جميع القطاعات، ولكن يلاحظ بان هذه المسيرة اتسمت في جوانبها واشكالها المختلفة بالميل نحو اختيار نشاطات التعاون بشكل عشوائي اكثر مما كانت انعكاسا لتوجه منسق ومرتب الاولويات، او مستند الى تقويم واقعي للظروف والاوضاع الاقتصادية والسياسية السائدة في الوطن العربي. كما يبدو ان الاجهزة التي ادارت مسيرة التعاون العربي لم تقم باجراء تحليل متعمق لمرحلة التنمية الاقتصادية العربية وتحديد اهدافها واولوياتها، واختيار افضل السبل لتحقيقها، وانما ولت وجهها شطر تجربة بلدان السوق الاروربية المشتركة تارة، وصوب تجربة دول المعسكر الشرقي تارة اخرى، ونجم عن ذلك تعثر مسيرة التعاون العربي التي تبنت المنهاج الشامل سواء في جانبه المتعلق بتحرير التجارة وعوامل الانتاج واقامة السوق المشتركة، او في جانبه المتعلق بالتخطيط الشامل لمسيرة التعاون الاقتصادي.

ولم يكن ممكنا نجاح هذا المنهاج في ظل اوضاع اتسمت بتوتر العلاقات السياسية بين حكومات الاقطار العربية وتعمق حدة الخلافات بينها. وهذا الجانب يلغي توافر احد الشروط الاساسية اللازمة والمسبقة لتنفيذ اي تعاون شامل يقف على رأس جهاز مشترك يساعد في تنفيذ مهمة التخطيط المشترك لمسيرة التعاون الانمائي، ويتمتع بانسجام توجهه السياسي، يضاف الى ذلك مرحلة هياكلها الاقتصادية واعتمادها الكبير على العلاقات الاقتصادية الدولية خارج اطار الدائرة العربية الاقليمية، كما اتسمت قواعدها الانتاجية بالضعف الشديد.

أشارت تحليلاتنا التفصيلية الى ان المنهاج التجاري يتسم بشمولية التوجه، كما يستلزم هذا المنهاج اتخاذ اجراءات عامة مشتركة في ميادين عدة تتعلق بالتجارة فيما بينها، وفيما يتعلق بتجارتها الخارجية مع الاقطار الاخرى، وذلك يعني بالضرورة تبني سياسات الحماية الجمركية وتنسيق السياسات المالية، وحركة عوامل الانتاج والسياسات المتعلقة بالاسعار.

بينما يتميز المنهاج القائم على قاعدة التوجه التنموي بقدرته على استبعاد بعض الاجزاء من الاقتصاديات الوطنية، والتركيز في الوقت نفسه على تلك القطاعات والنشاطات ذات الاهمية الاستراتيجية للتنمية، ولا يستلزم هذا التوجه بالضرورة، شمول جميع النشاطات الانمائية ضمن حركة التعاون رغم انه يشجع وبصورة تدريجية على شمولها.

وفيما يتعلق بالهيكل الاقتصادي والنظام المتبع، يلاحظ بان المنهاج التجاري الشامل يستند اصلا الى قاعدة حرية المنافسة، وتأثير قوى السوق الحرفي البلدان الاعضاء في السوق المشتركة على زيادة كفاءة الانتاج، وامكانات التخصيص في الصناعة والنشاطات الاخرى للاقطار الاعضاء، وهذا ما يناسب الاقطار المتقدمة اقتصاديا التي حققت فيها التنمية الصناعية مرحلة متقدمة مع توافر العدد الكافي من رجال الاعمال الرواد والقادرين على استغلال الفرص التي تتيحها عملية توسيع الاسواق.

ويختلف الوضع فيما يتعلق بالبلدان النامية، وينطبق هذا الوضع كذلك على الاقطار العربية الاسلامية، والتي يقف القطاع العام فيها كمحرك اساسي لحركة التنمية من خلال سيطرة الدولة على جزء رئيسي من الموارد المتاحة وممارستها لوظيفة التخطيط للتنمية فيها، بينما يتميز القطاع الخاص فيها بتردده وعدم جرأته على ارتياد مجالات الاستثمار المنتج في اطار السوق الاقليمية.

ويمكن في هذا السياق التحليلي اضافة نتائج التحليل الذي قدمه متولي، والذي قام بتحليل نتائج تطبيق السوق العربية المشتركة وفق المنهاج التجاري فاظهرت تحليلاته، بان المستفيد الاكبر من تطبيق السوق العربية المشتركة سيكون مصر بحكم اسبقيتها في مرحلة التنمية الصناعية وقيام قاعدة صناعية متنوعه نسبيا لديها، بالاضافة لقدرتها على انتاج الكثير من الصناعات بتكاليف اقل من انتاجها في عدد من البلدان العربية. وسيترتب على ذلك ان تدفع الاقطار العربية الاخرى تكاليف اعلى من الفوائد التي تعود عليها من التعاون، ويتحقق ذلك بفعل ميل المنافسة لمصلحة الانتاج الصناعي المصري من ناحية، كما سيؤدي استيراد المنتجات الصناعية من مصر بدلا من استيرادها من الخارج في ظل نظام من الرسوم الجمركية، الى حرمان الكثير من الاقطار العربية من ايراداتها الجمركية. [١]

كما اظهرت تجربة مجلس الوحدة الاقتصادية العربية عدم استجابة الاعتبارات العملية، لدى تبنى منهاج دول مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة (الكوميكون)، في تحقيق التكامل من خلال اسلوب التخطيط الشامل.

وفي الوقت نفسه اظهرت تجربة التعاون الانمائي نجاح الجهد العربي عندما تبنى فكرة التعاون الجزئي على اساس القطاعات الانمائية او المشروعات الانمائية المشتركة، وقد ترجم ذلك في مشروعات الاوابيك المشترك، والمؤسسات المالية الاقليمية المشتركة. كما ترجمته تجربة مجلس الوحدة الاقتصادية العربية نفسها، عندما ركزت على اقامة المشاريع المشتركة.

فقد اثبتت التجربة العملية ان المشروعات المشتركة كانت الصيغة الاكثر قبولا، في ظل ظروف ومعطيات الاقتصاد العربي، كما كانت العصب الحيوي لمعظم المداخل الاخرى للتعاون الانمائي. فلم يكن بالامكان تطوير عمل السوق العربية المشتركة بمعزل عن تطوير قاعدة الانتاج المادي المشترك.(٢)

وتتمثل اهم المشروعات المشتركة التي اقيمت بمبادرة من مجلس الوحدة الاقتصادية العربية في كل من الشركة العربية للتعدين، والشركة العربية لتنمية الثروة الحيوانية، والشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية، والشركة العربية للاستثمارات الصناعية.

ويلاحظ كذلك بان زخم العلاقات الاقتصادية بين اجزاء الوطن العربي وما ارتبط بها من مشاريع مشتركة للتعاون الانمائي، او من حركة كثيفة لانتقال بعض عناصر الانتاج كالعمل او رأس المال، تم تحقيق هذا الزخم في العلاقات التعاونية بمعزل عن ترتيبات التعاون الشامل التي اتخذت، وتم استحداث اجهزة متعدده لادارتها. وينطبق ذلك بشكل خاص على حركة انتقال العمل من الاقطار المصدرة للعمالة كالاردن ومصر ولبنان الى الاقطار النفطية المستوردة للعمالة.

كما ينطبق على حركة انتقال رأس المال المعاكسة للاتجاه السابق، تم تحقيق ذلك بمعزل عن اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية، وانما جاءت حركته استجابة لضغط الحاجات الاقتصادية لكلتا المجموعتين.

وقد ترتب على ذلك كله ان مسيرة ما يسمى "بالتكامل الاقتصادي العربي" لم تحقق نجاحا ملموسا، واصبح تعبير (التكامل) مجرد رمز يفتقر الى المحتوى التطبيقي في المسيرة العربية، وذلك على الرغم مما تشهده ساحة العمل الاقتصادي العربي المشترك من تعدد وضخامة الاجهزة، والاجتماعات واللقاءات والاتفاقيات المعقودة، وارتفاع مستوى الطموحات المعلنة صوب هدف الوحدة الاقتصادية العربية. والحقيقة التي لا يجب ان تغيب عن اي محلل يستهدف تصميم النموذج المجدي والقابل للتطبيق

الناجح للتعاون الانمائي العربي، تكمن في عدم رغبة الحكومات العربية، التي حصلت اقطارها على الاستقلال حديثا، في التنازل عن سيادتها، لذا يجب ان يستهدف النموذج المقترح تجنب المساس بمسألة السيادة.

- وفيما يتعلق باثر المشروعات العربية المشتركة في تدعيم التكامل الاقتصادي العربي، فقد ثار بعض الجدل الذي تمحور بين اتجاهين: يرى اولهما في هذه المشاريع اثرا محدودا مرتبطا بكونها احد الاشكال التي تسمح بتدفق رؤوس الاموال الخاصة والعامة من الاقطار العربية النفطية الى العربية غير النفطية، وتجعل من الممكن تنفيذ بعض المشروعات الانمائية للاقطار غير النفطية التي تحول محدودية مواردها المالية من اخراجها الى حيز التنفيذ. ويرى انصار هذا الاتجاه بان هذه الصيغة ستبقى صيغة محدودة الاثر فيما يتعلق بالتكامل الاقتصادي بين البلاد العربية ما لم يتم تكوينها في اطار خطة محددة سلفا لتسهيل عملية التكامل الاقتصادي العربي، وفق تصور استراتيجي لاعادة هيكلة "تقسيم العمل" بين البلاد العربية على اساس تفاوضي يحقق الالتقاء بين المنافع القطرية والقومية. وما لم تلعب المشروعات العربية المشتركة في القطاعات المرشحة للتكامل دورا قياديا في توجيه النشاط الاقتصادي في اطار القطاع على النطاق العربي في مجموعه[٣].

اما الاتجاه الثاني فيرى في صيغة المشروعات العربية المشتركة المدخل العملي والتطبيقي الذي يؤدي مع استمرار اتساع دائرتها، الى تشابك المصالح الاقتصادية العربية مما يساهم في النهاية في تدعيم التكامل الاقتصادي العربي، رغم ان تأثيراته تعتبر متواضعة في بداياتها.

وفي الوقت الذى يرى فيه الباحث توافر الاسباب المؤدية الى تأييد وجهتي النظر سالفتي الذكر، وبخاصة ما يتعلق بالجدوى التطبيقية لصيغة المشروعات المشتركة وتواضع تأثيراتها من ناحية، بالاضافة الى ضرورة اللجوء الى هذه المشاريع باعتبارها

احد مكونات استراتيجية التعاون الانمائي العربي والاسلامي، ورغم ذلك فان هناك من الاسباب، ما يجعل من عملية احالة مصير التعاون والتكامل الاقتصادي العربي الى خطة عربية مشتركة عملية صعبة التحقيق، وغير مبررة على ضوء التجربة العربية المعاصره.

وعليه، تشير خلاصة التجربة المتعلقة بالتعاون الانمائي العربي الى انه يمكن تأمين مستلزمات الجدوى التطبيقية من خلال ذلك المنهاج للتعاون الانمائي الذي يتخذ من التوجه الجزئي - القطاعي اساسا للجهد التنموي المشترك، على ان يتركز هذا التعاون ويتمحور حول بعض النشاطات او القطاعات ذات الطبيعة الحيوية والمهمة للتنمية الاقليمية، ويمكننا التأكيد ضمن هذا السياق التحليلي على ان تجارب التعاون الانمائي في الاقطار النامية تشير الى نفس النتيجة السابقة (٤).

وننتقل الان لمزيد من المناقشة لبعض الجوانب التطبيقية المتعلقة بشروط هذا المنهاج المقترح.

٢ - منهاج التوجه التنموي

أ - التعاون ام التكامل؟

حذر الكثير من الدراسات من الآثار السلبية لأي نظام للتكامل الاقتصادي يتم تصميمه قبل نضج وتأمين الظروف المناسبة لتطبيقاته او لدى صياغته في ضوء اهداف متطرفة الطموح. وعليه فان استخدام اصطلاح التكامل قد يكون مضللا، وخاصة انه يظهر، وبشكل غير واقعي، كثير من المزايا التي يحققها، والافاق التي يفتحها للدول النامية، وقد انعكس ذلك على عدد من الانظمة التكاملية التي جرى تطبيقها في افريقيا، آسيا، والبحر الكاريبي وفي امريكا اللاتينية، التي تعايش أزمات جدية وبدرجات متفاوتة من ركود لنشاطاتها التعاونية ومرورها عبر مرحلة التفكك (disassociation) (٥) كما شهد الوطن العربي الكثير من النكسات المتعلقة بهذا التوجه.

وعليه، يبدو ان الترتيبات التي تكون مجدية للتطبيق على اوضاع الاقطار الاسلامية لا بد ان تكون ذات طبيعة انمائية جزئية وليست شاملة، وقائمة على عنصر التجربة والانتقال التدريجي من مرحلة للتعاون الى اخرى، ولكن ليس وفق المراحل المعروفة في عملية التكامل الاقتصادي الشامل.

ففي المراحل الاولى للتعاون، تكون الاقطار الاعضاء، اقل رغبة في التنازل عن أي جزء من سيادتها، كما تتهيب من تعدد التزاماتها وتشابكها.

كما لا يتوقع ان تبدي الحكومات الاسلامية استعداداً للتعاون مع الاقطار الاخرى خارج الدائرة الاقليمية يعتبر من الكبر بالمقارنة مع حجم علاقاتها فيما بينها الى المدى الذي لا ترغب معه هذه المجموعة في التضحية بتلك العلاقات الدولية او المساس بها بشكل رئيسي لحساب العلاقات الاقتصادية الاقليمية. فقد بلغت نسبة الصادرات بين الدول الاعضاء في البنك الاسلامي للتنمية في عام ١٩٨٣ ١٠،٣٪ فقط من اجمالي صادراتها لعالم، كما بلغت نسبة الواردات من الدول الاعضاء ١١،٢٪ من اجمالي وارداتها العالمية، علما بأن النصيب الكبر من الصادرات والواردات العالمية تستحوذ عليه الدول المتقدمة صناعيا.[٦]

وقد دفعت هذه العوامل الكثير من الدول النامية لتفضيل منهاج التعاون الانمائي الجزئي والاستكشافي بدلا من برنامج التكامل الشامل.

ان حداثة استقلال الاقطار الاسلامية وتجربتها في التعاون الانمائي تدفع باتجاه تفضيل النظام الجزئي الذي يؤمن عنصر التعليم من خلال التجربة، التي يتم من خلالها وضوح مزايا التعاون وانجازاته القطاعية. وعليه، فهي كغيرها من الدول النامية، تؤثر التحرك الحذر الذي فرضته نتائج التجارب القاسية لكثير من الدول النامية التي سجلت فشل مشاريعها التكاملية. وعليه، فان منهاج التعاون الانمائي المقترح للدول الاسلامية هو (منهاج التعاون المستند الى قاعدة التوجه التنموي الجزئي والمبرمج وفق آفاق تكاملية).

أما الافاق التكاملية فهي تعني ان اجراءات ومشروعات التعاون وسياساته وادواته لا ينبغي ان تكون بذاتها تركيبة مؤقتة، ولكن عليها ان تفرز آثاراً تكاملية متدرجة وتساهم في الوقت نفسه في الانتقال الى مراحل اكثر شمولية ومتقدمة في مجالات التعاون الانمائي، كما يسمح هذا المنهاج باستخدام أدوات السياسة التجارية وغيرها من السياسات، لخدمة مشاريع ونشاطات التعاون الجزئي، كتحرير التجارة وحركة انتقال عوامل الانتاج وغيرها من ادوات السياسة المالية والاقتصادية. ويؤيد وجود بعض الاختلافات المحدودة في مستوى التنمية المتحققة في الاقطار الاسلامية تبني مشروع التعاون الذي يوفر عنصر الحذر، وضمان تحقيق التوازن في المنافع والاعباء الناجمة عن هذا التعاون، بالاضافة لفتح المجال لاستفادة جميع الاجهزة الرسمية والشعبية من نتائج التجربة التي تعتمد المرحلية.

تخطيط ام برمجة التعاون؟

تستند فكرة التنسيق الشامل لخطط التنمية في اي نظام للتعاون الانمائي الى قاعدة نظرية قوية، مؤداها ان النشاطات الرئيسية للتعاون تتم معالجتها بكفاية ويمكن تأمين عدالة توزيع المنافع والتكاليف الناجمة عن التعاون. بالاضافة لشمول التعاون لجميع القطاعات المتصلة بنشاطات التعاون، ورغم ذلك، فان دروس التجارب المتعلقة بالتعاون الانمائي في الاقطار النامية[٧] بالاضافة لطبيعة الظروف المحيطة بالتخطيط الانمائي في الاقطار الاسلامية، تميل الى تبرير التخطيط الجزئي، او برمجة النشاطات التي تخضع للتعاون الانمائي. وتوضح هذه النتيجة الحقائق التالية:

١ - لا تزال القدرة الفنية اللازمة للتخطيط الشامل في الاقطار الاسلامية غير مؤمنة بشكل واضح في ضوء الاعتبارات التالية:

أ - تتسم عملية انجاز التخطيط متوسط وطويل الاجل في هذه المجموعة بالضعف العام.

ب - تواجه هذه الاقطار مشكلة في تنفيذ خطط التنمية المعتمدة لديها، حيث لم تصل بعد الى مرحلة الالتزام الجدي بخططها المقررة، بالاضافة الى ضعف القدرة على متابعة تنفيذها.

ج - تواجه الاقطار الاسلامية مشكلة ضعف ادارة التنمية، بدءا من عملية اعداد الخطط واعداد دراسات الجدوى الاقتصادية المتعلقة بها، وانتهاء بضعف اجهزة واعمال الاشراف على تنفيذ وادارة المشروعات الانمائية.

د - عدم كفاية قاعدة المعلومات والاحصاءات اللازمة لانجاز عملية التخطيط الشامل.

هـ - يستثنى القطاع الخاص، وكذلك بعض القطاعات المهمة، كقطاع الاستثمارات الخارجية، من خطط بعض الاقطار كالكويت والسعودية.

تؤكد الحقائق المتعلقة باطار التخطيط القومي للتنمية في الاقطار الاسلامية على ضعف الاطار الحالي، ومن ثم يجب ان تستحوذ عملية تطويره وتمتين قاعدته على الاولوية من اجل تحسين مستوى معالجة التنسيق المطلوب لمشروعات ونشاطات التعاون، حتى على المستوى القطاعي.

٢ - تميل الاعتبارات العملية المتعلقة بجدوى التعاون الانمائي الى عدم ربط جهد التعاون بضرورة تحقيق التنسيق الشامل لجميع قطاعات التنمية وتحقيق الانسجام بين جميع اهدافها، وتؤكد في الوقت نفسه على ضرورة المشروع في التركيز على بعض القطاعات او النشاطات ذات الاهمية الاستراتيجية والتي تستهدف احداث تعديلات هيكلية في الاقتصاد الوطني للاقطار الاعضاء. وتعتبر الفكره التالية التي اثارها الاقتصادي ديل (Dell)، والمتعلقة بالموقف في دول اميركا اللاتينية منطقية ضمن هذا التوجه.

"من الخطأ الانتظار الى ان يتم نجاح التعاون في تحقيق التناسق الكامل بين مجموعة الاهداف المحددة لجميع قطاعات التنمية ضمن اطارها الشامل. فمن المفضل والى حد كبير الشروع في تحديد اهداف القطاعات ذات الطبيعة الاستراتيجية وتبني الوسائل اللازمة لتحقيقها" (٨)

وعلى الرغم من ضعف الاطار العام للتخطيط القومي في الاقطار الاسلامية الا انه يمكن لهذه المجموعة ان تشرع في تبني منهاج البرمجة او التخطيط الجزئي لبعض اوجه النشاط او القطاعات الحيوية، بدلا من الانتظار لحين استكمال الاطار اللازم لتنسيق الخطط الشاملة. ويمكن تنفيذ ذلك بتشكيل اللجان القطاعية المتخصصة واشراك اجهزة التخطيط معها في اعمالها.

وهكذا، فان اسلوب التعاون التخطيطي ينبغي ان يتسم بالواقعية نفسها التي يتسم بها منهاج التعاون الانمائي المقترح، وهو التعاون القائم على اساس (برمجة التعاون الانمائي الجزئي).

٣ - المنهاج المقترح للاقطار الاسلامية/خلاصة.

والخلاصة، يمكن بلورة منهاج التعاون المقترح للاقطار العربية، والذي يتسم بالجدوى التطبيقية في ضوء التحليلات السابقة فيما يلي:

" التعاون الجزئي المبرمج والمستند الى توجه تنموي ينطلق من قواعد للعمل المشترك ذات طبيعة استراتيجية وضمن افاق تكاملية".

وبالرغم من ان اهداف هذا التوجه هي بطبيعتها معتدلة، وتتركز حول مجالات او مشروعات محددة يجري اقرارها لفترة قصيرة او متوسطة الاجل، ولكن يجب ان تتم بلورتها ضمن توجه تنموي يخدم اهداف التنمية في المدى الطويل، كما يخدم في الوقت نفسه مسيرة التعاون الانمائي بين الاقطار الاعضاء.

يتعارض مثل هذا التوجه مع نظرية السوق المشتركة التي ما زال الكثير من رجال الفكر الاقتصادي او من المسوؤلين الاقتصاديين في الاقطار الاسلامية يطالبون بتبنيها.

وقد لاحظ الباحث تبني مجلس التعاون العربي الخليجي المنهاج نفسه القائم على اساس اقامة الاسواق المشتركة، وذلك كما ترجمته الاتفاقية الاقتصادية التي جرى اقرارها من قبل اقطار المجلس.

وتجدر الاشارة في هذا المجال، الى ان الندوة التي خصصت لمناقشة (الفكر الاقتصادي الوحدوى وتعثر مسيرة الوحدة) والتي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية قد توصلت الى تأييد نتائج تحليلاتنا السابقة والمتعلقة بفشل مدخل تحرير التبادل التجاري في تحقيق التكامل الاقتصادي العربي.

ونشير فيما يلي الى كلمات الندوة(٩)

(ولكن الفكر الاقتصادي آنذاك، عند تأسيس مجلس الوحدة الاقتصادية العربية وانشاء السوق العربية المشتركة، كان اسير التقليد لتجربة السوق الاوروبية المشتركة ففي قضية مدخل تحرير التبادل التجاري لم يكن الفكر الاقتصادي في الحقيقة فكرا عربيا خالصا، بل كان مقلدا لتجربة السوق الاوروبية المشتركة، ولهذا اكتشفنا بعد مدة ان المدخل المذكور لم يكن المدخل الصحيح).

وفيما يتعلق بنقل دروس التجربة العربية الى ميدان التعاون الانمائي بين الاقطار الاسلامية، نود التأكيد على ان المواصفات الهيكلية للاقتصاديات الاسلامية تشابه الى حد بعيد نفس الخصائص الهيكلية للاقتصاديات العربية. وعليه، فهي تؤكد على صلاحية المنهاج المستند الى التوجه التنموي الجزئي بدلا من المنهاج القائم على اساس التوجه التجاري وتؤيد مجموعة المؤشرات التالية عدم تبني الاقطار الاسلامية للمنهاج الشامل القائم على التجارة او تبني فكرة الاسواق المشتركة.

١ - ان هيكل التجارة الخارجية للدول الاعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي يعتبر اضعف من هيكل التجارة الخارجية للدول النامية بصورة عامة؛ فالبيانات المتوافرة عن التجارة الخارجية للدول النامية بصورة عامة. والبيانات المتوافرة عن التجارة الخارجية لثلاث وعشرين دولة من الدول الاعضاء في البنك الاسلامي للتنمية، التي بلغ نصيبها الاجمالي في التجارة الخارجية لجميع الدول الاعضاء في عام ١٩٨١ ما يزيد على ٧٥ بالمائة من كل الصادرات والواردات، تشير الى ان السلع الاولية كانت تمثل ما يزيد على ٩٠ بالمائة من اجمالي صادرات تلك الدول، بينما تشكل السلع المصنعة اكثر من ٦٥ بالمائة من اجمالي وارداتها. وتؤكد هذه البيانات على اولوية التوجه المشترك لبناء وتمتين القاعدة الانتاجية للاقتصاديات الاسلامية.

٢ - يتفوق نصيب السلع الاولية في صادرات هذه الدول على نصيبها في صادرات غيرها من الدول ذات الدخل المنخفض والدول متوسطة الدخل مثلما هو الحال بالنسبة لنصيب وارداتها من السلع المصنعة[١٠].

٣ - ضعف نسبة التجارة (تصديراً واستيراداً) فيما بين الاقطار الاسلامية (في حدود ١٠٪) بالمقارنة لنسبة تجارتها مع الدول المتقدمة اقتصاديا كما سبق بيانه.

علما بان نسبة الصادرات فيما بين الدول الصناعية بلغت في عام ١٩٨٣ حوالى ٦٨.٤٪ من اجمالي صادراتها العالمية، وسجلت الواردات فيما بينها ما نسبته ٦٧.٢٪.

لم ترتفع نسبة مساهمة الدول الاعضاء في التجارة الدولية خلال الفترة بين عامي ١٩٧٦ و ١٩٨٣، فقد انخفضت مساهمتها من الصادرات العالمية من ١٢.٣٪ خلال عام ١٩٧٦ الى ما نسبته ١١.٢٪ في عام ١٩٨٣، بينما ارتفع نصيبها من الواردات العالمية من ٣.١٪ في عام ١٩٧٦ الى ما نسبته ٦.٣٪ في عام ١٩٨٣.

وقد دعت المؤشرات السابقة تقرير بنك التنمية الاسلامي الى بلوغ النتيجة التالية[١١].

"ولا شك في ان هيكل التجارة الخارجية للدول الاعضاء بوضعه الحالي لا يساعد على التوسع السريع للتجارة بين هذه الدول نظرا لضعف تكاملها الاقتصادي.

وينبغي الاشارة الى ملاحظة ختامية تتعلق بوضوح الاتجاه الذي يعطي مسألة المشروعات المشتركة اهتماما خاصا ضمن مسيرة التعاون الانمائي الاسلامي، كما سجلتها وثائق اجتماعات ولجان منظمة المؤتمر الاسلامي، خاصة ما ورد في خطة العمل التي تبناها مؤتمر القمة الاسلامي الثالث.

ويمكن التأكيد على تأييدنا لاهمية التعاون الانمائي الموجه صوب تحقيق هدف الامن الغذائي والدوائي للاقطار الاسلامية كما وردت في دراسات كل من مجلس الوحدة الاقتصادية العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي. ان اعطاء الاولوية للعمل الاسلامي المشترك في هذين المجالين ينسجم مع المنهاج المقترح للتعاون الانمائي بين الاقطار الاسلامية.

هوامش البحث

(١) M. M Metwally, The Case for A rab ~ :onomic Integration Egypt Contemporaine, no. 376 (April, 1979) P. 135.

(٢) تجربة مجلس الوحده الاقتصادية العربية في اقامة المشروعات الصناعية المشتركة، **التعاون الصناعي في الخليج العربي** (منظمة الخليج للاستثمارات الصناعيه، السنة ٤، العدد ١٣، تموز يوليو ١٩٨٣.

(٣) عبد الفضيل، محمود. النفط والوحده العربية: تأثير النفط.

(٤) يمكن الاستشهاد بتجربة السوق المشتركة لاقطار شرقي افريقي ( ) بين كل من كينيا وتانزانيا واوغندا التي اقيمت في عام ١٩٦٧. وانتهت بالفشل في عام ١٩٧٧. وفي الوقت الذي ارتبط فشل السوق بالعديد من العوامل الا انه يعتقد بان من ابرز هذه العوامل طبيعة المنهاج الذي جرى تبنيه. أنظر للباحث الحالي:
التعاون الانمائي بين اقطار مجلس التعاون العربي الخليجي، بيروت: منشورات مركز دراسات الوحده العربية، (١٩٨٤)، ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٥) CAEU and FAo, **Economic Integration Organs in the Arab World** and theRole of CAEU, Cariro, 2-7 April, 1977.

(٦) البنك الاسلامي للتنمية، التقرير السنوي التاسع، ١٩٨٣م/١٩٨٤م، جده، ص ٤٧ .٤٨.

(٧) اجرينا في كتابنا سابق الاشارة اليه، تحليلا شملا لبعض تجارب الدول النامية في ميدان التعاون الانمائي ص ٣٤٤ - ٣٥٥.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) ندوة المستقبل العربي: الاقتصاديون وتعثر مسيرة الوحدة، المستقبل العربي السنة ٢، العدد ١٢ (شباط/فبراير ١٩٨٠) ص ١٤٢.

(١٠) تقرير البنك الاسلامي للتنمية سابق الاشارة اليه، ص ٤٤.

(١١) المصدر السابق، ص ٤٥.